

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

صلى الله عليه وسلم
وآله الطيبين الطاهرين

أما بعد
فإن من أوجب الواجبات

ذكر من أفاضل العلماء



بَيْتُ الْحَكَمِ فِي عِصْرِ الْعَبَّاسِيِّينَ

الدكتور خضير احمد عطا الله

كلية التقنية العليا بأبو ظبي
جامعة الامارات العربية المتحدة

الطبعة الأولى

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ ش. موارد مسني - الفايف
ص.ب. ١٣٠ ت: ٣٩٥٥٩٣

والله اعلم

والله اعلم ...

والله اعلم ...

والله اعلم الله أكبر عجل العباد

مقدمة



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد . .

حينما بدأت في تسجيل موضوع **رسالة الدكتوراه** عن « بيت الحكمة في عصر العباسيين » أدركت صعوبة الموضوع من حيث عدم توفر مصادر ومراجعته ، وأن ذلك يتطلب وقتا وجهدا ، وبحثا وتنقيا من أجل الوصول الى الحقيقة ، وهذا ما سعت اليه وبذلت فيه جهدا مضنيا ، فتسلحت بسلاح الايمان والصبر والجهد والمثابرة وشعرت عن ساعد الجدد وطوفت أبحث وأنتقب ، فوجدت بعضا من هذه المصادر والمراجع في بعض البلدان منها الباكستان بجامعة البنجاب بلاهور والعراق ومصر وسوريا والمغرب وليبيا ولبنان وأمريكا .

ولكن هذا البحث كلفني من العناء والجهد في ترك الأهل والولد وكل ذلك يهون في سبيل اخراج بحث نشعر أننا قدمنا فيه شيئا جديدا خدمة لكل راغب في التزود بزااد العلم .

أما عن اختيار موضوع « بيت الحكمة في عصر العباسيين » فلأن المكتبات الاسلامية تعتبر من أهم المؤسسات الثقافية التي يفخر بها الاسلام ، ولها دور بارز في نشر المعرفة والثقافة بين المسلمين ، وساعدت في اقبال المسلمين على التعليم بعد ظهور الاسلام ، ويمكنهم تفهم تعاليم هذا الدين ، وترغيب الأمم الأخرى في الدخول في الدين الجديد .

كما أن المكتبات المنظمة الغنية بمحتوياتها هي الدعائم الأساسية التي تشاد عليها صروح العلم والثقافة والحضارة والمعرفة وهي أيضا الينابيع الفياضة التي تغذى تقدم الأمم العلمى والحضارى بماء الحياة والبقاء .

ويقاس رقى أمة من الأمم أو تأخرها بكثرة المكتبات وما تلقاه من عناية ورعاية أو ندرتها أو اهمالها ، واعتبارها شيئا ذا أهمية ثانوية .

ولهذا فبيت الحكمة باعتبارها احدى المؤسسات العلمية والثقافية قد أدت دورا بارزا فى العصر العباسى كمكتبة عظيمة ودار ترجمة وجامعة اسلامية عريقة فيها دار اقامة للطلاب والأساتذة يدرس بها الطب وغيره من العلوم الأخرى ، وقد ساهمت فى النهضة العلمية والفكرية الاسلامية فى بغداد كما كان تأثيرها كبيرا فى القاهرة وقرطبة والأندلس وغيرها من البلاد الأخرى .

وقد قسمت البحث الى خمسة أبواب ، وقسمت كل باب الى فصول .
الباب الأول : يتكون من مقدمة وأربعة فصول تحدثت فى الفصل الأول عن تأسيس بيت الحكمة وأهدافها ، وفى الفصل الثانى عن انشائها والفصل الثالث شمل التنظيم الإدارى بها والفصل الرابع عن أثر بيت الحكمة فى المجتمع العباسى .

الباب الثانى : قسمته أيضا الى أربعة فصول ، فيه المقدمة . ذكرنا فى الفصل الأول تاريخ المدارس الاسلامية وأثر بيت الحكمة فيها .

والفصل الثانى : التدريس والمدرسون فى بيت الحكمة ، عملهم ورواتبهم فيها ، والمواد الدراسية التى تدرس فيها .

الفصل الثالث : حركة التأليف فى بيت الحكمة من حيث حركة التأليف فيها وتشجيع حركة التأليف على يد الخلفاء والوزراء وعمل المؤلفين فى بيت الحكمة ورواتبهم . والفصل الرابع : تحدثت فيه عن المناقشة والمناظرة بين العلماء والخلفاء والوزراء فى بيت الحكمة . ومدى تشجيع الخلفاء للمباحثة والمناظرة فيها ، ورغبة الخلفاء والوزراء فى المباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة . ومشاركة العلماء والشعراء والأدباء فى المناظرة والمباحثة فيها .

أما الباب الثالث : فيتكون من المقدمة وأربعة فصول . أشرنا فى الفصل

الأول عن بيت الحكمة في عهد المأمون ، وحالتها قبل عهد المأمون ، وعناية واهتمام المأمون ببيت الحكمة ، وصرف الأموال في سبيل ازدهار وارتقاء بيت الحكمة .

الفصل الثاني : بيت الحكمة بعد عهد المأمون ، وكيف أنها استمرت في رحلتها العلمية والأدبية ، ومدى عناية الخلفاء والوزراء بها بعد المأمون ، ثم ذكرت الحركة العلمية ونشاطها في بيت الحكمة بعد عهد المأمون .

الفصل الثالث : تأثير بيت الحكمة كمؤسسة علمية وتعليمية على المدارس الإسلامية ، فبيت الحكمة نموذج رائع للمدارس الإسلامية في النواحي العلمية والتعليمية .

وكيف أن المدارس الإسلامية قد تأثرت بالعلوم التي تدرس في بيت الحكمة كالفلسفة والطب والمنطق والفلك والتنجيم والرياضيات . أما موقف المدارس الإسلامية من بيت الحكمة ومدى تأثرها بها ، فهذا ما سنوضحه في مكانه من البحث .

أما الفصل الرابع : فيشتمل على بيت الحكمة كجامعة إسلامية عظيمة ، فقد كانت جامعة بيت الحكمة يدرس فيها الطب ويقيم فيها الطلاب والأساتذة ، كما أنها كانت تهتم بالمراسد الفلكية التي أقيمت في دمشق وفي بغداد ، وذلك من قبيل حرص الدولة العباسية على الإسلام والمسلمين ، كمعرفة مواقيت الصلاة ... الخ .

واللباب الرابع : يتكون من مقدمة وثلاثة فصول : الفصل الأول بيت الحكمة كمؤسسة علمية وحركة الترجمة فيها . وكذلك أيضا العلوم الإسلامية في بيت الحكمة ، كعلم الكلام والمنطق والفلسفة والطب والرياضيات والفلك والتنجيم . وفي الفصل الثاني : الحياة العلمية ونشاط الترجمة في بيت الحكمة ، تحدثت فيه عن المترجمين الذين عملوا في بيت الحكمة : كحنين بن إسحاق ، ويوحنا بن ماسويه ، والكندي ، والفارابي ، والفضل بن نوبخت .

وما كان لحركة النقل والترجمة على أيدي الموالى : كعلان الشعوبى والفضل بن سهل ، وسعيد بن هارون ، وكانوا يريدون بذلك اثبات وجودهم أمام العرب المسلمين .

ولعب المترجمون دورا هاما في تنشيط حركة التأليف والترجمة من أمثال : أولاد موسى بن شاكر (محمد وأحمد والحسن) ، وثابت بن قرة .

ويجب أن نذكر أن ترجمة التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية قد اكسب الدولة العباسية مكانة مرموقة بين العالم الاسلامى والأجنبى . وقد تم ذلك على يد حنين بن اسحاق ، وأولاد موسى بن شاكر والكندى والفارابى .

اما الفصل الثالث : فهو العلاقة بين مؤسسة بيت الحكمة والحكومة والعلماء الذين عملوا فيها . اذ كان للخلفاء والوزراء دور بارز من حيث تشجيعهم للذين عملوا

فى بيت الحكمة كحنين بن اسحاق والكندى ويوحنا بن ماسويه . وقد حافظ الخلفاء والوزراء على نشاط مؤسسة بيت الحكمة بتشجيعهم للترجمة والتأليف ونقل التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية . كما حرص الخلفاء والوزراء على تقوية اواصر المحبة والتعاون بين من عملوا داخل بيت الحكمة .

الباب الخامس : يتكون من مقدمة وثلاثة فصول . الفصل الأول : مكانة بيت الحكمة بين مدارس وجامعات العالم . فكانت بيت الحكمة ذات تأثير عظيم فى المدارس الاسلامية والجامعات الاسلامية كجامعة دار الحكمة فى القاهرة ، ودار الحكمة فى الأندلس وجامعة القرويين بالمغرب والزيتونة فى تونس .

ومن مميزات بيت الحكمة انها ساهمت بانقاذ التراث العالمى من الفناء بجلب كنوز المعرفة من انحاء العالم كعمورية وأنقره وغيرها . الفصل الثانى : ازدهار العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة . فمقد كان لبيت الحكمة تأثير فى العلوم الاسلامية مثل : علم الكلام والفلسفة والمنطق والرياضيات . كما تم نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين وحثهم على طلب العلم والمعرفة باذخار نظام جديد للمكتبات على العالم الاسلامى من حيث التصنيف والنسخ والاشراف والطبع ... الخ .

الفصل الثالث : مميزات بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة فجامعة بيت الحكمة جامعة اسلامية عريقة تتمتع بمكانة مرموقة بين الجامعات الحديثة فقد اثرت فيها وخاصة جامعة الأزهر بالقاهرة كما كان تأثيرها أكبر فى الجامعات الأجنبية الأوروبية كجامعة اكسفورد وكمبردج ومونبلييه بفرنسا . وقد كان لجامعة بيت الحكمة اثر فكري وفلكى على الجامعات الحديثة فمعرفة الاسطرلاب وقياس مساحة الأرض ودورانها ومحيطها . كل ذلك كان بواسطة المراسد الاسلامية التى كانت فى الدولة العباسية . وكانت جامعة بيت الحكمة الرائدة فى ذلك رغم عدم اكتشاف الآلات الحديثة الآن . كما كانت جامعة بيت الحكمة ذات تأثير فى الجامعات

الحديثة حيث تأثرت بعلومها : كالطب والكيمياء والفلك والتنجيم والفلسفة والمنطق والرياضيات .

وهكذا حظيت بيت الحكمة كمؤسسة علمية وتعليمية وجامعة اسلامية عظيمة ، حيث تزودت بزاد فكري لا ينضب ، ولعل هذا راجع الى تشجيع خلفاء الدولة العباسية للاحركة العلمية حيث اصبح العلم ميسرا لطلابه وبحبيه ، وقد لعب هذا العامل دورا بارزا في ازدهار الحركة العلمية اذ قام الخلفاء بالاشراف عليها وتشجيع العلماء على البحث والمناقشة والمناظرة والتأليف حتى أصبحت قصورهم تعج بالعلماء والفقهاء والأدباء الذين يتبارون في مجلس الخليفة ويتنافسون في قوة الحجة وسرعة البديهة .

وان من أمتن الأسس التي تشيد عليها صروح المجد والسؤدد ومن أقوى مقومات الشخصية الدولية ولا سيما أن الاسلام قد جعل العلم فريضة على كل مسلم ، وأوصاهم بطلبه من المهد الى اللحد وحثهم على السعى وراءه أينما كان .

هذا هو جهد المقل — اللهم أن احسنا فثبتنا على الحق ، وان جانبنا الصواب فأرشدنا الى طريق الحق والخير .

عليك توكلنا واليك أنبنا ، والحمد لله رب العالمين ..



بحث في المصادر والمراجع

تتضمنت لدراسة « بيت الحكمة في عصر العباسيين » بخطى بطيئة ولكنها ثابتة ، فقد كنت أدرك ما يحتاجه هذا الموضوع من فكر وجهد ، وهو موضوع بكر لم يعالج من قبل على النسق الذي يعرض به الآن . ودراسة « بيت الحكمة في عصر العباسيين » كدراسة غيره من موضوعات الحضارة وتحقيق التراث تحتاج الى صبر ودأب ومثابرة . ولهذا احتاج هذا البحث الى جهد متصل وكفاح طويلا في سبيل اتمله ، وأذكر أنني طالما قرأت كتباً ضخمة بعضها يقع في عدة أجزاء ، وكنت أمل أن أجد فيها ما يفيدني في بحثي ، ولكني كنت أخرج منها بمحصول ضئيل أو أخرج بلا شيء . وهناك حقيقة أخرى ذات أهمية كبرى ، هي أن كل باب من أبواب هذا البحث كان يحتاج الى مصدر غير تلك التي تلزم عند كتابة باب آخر منه . بل أن كل فصل من فصول الباب الواحد كان يحتاج الى مصادر غير مصادر فصل آخر في نفس الباب . وعلى ذلك فقد احتاج هذا البحث الى عدد كبير من الكتب والمخطوطات والوثائق لتمتد الموضوع بالمادة التي تشرح جوانبه ، وتكشف عن غموضه ، ومن أجل هذا قمت برحلة طويلة زرت فيها الباكستان ومصر وسوريا والاردن والعراق والمغرب وتركيا — كما استطعت في هذه الرحلات أن أزور مكتباتها التي أمدتني بمخطوطات ومؤلفات أفادتني فائدة عظيمة القيمة جليلة الشأن ، كما كانت اتصالاتي بأستاذي البروفيسور أمان الله خان رئيس قسم الدراسات الإسلامية بمعهد الدراسات الإسلامية بجامعة البنجاب بـلاهور ، وقد كان لتوجيهاته وارشاداته خير عون لي في بحثي جزاه الله عنى كل خير . أما المصادر التي اعتمدت عليها في بحثي هذا فكثيرة ومتنوعة وبخاصة فيما يتعلق بالمصادر ذات الصلة الوثيقة بالبحث .

فابن النديم (ت ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م) في كتابه (الفهرست) يزدونا بمعلومات قيمة جدا عن موضوع بحثنا هذا بصفة عامة ، فقد ذكر أن بيت الحكمة كانت أكاديمية مختصة بالبحث والدرس وترجمة الكتب العلمية والأدبية ، كما تحدث عن كانوا يعملون في بيت الحكمة من حيث تنوع ثقافتهم ومعارفهم كسهل بن هارون وغيره ، وكيف أن بيت الحكمة ازدهرت وارتقت في عهد المأمون ليلته للفلسفة

والعلوم العقلية ، وحبه للعلم والعلماء وتشجيعه لهم . وأشار ابن النديم الى دور اهل الذمة ممن كانوا يعملون في بيت الحكمة واسهامهم في حركة الترجمة ونقل التراث والفكر العالى الى اللغة العربية : مثل يوحنا بن ماسويه ، وحنين بن اسحاق ، وابن البطريق ، وقسطا بن لوقا . وتحدث أيضا عن مكانة المدرسين عند الخلفاء العباسيين واحترامهم لهم ، وكيف كانوا يجرون عليهم الرواتب والأرزاق ، كما وصف ترتيب وتنظيم التلاميذ داخل الحلقات الدراسية في داخل بيت الحكمة أمثال : حلقة الفارابي والرازي . وكيف كانت تعقد فيها مجالس للعلم والمناظرة من أجل التوصل للحقائق العلمية . وذكر ابن النديم ان بيت الحكمة بقيت تؤدي واجبها العلمى بكل همة ونشاط حتى النصف الأخير من القرن السابع الهجرى ، وهذا بفضل تشجيع الخلفاء والوزراء ورعايتهم للحركة العلمية فيها . ومرجع ذلك الى أن ابن النديم قد عاش في بغداد ، وكان مطلعاً على ما في هذه المدينة العالمية من الكتب . فكتابه يحتوى حصيلة التأليف الذى تم أو وجد في بغداد التى كانت أكبر مركز ثقافى في العالم الإسلامى . وكانت صلتها الوثق ببغية مدن العراق وخراسان وبلاد الجزيرة والشام . ففى سنة ٣٧٧ هـ أتم محمد ابن اسحاق النديم كتابه (الفهرست) فهو أوسع كتاب شمل أسماء الكتب المؤلفة بالعربية أو المترجمة اليها حتى سنة تأليفه مع معلومات عن بعض رجال العلم ، وعن نشأة بعض العلوم ، ويتكون كتابه من ثلاثة أقسام رئيسية عرض في أحدها المؤلفات فى العلوم العقلية بما فى ذلك القرآن الكريم والحديث واللغة والتاريخ والأدب ، وعرض فى الثانى ما يتعلق بعلوم الأوائل فى الفلسفة والطب والرياضيات والهندسة والحيل . أما القسم الثالث ففيه أبحاث عن نشأة الكتابة وقد وضعه فى أول الكتاب وعن معتقدات وتاريخ بعض الأديان والملل وقد وضعها فى آخر الكتاب .

كما حظى كتاب (الفهرست) لابن النديم بالتقدير الجدير به فنقل عنه عدد ممن تلاه من المؤلفين المعنيين بهذا الجانب ، ومن أبرز من نقل عنه ياقوت الحموى فى كتابه « معجم الأدباء » والقنطرى فى كتابه « أخبار الحكماء » و « الأنباة فى أخبار النحاة » وابن أبى أصيبعة فى كتابه « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » وابن خلكان فى كتابه « وفيات الأعيان » .

وألّف جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القنطرى (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) كتابه (أخبار العلماء بأخبار الحكماء) أو (تاريخ الحكماء) الذى يعد وثيقة هامة فى مجال البحث فيه ذكر من اشتهر ذكره من الحكماء من كل قبيلة وأمة قديمها وحديثها حتى زمن المؤلف وما حفظ عنه من قول انفرّد به أو كتاب صنفه .

والواقع ان نمائدة مؤلف القفطى هذا قد شملت معظم فصول البحث فنقد اشار القفطى الى اهمية مزج الثقافات المختلفة والمعارف المتباينة فى بيت الحكمة ، الذى ولده دخول الموالى والبرامكة فى احضان الدولة العباسية .

واهم الشخصيات التى قامت بهذا الدور هى : الفضيل بن نوبخت وولاد شاكى ، ويوحنا بن ماسويه الذى ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة وجعله أميناً عليها . كما تحدث عن المجالس العلمية والحلقات والمناظرات . وأورد القفطى قائمة كاملة لمؤلفات حنين بن اسحاق باللغتين السريانية والعربية ، اذ انه اورد فى كتابه تراجم العلماء الذين ذكرهم وأسماء كتبهم ويبلغ عدد من ترجم لهم من الفلاسفة والأطباء والمنجمين وعلماء الحساب والهندسة أربعمئة وتسعة . وتحدث القفطى عن بداية نشأة بيت الحكمة وكيف ان الرشيد قسمها الى عدة خزائن أو أقسام لكل منها من يقوم بالاشراف عليها ولها تراجمة يتولون الترجمة فيها ومجلدون يجلدون الكتب فصار لها دوائر علمية . كما ذكر القفطى الكثير من البعثات التى أرسلها الخلفاء العباسيون لجلب كنوز المعرفة والثقافة من جميع انحاء المعمورة أمثال البعثة التى أرسلها الرشيد الى أنقرة وعمورية لاختيار كتب الفلسفة والطب والكتب القيمة التى يندر وجودها . وكذلك البعثة التى أرسلها المأمون برئاسة يحيى بن البطريق لاجتاز الكتب اللاتينية لأنه يعرف اللاتينية .

اما ابن أبى أصيبعة موثق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرى (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٩٦ م) فى كتابه (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) الذى يعتبر ذكرا خالدا له ، ومؤلفا ضخما وهو أحسن كتاب فى التراجم لا يشبهه الا كتاب اخبار الحكماء السابق الذكر ، لكنه امتاز عليه بأنه أوسع واوفر مادة ، وقد ابتدا المؤلف بترجمة كبار الأطباء زمن الاغريق والرومان والهنود وقسمه الى عدة اقسام . وهو يحتوى على ما ينوف عن أربعمئة ترجمة . هذا وان المؤلف المذكور كان خير عون لى ابان بحتى لمعظم الشخصيات من الأطباء والعلماء والفلاسفة ورجال الادب ، الذين كان لهم دور فى ازدهار الحركة العلمية وحركة الترجمة فى بيت الحكمة فى العصر العباسى امثل : آل بختيشوع . ويوحنا بن ماسويه وحنين بن اسحاق والخوارزمى وسعيد بن هارون وثابت بن قرة وعمر بن الفرخان الطبرى . ، وحبش بن الاعسم . وخص حديثه اشهر المترجمين والنقلة فى عهد الرشيد والمأمون من جميع اللغات اليونانية والهندية والفارسية والسريانية الى اللغة العربية . وعن روايتهم حيث بلغت ٥٠٠ دينار للنقلة والملازمة . كما تحدث عن اعنظام الوزراء بالنقل والترجمة من امثال : محمد بن عبد الملك الزيات حيث

نقلت باسمه عدة كتب . والوزير أحمد بن محمد المعروف بابن المدبر الكاتب ،
وابراهيم بن محمد بن موسى الكاتب وغيرهم من وزراء البرامكة أمثال : أبو سلمة
الخلال . وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات ، أما الطبعة التي اعتمدت عليها
فهى طبعة د. نزار رضا سنة ١٩٦٥ م فى بيروت .

أما ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) فى كتابه (معجم الأديباء) و (معجم
البلدان) فهو يؤكد أن بيت الحكمة كان فى حيز الوجود أيام هارون
الرشيد اذ يقول : « أن علان الشعوبى انوراك كان ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد
والمأمون والبرامكة » .

كما يؤكد ذلك ابن النديم . ويشير الى أن هناك خزائن أخرى على غرار
بيت الحكمة أمثال : خزائن الحكمة التى انشأها على بن المنجم فى قصره وفتحها
للمرابين فى الدرس يقيمون فيها ويطالعون الكتب والفقهاء على حساب يحيى بن
المنجم . كما تحدث أيضا عن اهتمام العلماء والخلفاء بخزائن الكتب . ويذكر كيف
كانت المساجد والجوامع الإسلامية فى العراق معاهد مهمة يثد إليها الرجال من
جميع أنحاء العالم . فقد نالت بغداد شهرة فى آفاق العالم الإسلامى وكيف أنها
كانت مركزا للعلم والعلماء .

وتحدث عن المدارس فى بغداد فى العصر العباسى . وكيف كانت دكاكين
الوراقين منتدى للقاء الأديباء والفضلاء يتناقشون الأشعار . وأشار الى أثر
مدرسة المعتزلة فى إثراء الفكر الإسلامى وخاصة فى النحو والتفسير واللغة . وأن
بيت الحكمة يضم العلماء المسلمين والمسيحيين والمجوس وحتى من الشعوبيين
المغاليين فى بغض العرب أمثال علان الشعوبى وسهل بن هارون . كما أشاد
بتشجيع الخلفاء والوزراء للحركة العلمية فى بيت الحكمة كالفضل بن جعفر وسهل
ابن جعفر وسهل بن هارون ودوره فى حركة النقل والترجمة . ويذكر ياقوت
أن بيت الحكمة كان بها خبراء بالعلوم الإلهية والعقلية : كالهندسة . والطب ،
والتنجيم ، والمنطق ، وبها تعقد المجالس لأهل العلم والأدب .

وابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م) فى كتابه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء
الزمان) فيعتبر من أهم كتب التراجم التى رجعت إليها ، بالإضافة الى كتاب ياقوت
الحموى « معجم الأديباء » حيث وجدت فى كل منها عددا غير قليل من تراجم
العلماء . فقد تحدث ابن خلكان عن أشهر فلاسفة وعلماء المسلمين الذين عاصروا
بيت الحكمة أمثال : اولاد شاعر والخوارزمى والبتانى واسحاق بن حنين . وآل

قره (ثابت بن قره وابنه سعيد بن سنان) . كما كان لهؤلاء جميعا آثار في الفكر والتراث الاسلامي في مختلف ألوان العلوم مثل الطب والفلسفة والرياضيات والميكانيكا والمنطق والفلك . وأشار الى سخاء وعطاء الخلفاء والوزراء وتشجيعهم للحركة العلمية . وتحدث عن البرامكة والمعتزلة ومكانتهم عند الخلفاء ، مما أثار التنافس في التأليف بين العلماء وخاصة في النحو والأدب واللغة . كما ذكر ابن خلكان البعثات التي أرسلت الى بلاد الروم لاجتياز الكتب والنقله الذين عنوا بعلوم الهندسة والموسيقى والنجوم .

وكذلك غريغوريوس ابو الفرج المعروف بابن العبري (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) وكان له اطلاع واسع بالعربية والسريانية واليونانية وقد ألف كتابه المشهور (تاريخ مختصر الدول) الذي يعتبر من المصادر العلمية الثمينة في تاريخ اليهود ، ومن عاصرهم من الكلدانيين والفرس واليونان ، وقد تناول المؤرخ دول ملوك العرب حتى سقوط بغداد على يد المغول . وان ما رواه من الأخبار والوقائع والسير والتراجم يدل على خبرة ومعرفة وذلك من مقارنتها بالحوادث والوقائع التي أشار إليها الطبري ، وابن الأثير ، والمسعودي ، وابن خلدون ، وابن الطقطقي وغيرهم .

فقد تحدث ابن العبري عن أبرز مترجمي الخليفة المأمون من أهل الذمة أمثال : يوحنا بن ماسويه الذي عينه المأمون أمينا على بيت الحكمة وقد كان طبيبا ماهرا ، كما أشار الى ثابت بن قره الذي اشتغل بالتنجيم وخبرته باللغات الأخرى . والخوارزمي الذي ألف في الرياضيات والفلك ، ويحيى بن البطريق وأبى على عيسى ابن زرعه الذي اشتغل بالمنطق وبرع في الفلسفة . ويشير الى تشجيع الخلفاء وتنشيطهم لحركة الترجمة والتأليف في بيت الحكمة . وهذا واضح في اغداق الرشيد الأموال على طبيبه بختيشوع بن جرجيس .

والمؤرخ صاعد بن أحمد الأندلسي (ت ٦٢٢ هـ / ١٠٦٩ م) في مؤلفه (طبقات الأهم) الذي يضم بين دفتيه معلومات هامة في مضمار البحث ، وخاصة فيما يتعلق بالجوانب المختلفة من حياة الشخصيات العلمية التي لمع واقترن اسمها ببيت الحكمة البغدادي كحنين بن اسحاق وابنه اسحاق ، وثابت بن قره ، وعمر ابن الفرخان الطبري ، وقسطا بن لوقا ، وسنان بن ثابت وعن الحاسب كمنجم . كما تناول أيضا اهتمام الخلفاء والوزراء بالعلماء وحُبهم وتشجيعهم لهم وإرسالهم البعثات العلمية محملة بالهدايا الى ملك الروم للحصول على ما لديهم من كتب قيمة

منها . فكتاب (طبقات الأمم) كتاب صغير الحجم لكنه ذو قيمة كبيرة لما احتواه من معلومات غنية وملاحظات ذكية وأحكام رصينة ونظرة شاملة أفادتني في بحثي .

أما الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) فقد تناول في كتبه (البيان والتبيين) و (الحيوان) و (التاج) نظم ورسوم الدولة العباسية ، وسياسة خلفائها وأمرائها ، ومدى التأثير في الحضارة الإسلامية ، وهو يعد بحق مفخرة من مفاخر الكتاب المسلمين بما تضمنه من صدق الأخبار وتصوير الحقائق بالإضافة إلى أسلوب التعبير والتفكير ، حيث كان يجانس بين آداب الفرس وأحوالهم ، وسياسات ملوكهم ، وبين ما يماثل هذه الأحوال والسياسات عند العرب والمسلمين ، وذلك على سبيل المقارنة والاستطراد اللذين هما من أخص سجايه . فقد تحدث عن ازدهار الحركة العلمية في العصر العباسي الأول الذي عاصره الجاحظ وخاصة في عصر الرشيد ، فذكر أهم الشخصيات التي لعبت دورا هاما في تنشيط هذه الحركة كسهل بن هارون وعلان الشعوبى . كما ذكر مجالس البرامكة وكيف كانت مقامة على سلطان العقل والحرية العقلية في مجالس الخلفاء والندوات التي كان يعقدها ابن أبي دؤاد المعتزلى مستشار المأمون والمعتصم والوائق ويحضرها كبار المترجمين والأطباء . كما أشار إلى استعمال الاسطرلاب لمعرفة حركة النجوم وشهر: الهند بالحساب وعلم النجوم وأسرار الطب .

كذلك المسعودى (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) في كتابيه (مروج الذهب) و (التنبيه والاشراف) ومع أنه ألف أكثر من عشرين كتابا لم يصل إلينا إلا هذين الكتابين . أما التنبيه والاشراف فقد أتم تأليفه في سنة ٣٤٥ هـ عنى فيه بما يتعلق بالفلك والجغرافيا ، وذكر معلومات قيمة عن أحوال الأمم الأخرى مما له علاقة بالعلم وتطوره ، فذكر كيف تدرج التعليم من المساجد إلى المدارس إلى بيوت خاصة في العلم أطلق عليها بيوت الحكمة أو خزائن الحكمة والتي كان من أشهرها بيت الحكمة البغدادي .

وأشار إلى مجالس البرامكة والندوات الكبيرة للمتكلمين والفلاسفة من كل النحل مما أنكى الحركة العلمية في بيت الحكمة في عهد الرشيد والمأمون حيث كان الخلفاء يقدون عليهم الأرزاق والرواتب . كما ذكر بعض الشخصيات الهامة التي كان لها دور في حركة النقل والترجمة كسهل بن هارون وعبد الله بن المقفع . وأشار في حديثه عن علم الفلك ومن اشتير به .

كذلك رجعت إلى ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) في كتابه المقدمة)

فقد عرض في مقدمته وتاريخه عن الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العصرين الأموي والعباسي وبين رأيه فيها . تحدث ابن خلدون عن دور صاحب بيت الحكمة وأنواع الطوائف العاملين بها وقسمهم الى عدة طوائف كالنساخين والمترجمين والمجلدين ... الخ . ومهمة كل طائفة منهم . كما تحدث عن الدوافع التي ساعدت على ازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي الأول . والجهود التي بذلها الخلفاء العباسيون في سبيل ازدهارها . والبعثات التي أرسلوها لعقد صفقات لشراء الكتب وكيف تدفع في سبيلها أغلى الأثمان . وعن حب العرب للمكتبات في الأندلس اقتداء بما فعله الخلفاء العباسيون في بغداد .

أما المقرئ (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) في كتابه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) فقد تحدث عن المدارس في القرنين الثالث والرابع الهجريين ثم أشاد بدور المأمون في جلب كنوز المعرفة من بلاد الروم ، وكيف عربها عن طريق المعتزلة وخاصة كتب الفلسفة ، بل قام خلفاء الدولة العباسية الآخرون بنفس الدور فكانت تصورهم مركز إشعاع فكري وثقافي أمثال المعتضد بالله . ثم انتقل للحديث عن إنشاء دار الحكمة في مصر التي أنشأها الحاكم بأمر الله . وكيف كانت مذهبية خاصة على عكس بيت الحكمة البغدادي الذي كان فيه الفكر حراً غير مقيد بمذهب معين .

وابن قتيبة (محمد بن مسلم بن قتيبة) (ت ٢٧٦ هـ) في كتبه (المعارف) و (الإمامة والسياسة) و (عيون الأخبار) كان من أقدم الكتب . وهو كتاب شامل نقل فيه نصوصاً كثيرة عن مواضيع متعددة منها ما يتصل بمكانة العلماء والأطباء عند الحكام الذين نقل عنهم ومنهم أرسطو ، وماسرجويه ، وبختيشوع ، وماسرجيس ، وسلمويه ، وحنين . وكان لكتاب عيون الأخبار مكانة كبيرة ، واعتبره ابن خلدون أحد الأركان الأربعة من كتب الأدب عند العرب . وقد اقتبس منه عدد كبير من المؤلفين . وقد تناول ابن قتيبة المباحثة والمناظرة في مجلس الخليفة المأمون ودوره كرئيس للمجلس حيث كان الحوار مذهبياً ، فنشأ الى المعتزلة ومذهبهم في بداية العصر العباسي الأول وموقف الخلفاء منهم . وأكد ابن قتيبة في كتابيه (الإمامة والسياسة) و (المعارف) تشجيع الخلفاء والوزراء العباسيين للعلماء والمؤلفين وبذل العطاء لهم . وسيادة التسامح الفكري واثار ذلك في ظهور الفرق الكلامية واحتدام الجدل بينها .

كما تحدث عن الكندي فيلسوف العرب ونشاطه الفكري في الفلسفة والتاريخ الطبيعي وعلم الظواهر الجوية .

أما الطبري (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) في كتابه (تاريخ الرسل والملوك) الذي اعتمدت عليه اعتمادا خاصا توضيحا للدور الذي لعبه الوزراء في الدولة العباسية من خلال الحوادث التاريخية كما عنى الطبري بسرد الحوادث السياسية وتطرق في مقدمته الى جوانب هي من صميم علم الفلك فتحدث عن انشاء المراصد والمكتبات والبيمارستانات والمدارس في بيت الحكمة . وذكر بعض الأمور الادارية والعمرانية ، ولكنه لم يبحث ما يتصل بالعلم والعلماء ، علما بأنه ألف كتابا أخرى هي تفسير القرآن والفقه ، وفيها معلومات اضافية لبعض جوانب التاريخ ، اذ تعرض للحديث عن الحياة الاجتماعية في زمن الرشيد وكيف كانت قائمة على التوازن بين الجسد والهو ، وناقش قضية خلق القرآن وموقف المأمون منها من حيث انتصر لآرائهم أيما انتصار ، وتشدد في التمسك بهم .

وقد تبعه في ذلك ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) في كتابه (الكامل في التاريخ) في منهجه واعتمد عليه في أخباره وروايته الا أنه أخذ من هذه الروايات والأخبار أوثقها في نظره . فقد تحدث ابن الأثير عن تشجيع الخلفاء والوزراء العباسيين للحركة العلمية عن طريق المباحثة والمناظرة في سبيل اثراء التراث الثقافي في جميع جوانبه الدينية والعلمية والفلسفية في بيت الحكمة ، كما اثنى على دور الفضل بن جعفر في جمع الكثير من الكتب التي يحتاج نقلها الى أربعمائة بعير ، وكان ما كتبه الطبري وابن الأثير في التاريخ موسوعات تاريخية قيمة وكاملة .

وأما الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) في كتابه (تاريخ بغداد او مدينة السلام) فهو مؤرخ مدينة بغداد ، فقد خصص لها مجلدا كبيرا في تاريخه تناول خططها وصروحها وآثارها بافاضة . وهو مجموعة تراجم للعلماء الذين عاشوا في بغداد وما حولها ولن زارها وعرف بالرواية فيها خلال تلك الزيارة ، وهو على كل حال واحد من أكبر معاجم التراجم المخصصة للعلماء ، اذ كثيرا ما تجد في تاريخ بغداد معلومات عن مواقع المساجد والقصور ومنازل العلماء ودكاكينهم ، خاصة منهم الذين عاشوا في القرنين الرابع والخامس الهجريين .

والف ظهير الدين البيهقي (ت ٥٦٥ هـ) في كتاب (تنمية صوان الحكمة) الذي طبعه محمد شفيع في لاهور سنة ١٩٣٥ م معتمدا على مخطوطة في برلين ثم طبعها محمد كرد على سنة ١٩٤٦ م بعنوان (تاريخ حكماء الاسلام) معتمدا على نسختين مخطوطتين في استانبول . وفي هذا الكتاب ترجمة لمائة واحد عشر من العلماء والحكماء في الاسلام ، معظمهم ممن عاش بعد تأليف « صوان الحكمة » وذكر عن

كل منهم اسمه ونسبه وبعض أقواله وكتبه . ومن العلماء الذين تحدث عنهم البيهقي ثابت بن قرة وابن على الشريف البغدادي وكيف كان عالماً بالهندسة وأجزائها وعارفاً بالقانون الفيثاغوري من الموسيقى ، وحنين بن اسحاق ، وحبيش بن حسن الدمشقي ، وكان من الأطباء المتقدمين والمهندسين متى بن يونس كان حكيماً نصرانياً .

ونشار القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤٤٨ م) في كتابه (صبح الأعشى في صناعة الانشاء) الى خزانة بيت الحكمة ، وكيف كان يستفيد منها الرواد والعلماء وطلاب العلم الى ان استولى عليها المغول . كما أشاد بحركة الترجمة التي قامت في بيت الحكمة فلم تكن مقصورة على الخلفاء العباسيين بل اهتم الأثرياء منهم بها كأولاد موسى بن شاكر الذين عهدوا الى حنين بن اسحاق بذلك .

وابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) في كتابه (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) مؤلف غزير كل الغزارة متنوع كل التنوع ألف في كثير من الموضوعات كالتاريخ والتراجم والحديث الشريف والتفسير والتصوف ، وكان ذا حظوة لدى الخلفاء العباسيين ، وألف كتابه هذا ليقص سيرة التاريخ العام من بدء الخليقة حتى عصره هو . تحدث عن المدارس في العصر العباسي ، ودور الخلفاء والوزراء في نشاط مؤسسة بيت الحكمة حتى ان صاحب بن عباد أنفق على الفقهاء والأدباء خمسة آلاف دينار توزع عليهم .

أما الجهشيارى (ت ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م) في كتابه (الوزراء والكتاب) والذي يعد مصدراً هاماً من مصادر التاريخ الاسلامي فيعنى بدراسة الوزارة والوزراء في الدولة العباسية . فتحدث عن موقف الرشيد من المعتزلة ، ودور الفضل ابن سهل في حركة النقل والترجمة . وأنه كان مقرباً من الخلفاء والبرامكة . كما أشار الى دور الخلفاء والوزراء وتشجيعهم لحركة الترجمة وخاصة آل سهل وعلى رأسهم الفضل الذي يترجم للمؤمن .

كذلك ابن الطقطقي (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م) في كتابه (الفخرى في الاداب السلطانية) الذي عالج الأمور السلطانية والسياسات الملكية ثم تحدث عن الخلفاء العباسيين ووزرائهم في هذا العصر والعصر الذي يليه . فقد ذكر الباحثة والمناظرة ووصف الدولة العباسية بأنها ساست العلم سياسة ممزوجة بالدين والملك فوصفها بأنها دولة كثيرة المحاسن جملة المكارم . . الخ .

ومن هذه المصادر أيضا كتاب (طبقات الأطباء والحكماء) لسليمان بن حسان المعروف بابن جلجل (ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م) وهو طبيب أندلسي عاش زمن عبد الرحمن الناصر الذي وصف عصره بأنه « تتابعت الخبرات في أيامه ودخلت الكتب الطبية من المشرق وجميع العلوم ، وقامت الهمم وظهر الناس مما كان في صدر دولته من الأطباء المشهورين » . يضم كتاب طبقات الأطباء والحكماء تراجم سبعة وخمسين عالما وطيبيا . وقد أفادني المؤلف المذكور بصفة خاصة عند بحثي لرعاية حركة الترجمة وأشهر النقلة على الرغم من أن المعلومات هنا كانت كثيرة تتميز بالايجاز الشديد . والكتاب هذا يعتبر وثيقة هامة في تاريخ العلوم ، وتطور حركة التأليف والترجمة في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) الذي يعد بحق العصر الذي ازدهرت فيه الحضارة العربية الاسلامية ونمت وبلغت غايتها من الانتاج الواسع في شتى ميادين العلوم والآداب ، ولعل ميزة هذا الكتاب الأولى التي جعلت له قيمة علمية خاصة ، ونصا قديما له خطره في تاريخ العلم ، ان مؤلفه يعتمد فيما رجع اليه من مصادر على تراجم عربية لأصول لاتينية تاريخية . فتحدث عن الكندي ووصفه بأنه من كبار مفكرى العرب الذين يسروا العلوم لمن بعدهم ، وذكر يوحنا بن ماسويه الذي قلده الرشيد الكتب الطبية لترجمتها ووضعه أمينا على الترجمة .

أما اليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) فقد ألف كتاب (معجم البلدان) وفيه وصف جغرافى وبشرى لأقاليم العالم الاسلامى ، وعنى اليعقوبى بذكر العلم ، وخص بعض علماء الطب والرياضيات والجغرافيا بعناية خاصة ، وكان ما كتبه في ذلك معتمدا ذا قيمة . كما ذكر أيضا ان بغداد كانت قبلة العلماء من جميع انحاء العالم .

أما البلاذرى في كتابه (فتوح البلدان) فتحدث عن التراث في قصور المعتصم ، وتشجيع الحركة العلمية في عصره من قبل الخلفاء والوزراء ، وأن عصر المستنجد كان عصر ازدهار الترجمة مما انعش التراث الاسلامى فيما نقل عن الفرس واليونان .

ويذكر أبو الحسن بن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٩٦ م) في كتابه (النجوم الزاهرة) فقد تحدث عن مجالس الخلفاء والوزراء في المباحثة والمناظرة في بيت الحكمة رغم اختلاف الملل والنحل وكفل الحركة لكل المتحدثين والمتكلمين . كما أشاد بدور الخلفاء والوزراء في المحافظة على نشاط مؤسسة بيت الحكمة وخاصة صاحب بن عباد من مخالطته العلماء والاغداق عليهم .

كما رجعت أيضا الى الصابى (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) فى كتابه (تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء) الذى أفرد حديثه للوزراء العباسيين مبينا الأنظمة التى كانت تسير عليها الدولة العباسية ومدى ما بلغته من تنظيم الأمور والدواوين ، فكان لتشجيع الخلفاء والوزراء للحركة العلمية أثره فى تقديمها بمنحهم الأموال لقاء ما يقدمونه من أمثال على بن عيسى وزير الخليفة المقتدر .

أما الأربلى فى كتابه (خلاصة الذهب المسبوك) الذى يعتبر من المؤرخين الثقات الذين عاصروا الدولة العباسية وشهدوا كثيرا من وقائعها وأحداثها ، لذلك يعتبر تاريخه مرجعا هاما لنا على الرغم من تدويناته التى جاءت مختصرة ، وتناول فى كتابه تاريخ الدولة العباسية منذ الدعوة العباسية الى سقوطها سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

أما ابن دحية فى كتابه (النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس) فتحدثنا عن اسهام الخلفاء والوزراء فى المناظرات وحظوة العلماء عند الرشيد والمأمون وتنافسهم فى ازدهار الحركة العلمية فى بيت الحكمة . وهناك مصادر عديدة ذات أهمية ثانوية ، لأنها اعتمدت الى حد كبير على المصادر الآتفة الذكر بالنسبة لبحثنا والتى رجعت اليها وهى مثبتة فى قائمة المراجع ومن أهمها :

المقدسى (ت ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م) فى كتابه (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) .

و (تاريخ الخلفاء) للسيوطى (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) والمقرئ فى كتابه (نفح الطيب) ، وحاجى خليفة (كشف الظنون) (ت ١٠٦٧ هـ) وقد طبع فى استانبول سنة ١٩٤٣ م بمجلدين ذكر فيهما أسماء الكتب مرتبة على العلوم بترتيب الفبائى . وابن شناكر الكتبى فى كتابه (فوات الوفيات) ويمتاز هذا الكتاب بأنه يضم قائمة بأسماء مؤلفين مما ألفه كل منهم وأنه كتاب شامل لكل العلوم والمعارف .

ومن الكتب المؤلفة فى أسماء الكتب كتاب (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) لطاش كبرى زاده . وقد طبع هذا الكتاب فى حيدر آباد فى أربعة أجزاء يبدأ بمقدمة عن التعليم والعلم ثم أصناف العلوم وأبرز الكتب المؤلفة فى كل صنف أهم . كما يعتبر ابن مسكويه من المؤرخين الموثوقين فى التاريخ الإسلامى وكتابه المسمى باسم (تجارب الأمم وتعاقب الهمم) يعكس وجهة نظره فى التاريخ ، فالتاريخ فى رايه تجارب الأمم ، ومن واجب الحاكم العاقل أن يستثيت من تجاربه

الأمم السابقة . وهناك كتاب (الجامع المختصر) لابن السامى الخازن . هذا كتاب ضخم في تاريخ العراق خاصة ، لكنه لم يصل منه الا جزء صغير جدا يغدو عددا قليلا من سنوات حكم الخليفة الناصر .

وتعتبر الكتب الحديثة من المراجع المهمة في دراسة بيت الحكمة في عصر العباسيين فقد كتب الكثير من المؤرخين العرب والمستشرقين عدة بحوث ومقالات تخص المدارس الاسلامية والنهضة التعليمية في ذلك العصر ، تناولوا فيها تشجيع الخلفاء والوزراء للحركة العلمية واثار ذلك في ازدهار بيت الحكمة وتألقها على ما كانت عليه ، معتمدين على روايات المؤرخين القدامى ، فكانت لآرائهم وتحليلاتهم للنصوص التاريخية وعرضها للأحداث ومناقشتها أهمية كبرى في بيان العلوم المختلفة التي كانت موجودة في العصر العباسي كالطب والفلك والهندسة والرياضيات بالإضافة الى ما كتبه المؤرخون المسلمون ليكون بحثي أبعد عن الهوى والتحيز . فقد خصص رفائيل أبو اسحاق دراسة خاصة لأحوال نصارى بغداد والعراق وتكلم عن حياتهم الاجتماعية والثقافية ، وموقف المسلمين منهم ، ودور المدارس في ازدهار الثقافة واثرتهم في حركة الترجمة والنقل من اليونانية والسريانية الى العربية في العراق في العصر العباسي .

وكتب غيره كثير من المستشرقين أثناء بحثهم في الحضارة العربية الاسلامية عن مواقف المسلمين من اهل الذمة ، وقد اسهب البعض منهم في تصوير المواقف السامية التي وقفها الحكام المسلمون تجاههم ، وتسامح الاسلام معهم وقد رد هؤلاء المستشرقون على أولئك الذين اتهموا الاسلام والحكام المسلمين باتتباع سياسة الاضطهاد والاكراه والاحتقار لأهل الذمة . ومن ابرز هؤلاء المؤرخين المنصفين المستشرق الفرنسي جوستاف لويون في كتابه « الحضارة الاسلامية » وبارثولد في كتابه « تاريخ الحضارة العربية » وآدم مترز في كتابه « الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري » وديورانت في كتابه « قصة الحضارة » وخودابخش في كتابه « الحضارة الاسلامية » وفون كريم « الحضارة الاسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية » وأوليري « الفكر العربي ومكانه في التاريخ » و « مسالك الثقافة الاغريقية » وجرونيياوم في كتابه « حضارة الاسلام » الذي ترجمه عبد العزيز جاويد .

وزيغريد هونكه في كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » وجاك . س . ريسلر في كتابه « الحضارة العربية » وستانوود كيب في كتابه « المسلمون في تاريخ

الحضارة ، يعرض فيه قصة الحضارة الاسلامية ، نشوئها وازدهارها وعطائها ، ومكانة الحضارة الاسلامية في تاريخ الحضارة الانسانية ، وكيف أن المسلمين تمثلوا بالمعارف الاغريقية والفارسية والهنود والقدماء . وديبور في كتابه « تاريخ الفلسفة في الاسلام » ونالينو في كتابه « تاريخ الفلك عند العرب » وهل في كتابه « الحضارة العربية » . وقد اشار هؤلاء جميعا في كتبهم اشارات عابرة في اثناء التكلم عن النظم العربية الاسلامية الى اهتمام الخلفاء والوزراء العباسيين بمختلف فروع المعرفة المتعددة في بغداد من طب وفلك ورياضيات وكيمياء ... الخ .

على أن الباحثين العرب لم يقصروا جهودهم على ترجمة الدراسات العربية في هذا المجال ومن الكتابات المبكرة في الحضارة العربية الاسلامية كتاب « تاريخ التمدن الاسلامي » لجرجي زيدان ، وكتاب محمد كرد علي « الاسلام والحضارة العربية » وكتاب جميل نخلة المسدور « حضارة الاسلام في دار السلام » ثم توالى الدراسات العربية في هذا السبيل مدرجة في نطاق مؤلفات تاريخية ، وابحاث منفصلة ، فقد حرص الاستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن في كتابه الضخم الذي ظهر في اجزاء اربعة « تاريخ الاسلام السياسي والاجتماعي والثقافي » كاملة مسهبة لدراسة الحضارة الاسلامية في مختلف جوانبها . كما ظهر للأستاذ أحمد أمين مجموعته الطيبة في التاريخ الفكري للاسلام « فجر الاسلام » ، « ضحى الاسلام » ، « ظهر الاسلام » . ثم نجد لدينا الدراسات التي ظهرت في تاريخ الفن الاسلامي كابحاث الدكتور محمد زكي حسن مثلا « كنوز الفاطميين » ، « الفن الاسلامي » والدراسات العربية المتعددة في تاريخ الادب العربي وفي تاريخ الفلسفة الاسلامية وقد ظهرت مؤلفات جامعة مفردة تؤرخ الحضارة الاسلامية من جانب بعض الباحثين العرب المحدثين مثل د. عبد المنعم ماجد في كتابه « العصر العباسي الاول » و « تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى » . و د. علي حسنى الخربوطلى في كتابه « الحضارة الاسلامية » . واوضح د. عبد العزيز الدوري في كتابه « العصر العباسي الاول » ، « تاريخ العراق في القرآن الرابع الهجري » ، « العصور العباسية المتأخرة » . « مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي واحوال المجتمع العراقي خلال العصور العباسية » . ومثرا الى آثار أهل الذمة في النواحي السياسية والدينية والثقافية والاقتصادية ومجلا الظواهر الاجتماعية والسياسية والدينية في المجتمع العراقي . و اشار غيرهم الى احوال أهل الذمة اشارات عابرة نجدها في المصادر المثبتة في فهرست الرسالة . وقد رجعت الى بعض المقالات والبحوث في المجالات فيما يخص موضوع البحث « بيت الحكمة في عصر العباسيين » فقد كانت لهذه الكتب جميعا اهميتها في استكمال جوانب البحث والقضاء الضوء

على الجوانب الفكرية والثقافية والسياسية فيه .

هذه أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها ورجعنا اليها . ونقول أهم المصادر والمراجع لأن وراءها مصادر ومراجع كثيرة لم تعرض هنا اكتفاءً باثباتها في هوامش البحث وادراجها في الثبوت الأخير الذي تفرض علينا التقاليد العلمية أن نختم به أبحاثنا الجامعية .

وبعد ، فلسنا ندعى أننا قلنا الكلمة الأخيرة في الموضوع ، أو أننا احطنا علماً بكل جوانبه ، فتلك دعوى لا تتفق مع العلم الذي نخلص له ، ولا مع الجامعة التي نؤمن بها ، وإنما حسبنا أن نذكر أن هذا البحث محاولة حاولناها ، وأنضينا رواحنا في سبيلها ، فإن تكن انتهت بنا الى الغاية التي تمثلناها فما نبالي ، وإن تكن قصرت بنا عن بلوغها فلنتذكر قول شاعر الكوفة أبي العتاهية :

« ما كل ما يتمنى المرء يدركه » .

والله يهدينا الى سواء السبيل .

الباب الأول



ويشمل الفصول الآتية :

- الفصل الأول : تأسيس بيت الحكمة وأهدافها
- الفصل الثاني : انشاء بيت الحكمة
- الفصل الثالث : النظام الإداري في بيت الحكمة
- الفصل الرابع : أثر بيت الحكمة في حياة المجتمع العباسي

الفصل الأول : تأسيس بيت الحكمة وأهدافها



- ١ - المؤسسون لبيت الحكمة .
- ٢ - تاريخ تأسيس بيت الحكمة .
- ٣ - الأهداف المراد تحقيقها من تأسيس بيت الحكمة .

ان احدى مميزات الحضارة الاسلامية الرئيسية حبها للكتب ونشرها المعرفة واحتضانها المكتبات وتعميها وجعلها في متناول أفراد الشعب ، دون اعتبار للعمر أو الجنس أو اللون . ومما قيل في هذا الصدد : « لم يبز شعب من شعوب الأرض كلها المسلمين في حبهم للكتب وحديثهم عليها » . ولقد بدأت هذه العناية في عصر مبكر ، فما كاد العرب يؤسسون دولتهم حتى جسدوا في جمع تراثهم القديم ، وتدوينه ونشطوا في التأليف في علوم الاسلام ، وسأيرت هذا النشاط الجاد حركة منظمة لترجمة الآثار الفكرية والعلمية لختلف الشعوب ذات الميراث الحضارى ، ثم امتدت نظرتهن الثاقبة الى الأفق العالمى الرحب ، فأقبلوا يجمعون ما عرفت الدنيا لعهدهم من كتب ذات بال . فقد أهل القرن الثانى للهجرة وقد امتدت الفتوحات الاسلامية وبدأت الدولة الاسلامية تأخذ دورها القيادى للبشرية فى الحضارة المادية والمعنوية ، فكانت نهضتها الفكرية والعلمية من دعائم هذه الحضارة وعنايتها باحياء تراثها وتشبيد دور للكتب تسير هذه النهضة مؤثرة ومتأثرة بها .

أولا - المؤسسون لبيت الحكمة :

جاء العصر العباسى وكان عصر الحضارة الاسلامية فبانتقل السلطة الى العباسيين سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م انتقلت عاصمة العالم الاسلامى الى بغداد ، وحرص خلفاء بنى العباس مثل الرشيد والمأمون والمتوكل وغيرهم على استحثاث طلب العلم ودمج عجلته الى الأمان . فكانت السمة البارزة فى تاريخ الدولة العباسية هى اهتمام خلفائها بتعميم المعرفة ، وتعزيد من يعمل بها وترجمة ما كتب فيها الى اللغة العربية ، وكان الخليفة المنصور هو الراعى الذى فعل أكثر ما يمكن لاجتذاب الأطباء النساطرة الى مدينة بغداد . فقد ترجمت له كتب فى الطب والنجوم والهندسة والآداب ، كما ألفت له معظم كتب الحديث والتاريخ . فقد ترجم جرجيس بن بختيشوع مؤلفات كثيرة فى الطب من اليونانية الى العربية . فخصص المنصور خزانات لهذه الترجمات وغيرها من المخطوطات القيمة^(١) . وحتى آخر

(١) ابن القفطى : جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) ، (أخبار العلماء بأخبار الحكماء) ، (طبع ليبزك ١٣٢٠ هـ) ص ٣٨٣ .

عهدها كانت مخطوطات التراث ودفاتر العلم تحفظ في قصر الخلافة في بغداد ، حتى ضاق عنها على سعة . ولما جاء الخليفة هارون الرشيد وكان من أعظم خلفاء بنى العباس وأكثرهم ذكرا في التاريخ العباسي ، لما اتصف به من كرم وجودا ولما وصلت اليه الدولة العباسية من نهضة حضارية بلغت الأوج ، فقد أصبحت بغداد في عهده كعبة العلم والأدب ومركز التجارة والصناعة وظهر في أيامه شعراء عظام من أمثال أبي العتاهية والعباس بن الأحنف ، ومروان بن أبي حفصة ، ومؤرخين من أمثال الأصمعي والواقدي^(٢) وغيرهم كثير . فأتجه الرشيد الى اخراج الكتب والمخطوطات التي كانت تحفظ في جدران قصر الخلافة بعد أن تضخم رصيدها من التراث المدون ، والمخطوطات المؤلفة المترجمة ، لتكون مكتبة عامة مفتوحة الأبواب للدارسين وطلاب العلم ، وبدأ تأسيس دارا رحبة فخمة نقل إليها كل الذخائر وسماها « بيت الحكمة » تقديرا لجلال رسالتها^(٣) . وكانت هذه المؤسسة مؤسسة ثقافية كبرى تقوم بعمل جليل . فكانت مهمتها أول الأمر الملازمة كما يقول ابن النديم ، ثم تطورت زمن المأمون حتى أصبحت مؤسسة علمية من الطراز الممتاز همها ترقية البحث والدرس والتجرد للدراسات العليا . ويمكننا أن نقول أن هذه المؤسسة المسماة باسم بيت الحكمة قد أصبحت زمن المأمون أكاديمية بالمعنى العلمى الدقيق للكلمة فيها أماكن للدرس ، وأماكن لخزن الكتب ، وأماكن لنقلها ، وأماكن للتأليف الى جانب المرصد الفلكى الذى مارسه وهذا تطور طبيعى ومنطقي^(٤) ويقول القفطى « ان بيت الحكمة كان رمزا للمناخى العلمية المختلفة فهارون الرشيد هو الذى ابتدع فكرة هذا المعهد وتبناه ابنه الخليفة المأمون ، والحكمة في رأى العلماء المسلمين هى العلوم الالهية والمعدنية وصناعات الطب والتنجيم »^(٥) .

وفعلا كانت أكثر أعمال بيت الحكمة ضمن نطاق هذه العلوم ، ولتنوع العمل

(٢) أولبرى : (مسالك الثقافة الاغريقية ترجمة تمام حسان) ، (دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٦٢ م) ص ٩٩ .

(٣) د. عائشة تيد الرحمن (بنت الساطى) (تراثنا بين ماض وحاضر) (دار المعارف بمصر - ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م) ص ٢٠ .

(٤) ابن أبى أصيبه . موشق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجى (توين الأذباء في هبذات الأطباء) (دار الفكر - بيروت ١٩٥٦ م) ج ٢ ص ٣٧ .

(٥) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٨٣ .

في هذا المعهد نصب الخلفاء على ادارتها رئيسا له من الادراك العلمى ما يقدر به أن يجعل منها محرابا مقدسا للعلم والعلماء^(٦) .

وقد نالت بيت الحكمة في عهد الرشيد عناية فائقة بالكتب المترجمة التي تحمل كنوز الثقافة الأجنبية فعين لها الموظفين وآتاها حاجتها من الكتب ، فنمت واشتدت وأخذت تؤتى أكلها طيبا يانعا^(٧) . ولا ريب في أن هذه المؤسسة كانت جامعة كبرى لطلاب العلم والمعرفة ، وقد أخذ كثيرون من الأفراد باقتناء المكتبات وهذا ما سنوضحه فيما بعد . وبلغ من اهتمام هارون الرشيد بالعلم والعلماء أنه كان يقبل الجزية كتباً^(٨) ، وهذا يدلنا على شغف الخليفة باقتناء الكتب وجلبها حتى أصبحت بيت الحكمة أول مكتبة عامة ذات شأن في العالم الاسلامى ، بل انها كانت أول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ولجأ اليها الطلاب . وكانت بذلك أول مركز علمى يحقق للطلاب زادا علميا وفيرا ويخرج لهم من جهد القائمين عليه ثقافة مختلفة الاتجاه تشكل علوم الطب والفلسفة والحكمة وغيرها^(٩) . وقد أكد بعض المؤرخين « أن بيت الحكمة كان جامعة كبيرة ، وأن المكتبة كانت جزءا منه »^(١٠) .

أما الاسم الذى اطلق على هذه الأكاديمية فله دلالة واضحة ، فقد سميت « بيت الحكمة » أو خزانة الحكمة ، ولم يسم باسم خزانة الكتب وذلك للإشارة الى الكتب التى كانت تجمع فيها والتى كانت تعرب هناك . فالعنى اللغوى لكلمة حكمة كما ورد في المعجم الوسيط^(١١) هي : من الحكم من أسماء الله تعالى . والحاكم . وفي التنزيل العزيز : « أفغير الله أبغى حكما »^(١٢) . ومن يختار للفصل بين المتنازعين .

(٦) ياقوت الحموى ، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومى (معجم الأنداء) . تحقيق أحمد فريد رفاعى (مطبعة عيسى البابى الحلبي ١٩٢٦ م - القاهرة) ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٧) زكريا حاشم زكريا (فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم) (مكتبة نهضة مصر بالقاهرة - القاهرة) ص ٢٨٢ .

(٨) د . على عبد الله الدناخ (موجز في التراث العربى الاسلامى) (مطبعة الرسالة - بيروت ١٩٧٧ م) ص ٢٠٣ .

(٩) د . أحمد سلبى (تاريخ التربية الاسلامية) (مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الخامسة ١٩٧٧ م - القاهرة) ص ١٨٤ .

(١٠) أحمد أمين (فصحى الاسلام) . (دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٣٦ م) ج ٢ ص ٦٤ .

(١١) د . ابراهيم أنيس وآخرون (المعجم الوسيط) (طبعة أولى - القاهرة) ، ج ١ ص ١٩٠ .

(١٢) سورة الأنعام الآية ١١٤ .

وفى التنزيل العزيز : « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها » (١٣) . ويقال رجل حكم : مسن . وهم حكمه . الحكمة : معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم . و — العلم والتفقه . وفى التنزيل العزيز : « ولقد آتينا لقمان الحكمة » (١٤) . و « يقال : حكمة التشريع . وما الحكمة فى ذلك ؟ و (علم الحكمة) : الكيمياء والطب . الحكمة : حكمه . الحكم : العلم والتفقه . والحكمة . يقال : الصمت حكم . و « القضاء » . واما الحكمة فى ذلك الوقت فقد كانت مرادفة للفلسفة ، وخاصة الفلسفة اليونانية ويقصد بالفلسفة المعنى العام الفضفاض للكلمة ، فقد كانت كلمة فلسفة تشمل عددا مباحث الفلسفة المعروفة الطب والفلك وعلم الهيئة والطبيعة والرياضيات والمنطق . وهذا يدل على الاتجاه العقلى لمؤسس هذه الأكاديمية . وعلى التيار الثقافى الذى كان غالبا آنذاك . أما كلمة الخزانة أو بيت فهى تدل على المكان الذى يوضع فيه الشيء أو يخزن .

ومات هارون الرشيد وبيت الحكمة زينة بغداد عاصمة العرب والاسلام ، على الرغم من الثورات والفتن التى ملأت عهد المأمون ، فان عصره يعتبر من أزهى عصور الدولة العباسية من الناحية العلمية ، فقد اهتم بالمسائل الفلسفية والعلمية وشجع على النهضة الفكرية ونشر العلوم فزود بيت الحكمة بمختلف أنواع الكتب من الهند وبلاد الروم والفرس ، حتى أصبحت أشبه بجامعة علمية تضم دارا للكتب يجتمع فيها شيوخ العصر للترجمة والتأليف والتحصيل ، كما خصص منها مواضع للنساخين (١٥) ، وجمع المأمون فى مكتبته اعظم المفكرين والعلماء والأطباء والنقلة ، وأغسق عليهم العطاء فاصبحت خزانة كتب بيت الحكمة من أثرى وأعظم خزائن الكتب فى ذلك الوقت ، كان خازنها هو سهل بن هارون مما يؤكد ان بيت الحكمة كانت تضم مكتبة جليلة صنفت كتبها واختير لها المترجمون المشهورون ومنهم يوحنا ابن ماسويه وابن البطريق (١٦) .

ويوحنا بن ماسويه السريانى المتعرب الذى قام بترجمة كتب الطب التى جىء بها من أنقره وجمهورية وبلاد الروم يعاونه عدد من المترجمين والكتبة الحذاق .

(١٣) سورة النساء الآية ٣٥ .

(١٤) سورة لقمان الآية ١٢ .

(١٥) د . محمد فاروق النبهان . (مبادئ الفلسفة الإسلامية) . دار البحوث - الكويت

١٩٧٣ م) ص ٦٩ .

(١٦) المقريزى . تقى الدين أحمد بن على ، (الواظظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار) .

(طبعة بولاق - القاهرة ١٢٧٠ هـ) ج ١ ص ٤٠٦ .

كما جىء بكتب الحكمة والفلسك من فارس وعهد بها الى ابن أبى سهل الفضل بن نوبخت الذى نقلها من الفارسية الى العربية فواصل الحركة التى بدأها ابن المقفع بترجمة تراث الفرس ، وأضيف الى خزائن بيت الحكمة ما صنف علماء العربية والاسلامية فى علومهم الاسلامية والعربية الأصيلة الى جانب ما دونوه من تراثهم المجموع^(١٧) . أما حنين بن اسحاق فقد كان من أبرز الأطباء والمترجمين فى عهد المأمون وكان أعلم زمانه باللغة اليونانية والسريانية والفارسية الى حد لم يصل اليه احد من النقلة الذين كانوا فى زمانه ، مع براعته أيضا فى اللغة العربية ومداومة الاشتغال بها حتى صار من جملة المتميزين بها^(١٨) .

ويضيف القفطى قوله « وكان حنين فصيحا لسنا بارعا شاعرا ، وكان له شيخ فى العربية الخليل بن أحمد الفراهيدى »^(١٩) . أما محمد بن موسى الخوارزمى الذى عاش فى بغداد فيما بين (١٦٤ هـ / ٢٣٥ هـ — ٨٥٠ / ٧٨٠ م) وتوفى هناك فقيد برز فى زمن خلافة المأمون ولمع فى الرياضيات والفلك حتى عينه المأمون رئيسا لبيت الحكمة . وطور الخوارزمى علم الجبر كعلم مستقل عن الحساب . ومن هنا أصبح هذا العلم ينسب اليه فى جميع أنحاء المعمورة . والخوارزمى أصله من خوارزم وكان منقطعا الى خزانة الحكمة فى عهد المأمون وهو من أصحاب علم الهيئة ، وله من الكتب كتاب « الزيج » نسختين أولى وثانية ، وكتاب الرخامة وكتاب العمل بالاسطرلاب وكتاب التاريخ^(٢٠) . اذ ابتكر الخوارزمى^(٢١) فى بيت الحكمة الفكر الرياضى وذلك بايجاد نظام جديد لتحليل كل معادلات الدرجة الأولى والثانية ذوات المجهول الواحد بطرق جبرية وهندسية . والعالم يدين له بما نعرفه الآن من علمى الجبر والحساب . وهكذا فقد سطع نور بيت الحكمة فى أيام المأمون ، وأيام هذا الخليفة كانت عهدها ذهيبا فى حياة الدولة العباسية .

(١٧) أحمد أمين . ضحى الاسلام . ج ٢ ص ٦٤ .

(١٨) ابن أبى أصيبعة . طبقات الأطباء . ج ١ ص ١٨٦ .

(١٩) ابن القفطى . أخبار العلماء بأخبار الحكماء . ص ١٧٤ .

(٢٠) محمد بن موسى الخوارزمى . (الجبر والمقابلة) . (دار الكاتب العربى — ط ١٩٦٨ م

— القاهرة) ص ١٠ .

(٢١) د . على عبد الله الدغاف : موجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى . ص ١٩٠ .

ثانيا - تاريخ تأسيس بيت الحكمة :

ان بيت الحكمة الذى أسسه العباسيون فى بغداد هو أول بيت حكمة عرف عند المسلمين ، كما كان أعظمها شأنًا لما يحتويه من الكتب النفيسة فى شتى العلوم والمعارف فى مختلف اللغات . والنصوص التى وقفنا عليها عن هذم المؤسسة الثقافية لا تسير الباحث ، بل نجدها متفرقة فى بعض المصادر ، ومن الصعب أن نقف على تاريخ معين أو محدد من تأسيسها والذى نراه أنه فى خلافة أبى جعفر المنصور (١٣٥ هـ / ١٥٨ هـ - ٧٥٢ م / ٧٧٤ م) ترجبت له كتب كثيرة فى الطب والنجوم والهندسة والآداب كما ألقت له بعض الكتب فى التاريخ والحديث والأدب ، فقد ترجم جرجيس بن بختيشوع مؤلفات كثيرة فى الطب من اليونانية الى العربية حيث كان يجيد اليونانية والعربية بالإضافة الى لغته السريانية فخصص المنصور له خزانات لهذه الترجمات وغيرها من المخطوطات القيمة^(٢٢) . وكان المنصور شديد الحرص على هذه الكتب ووصى بها الى ابنه ولّى عهده محمد المهدى ، وكان المهدى قليل العناية بالكتب وخاصة بعد انتشار حركة الزنادقة ببغداد التى شغلته فضعفت حركة الترجمة فى عهده ، وتجنب العلماء ترجمة كتب الحكمة والنجوم والكتب التى تبحث فى الملل والنحل والأهواء والمعتقدات^(٢٣) . ولكن حينما جاء الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ هـ / ١٩٣ هـ - ٧٨٦ م / ٨٠٨ م) وكان كثير الاهتمام بعلوم الحكمة وترجمة كتبها من اللغات المختلفة ، فامتدت دائرة الترجمة وزاد عدد الموظفين المشتغلين بها ، وتآلق فى عصره نجم عدد من العلماء أمثال الأصمى النحوى المشهور وجبريل بن بختيشوع^(٢٤) . فتنجم لدى الرشيد عدد كبير من الكتب فرأى انشاء مكان لتحتفظ فيه هذه الكتب التى جمعها فأنشأ بيت الحكمة مما ساعد على انتشار التعليم^(٢٥) .

هكذا فان تاريخ تأسيس بيت الحكمة يرجع الى الخليفة هارون الرشيد

(٢٢) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٨٢ .

(٢٣) الطرازى الفيكننت فيليب (خزائن الكتب العربية فى الخافقين) (دار الكتب اللبنانية - بيروت - بدون تاريخ) ج ١ ص ٩٩ .

(٢٤) سيد أمير : (مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى) . (مطبع بمصر - القاهرة ١٩٣٨ م) ص ٢١٧ .

(٢٥) خردابخس (صلاح الدين) ، (الحضارة الاسلامية) ، ترجمه على حسمى الخربوطى (دار احياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٦٥ م) ص ١٦٠ .

نقد ذكر ابن النديم^(٢٦) في كلامه عن أبي سهل الفضل بن نوبخت أنه كان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد ، وذكر في ترجمة علان الشعوبى أنه كان منقطعاً إلى البرامكة وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمسامون والبرامكة^(٢٧) . وحتى يتم مشروع ترجمة الكتب الأجنبية وحفظها في بيت الحكمة ولّى عدة علماء أمرها ، فعهد إلى الفضل بن نوبخت^(٢٨) الأمر العناية بالكتب الفارسية وإلى يوحنا بن ماسويه وهو تسيخ النقلة في عصره ، ويقول ابن أبي أصيبعة « كان يوحنا بن ماسويه سريانيا قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجدته بأنقره وعمورية وسائر بلاد الروم حين سبأها المسلمون ووضعه أميناً على الترجمة »^(٢٩) . ومنح العلماء الكثير من الحرية والتكريم ، وقد منح مرة أحد العلماء مائة ألف درهم^(٣٠) . ومعظم الكتب التي وصلت عن الهنود في الطب والفلك والرياضيات . وقد تم الانتهاء من نقلها في عصر الرشيد ، وكان بعض علماء الهنود قد وفدوا إلى بغداد منذ عهد المنصور سواء من تلقاء أنفسهم أو يدعسهم الخلفاء للحضور^(٣١) . وقد وجهت العناية في بداية أيام الرشيد إلى الكتب الفارسية والهندية^(٣٢) . فكما ذكرنا سابقاً أن الرشيد هو الذى أسس بيت الحكمة وجعلها مقراً لنقل الكتب اليونانية والفارسية إلى العربية ، بل لعله هو الذى بدأ تلك الحملات العسكرية ذات الهدف العسكرى ، وفي نفس الوقت ذات الهدف العلمى بقصد جلب نفائس المخطوطات اليونانية إلى بغداد لتعريبها . ذلك أن الرشيد دأب على غزو الروم في عقر دارهم في غزوات أسماها الصوائف وكان يكسر شوكة الروم ويمنعهم من التفكير في الهجوم على ديار المسلمين ، وفي نفس الوقت يوجه غزواته إلى المدن اليونانية المشهورة لأنها معاقل الثقافة كعمورية وانقرة ، وكانت خزائن هذه المدن مليئة بالمخطوطات النادرة والكتب النفيسة التي كان سكانها قد جهلوا قيمتها^(٣٣) .

(٢٦) ابن النديم ، محمد بن اسحاق أبي يعقوب ، (الفهرست) (بيروت - لبنان ١٣٢٨ هـ) ص ٢٨٢ .

(٢٧) المصدر نفسه ص ١٥٤ .

(٢٨) ابن القطعي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء . ص ٣٠٩ .

(٢٩) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٢٤ .

(٣٠) السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القاسمين

بأمر الأمة) (المطبعة الخيرية - مصر) ص ٢٨٥ .

(٣١) جلال مظهر ، (حضارة الاسلام وأثرها في الترقى العلمى) (القاهرة ١٩٧٤ م) ص ٢٤٧ .

(٣٢) عبد الله عبد الدايم (القربية عبر التاريخ) (بيروت ط ٢ ٧٥ م) ص ١٥٨ .

(٣٣) محمد البرقوقى (الخوازمى العالم الفلكى الرياضى) (الدار القومية للطباعة والنشر -

القاهرة ١٩٦٤ م) ص ٧٨ .

ولما جاء المأمون بعد ذلك كانت له في العلم رغبة لما كان ينتحله فانبعث بهذه العلوم حرصا ، واوفد الرسل الى ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربي ، وبعث المترجمين لذلك فاعى منه واستوعب وعكف عليها النظار من اهل الاسلام وخدموا في فنونها وانتهت الى الغاية انظارهم فيها ، وخالفوا كثيرا من آراء المعلم الأول أرسطو واختصوه بالرد والقبول . ودونوا في ذلك الدواوين ، واربوا على من تقدمهم في هذه العلوم^(٣٤) . وبهذا نرى أن نشاط بيت الحكمة وصل الى ذروته في عهد المأمون الذي كان واسع الثقافة حر الفكر . ولعل أحسن وصف للمأمون والحركة التي نشأت في عهده وغذاها بهاله ونفوذه وجهده وعلمه وجهاده هو قول القاضي صاعد الأندلسي^(٣٥) في كتابه « طبقات الأمم » حيث يقول : « ثم لما افضت الخلافة الى الخليفة السابع منهم — يقصد بنى العباس — عبد الله المأمون بن الرشيد بن محمد المهدي ابن ابي جعفر المنصور فتم ما بدأ به جده المنصور فاقبل على طلب العلم في مواضعه واستخرجه من معادنه بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة . . . » .

ولقد بنى الخلفاء والأمراء دورا للعلم والحكمة كانت تحوى كل منها مكتبة تفتح لطلاب العلم ، وبعضها يجرى فيها أرزاق على المشتغلين بالعلم وبعضها كانت مراكز للنقل والترجمة^(٣٦) . وذلك لما طرأ على حركة الترجمة والتأليف من نشاط في العصر العباسي ، وكذلك تقدمت صناعة الورق ، فكثر المكتبات التي كانت تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية .

وعلى بن المنجم هو أول من أسس مكتبة عامة فتح أبوابها للراغبين في تلقى العلم ، وعين فيها موظفين يتقاضون رواتبهم من ماله الخاص لمساعدة الوافدين عليها كما تفعل البلاد المتحضرة اليوم . ولم يكتف بهذا بل بنى أجنحة في قصر له بضواحي ببغداد لاقابلة الراغبين في التعليم ومطالعة الكتب ، فكانوا يأكلون على نفقته وكأنها أراد أن يجعل من مكتبته جامعة عامة . وفضل على بن يحيى المنجم يفوق كل فضل في هذا المضمار لأنه كان فردا واحدا ، وضع على عاتقه

(٣٤) ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون المغربي) (المقدمة) (المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة ، بدون) ص ٨٩٢ ، ص ٨٩٣ .

(٣٥) صاعد بن أحمد الأندلسي (طبقات الأمم) (طبعة مصر) ص ٤٧ .

(٣٦) د. حسن ابراهيم حسن ، (تاريخ الاسلام السياسي والدينى والثقائى والاجتماعى) (طبعة مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٣ م) ج ٢ ص ٢٥٨ .

هذا العبد الكبير متطوعا كما كانت داره في (سر من رأى) مضافة لكل اديب وعالم يمنحهم الهبات وينتزع العطايا من الكبراء ويقربهم الى الخلفاء والأمراء . وقال ابو على التنوخي في كتابه « نشوار المحاضرة » : « كانت لعلی بن النجم نفیسة وقصر فيه خزانة كتب عظيمة نسميها خزانة الحكمة ، يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها صنوف العلم والكتب مبذولة في ذلك لهم ، والصيانة مشتملة عليهم والنفقة من مال علی بن يحيى » (٣٧) . وكان يحيى بن النجم قد خدم المأمون نادما واتصل على في أيام شبابه بمحمد بن اسحاق المصعبى من زعماء ذلك العصر ثم اتصل بالفتح بن خاقان وزير المتوكل وصديقه وأسس له مكتبة كبيرة من الكتب . يستنسخ لها الكتب القيمة بنفسه أو يستأجر من يفعل ذلك تحت اشرافه حتى بلغت مبلغا كبيرا واتصل بعد ذلك بالمتوكل وحظى عنده حظوة عظيمة فكانا لا يفترقان تقريبا (٣٨) .

وقد أسس الخليفة المعتضد أيضا دورا ومساكن ومقاصد للتعليم وكانت دور الكتب سواء العامة أو الخاصة عامرة بالكتب من جميع فروع العلم والمعرفة . وبلغ عدد الكتب في بعضها أكثر من مليون كتاب ، وإلى جانب دور الكتب انتشرت محال الوراقة كمراكز للعلم والمعرفة والثقافة اذ كانت تعمل في نسخ الكتب وتجويد الخط ، بالإضافة الى أهميتها كمراكز أدبية . وكانت خزانة سابور بن اردشير مركزا ثقافيا ممتازا يلتقى فيه العلماء والباحثون للقراءة والدرس ، وطالما أخذت فيها المناظرات والمناقشات ، وذكر أن عدد كتبها يزيد على عشرة آلاف مجلد فى شتى العلوم والمعارف فنجد منها كتب الأدب والفقه والحديث والفلسفة وغيرها . ومما يدلنا على أهميتها العلمية أن بعض المؤلفين كانوا يخلدون ذكرهم بتقديم نسخة مما يؤلفونه من الكتب القيمة الى دار العلم ومنهم جبرائيل بن عبد الله بن بختيشوع فقد وقف نسخة من كتابه « الكافي » على دار العلم المذكورة (٣٩) . وهناك أيضا مكتبة اسحاق بن سليمان العباسى ، وكانت تهتلىء بالكتب والأسفاط والرقوق والدفاتر والمساطر والمحابر (٤٠) . وأضحى منها مكتبة يحيى بن خالد البرمكى ويقال انه لم يكن في مكتبته كتاب الا وله نسخة (٤١) .

(٣٧) التنوخي ، أبو على الحسن بن على بن محمد بن أبى الفهم ، (نشوان المحاضرة وأخبار المذاكرة) (دمشق ١٣٤٨ هـ) ج ٨ ص ١٠٨ .

(٣٨) زكريا هاتم زكريا ، فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٨٢ . ٢٨٥ .

(٣٩) ابن الفغلى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٠٥ .

(٤٠) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى (الحيوان) (مطبعة السعادة

ببصر ١٩٠٧ م) ج ١ ص ٦١ .

(٤١) المصدر نفسه ج ١ ص ٦٠ .

وربما فاق هذه المكتبة عظمها وضخامة مكتبة الواقدي المؤرخ المشهور المتوفى ٢٠٧ هـ وكانت تشتمل على ستمائة صندوق مملوءة بالكتب^(٤٢) . وكان لها مملوكان يكتبان له ليلا ، ولعل في ذلك ما يدل دلالة واضحة على أن الكتب أصبحت مادة أساسية للمعرفة . والحق الخلفاء والأمراء وبعض الوزراء بقصورهم وبيوتهم مكتبات ضخمة فكان للبشر بن فاتك (ت ٨٠ هـ) أحد أعيان أمراء مصر وعلمائها مكتبة قيمة في العلوم الرياضية والفلسفية وغيرها . وكان للخليفة الناصر لدين الله مكتبة كبيرة جدا ، كما كان للخليفة المستعصم بالله مكتبة ضخمة في داره تحوى نفائس الكتب في مختلف العلوم^(٤٣) . ومكتبة المستعصم بالله وهو آخر الخلفاء العباسيين وقتله المغول عقب سقوط بغداد ٦٥٦ هـ عظيمة جدا تحدثت عنها المراجع المختلفة حديثا ينبىء عما كان لها من عظمة وجلال .

ويقول ابن الفوطى^(٤٤) . ان الخليفة أمر في سنة ٦٤١ هـ بعمل خزانة للكتب في داره وكتب على جهاتها اشعارا منها ما نظمها صفي الدين عبد الله بن جميل نيقدم شعر الديوان :

أنشأ الخليفة للعلوم خزانة صارت بسيرة فضله أخبارها

أهدى مناقبه لها مستعصم بالله من لآلئه أنوارها

كما أنه في ذلك الوقت كانت الكتب تستهوى الناس أكثر مما يستهويهم الاستماع الى المدرس وهكذا . ومن هذا النوع دار العلم التي أنشأها بالموصل أبو القاسم جعفر بن محمد الموصلى وجعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم وقفها على كل طالب علم ، ولا يمنع أحد من دخولها . وإذا جاءها غريب طلب الأدب وكان معسرا أعطاه ورقا وورقا : وكانت تفتح في كل يوم ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه ويجتمع اليه الناس ويملى عليهم من شعره وشعر غيره^(٤٥) .

وكان كثير من العلماء يوقفون نسخا مما يملكون على دار العلم هذه

(٤٢) باقوت الحموى : معجم الأدباء ج ٨ ص ٢١٨ .

(٤٣) د . محمد عجاج الخطيب (لمحات في المكتبة والبحث والمصادر) (مؤسسة الرسالة - بيروت

لبنان ١٣٨٩ م / ١٩٦٩ م ط ٦) ص ٣٩ .

(٤٤) ابن الفوطى ، أبو الفضل عبد الرزاق ، (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة) تحقيق

مصطفى جواد (بغداد - المكتبة العربية ١٩٣٢ م) ص ١٨٤ .

(٤٥) باقوت الحموى ، معجم الأدباء ج ٢ ص ٤٢٠ .

وقد فعل ذلك حمد بن على خيران الكاتب المصرى ، فقد أرسل جزاين من شعره ورسائله يستشير فى تجليدهما بدار العلم وأبدى استعداداه ان ينفذ بقية الديوان والرسائل ، ان علم ان ما أنفذه منها ارتضى واستجيب^(٤٦) . وكذلك فعل جبريل ابن بختيشوع فانه لما أتم مؤلفه الذى سماه الكافى وقف نسخة منه على دار العلم ببغداد كالتى بالبصرة ، والداران جميعا اتخذهما الأدباء والعلماء مرجعا ومصدرا لما يبغون ، الا أن دار البصرة كانت أكبر وأمر وأكثر كتباً وفى هذه بدأ شيخ يدرس عليه الكلام على مذهب المعتزلة^(٤٧) . ونتيجة للحركة التى بدأها فى بغداد بإنشاء بيت الحكمة فقد أخذت معظم المدن^(٤٨) الاسلامية فى إنشاء المكتبات الكبرى التى تضم أهمّ الكتب . ويمكن توضيح حركة نموها بالجدول التالى :

(٤٦) المصدر نفسه ج ١ ص ٤٤٢ .

(٤٧) المتحصى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر (أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم) (لندن : مطبعة بريل ١٩٦٧ م) ص ٤١٣ .
(٤٨) د . عباس صالح طاشكندى . (مخطوطات الحرمين الشريفين قطعة من تراثنا) . مؤسسة الفيصل للمدّ الأول - لاسمودية (١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) ص ٩ ، ١٠ .

المدينة	اسم المكتبة	منشئها	تاريخ الانشاء
بغداد	بيت الحكمة	هارون الرشيد	في اواخر ٢ هـ
	دار العلم	سابور بن اردشير	٣٨١
	المكتبة النظامية	الب ارسلان	٤٥٧
	المكتبة المستنصرية	المستنصر	٦٣١
الموصل	دار العلم	ابن حمدون	٣٢٤
البصرة	مكتبة ابن ساوار	ابن ساوار	القرن الرابع
حلب	مكتبة الحمداني	الأمير الحمداني	القرن الرابع
القاهرة	مكتبة الأزهر	العزیز	٣٧٠
	دار الحكمة	الحاكم بأمر الله	٣٩٥
	المكتبة الفاطمية	القاضي الفاضل	
غزوة	مكتبة غزوة		٤٢٥
مرو	المكتبة النظامية	نظام الملك	القرن الخامس
	المكتبة العزيزية	عزیز الدين	القرن السادس
شبراز	مكتبة عضد الدولة	عضد الدولة	٣٦٧
قراطة	مكتبة المستنصر	المستنصر	٣٥٠
نابلس	مكتبة فناس	السلطان عبد الحق	٥٩٢

ثالثاً - الأهداف المراد تحقيقها من تأسيس بيت الحكمة :

ولم تكن الكتب والمساجد كل ما هيا لازدهار الحركة العلمية حينئذ فقد هيا لها ايضاً مجالس الخلفاء والوزراء والأمراء والسراة اذ تحولت الى ما يشبه ندوات علمية يتناظر فيها العلماء من كل صنف على نحو ما يروى من مناظره الكسائى والكوفى واليزيدى والبصرى بين يدى المهدي(٤٩) .

فبيت الحكمة مكتبة الدولة مفتوحة على مصراعيها ودور أخرى كثيرة ودكاكين الوراقين بالمثل تعرض كل ما يطلبه القارئ ، وحلقات المساجد تموج بالحاضرين فى مختلف فروع المعرفة ، ولكل شخص الحق فى أن يستمع الى ما يرغب فيه من هذه المحاضرات . وبالمثل صنعوا مع الوزراء وذوى النباهة والشان . ومربنا فى حديثنا عن خزانات الكتب ما اقام على بن يحيى المنجم فى صنيعه له من خزائن ضخمة للكتب كان الناس يؤمنونها من كل بلد فيجدون فيها نفعتهم ، وما يشاءون من كتب لا تكاد تحصى . وكان الخلفاء منذ المتوكل يسبقون عليه عطايا جزيلة فكان ينفقها على مكتبته وعلى الناس من شعراء وغير شعراء(٥٠) .

كما ازدانت ببغداد ببيت الحكمة التى اكسبتها مجدا وعزا وجذبت اليها العلماء ، والطلاب من مختلف أقطار العالم الاسلامى الكبير ففى تاريخ دار العلم أو بيت الحكمة ببغداد لا تكاد تعثر على اسم امرأة فى خدمة هذا الصرح العلمى اللهم الا عبارة وردت فى رسالة الغفران تشير الى أمة غير عربية اسمها « توفيقية السوداء » كانت تخدم دار العلم ببغداد فتقدم الكتب الى النساخ وهذه الوظيفة تقابل فى المكتبة الحديثة المناولين(٥١) .

فالتشجيع العلمى والتزام الدولة الاسلامية بأداء واجبها فى هذا الميدان واقبال الأمة على العلم ، وتفتح القلوب للاسلام عقيدة وعبادة وشريعة وأخلاقا ، كل ذلك ولد نشاطا علميا واسعا فى مختلف ميادين العلم والمعرفة فى الدولة الاسلامية فى

(٤٩) د. شوقى ضيف . (العصر العباسى الاول) . (دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٦٣ م)
ص ١٠٣ .

(٥٠) د. شوقى ضيف . (العصر العباسى الثانى) . (دار المعارف بمصر - القاهرة ط ٢
١٩٧٢ م) ص ١٨٩ .

(٥١) د. عائشة عبد الرحمن . (رسالة الغفران) . (دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٦٣ م)
ص ٢٨٧ .

القرون الستة الأولى نشاطا لم يعهد التاريخ مثله ، فحقق الازدهار الحضارى العظيم الذى خلّد أعمال العلماء المسلمين وأمد التراث الانسانى ب ذخيرة علمية قيمة لا يزال العالم مدينا لها حتى هذا العصر . ولكن سنة الحياة التى جعلت من عصور القوة فى الدولة الاسلامية عصور ازدهار لحضارتها العلمية والفنية والعمرانية ، هى نفسها التى عرضت تلك الدور العلمية العابرة لمثل ما تعرضت له الدولة فى عصور ضعفها وانحدارها وواجهت معها نهاية واحدة . وبحكم ارتباطها مجتمعة بمصر واحد ، وبدأ التحول مع نهاية القرن الرابع الهجرى الذى هو فى حساب المؤرخين عصر القوة . وقد استمرت خزائن الحكمة فى العمل وتأدية رسالتها بعد المأمون ولكنها فقدت شيئا كثيرا من أهميتها مع توالى الزمن^(٥٢) . وقد كانت لا تزال موجودة فى أواسط القرن الرابع للهجرة عندما ألف ابن النديم كتابه (الفهرست) اذ أنه استعمل مواد كانت موجودة فى بيت الحكمة كما يذكر هو نفسه ذلك أثناء حديثه عن القلم الحمرى^(٥٣) . أما بيت الحكمة فيغلب الظن أنه استمر موجودا طوال العصر العباسى وأنه دمر فيما دمر عندما احتل المغول بغداد^(٥٤) سنة ٦٥٦ هـ . ومن أهم الأهداف التى سعى مؤسسو بيت الحكمة وعلى رأسهم الرشيد والمأمون لتحقيقها لاقامة هذا الصرح العظيم هو تنشيط حركة التأليف والترجمة والتصنيف . فقد بلغت الحضارة العربية الاسلامية أوجها فازدهرت ازدهارا عظيما فى العصر العباسى ، حيث وصلت الى المستوى الحضارى الذى تفخر به الأمم والشعوب المتحضرة حيث كان يقاس المستوى الحضارى بالآثار المكتوبة الفكرية يعنى الكتب والتأليف^(٥٥) .

ولو رجعنا الى مادة الفكر والتأليف لرأينا العرب بلغوا من الدرجات ما لم يبلغ الغرب مقلها الا فى العصر الأخير . ومن ثم يصح القول بأن التصنيف ابتدأ فى العصر العباسى . معنى هذا أن تصنيف الكتب على أسلوب دقيق بدأ فى هذا العصر الا أن الكتابة والتأليف والجمع حدث قبل العصر العباسى . وأيا كان الأمر فالحركة العلمية فى العصر العباسى كانت قوية لدرجة تذهل الانسان ، فهذه البصرة تؤلف الكتب وتستخرج الآراء ، وتضع النحو . وهذه الكوفة تكتب فى

(٥٢) المرجع نفسه ص ٢٨٨ .

(٥٣) ابن النديم ، الفهرست ص ٨ .

(٥٤) الفلّاقشندى . (صبح الأعشى فى صناعة الانشا) . (المطبعة الأميرية - القاهرة ١٩١٣ م)

ج ١ ص ٤٦٦ .

(٥٥) د . يوسف العشى : (تاريخ عصر الخلافة العباسية) . (دار الكتاب دمشق ١٩٦٨ م)

ص ٢٢٣ .

القاريخ والأدب وتؤلف في النحو . وهذه بغداد تضم خفصا هائلا من العلماء يتكاثرون في المساجد ويكتبون العلم حتى اذا ما وصلنا الى عصر المأمون رأينا معظم المتعلمين ينكبون على اخراج الكتب^(٥٦) .

واستفاد خلفاء بنى العباس من المدارس الموجودة في عهدهم ، فأنشطت حركة التأليف والترجمة حيث قاموا بالاتصال بعلماء هذه المدارس واستدعواهم الى بغداد ، وكانوا ينفقون عليهم الأموال الكثيرة لترجمة الكتب الى اللغة العربية . ودامت هذه الأعمال ، أعمال الترجمة المحضة المثمرة بين عام (٧٥٠ — ٩٠٠ م) وفي هذه الفترة عكف المترجمون على نقل أمهات الكتب من السريانية واليونانية والفهلوية والسنسكريتية ، وكان على رأس أولئك المترجمين المقيمين في بيت الحكمة طبيب نسطورى هو حنين بن اسحاق (٨٠٩ — ٨٧٣ م) وقد ترجم وحده كما يقول هو نفسه الى السريانية مئة رسالة من رسائل جالينوس ومدرسته العالمية والى اللغة العربية تسعا وثلاثين رسالة أخرى ، وبفضل هذا نجت بعض مؤلفات جالينوس من الفناء . وكاد المأمون أن يفلس بيت المال حين كافأ حنين على أعماله بهتل وزن الكتب ذهباً^(٥٧) .

ومن هنا يتضح لنا كيف حافظت بيت الحكمة على التراث العالمى وانقذته من الفناء ، وخير مثال على ذلك مؤلفات جالينوس وهذا أحد أهداف بيت الحكمة . وقد أنشأ المأمون في بغداد مدرسة لتخريج المترجمين ، وهى مكنة لدار الحكمة وعنى بها المأمون وجعل سهل بن هارون أميناً عليها^(٥٨) .

وكانت رسالة بيت الحكمة الأساسية ترجمة الكتب اليونانية الى العربية على يد يوحنا بن ماسويه وحنين بن اسحاق ، وسلم خازن بيت الحكمة في زمن المأمون ، ومن حاضر فيه وألقى دروسا الإمام الخوارزمي^(٥٩) . فقد زخرت خزائن بيت الحكمة بالكتب المترجمة وأقبل الناس على قراءة هذه الكتب والتعمن بها

(٥٦) ول. ديورانت : (قصة الحضارة) ترجمة محمد بدران (طبع الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية) ج ٢ ص ١٧٧ .

(٥٧) ول. ديورانت : (قصة الحضارة) ج ٢ ص ١٧٧ . ١٧٨ .

(٥٨) محمد غفرانى خراسانى : عبد الله بن المقفع () (مكتبة نهضة مصر بالبحالة - القاهرة ١٩٧٠ م) ص ٣٦ .

(٥٩) محمد عبد الجواد الأصمعى : (أبو الفرج الأصفهاني) (دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٢٣ م) ص ٤٦ .

نأدى ذلك الى حركة فكرية جديدة في التأليف والنشر ، هذه الحركة أنتجت ثقافة واسعة مبنية على القديم والحديث . كما كان من أهداف بيت الحكمة نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين فانشاء هذا المعهد العالى ان جاز لنا التعبير كان نتيجة لهذا التقدم العلمى فى العصر العباسى^(٦٠) ، ومما لا شك فيه أنه ساعد على نشر التعليم بين جمهور المسلمين ، ولم يكن انشاء دور الكتب مقصورا على العراق بل قامت فى مصر والاندلس دور كتب خاصة يتعهد بها الخلفاء والأمراء والوزراء فكانت عاملا كبيرا فى تسهيل دراسة العلم والتعليم . كذلك لم يكن التعليم مقصورا على الجوامع والمساجد فكثيرا ما كانوا ينسقون حلقات التدريس بالمستشفيات والرباطات وغيرها من الأماكن^(٦١) .

وبانشاء بيت الحكمة تم ادخال نظام جديد على العالم الاسلامى للمكتبات ، فقد كان لمحمد بن يحيى بن عبد الله العباسى بن محمد بن صول أبى بكر المعروف بالصولى . وهو أحد العلماء كما يقول شاذان : « رأيت للصولى بيتا عظيما مملوءا بالكتب وهى مصفوفة وجلودها مختلفة الألوان ، كل صف من الكتب لون ، فصف احمر وآخر اخضر ، وآخر اصفر وغير ذلك . قال وكان الصولى يقول : هذه الكتب كلها سماعى »^(٦٢) . وهذا الترتيب البديع هو أحدث نظام متبع فى ترتيب مكتبات أوروبا .

ومن أهداف بيت الحكمة حرملكها الشدرك على المحافظة على الكتب والمصنفات التى تترجم أو تصنف . فقد ارتبط بظهور الحركة العلمية ونشاطها فى بغداد المحافظة على الكتب والمصنفات . ومن هنا جاء دورها الهام باقامة جهاز ادارى يتولى الاشراف والتنسيق داخل بيت الحكمة . وكان العلماء فى الدولة الاسلامية يودعون نسخا من مؤلفاتهم فى بيت الحكمة^(٦٣) على أن يقوم الجهاز الادارى بالمحافظة على تلك المؤلفات من الضياع . وفى عهد العباسيين

(٦٠) د . نقولا زيادة : (مسور من التاريخ الاسلامى) ، (دار العلم الاهلبين - بيروت لبنان - بدون تاريخ) ص ٢٤١ ، ٢٤٣ .

(٦١) جوجى زيدان : (تاريخ التمكن الاسلامى) مراجعة وتعليق حسين مؤنس (مطبع دار الهلال - القاهرة ١٩٠٢ م) ج ٣ ص ٢٠٠ .

(٦٢) البغدادى ، أبى بكر أحمد بن على الخطيب : (تاريخ بغداد او مدينة السلام) ، (مطبعة اسعاده بمصر - القاهرة ١٩٣٢ م) ج ٣ ص ٤٣١ .

(٦٣) د . عصام الدين عبد الرؤوف : (الحواضر الاسلامية الكبرى) ، (دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٧٦ م) ص ٢٤٧ .

« نراهم مستودع الذخائر العلمية في العالم ، كما نرى وكلاء الخلفاء ينقبون في كل بلد من بلاد العالم عن كنوز الثروة القديمة ثم يجلبونها الى العاصمة بغداد ويعرضونها على الناس فينظرون بعين الإعجاب والتقدير » (٦٤) .

كما كانت تقام بيوت الحكمة المرصدة ، وتستخدم فيها أساليب التنجيم ، واستطاع الخليفة المأمون أن يجعل من هذا البيت كعبة للعلماء وأن ينظمهم التنظيم الدقيق . وكانت بيوت الحكمة التي عني بها الرشيد والمأمون مد يده وعينه ، فكانت تحتضن بكتب الفلسفة وعلوم الأوائل فانقض عليها انقراضا يقرأ ويستوعب ويستسيغ ويتمثل تمثلا نادرا (٦٥) .

أما الاستفادة من مزج الثقافات المختلفة والمعارف المتباينة ، فقد كانت من أهم أهداف بيت الحكمة ، وساعدها على ذلك دخول الموالى والبرامكة وغيرهم من الطوائف الأخرى في أحضان الدولة العباسية . فقد كان يعمل في بيت الحكمة علماء تنوعت ثقافتهم ومعارفهم فسهل بن هارون صاحب خزانة بيت الحكمة كان حكيما شاعرا ، وجدير بالذكر أنه فارسي شعوبي المذهب شديد العصبية على العرب ، ويصف الجاحظ براعته وفصاحته وله عدة كتب ، وازداد عدد الكتب في عهد الخليفة المأمون فلم تكن الكتب اليونانية هي التي حرص على نقلها الى بيت الحكمة بل نجد المأمون يطلب من يحيى بن البطريق إحضار كتب لاتينية الى بغداد . وقد كان يحيى بن البطريق على علم بهذه اللغة . وبذلك ضم بيت الحكمة كتباً في مختلف اللغات ومختلف العلوم (٦٦) .

وقد ساعد الموالى بدخولهم في أحضان الدولة العباسية على أن يكون هذا العصر هو العصر الذهبي في تاريخ الترجمة والنقل عند العرب ، واستطاعوا لانفتاحهم السريانية واليونانية أن ينقلوا الى اللسان العربي كل ما كان معروفا من العلم والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والأدبيات عند سائر الأمم المتقدمة (٦٧) . وأضاف البرامكة الى هذه الخزائن الكثير من الكتب وخصوصا الفارسية في آخر

(٦٤) سيد امير على : (روح الاسلام) ، ترجمة أمين محمود الشريف (مكتبة الآداب - القاهرة

١٩٦٣ م) ج ٢ ص ٢٥٦ .

(٦٥) د. شوقي ضيف : العصر العباسي الثاني ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٦٦) ابن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٨٠ .

(٦٧) د. خليل طوطح : (تاريخ التربية عند العرب) ، (القدس ١٩٣٣ م) ص ١٥ .

عهد الرشيد فقد ضمت خزائن بيت الحكمة كثيرا من الكتب بلغات متعددة منها العربية واليونانية والفارسية والسريانية وبعض اللغات الهندية^(٦٨) .

كما أنفق المأمون أموالا طائلة في جلب الكتب من الدولة البيزنطية . فبيت الحكمة هو مجمع علمي ومرصد فلكي ومكتبة عامة أنفق في انشائه مائتي ألف دينار (نحو ٩٥٠.٠٠٠ دولار أمريكي) . فأقام فيه طائفة من المترجمين وأجرى عليهم الأرزاق من بيت المال . ويدلنا على عظمة بيت الحكمة وأهميتها ما يقوله ابن خلدون^(٦٩) « ان الاسلام مدين الى هذا المعهد العلمي باليقظة الاسلامية الكبرى التي اهتزت لها أرجاؤه والتي تشبه في أسبابها — وهي انتشار التجارة ، واعادة كشف كنوز اليونان — وفي نتائجها — وهي ازدهار العلوم والفنون » . نقول انها تشبه في أسبابها ونتائجها النهضة الأوروبية التي أعقبت العصور الوسطى .

(٦٨) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٦ .

(٦٩) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٢٦ .

الفصل الثاني : إنشاء بيت الحكمة



- ١ - من هم منشئو بيت الحكمة •
- ٢ - الطرق والوسائل التي تم بها انشاء بيت الحكمة •
- ٣ - العواقل التي ساعدت على انشاء بيت الحكمة •

أولاً - من هم منشأو بيت الحكمة :

ان العصر العباسي يعتبر عصر الابداع في الحضارة الاسلامية فيه بلغت الحضارة الاسلامية اوجها واتمرت ثمارها اليانعة ، فهو عصر الاسلام الذهبي الذي بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان ما لم يبلغه من قبل ولا من بعد ، اثمرت فيه الفنون الاسلامية ، وازدهرت الآداب العربية ، ونقلت العلوم الأجنبية ونضج العقل العربي فوجد سبيلا الى البحث ومجالا للتفكير ، فلى العصر العباسي حينما تلاقت الثقافات وأقبل الناس على حياض العلم ظمأى ينهلون وتعمقوا في فهم حقائق الكون على نسق فلسفي مغل . وانتشرت الترجمات من كتب الحكماء والمناطقية وأخذ العلماء يحللون ويطلون الأشياء والحوادث والأخلاق بعلم عقلية منظمة(٧) .

وقد عني العباسيون سواء أكانوا خلفاء أو أفرادا بالمكتبات لأنها كانت طريقة القدماء في نشر العلم فلما كان يتعذر على الأغنياء اقتناء الكتب نظرا لأنها كانت مخطوطات غالية الثمن ، لجأ من أحب تعليم الناس الى انشاء مكتبة تجمع فيها الكتب ويفتح أبوابها للناس كما فعل العباسيون في بيت الحكمة . وكان خلفاء بنى العباس والأثرياء من رجال دولتهم يبذلون جهودا مشكورة في جمع الكتب النادرة ، ويسهلون على أهل العلم الانتفاع بها . وكانت قصور الخلفاء والكبراء تتزين بخزائن تشتمل على العدد الكثير من الكتب . فقد أنشأ هارون الرشيد بيت الحكمة ليحفظ فيها الكتب التي جمعها مما يساعد على انتشار التعليم ، وحتى يتم المشروع بنجاح ولى عددا من العلماء أمر هذا البيت فعهد الى الفضل بن نوبخت أمر العناية بالكتب الفارسية والى يوحنا بن ماسويه وعسو من جنديسابور أمر الكتب الاغريقية التي جلبها هارون الرشيد معه من آسيا الصغرى ومنح العلماء الكثير من الحرية والتكريم . فقد منح مرة سفيان بن عيينة مائة ألف درهم ، ومنح اسحاق الموصلي في مناسبة أخرى مائتي ألف درهم كما منح مروان بن أبي حفصة مقابل قصيدة مدح خمسة آلاف دينار ، وخلق عليه ومنحه جوادا من جواده الخاصة وعشرة أرقاء يونانيين(٨) .

والتفت جماعة كبيرة من العلماء حول هارون الرشيد مثل البرامكة والقاضي أبي يوسف والشعراء مثل مروان بن أبي حفصة وأبي نواس وغيرهم مما القى

(٧٠) د . محمد ماهر حماد : (الوثائق السياسية والإدارية المائدة للعصور العباسية المتتابعة) .
(مؤسسة لرسالة بيروت - لبنان ط ١ ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م) ص ٧ .
(٧١) خودا بخش (صلاح الدين) . الحضارة الاسلامية ص ١٣٠ .

ضوءاً ساطعاً على عصره . فالرشيد هو الذى بدأ تلك الحركة العلمية فحشد الكتب اليونانية والفارسية فى مكتبته وعرب لها من اللغات الأصلية الى اللغة العربية ، بل لعله هو الذى بدأ تلك الحملات العسكرية ذات الهدف العلمى ، فمقصده جلب نفائس المخطوطات اليونانية الى بغداد لتعريبها ، ذلك أن الرشيد كان يقوم بنفسه بغزو بلاد الروم كل سنة ، فكان يطلق على الغزوات اسم الصوائف ، وإذا تأملنا الباعث على هذه الغزوات الصيفية اتضح لنا أنها كانت غزوات علمية بمعنى أدق ، لأن الرشيد وإن كان يقصد منها القضاء على قوة الروم وإخضاع شوكتهم ، كان يهتم الى جانب ذلك كل الاهتمام بالحصول على المزيد من الكتب والمخطوطات فى مختلف أنواع العلوم ، كالطب والفلك والرياضيات والفلسفة . أما طريقة حصوله على تلك الكتب فكان يهتم بأن يتجه بغزواته المشهورة لمعاقل الثقافة اليونانية فى آسيا الصغرى كأنقرة وعمورية وغيرها . وكانت خزائن هذه المدن مليئة بالمخطوطات النادرة والكتب النفيسة التى كان سكان تلك المدن قد جهلوا قيمتها ولم يعودوا يعرفون من أمرها الا أنها مخلفات قديمة (٧٢) .

وكان هارون الرشيد يحرز النصر دائماً فى هذه الصوائف ، وكان يجعل من شروط الصلح الحصول على الكتب التى كان يريدونها حيث ذكرنا من قبل أنه كان يقبل الجزية كتباً ، ولم يكن الرومان يبدون كبير معارضة بالرشيد فى الحصول على هذه الكتب (٧٣) . فقد روى أن الرشيد ولى يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب الطبيعية القديمة لجدها بأنقره وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون وسبوا سببها ووضعها أميناً على الترجمة ورتب له كتاباً حذاقاً يكتبون بين يديه (٧٤) .

وأوضح من هذا ما ذكره ابن النديم (٧٥) « بأن أبا سهل الفضل بن نوبخت كان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد ، وفى موضع آخر كان علان الشعوبى ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة » .

(٧٢) محمد البرتوقى : الخوارزمى العالم الفلكى الرياضى ص ٧٨ .

(٧٣) د. محمد مامر حمادة : (المكتبات فى الاسلام) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان

ط ٢ ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ص ٥٦ .

(٧٤) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٢٤ .

(٧٥) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨٤ .

نستطيع أن نستنتج من هذا أن خزانة الحكمة في عهد الرشيد كان يعمل فيها علماء مختلفو الثقافات فيوحنا نصراني سرياني له قدرة على ترجمة الكتب اليونانية ، وابن نوبخت فارسي كما قال القفطي^(٧٦) « ينقل من الفارسية الى العربية من الكتب الفارسية ومعهوله في كتبه وعلمه على كتب الفرس ، وعلان الشيعوي راوية نسابة فارسي الأصل » .

وكان الرشيد شديد الاهتمام ببيت الحكمة حين عين لها رئيسا واعوانا فكانت كخلية النحل الكل يجمع الرحيق من كل مكان ففيها النساخ والمترجمون من اليونانية والفارسية وكان فيها مجلدون^(٧٧) . أما من حيث الاسم الذي كان يطلق على هذه الدار فهو خزانة الحكمة حيناً ودار الحكمة حيناً ، وحيناً آخر يطلق عليها بيت الحكمة . أما خزانة الحكمة فهو اسم الموضع الذي يخرن فيه الكتب وفي القرآن الكريم : « وان من شئ الا عندنا خزائنه »^(٧٨) فاستعملوه للدلالة على المكان الذي حفظت فيه الكتب ، وقد استعملت كلمة خزانة للدلالة على ذلك في هذا العصر كثيراً .

فقد روى أن الجاحظ أراد أن يهدي الى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم كتاب سيبويه فقال له ابن الزيات : أوظننت أن خزائنا خالية من هذا الكتاب ؟ فقال الجاحظ : « ما ظننت ذلك ، ولكنها بخط الفراء ومقابلة الكسائي وتهذيب عمرو ابن بحر الجاحظ ، يعنى نفسه » فأخذها^(٧٩) . وأما البيت فاستعملوه في الدار وأطلقوه على حوانيت التجار والمواضع المباحة أثنى تباع فيها الأشياء ويبيع أهلها دخولها^(٨٠) . وقد أطلقوا في هذا العصر كذلك بيت المسال على المكان الذي يحفظ فيه مال الدولة ، فلا يبعد أن يكونوا قد أطلقوا كذلك بيت الحكمة على المكان الذي حفظت فيه الكتب . أما كلمة الحكمة فمقد استعمالوها فيها يرادف فلسفة فالظاهر أنهم أطلقوا خزانة الحكمة أو بيت الحكمة على مكان المجموعة من هذه الكتب لأن كلها أو أكثرها ليست من الكتب الدينية بل من الكتب التي عنى بنقلها من الأمم الأخرى وأكثر هذه كتب فلسفة أو حكمة ، وان كان فيها شيء من النصف

(٧٦) ابن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٨٠ .

(٧٧) أحمد أمين : فصحى الاسلام ج ٢ ص ٦٢ .

(٧٨) سورة الحجر ، الآية ٢١ .

(٧٩) ابن خلكان : تهمس للدين أبو العباس أحمد : (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) .

(الخطبة اليمينية - القاهرة ١٣١٠ هـ) ج ١ ص ٥٤٩ .

(٨٠) ابن النديم : الفهرست ص ١٩٠ .

والآثار . كما كان سلم^(٨١) وسهل بن هارون مشرفين على الخزانة ، أما متعاصرين ، ولكل دائرة اختصاص أو متعاقبين . ويظهر أن بيت الحكمة كان مجموعة خزائن ، كل مجموعة من الكتب خزانة ، وإن سهل بن هارون كان مشرفا على القسم الذى احضرته بعثة القسطنطينية — كذلك يغلب على الظن أن كتب الرشيد قد أفردت فى خزانة ، وكتب المأمون قد أفردت فى أخرى . فإنا نرى أن ابن النديم يستعمل أحيانا خزانة المأمون ، وأحيانا أخرى خزانة الرشيد^(٨٢) .

وكل ما يدلنا فى تخطيط بغداد خير عن بناء خاص للمكتبة ، وقد اعتاد الخلفاء أن يفعلوا هذا فى قصورهم^(٨٣) . أما إذا انتقلنا الى عصر المأمون رأينا أن رغبته فى الفلسفة والعلوم العقلية ، أشد وميله أعمق وتبع ذلك اتساع العمل فى بيت الحكمة .

روى ابن النديم : « أن المأمون كان بينه وبين ملوك الروم مراسلات وكتبه استظهر عليه المأمون فكتب الى ملك الروم يسأله الاذن فى انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المخزنة ببلاد الروم ، فأجاب الى ذلك بعد امتناع فأخرج المأمون بذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلم وصاحب بيت الحكمة وغيرهم . فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا فلما حملوه اليه امر بنقله فنقل ، وقد قيل أن يوحنا بن ماسويه كان ممن نفذ الى بلاد الروم »^(٨٤) .

قال ابن نيساته عند الكلام على سهل بن هارون : وجعله كاتباً على خزائن بيت الحكمة ، وهى كتب الفلاسفة التى نقلت للمأمون من جزيرة قبرص وذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة أرسل اليه يطلب خزانة كتب اليونان ، وكانت مجموعة عندهم فى بيت لا يظهر عليه أحد ، فأرسلها اليه واغتبط بها المأمون وجعل سهل بن هارون خازنًا لها^(٨٥) .

كما أرسل بعثة الى القسطنطينية لاجتياز الكتب اليونانية من طبية وفلسفية ، وأنه كان بين أفراد البعثة صاحب بيت الحكمة وهو سلم ، ومعروف أنه كان فى

(٨١) سلم هذا هو صاحب دار الحكمة . جرونيباوم (جوستاف) ، حضارة الاسلام ص ٢٧ .

(٨٢) ابن النديم : الفهرست ص ١٩٠ .

(٨٣) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٦٤ .

(٨٤) ابن النديم : الفهرست ص ٢٤٣ .

(٨٥) ابن نيساته المصرى : (سرح العيون) . (القاهرة ١٢٧٨ هـ) ص ١٣٢ .

القسطنطينية مكتبة كبيرة أنشئت سنة ٣٦٦ هـ وعنى بعض الملوك بتوسيعها حتى بلغ ما فيها نحو مائة ألف مجلد ، ومن التراجمة علان بن الحسن الوراق الشعوبى . وكان هذا فى خزانة الحكمة فى عصر الرشيد والمأمون . كما أنشئت المراسد والمكتبات والبيمارستانات والمدارس فى بيت الحكمة^(٨٦) . واتجه المأمون الى بيت الحكمة فأفرد فيها لكل عالم ركنا فترجم جنابات هذا البيت بالعلماء والفلاسفة والمترجمين والمؤلفين وأئمة اللغة ورجال الأدب . الى جانب الكتاب المنشئين ، كان هناك كتاب مؤلفون نذكر منهم عبد الله بن المقفع سنة ١٤٣ هـ وكان مختصا بالمنصور وله من الكتب كتاب كيلة ودمنة ، والأدب الكبير ، والأدب الصغير . والدرة اليزيمة ورسالة فى الأخلاق ، وله كتب أخرى نقلها عن الفارسية منها كتاب التاج فى سيرة أنوشروان ، وكتاب سيرة ملوك العجم^(٨٧) . كما أن سهل بن هارون سنة ١٧٣ هـ أقام فى بغداد يخدم المأمون وقد تولى له رئاسة بيت الحكمة وله من الكتب ديوان الرسائل والاخوان والمسائل وغيرها^(٨٨) . وعلى بن عبيد الرياحى كان مختصا بالمأمون وقد ذكر له ابن النديم^(٨٩) نحو من خمسين مؤلفا ضاعت كلها .

-
- (٨٦) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (المعارف) (نور محمد . كراتشى - باكستان ١٢٩٦ هـ / ١٩٧٦ م) ص ١٠٠ . ٩ .
 (٨٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ص ١٤٩ .
 (٨٨) الجاحظ : (البيان والتبيين) (تحقيق عبد السلام هارون ، نشر مكتبة المتنى ببغداد ١٩٦٠ م) ج ١ ص ٣٠ .
 (٨٩) ابن النديم : الفهرست ص ١١٩ .

ثانياً — الطرق والوسائل التي تم بها انشاء بيت الحكمة :

وظل بيت الحكمة يواصل رسالته في الترجمة حتى بعد انتهاء العصر العباسي الأول ، وكانت الثروة العظيمة التي تجمعت لخلفاء العصر العباسي الأول قد أنفق الكثير منها في هذا الزاد العلمي العظيم وثمة أمور أخرى كان لها اثرها في الاقبال على المعرفة القديمة وورود مواردها ممثلة في الحركة التعليمية ، وشيوعها وتقبل ملايين المسلمين من غير العرب للثقافة العربية ، منشآت العقلية التي لا تقنع بالثقافات التقليدية انما ترنو الى المزيد ارواء لتعطشها الى المعرفة وكان المورد الاغريقي الذي عبوا منه عبا^(٩٠) .

وعصر الخليفة المأمون عصر الازدهار العلمي الذي ازدهرت ونشطت فيه حركة الترجمة نشاطا واسعا النطاق ، فقد كانت بيت الحكمة من أهم مراكز الثقافة اليونانية ونشرها بين العرب الذين اقبلوا في ذلك الحين اقبالا منقطع النظير وشجعهم على ذلك اقبال الخليفة نفسه على الثقافة العقلية واعتزازه بالحرية الفكرية ، وتسامحه من الناحية الدينية ، تسامحا أدى الى تدعيم التيارات العقلية الجديدة ، التي اصطبغت بالثقافة اليونانية^(٩١) . ومن هنا كان المأمون من أكبر أنصار مذهب المعتزلة الذي يقوم في أساسه على تمجيد العقل والاعتزاز بحريته ، ولا يعنى ذلك أنه لم تكن هناك ترجمات قبل عهد المأمون فكما ذكرنا فقد بذلت قبل ذلك العهد جهود ضخمة من قبل الخليفة المنصور ثم هارون الرشيد من بعده لنقل المادة العلمية اليونانية الى اللسان العربي ، وقد كان للبرامكة وزراء الرشيد نصيب كبير في هذه الجهود فقد كانت عنايتهم بالثقافة اليونانية عناية كبيرة جعلتهم يعضدونها العلماء ويشجعونهم على دراستها ونقلها^(٩٢) . كما جعلهم يرسلون الرسل لشراء مخطوطات اغريقية من الأمبراطورية الرومانية^(٩٣) .

وقد تركز الاهتمام على نقل المؤلفات الفلكية والرياضية والطبية ، كما نقلت

(٩٠) د. حسن أحمد محمود وأحمد الشريف : (العالم الاسلامي في العصر العباسي) (دار الفكر

العربي بالقاهرة ١٩٧٣ م) ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٩١) كارل ، بروكمان ، (تاريخ الشعوب الاسلامية) ، (بيروت - لبنان ١٩٥٣)

ج ٢ ص ٣٨ .

(٩٢) د. عبد الحكيم بليغ : (ادب المعتزلة في القرن الرابع الهجري) (مطبعة الرسامة -

القاهرة ١٩٦٥ م) ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٩٣) أوليري : (مسالك الثقافة الاغريقية) ص ٢٢٨ .

بعض كتب أرسطو وغيرها . كما كانت بيت الحكمة تشتمل على الكتب الشرعية واللسانية وما ترجم عن اليونانية والفارسية والسكندرانية والكلدانية والقبظية^(٩٤) . ولقد كان الأمين على نقض المأمون يفتى إلى المدرسة السنية ، ويروى أنه حينما سمع بنظرية المرسى حول خلق القرآن هدد بأنه لو قبض عليه لقطع رأسه ، فقد رأى المأمون باعتباره أمير المؤمنين أن يصدر قرارا بخلق القرآن وطلب من القضاة تأييده وعارض ابن حنبل بشدة هذه البدعة ، ولكن بعض كبار الفقهاء أيدوا رأى المأمون بدون تردد^(٩٥) . وقد شجع المأمون طلابه على التردد على بيت الحكمة للقراءة ودبر لهم سبل الإقامة وأسباب الراحة فذهب إلى حد إقامة جناح ملحق بالدار يضم عدد ثلاث حجرات صغيرة خصصت لإيصال فيها من يشاء من رواد الدار قسطا من الراحة ، كما يقدم لهم الطعام والشراب دون مقابل^(٩٦) .

ولم تال الدولة جهدا في تزويد قاعات المكتبات بالخزائن والمناضد والمقاعد كما وفرت للقراء المحابر والأقلام والأوراق^(٩٧) . ولا شك أن انتشار المكتبات العامة في أرجاء العالم الإسلامي ، في العصور الوسطى واتباعها هذه الأنظمة وفتح أبوابها لكل قارئ ، وتسخير كل هذه الإمكانيات لخدمته دليل ناطق على تقدم العرب الفكرى والعلمى ومدعاة للفخر . ويسجل لهم ولتاريخهم بمداد من نور . وقد أثبتت هذه الدار أنها أهم مجمع أسس لنشر الثقافة بين جمهور المسلمين ، وكانت الترجمة من بين أعمالها الرئيسية^(٩٨) . فقد أنشأ المأمون ديوانا خاصا بالترجمة على رأسه حنين بن اسحاق وأمر بوضع خارطة للعالم سميت « الصورة المأمونية » وهى أول خريطة للعالم في عهد العباسيين ، ولذلك يلقب بعض المؤرخين المأمون بأستاذ الحضارة العربية لأثره العلمى الكبير في المجال الحضارى^(٩٩) . كما أسند

(٩٤) عبد الله بن العباس الجزارى : (تقدم العرب في العلوم والصناعات واستغنائهم لأوروبا) .
(دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٦٣ م) ص ٢٢٣ .

(٩٥) خودابخش (صلاح الدين) : الحضارة الإسلامية ص ١٢١ .

(٩٦) محمد إبراهيم الصبحى : (العلوم عند العرب) . (مكتبة نهضة مصر بالقاهرة - القاهرة - بدون تاريخ) ص ٧٧ ، ٨١ .

(٩٧) ابن النديم : الفهرست ص ١٥٣ .

(٩٨) Hitti, P. K. : The History of Arabs, London 1928, p. 310.

(٩٩) أحمد فريد رفاعى : (عصر المأمون) . (مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٨ م) ص ٣٧٥ .

الإشراف في بيت الحكمة لحنين بن إسحاق ، وقد أمدّها المأمون بمختلف الكتب والمصنفات التي تحوى كل العلوم التي اشتغل بها العرب (١٠٠) .

كما أنشأ المأمون وهو نفسه عالم رياضى دارا للتعريب ورصد فيها علمائه لتهذيب الكتب المترجمة وتوجيه أسماء المعرفة من الاعلام والأجناس ، على ما يناسب المنطق العربى (١٠١) . وكان لهذه الدار الفضل الأكبر في تهذيب الكتب المترجمة وتوحيد الاسماء المعربة ثم رقعة الألفاظ لانغماس القوم في الحضارة ، وإخلاصهم الى الترف ، وإيثار الموالى للكلام السهل والأسلوب المبين ، لأنهم حنقوا اللغة بالدراسة والصنعة لا بالتلقين والطبع (١٠٢) .

وقد كان حنين بن إسحاق الذى جعله المأمون على رأس المترجمين (١٩٤ هـ / ٢٦٠ هـ) شديد العناية بعمله حتى قيل أنه كان لا يعتمد على أقل من ثلاث نسخ ليستطيع مقارنتها والاطمئنان الى مصدر صحيح ينقل عنه (١٠٣) . ويتضح هذا مما ذكر عما أنفقته الدولة على ترجمة كتب اليونان فقد قدر ذلك وحده بـ ٣٠٠.٠٠٠ دينار فيما يرون .

وتلقى بيت الحكمة جديد المصنفات العربية التي شارك فيها علماء المسلمين من الفرس والروم ومصر وغيرها من أقطار الدولة ممن تعرب آباؤهم وأجدادهم بعهد الفتح (١٠٤) . كما ذكرنا من قبل أنه من أشهر من تولوا منصب القيم على بيت الحكمة في عصر المأمون « نسهل بن هارون » الفارسى الأصل فكانت تحت إشرافه مئات من المترجمين والخطاطين والنساخ وآخرين من المجلدين والمذهبيين . ذكر ابن النديم في كتابه الفهرست أسماء المشهورين الذين برعوا في فن تذهيب المصاحف وصناعة تجليد الكتب في خزائن بيت الحكمة كما ذكر أسماء مشهورى المترجمين (١٠٥) .

(١٠٠) د. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والثقافى ج ٢ ص ٢٧٤ .

(١٠١) مصطفى صادق الرافعى : (تاريخ آداب اللغة العربية) دار الكاتب العربى - بيروت -

لبنان ١٩٧٠ م ص ٢٠٥ .

(١٠٢) د. أحمد حسن الزيات : (تاريخ الأدب العربى للمدارس اللغوية) مطبعة الرسالة -

القاهرة - بدون ص ٢١٣ .

(١٠٣) د. بهى الدين زيان : (الغزالى مباحث فكرية عن حياته الإسلامية) (دار نهضة مصر

بالقاهرة - القاهرة - بدون) ص ١٤ .

(١٠٤) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٨٠ .

(١٠٥) ابن النديم : الفهرست ص ٣٢ .

وقد كان علماء العربية والاسلام خارج العراق يجعلون واجبههم الى بغداد واجبا علميا فيحجون(١٠٦) الى بيت الحكمة ويطلعون على ما فيه من نفائس المخطوطات في زمن لم تكن المطبعة فيه قد عرفت لتيسر الاطلاع على هذه النفائس والتعريف بها ونشرها والافادة منها ، واستمرت كذلك لمدى قرون خمسة تقريبا .

(١٠٦) د. عائشة عبد الرحمن : مراننا من وامن وحاضر ص ١١ .

ثالثاً - العوامل التي ساعدت على إنشاء بيت الحكمة :

كانت النهضة العلمية تسير عصر القوة للدول الثلاث فكانت بيت الحكمة في بغداد عنوان هذه النهضة ورمزا معبرا عنها وآية من آيات عزها كما كانت دور الكتب العامرة في المشرق ومن أشهرها مكتبة المدرسة النظامية ، وخزائن كتب النجف الاشرف وخزانة سيف الدولة الحمداني في حلب وحماه ودمشق وطرابلس . كانت هذه الدور الثقافية وأمثالها مما لا يتسع المجال لاستيعابه يعطى تفسيراً تأويخياً لهذه النهضة التي حملت أمناً لواءها في العصر الوسيط^(١٠٧) .

وفي الحق أن إنشاء المأمون العباسي دار الحكمة في بغداد كان عاملاً هاماً وحاسماً في انتشار العلوم حيث اختار هذا الخليفة أحد البرامكة وزيرا له وهذا البرمكي سليل أسرة قديمة كان من أسلافها منذ قرون . وقد عرف هؤلاء البرامكة كيف يرغبون الخلفاء وحاشيتهم في تذوق الدراسات والكتب ، وجعلوا من بغداد مركزاً علمياً قدر له أن يطفئ على سمرقند بجمع الروائع الأدبية الصيفية وانسنسكريتية^(١٠٨) ، والمؤلفات البيزنطية من الغرب في وقت واحد .

وكانت هذه الدار من عدة وجوه أعظم المعاهد الثقافية التي أنشئت في ذلك الزمان^(١٠٩) . حيث أنشأ المأمون مرصداً فلنيا بالشمسية وطلب الكتب حيث سمع بوجودها فقلد طلب من أمير صقلية بعض الكتب الفلسفية والعلمية فأرسلها له ونقل من خراسان الكثير من الكتب إلى بغداد ، وأرسل جماعة من المترجمين إلى بلاد الروم لترجمة عدد من الكتب . وكانت الكتب التي يرسلها ملك الروم مزخرفة . وقلد وصل فن بعضها ما يجعلها تحفة فنية . ففي سنة (٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م) وصل كتاب الروم إلى الخليفة الراضي ببغداد ، وكانت الكتابة بالرومية والترجمة بالعربية بالفضة^(١١٠) .

(١٠٧) طرازي « الفبكونت فيليب » : خزائن الكتب العربية في الخافقين ص ٥٤ ، ٥٥ .
(١٠٨) حاك . س . ريسلر : (الحضارة العربية) ترجمة محمود غنيم (طبعة الدار المصرية للتأليف والدراسات الفاعرة ١٩٦٦ م) ص ٨٣ ، ٩٨ .
(١٠٩) د . عبد الحميد ماحد : (العصر العباسي الأول) . (مكتبة النهضة المصرية - للقاهرة ١٩٧٧ م) ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .
(١١٠) ابن الجوزي . علي بن عبد الرحمن : (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) (حيدر آباد - الدكن - الهند - دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٧ هـ) ص ١٥٤ .

من هنا يتضح لنا أن الخلفاء والأمراء لم يبخل أحدهم بمال أو جهد في تزويدهم لها بمختلف المؤلفات الثمينة ويسروا أسباب الراحة لروادها . فمما كان منهم إلا أن أرسلوا البعوث للبحث عن الكتب والتراث الفكرى القديم^(١١١) . وقد دخل أبو يوسف القزوينى المعتزلى المتوفى (٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) بغداد ومعه عشرة جمال عليها كتب^(١١٢) .

ثم أنشأ البغداديون المكتبات على مثال بيت الحكمة ، أشهرها مكتبة سابور ابن أردشير وزير بهاء الدولة في محلة بين السورين سنة ٣٨١ هـ وجعل فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد كلها بخطوط الأئمة المعتمدة ، وكان المؤلفون يقفون عليها نسخا من مؤلفاتهم ، واحترقت فيما احترق من محال السكرخ عند مجيء طغرلبيك أول ملوك السلاجقة الى بغداد^(١١٣) سنة ٤٤٧ هـ .

وممن تولى حفظ ما بقى فيها والإشراف عليها عبد السلام البصرى^(١١٤) . اللغوى المتوفى سنة ٤٠٥ هـ . واشتهر بجمع الكتب من بنى العباس الخليفة الناصر بن المستضى^(١١٥) المتوفى سنة ٦٢٢ هـ . ولكن على الرغم من أن بيت الحكمة كانت ذات شأن في العالم الاسلامى من حيث انها أول أكاديمية ومؤسسة علمية تشبه في اقبال العلماء والطلاب عليها للبحث والدرس كخليفة النحل يعودون محملين بالشهد الذى يشفى النفوس والعقول . فان ما نالته في عهد الرشيد والمأمون كان ازهى عصورها . وتجلى ذلك في الخليفة المأمون تكثر من حيث ما كان يهب للعلم من وقته ورعايته ، ونال العلماء كثيرا من عطفه وعنايته . لكن لم ينل بيت الحكمة من العناية العلمية ما ناله في عهد الرشيد والمأمون ، بل ضعف ذلك فنجسد ان الخليفة المعتصم قد أهمل شأن هذا البيت العظيم ، وقد توالى عليه الأحداث بعد ذلك ، مما زاد في الاقلال من شأنه . ولكنه يظل يقاوم الى أن داهم القطار بغداد ، وقتل هولاكو المعتصم آخر الخلفاء العباسيين ، فانتهى بذلك مع الأسف أمر هذه المؤسسة العظيمة ، واندثرت خزانة الكتب ، وغفت آثارها .

وحقا ان ما نالته هذه المؤسسة الثقافية وما أنفق عليها من مال ورعاية من ترجمات الاغريق مما يعد مضرب الأمثال .

Madkour, L. Organon : D., **Aristote Dans Londe**, Paris 1934, (١١١)
pp. 28,29.

- (١١٢) تاج الدين أبو نصر عبد الروهاب السبكى : (**طبقات الشافعية الكبرى**) (المطبعة الحسينية بمصر - القاهرة ١٣٢٤ هـ) ج ٤ ص ٢٣٠ .
- (١١٣) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ص ٢٢٦ .
- (١١٤) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٤١٢ .
- (١١٥) ابن خلدون : المقدمة ج ٤ ص ١٤٦ .

الفصل الثالث : النظام الإداري في بيت الحكمة



- ١ - القائمون على تنظيم بيت الحكمة .
- ٢ - المشرفون على بيت الحكمة .
- ٣ - رواتب العاملين داخل بيت الحكمة .

أولا — القائمون على تنظيم بيت الحكمة :

يكاد المؤرخون أن يجمعوا على أن القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) هو العصر الذي شهد قمة التطور في المؤسسات الحضارية والثقافية الإسلامية ، وكانت بغداد في هذا القرن قد اكتمل فيها عقد العلم ، وازدهرت بأجلة العلماء الذين نزحوا إليها من حواضر العالم الإسلامي ، وورثت المدينتين العظيمتين البصرة والكوفة ، فانتقل كثير من علمائهما إليها .

وإذا نحن علمنا أنه لم يكن في ذلك العصر مطابع وإنما هناك مؤلفون يؤلفون ونساح ينسخون أدركنا ما يقتضيه عمل مكتبة من الجهد العظيم والمال الوفير حيث لم تكن المكتبة مقصورة على الكتب بل كانت أحيانا مجتمعا يجتمع فيه طلاب العلم والعلماء ويتداولون فيما بينهم المسائل العلمية . وهذا ما جعل هذا العصر يزخر بالعلم والعلماء ، وكان بجانب هذه المكتبات العامة مكتبات خاصة لكل عالم تشتمل على الكتب التي يحتاج إليها فالغنى منهم يطلب النسخاين أن ينسخوا له الكتب التي يريدونها ، والفقر ينسخ بنفسه ، ورووا عن السجستاني المحدث أنه كان له كم واسع وكم ضيق فسئل عن ذلك فقال الواسع للكتب والآخر احتاج إليه (١١٦) .

وروى عن أحد علماء أصبهان أنه أنفق في شراء كتبه ثلاثمائة ألف درهم وقالوا أن أبا يوسف القزويني المعتزلي دخل بغداد ومعه عشرة جمال عليها كتب . وليس أدل على عظمة تراثنا من أن بيت الحكمة كانت في أيام هارون الرشيد تحصى مليون كتاب ، أما المأمون فقد نقل إلى بغداد مائة بعير من الكتب من أوروبا حتى أنه جعل ذلك في عقد الصلح بينه وبين ملوك الروم (١١٧) .

وقد جعل الخليفة هارون الرشيد يوحنا بن ماسويه مرثفا عاما على ترجمة الكتب ، بينها جعل المأمون سهل بن هارون وهو برتية وزير مشرفا على بيت الحكمة لما كان لها من أهمية في نظره ونظر الدولة التي يرأسها . وزادت محتويات هذه الأدار بما قدم إليها هدية من الحكام العرب أو الأجانب تقربا إلى الخلافة الإسلامية بالإضافة إلى ما كانوا يبيعونه بأسعار مرتفعة جدا . فقد أهدى صاحب جزيرة قبرص مجموعة قيمة من الكتب إلى بيت الحكمة ، وكذلك فعل قيصر القسطنطينية بعد أن طلبها المأمون . ولعل أشهر المترجمين أو العربيين أنما

(١١٦) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الإسلامية الكبرى ص ٢٤٧ .

(١١٧) ابن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٨٠ .

ظهروا في فترة حكم الرشيد والمأمون أمثال : أبو سهل الفضل ، ويوحنا بن ماسويه وابن البطريق وحنين بن أسحاق وعمر بن الفرخان وثابت بن قرّة (١١٨) وكان العمل انقساماً كل قسم له رئيس مسئول عنه ، ومساعدون مسؤولون أمامه ، وهذا في رأينا يفسر ورود أسماء عدد من الأشخاص يوصفون بأنهم أصحاب بيت الحكمة .

وكانت بيت الحكمة مكتبة واسعة رتبت فيها الكتب ونضدت في رفوف خاصة بحسب لغتها وفروع العلم الذي يتصدد فيه ، وزودت بالمقاعد للقراءة والمطالعة وجعل لها قيم لحفظها وترتيبها وتسليم كتبها الى القراء وما شاكل ذلك وكانت تضم فرقاً خاصة للترجمة والنسخ (١١٩) .

ويقسم النشاط في دار الكتب بين حجرات . فبعضها للنسخ وبعضها الآخر للاطلاع والمراجعة ، وثالث للدرس والمناقشة وربما اشتملت هذه الدار على حجرات للموسيقى يختلف اليها الدارسون للترفيه واستعادة النشاط كلما أعياهم الكد والسأم (١٢٠) . لم تخل مكتبة ذات شأن سواء كانت عامة أو خاصة عن فهرس يرجع اليه استعمال مجموعة الكتب ، وكانت هذه الفهارس منظمة للغاية فهي تشمل الكتب التي بالمكتبة مرتبة حسب موضوعاتها وبجانب هذه الفهارس العامة ، كانت هناك ورقة خاصة ملتصقة بكل دولا ب من دوايب الكتب ، وقد كتب على هذه الورقة عناوين الكتب التي يحويها ذلك الدولا ب ، وأرقامها فيه بالاضافة الى عنوان الكتاب ورقمه وكانت الفهارس تشمل ملاحظات عن الكتب التي فقدت أو بعض أوراقها ، ولم توجد جميع أجزاءها (١٢١) ولنجل جولة سريعة في مكتبات العالم الاسلامي لعرض ما عثرنا عليه من ذكر لهذه الفهارس التي عرفها المسلمون ونظموها منذ ذلك العهد المبكر ، ومن الواضح ان الفهارس ترتبط ارتباطاً تاماً بالمكتبات الكبيرة . من أجل هذا سيشتغل حديثنا عن الفهارس ايضاحاً لنقطة هامة ، هي غنى المكتبات وما حوته من ذخائر . وأول ما نسوق من ذلك هو قول ابن سينا انه اطلع على فهرس مكتبة السامانيين في بخارى ، واختار بضعة كتب طلب أن يطلع عليها ، فأحضرت اليه في الحال ، ويحكى ابن سينا انه رأى من الكتب ما لم

(١١٨) أنور الرفاعي : (الاسلام في نظمته وحضارته) ، (دار الفكر - بيروت - لبنان ١٩٧٢ م)

ص ٥٥٤ .

(١١٩) أنور الرفاعي . الاسلام في نظمته وحضارته ص ٥٥٤ .

(١٢٠) زكريا ماسم زكريا . فضل الحضارة الاسلامية على العالم ص ٢٨٠ .

Islamic Culture (111-1929) p. 229.

(١٢١)

يقع اسمه قط الى كثير من الناس ، وما كان رآه من قبل ولا رآه أيضا من بعد (١٢٢) .

وقام المأمون بتوسيع وتدعيم بيت الحكمة الذي أنشأه أبوه (هارون الرشيد) واهتم بأنواع عدة من الثقافة ، فلم يقتصر اهتمامه على الثقافة الفارسية ، فقد اهتم بجمع الكتب الاغريقية وبعث وفدا الى ليو الارمنى لجمع الكتب الاغريقية ليطلع عليها واضطر القيصر الى الموافقة على ذلك . وفي ذلك الحين كان حنين بن اسحاق ويعقوب الكندي على استعداد تام لترجمة الكتب الاغريقية الى اللغة العربية ، وقد درس حنين اللغة اليونانية في الاسكندرية ، كما درس اللغة العربية على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٢٣) في البصرة ، وبعد اعادة هاتين اللغتين بدأ تحت رعاية المأمون بترجمة الكتب الاغريقية وكانت مهارته عامة بتقريب المأمون له ، فكان لا ينقطع عن اغداق الصلات عليه ، ولما كان حنين نفسه مغرما بالكتب فقد تحول الى آسيا الصغرى وسوريا للبحث عن الكتب وكان أول كتاب ترجم الى اللغة العربية هو كتاب بطليموس في الفلك وقام بترجمته ابراهيم بن هملت وراجعته وصححه حنين بن اسحاق (١٢٤) .

وقد اتخذ المأمون بطانته من علماء اليونان والسريان والفرس فانتقل الى بيت الحكمة علماء حران والرها وجنديسابور ونقلوا اليهما امتازوا به في التراث الانساني في مدارس اليونان والرومان والشرق الأدنى وشمال افريقيا فورثتها بغداد جميعا (١٢٥) . ويبدو أن المأمون ومن اتى بعده حاولوا أن يجمعوا في هذه المؤسسة الثقافية العظيمة القسم الأكبر من تراث الاسلام حتى عهدهم مع عناية خاصة بالمواد التي لها صلة بأصلهم .

فقد ذكر بن النديم (١٢٦) أنه كان يوجد في خزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن ملان الحميري من أهل وزن عليه ألف درهم فضة كيلا بالحديدة ومتى وعاه بها أجابه شهد الله والمكان .

Barthold, W. : *Turkestan Down to the Mongol Invasion.* (١٢٢)
Luzac 1928, p. 9,10.

- (١٢٣) الخليل بن أحمد من علماء اللغة والأدب : ابن القفطي : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٨ . ومن المؤرخين من يرى أن الخليل بن أحمد كان بارص فارس فلزمه حنين حتى برع في لسان العرب : صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٢٠ .
- (١٢٤) خودابختش (صلاح الدين) الحضارة الإسلامية ص ١٣٢ .
- (١٢٥) مجيب العتيقي : (المنشرون) دار المعارف بمصر ١٩٥٨ م ج ١ ص ٧٩ .
- (١٢٦) ابن النديم : المهرست ص ١٧٤ .

ويبدو لنا أن خزانة بيت الحكمة كانت مقسمة الى اقسام كبرى بحسب اللغات فهذا قسم الكتب الفارسية ، وهذا قسم الكتب اليونانية ، وهذا قسم الكتب السريانية ... الخ . وكل قسم تحت رئاسة شخص مشرف عليه ومسؤول عنه ، والجميع يهودون في أمورهم الى شخص أعلى . ويقول المقدسي^(١٣٧) وهو يواصل وصفه لمكتبة عضد الدولة في شيراز : لكل نوع من الكتب فهارس فيها عناوين كتب . ويسجل أبو الحسن البیهقي أنه رأى بنفسه فهارس كتب صاحب بن عباد وان تلك الفهارس كانت تقع في عشرة مجلدات^(١٣٨) .

وقد كانت الفهارس معروفة في العراق منذ عهد خزانة الحكمة ، حدث الحسن ابن سهل قال : قال لى المأمون يوما : أى كتب العجم أشرف ؟ فذكرت كثيرا منها ثم قلت : جاد يذان خرد (يتيمة السلطان) يا أمير المؤمنين . فدعا المأمون بفهرست كتبه وجعل يقلبه فلم ير لهذا الكتاب ذكرا . فقال : كيف يسقط ذكر هذا الكتاب من الفهرست^(١٣٩) . وكان لمكتبة المدرسة النظامية ببغداد فهرس شامل دقيق رآه ابن الجوزى المتوفى (٥٩٧ هـ) وهو يقول عنه : لقد نظرت في بيت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية فاذا به يحتوى على نحو ستة آلاف مجلد^(١٤٠) .

ولما فرغ المستنصر بالله من بناء مدرسته نقل إليها من الربعات الشريفة والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والأدبية ما حملة مائة وستون جملا ، وجعلت في خزانة الكتب وتقدم المستنصر الى الشيخ عبد العزيز شنيخ رباط الحريم بالحضور للمدرسة واثبات الكتب واعتبارها ، والى ولده العدل ضياء الدين أحمد الخازن بخزانة كتب الخليفة في داره أيضا ، فحضروا واعتبرها ، ورتبها أحسن ترتيب ، مفصلا لفنونها ليسهل تناولها ولا يتعب مناؤها^(١٤١) .

وكان يتولى الأعمال في دار الكتب طائفة من الموظفين وهم : الخازن والمترجمون وطائفة النساخ ، وطائفة المفسرين ، وطائفة المناولين ، وطائفة الكتبة ، وطائفة

(١٣٧) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٤٤٩ .

(١٣٨) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج ٢ ص ٣١٥ .

(١٣٩) محمد كرد علي : (رسائل البلقية) ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة - القاهرة

١٣٩٩ هـ / ١٩٤٦ م) ص ٤٧٩ . ٤٨٠ .

(١٤٠) ابن الجوزى : (صيد الخاطر) ، (تحقيق السيد عبد القادر عطا . مكتبة الكليات

الازهرية - القاهرة - مصر - ١١٩٦ هـ) ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(١٤١) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة والتجارب الخافضة ص ٥٤ .

المجلدين . وكان الناسخ ينسخ ما يطلب منه نظير أجر وعليه أن يرتب أوراق كل نسخة بعد جمعها وإصلاح ما قد يظهر فيها من أخطاء^(١٣٢) . أما الخازن أو الأمين كما يسمى في العصر الحاضر فكان يسند إليه الإشراف على أعمالهم الفنية والإدارية جميعا ويجلب الكتب إليها ويلاحظ فهرسها ، وييسر للناس أسباب المراجعة والإطلاع ، لذلك كان يختار الخازن من الأدباء وأصحاب الأقدار بين المثقفين والعلماء كسهل بن هارون^(١٣٣) .

وقد استدعى اختراع الورق^(١٣٤) وانتشار استعماله ظهور طائفة من الناس يشتغلون بالورق والكتابة والكتب وهؤلاء هم الوراقون الذين لعبوا دورا مهما في تاريخ الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية ، ذلك أن الوراقين آنذاك كانوا هم الناشرون للكتب يقومون بنسخها وتجليدها وتصحيحها وبيعها وعرضها في الواجهات والاتجار بها ، وقد اشتغل بالوراقة علماء أجلاء وأصبحت الوراقة مهنة راقية . وانتشرت دكاكين الوراقين في طول البلاد وعرضها وأصبح للمؤلفين المشهورين وراقون يختصون بهم ، وأصبحت دكاكينهم أماكن ثقافية يرتادها الأدباء وتعتد فيها المناظرات وتدور فيها المناقشات بحيث يمكن تشبيهها بيسر بالصالونات الأدبية التي انتشرت في أوروبا وخاصة فرنسا إبان القرن الثامن عشر .

والحقيقة أننا نجد ذكر الوراقين منذ عهد الرشيد أي منذ استعمال الورق في الدواوين والرسائل والكتب لأول مرة ، يدل على ذلك القصة التي يوردها ياقوت الحموي^(١٣٥) في معجمه حيث يقول : وحدث أبو مسحل عبد الوهاب قال كان اسماعيل بن صبيح الكاتب قد أقدم أبا عبيدة من البصرة في أيام الرشيد إلى بغداد ، وأحضر الأثرم وهو يومئذ وراق وجعله في دار من دوره وأعلق عليه الباب ودفع إليه كتب أبي عبيدة وأمره بنسخها فكتب أنا وجماعة من أصحابنا نصير إلى الأثرم فيدفع إلينا الكتاب والورق الأبيض من عنده ويسألنا نسخه وتعجيله . ويوافقنا على الوقت الذي نرده إليه ، فكنا نفعل ذلك ، وكان الأثرم يقرأ على أبي عبيدة وكان أبو عبيدة من أضن الناس بكتبه ولو علم ما فعله الأثرم لمنعه من ذلك .

وقد كانت واجبات الوراق كثيرة إذ كان الوراق ينتخب الورق وينسخ الكتاب أو ينسخ تحت إشرافه ويصحح هذا النسخ حتى لا يقع فيه تحريف ويجلده ويبيعه .

(١٣٢) ابن خلدون : المقامة ص ٤٢١ .

(١٣٣) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الإسلامية العربية على العالم ص ٢٨٠ .

(١٣٤) د. محمد ماهر حمادة : المكتبات في الإسلام ص ٧٥ .

(١٣٥) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج ١٥ ص ٧٧ ، ٧٨ .

وارتبطت صناعة الورق بمهمة نسخ الكتاب ، والنساخون هم الوراثون الذين ينسخون المخطوطات ويسوقونها . وكان على الوراق أن يختار نوع الورق ويقوم بنسخ الكتاب أو يشرف على نسخه ، وقد ظهرت طائفة من الكتاب الذين يحررون النسخ للوراقين أو لأصحاب المكتبات العامة أو الخاصة نظير أجز . أى أن النسخ كان مهنة بعض المتعلمين يكتسبون منها . وكانت هناك صورتان للنسخ صورة فردية بان ينسخ الناسخ الكتاب بنفسه ، وصورة جماعية بأن يجلس عدد من النساخ بعدد النسخ المطلوبة ، ثم يملأ عليهم من النص المطلوب نسخه وهم يكتبون . وبعد الفراغ من نسخ المخطوط لابد من مقابلته بالأصل .

ومن الشروط الأساسية للصناعة أن يكون الناسخ دقيقا في عمله وأميناً ، صحيح أن الناسخ المحترف قد يقصر في عمله (ولكن قل أن نجد ناسخاً كان يتعمد الأخطاء قصد تغيير نص أو تحريفه) على حد تعبير روزنتال (١٣٦) .

ولعل ما يوضح لنا هذا التثبيت الشديد بالدقة والأمانة ما نراه لدى بعض النساخ الذين كانوا يضطرون أحيانا إلى الإسراع في نسخ المخطوطة التي كتبوها فنجدهم ينبهون القارئ بقولهم : (اننى لم أراجع قراءة المنسوخ لإصلاح الأخطاء التي ربما وقعت في هذا الكتاب ولست متيقنا من أن النسخة هذه خالية من الأخطاء وذلك لأننى كنت مسرعا جدا) (١٣٧) . وكانوا يشترطون أيضا مقابلة ما ينسخونه بأصل صحيح موثوق به ، لأن المقابلة متعينة للكتاب الذي يراد النفع به . قال الامام الشافعى ويحيى بن أبى كبير : (من كتب ولم يعارض — أى لم يقابل — كمن دخل الخلاء ولم يستنج) .

وهناك ناحية هامة وهى معرفة المسلمين للنشر المتخصص ، أى أن بعض النوراثين كانوا يتخصصون في نشر لون معين من المعرفة كالفلسفة أو الأدب أو الشعر أو يتخصصون في نشر أعمال مؤلف بعينه فمثلا يحدثنا ابن النديم عن (وراقى المبرد) ويحدثنا في مكان آخر عن (تلاميذ الكندى ووراقيه) (١٣٨) .

وكانت تجارة الكتب تجارة رائجة ومنظمة ، لها أسواقها المعروفة وتعتد

(١٣٦) فرانز ، روزنتال . (مفاهيم العلماء المسلمين في البحث العلمى) ، ترجمه أنيس فويجه .

(بيروت - لبنان ١٩٦١ م) ، ص ٦٢ .

(١٣٧) المرجع نفسه ، ص ٦٢ .

(١٣٨) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٠ ، ٣٧٩ .

في أسواقها مزادات لبيع الكتب وعرف بعضهم بسمسار الكتب وكان بعض هؤلاء علماء ومؤرخين مثل أبي المعالي سعد بن علي بن القاسم الأنصاري الخزرجي الوراق الحظري المعروف بدلال الكتب (سمسار الكتب) مؤلف كتاب زينة الدهر في التاريخ (١٣٩) (زينة الدهر في لطائف شعراء العصر) .

كذلك زخر العالم الاسلامي بالمكتبات وبهواة جيع الكتب ومحبيها حتى أصبحنا نرى علماء وهواة بلغ عدد كتبهم أرقاما خيالية . ومما ساعد على هذا التطور اختراع الورق الذي يعد من النعم التي أسداها المسلمون الى الحضارة العالمية واستدعى هذا بالتالى ظهور الوراقين وفتحهم الدكاكين الكثيرة وازدهار تجارة الكتب ووجود طائفة هم النساخون الذين أصبحت مهمتهم نسخ المخطوطات واعدادها للبيع (١٤٠) .

فلا عجب ان هم اعتنوا بها وأحلوها أعلى منزلة عندهم . نقول أولغا بينتو في مجلة « الثقافة الاسلامية » : « أن كل ما له علاقة بالكتب تطور بشكل رائع ملحوظ ، فقد نسخت الكتب وزخرفت وجلدت بشكل أنيق جدا ، وقد أحيطت بأعظم ضروب العناية والرعاية ونشرت بين الناس ، وان جميع ذلك كان هدف واهتمامات الثقافة الاسلامية » (١٤١) .

ولقد حوت أكاديمية بيت الحكمة فريقا من المجلدين مهمهم تجليد الكتب وحفظها حتى لا تتأثر بكثرة الاستعمال ، وقد حفظ لنا ابن النديم اسم أحد مجلدى بيت الحكمة هذه فيذكر « ابن أبي الحريش وكان يجلد في خزانة الحكمة للمأمون » (١٤٢) .

وبذلك ساهم بيت الحكمة في ترجمة كتب في علوم مختلفة وبلغات متعددة الى العربية . وكان المترجم يملئ كتابه المترجم على عدد من النساخ حتى تتعدد نسخ الكتاب الواحد وتجلد هذه الكتب وتودع نسخ منها في بيت الحكمة (١٤٣) حتى تتاح الفرصة للقراء للاطلاع عليها والاستفادة منها .

(١٣٩) أحمد بن مصطفى الشهير بطلس كبرى زاده : (مفتاح السعادة ومصباح السيادة في

موضوعات العلوم) . تحقيق كامل بكري وزميله (دار الكتب الحديثية - مصر) ج ١ ص ٢٦٣ .

(١٤٠) محمد مامر حمادة : (الكتاب العربي مخطوطا ومطبوعا تاريخه وتطوره حتى مطلع

القرن العشرين) (دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٤ م الرياض - السعودية) ص ١٠١ .

(١٤١) بينتو ، أولغا : (المكتبات العربية في العصر العباسي) في « الثقافة الاسلامية » ، المجلد

الثالث ١٩٢٩ م (ص ٢١٢) .

(١٤٢) ابن النديم : الفهرست ص ١٤ .

(١٤٣) المصدر نفسه ص ١٠ .

وكان بيت الحكمة عبارة عن مجلس للترجمة والنسخ والتأليف فيجلس النساخ في أماكن خاصة بهم ينسخون لأنفسهم أو بأجور . وكذلك المؤلفون والمطالعون . ومن نساخ بيت الحكمة علان الشعوبى أصله فارسي وكان راوية عارفاً بالأنساب والمنافرات وكان ينسخ في بيت الحكمة للرشييد والمأمون والبرامكة وله كتاب في مثالب العرب هتك فيه العرب وأظهر مثالبها^(١٤٤) . وقيل أنه أهداه لطاهر بن الحسين قائد المأمون فأنعم عليه بثلاثين ألف درهم تنشيطاً وتشجيعاً له . وكان إعلان الشعوبى هذا حجة بالرغم من ذلك فإن له كتباً عديدة في المثالب فله كتب أيضاً عن فضائل بعض القبائل كتاب فضائل كنانة وفضائل ربيعة ، ولكن نشاطه العلمى اتجه على وجه التخصيص الى ذكر مثالب العرب . ولقد ضاعت هذه الكتب ولكننا نجد بعض القطع منها هنا وهناك في الكتب التاريخية والأدبية^(١٤٥) .

ولم يلبث أن صار التجليد مع الأيام صناعة رابحة وفنا أصيلاً يشيع التذهيب والتزويق وتفنن^(١٤٦) بعضهم في تجليد الكتب وزخرفتها والعناية بخطها وأيضاً تحلى بالذهب ، ويتنافس رواة الكتب فيما كتبه الخطاطون كابن مقلة وابن البواب . وكانت المكتبات على وجه العموم تزود بالحبر والورق ، وبعض الأغنياء يتبرع بذلك حسبة لوجه الله .

أما المناولون فكان عملهم أن يرشدوا القراء الى مواضع الكتب على الرفوف ، أو ينقلونها من أماكنها الى حيث يطلبونها ، وكانوا يعملون في دور الكتب الصامة والخاصة ويحفظ لنا التاريخ أسماء طائفة من دور الكتب العظيمة التى لها في نشر الثقافة وخدمة العلم فضل مذكور ومقام كبيت الحكمة في بغداد ودار الحكمة في القاهرة ودار الكتب في قرطبة^(١٤٧) .

ويمكننا القول أن هذه المؤسسة المسماة باسم بيت الحكمة قد أصبحت زمن المأمون أكاديمية بالمعنى العلمى الدقيق للكلمة تحوى أماكن للدرس وأماكن لآزن الكتب وأماكن للنقل وأماكن للتأليف الى جانب الرصد الفلكى والنشاط الفلكى الذى مارسه .

(١٤٤) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ج ٢ ص ٢٢٦ .

(١٤٥) أبو الفرج الاصفهاني : (الأغاني) . (طبعة دار الكتب المصرية والسيسى ١٢٨٥ هـ)

ج ١٢ ص ١٥٦ .

(١٤٦) أحمد أمين : ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٢٢٣ .

(١٤٧) زكريا هاتيم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية على العالم ص ٢٨١ .

ثانيا - المشرّفون على بيت الحكمة :

وكان لبيت الحكمة قيم يدير شئونه يسمى صاحب بيت الحكمة ، وأشهر مديريها سهل بن هارون وهو فارسي شعوبي شديد التعصب على العرب وله في ذلك كتب كثيرة ، وقد انتقل هذا الى البصرة ثم الى بغداد وكان شاعرا حكيما غزلييا وله رسائل في البخل ، كما كان يتولى الهيمنة على ادارة بيت الحكمة الخاصة بالدولة المأمونية في بغداد ، وكان يتولى تنظيم خزائن المأمون . وسعيد بن هارون الكاتب شريك سهل بن هارون في بيت الحكمة وكان بليغا فصيحاً ويحكي عنه الجاحظ ولله من الكتب كتاب الحكمة ومنافعها وله رسائل مجبوعة . وكان سلم صاحب بيت الحكمة مع سهل بن هارون وله نقول من الفارسي الى العربي^(١٢٨) .

أما رئاسة بيت الحكمة فكانت لسهل بن هارون حيث كان المأمون ميلا الى جمع الكتب من مختلف الثقافات ، وقد استطاع ان ينقل - من جزيرة قبرص - كثيرا من الكتب اليونانية التي زخر بها بيت الحكمة ، كما حفلت بها مكتبته الخاصة^(١٢٩) .

ولما كان مثل هذا العمل في حاجة الى جهابذة العلماء والادباء والمترجمين فقد حشد له القوى وجعل عليه سهل بن هارون^(١٣٠) ، ومن ثم فقد عاش هذا الكاتب في هذا الجو العلمي الخالص الذي جعل منه عالما ضليعا . وكادبا بليغا ، ومؤلفا بارعا ، أطراه الجاحظ وأشاد بعبقريته العلمية ومواهبه الادبية .

وقد رأى المرحوم محمد كرد علي^(١٣١) : « ان سهل بن هارون تولى خزانة المأمون الخاصة وتولى خزانة الحكمة له أي أن له منصبين وكلا العاملين عظيم في بابيه ولكنهما من نمط واحد وفي ذلك ما يشير الى ان المأمون لم يكن يضمن عليه من قصره ولا يقنعه منه انصرافه الى المصالح العامة فقط » .

وكان أبو عثمان الجاحظ يفضل سهل بن هارون ويصف براعته وفصاحته

(١٢٨) ابن النديم : الفهرست ص ١٧٤ .

(١٢٩) ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد : (المقادير) تحقيق أحمد أمين وأحمد الريس

إبراهيم الأبياري . ط ٢ (لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٨ م) ج ٣ ص ٢٧٤ .

(١٣٠) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٦٦ .

(١٣١) محمد كرد علي : (أمراء البيان) . (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة

١٩٥٠ م) ص ١٥٢ .

ويحكى عنه في كتبه ويصف ابن النديم أنه كان بخيلا وعمل رسائل في البخل وعمل الحسن بن سهل رسالة يمدح فيه ويرغبه فيه ويستسمحه في خلال ذلك فأجابه الحسن على ظهر رسالته : وصلت رسالتك ووقفنا على نصيحتك وقد جعلنا المكافأة عنها القبول منك والتصديق لك والسلام^(١٥٢) ولم يصله عنها بشيء . أما سلم^(١٥٣) فقد كان أحد الأفراد الذين أرسلوا الى بلاد الروم للحصول على المخطوطات ويبدو أنه قد عهد اليه برئاسة قسم الكتب الفارسية ، وفي نفس الوقت الإشراف على النقل من الفارسية الى العربية وكلا العاملين مهم في ذاته .

والفضل بن نوبخت هو أبو سهل الفضل بن نوبخت^(١٥٤) فارسي الأصل ، وقد ذكر نسب آل نوبخت في كتاب المتكلمين ولهذا الرجل نقل من الفارسية الى العربية ومعوله في علمه على كتب الفرس . وكان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد . عهد اليه الرشيد بالقيام بشئون خزانة كتب الحكمة ويذكر القفطي عن الفضل بن نوبخت أبي سهل « أنه مذكور مشهور من أئمة المتكلمين . . . وكان في زمن هارون الرشيد وولاه القيام بخزانة الحكمة ، وكان ينقل من الفارسية الى العربية ما يجد من كتب الحكمة الفارسية »^(١٥٥) .

وكذلك عهد الرشيد بتعريب الكتب التي وجدها في أنقرة وعمورية الى يوحنا ابن ماسويه وكان شيخ النقلة في عصره ووضعها امينا على الترجمة^(١٥٦) . وفي رأى محمد عاطف البرقوقي انه هو الذي نصح هارون الرشيد بانشاء دار كبيرة للكتب وهي تلك الدار التي اتسعت واشتهرت فيما بعد واصبحت تدعى دار الحكمة^(١٥٧) .

يبدو لنا ان خزانة بيت الحكمة كانت مقسمة الى أقسام كبرى بحسب اللغات فهذا قسم الكتب الفارسية وهذا قسم الكتب اليونانية وهذا قسم الكتب السريانية . . . الخ . وكل قسم تحت رئاسة شخص مشرف عليه ومسؤول عنه ،

(١٥٢) ابن النديم : الفهرست ص ١٤٧ .

(١٥٣) المصدر نفسه ص ١٧٤ ، ٣٨٢ .

(١٥٤) أبو الفتح التوافسي . (من أعلام العرب) . (دار الكاتب المصري - القاهرة

١٩٧٣ م) ص ٢٢ .

(١٥٥) ابن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٢٥٥ .

(١٥٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٢٤ .

(١٥٧) محمد عاطف البرقوقي : الخوارزمي العالم الفلكي الرياضي ص ٧٩ .

والجميع يعودون في أمورهم الى شخص أعلى مسؤول عنهم وهم مسؤولون أمامه .
هذا في رأينا يفسر ورود أسماء عدد من الأشخاص يوصفون بأنهم أصحاب بيت
الحكمة . من أمثال محمد بن موسى الخوارزمي العالم الرياضي الفلكي الذي ظهر في
عصر المأمون وكانت له مكانة سامية لديه ، فأخطاه بالرعاية ووكّل اليه شئون
« دار الحكمة » (١٥٨) .

(١٥٨) مصطلح الشهابي : (الجغرافيون العرب) * (دار المعارف بمصر - القاهرة - سلسلة
انرا - عدد ٢٣٠ - فبراير ١٩٦٢ م) ص ٤٠ .

ثالثا - رواتب العاملين في بيت الحكمة :

وكان يلحق ببيت الحكمة علماء لهم رواتب محددة وتنوعت اختصاصاتهم ، ومن بين هؤلاء علماء فلكيون ذلك لان المأمون الحق ببيت الحكمة مرصدا لاصلاح آلات الرصد ، وكانت أعماله بالضرورة من بيت الحكمة ، بل كان بعضهم من خارجيه . وصاحب بيت الحكمة يشرف على العاملين فيها وعليه ان يرتب الكتب ويعيد فهرسها ويصنفها . وقد قيل ان يحيى بن أبى منصور الموصلى المنجم المعروف هو أحد اصحاب الارصاد فى القصر المأمونى كما كان جد احمد الطيبى المعروف بالصنوبر الطيبى وأولاد موسى بن شاكر^(١٥٩) (محمد وأحمد والحسن) وغيرهم من رجال بيت الحكمة فى العصر المأمونى أو ممن كان يتردد على هذه الدار للعمل فيها بصفة رسمية أو للمطالعة والنسخ أو الترجمة والتأليف .

ولا ندرى كم كان ينفق المأمون على مكتبته هذه شهريا أو سنويا ولا بد أنه مبلغ ضخم جدا بالنسبة للعمل الذى قامت به تلك المكتبة وبالنسبة للمهمة التى أخذت تنفيذها على عاتقها ، وكذلك بالنسبة للأشخاص الذين كانوا يعملون فيها ، ذلك ان أغلبهم بحائى وعلماء من الطراز الأول ونعتقد ان رواتبهم كانت أعلى رواتب يمكن ان يتقاضاها أمثالهم .

ونستطيع بشئ من الموازنة ان نصل الى رقم تقريبي لرواتب الموظفين فيها ، ذلك ان ابن أبى اسيبة يذكر نقلا عن السجستانى أن بنى شاكر وهم محمد وأحمد والحسن كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحاق وحبيش بن الحسن وثابت بن قرة^(١٦٠) وغيرهم فى الشهر خمسمائة دينار للفنل والملازمة^(١٦١) . وأما محمد ابن عبد الملك الزيات الذى كان وزيرا أيام الواثق ، فقد كان يقارب عطاؤه للفنلة والفساخ فى كل شهر الفى دينار^(١٦٢) . وقد ذكرنا سابقا عطاء المأمون لحنين بن

(١٥٩) أولاد شاكر : محمد وأحمد والحسن من رعاة العلم والأثرياء ومن عنى بإخراج الكتب من بلاد الروم ، ومن انشبط العناصر التى كانت فى بيت الحكمة . (د . الشحات السيد زغلول : (الفريان والحضارة الاسلاميه) . (دار الكاتب المصرى فرع الاسكندرية ١٩٧٣ م) ص ١٩٢ .

(١٦٠) نابت بن مره ولد سنة ٢٢١ هـ وتوفى ٢٨٨ هـ عمل فى مجلة منجمى المتفرد ، وكان ذا منزلة عالية عنده ، وله دور كبير فى حركة الترجمة ، وهو الذى أدخل رئاسة الصابئة الى ارض العراق (ابن جليل ، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسى المعروف بابن جليل) . (طبقات الأطباء وحكاماء) .

تحقيق مؤاد السيد (مطبعة المهد العلمى الفرنسى للأثار الشرقية - القاهرة ١٩٥٥ م) ص ٧٥ .

(١٦١) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٤٣ .

(١٦٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٧٦ .

اسحاق عما كان ينقله من اليونانية الى العربية ، وكيف ان ذلك العطاء كان زنة ما ينقله مثلاً بمقل (١٦٣) . فاذا كان الأمر كذلك واذا كانت رواتب الموظفين الذين ينسخون ويفتلون لدى وزير من وزراء الدولة يبلغ الفى دينار فى الشهر ، فكم يجب أن تكون رواتب موظفى ومستخدمى بيت الحكمة ؟ . اعتقد أن الجواب هو لا أقل من عشرين ألف دينار فى الشهر وربما أكثر من ذلك باستثناء النفقات الأخرى كثمن الحبر والورق وأجور التجليد وثمن الكتب الجاهزة وأثاث المكتبة وغيرها .

ووجه الواثق عناية كبيرة للمترجمين الذين نقلوا الذخائر الأجنبية لللسان العربى ، وكان ابن ماسويه يده اليمنى فى ذلك ، فأعد الواثق نعماً متوالية ، وخيراً وغيره ، وفى إحدى المرات أعطاه دراهم تساوى ثلاثمائة ألف روبية (١٦٤) .

ويورد لنا المقرئزى (١٦٥) قائمة بالنفقات السنوية لمكتبة دار الحكمة مفصلة تفصيلاً واضحاً ولكنها أقل سعة وسخاء وفيما يلى نصها :

٩٠ ديناراً	ورق النسخ (ربما كان ذلك يشمل مرتبه أيضاً)
٤٨ ديناراً	مرتب الخازن
١٥ ديناراً	مرتب الفرائش
١٢ ديناراً	لتجليد الكتب (ربما شمل أجره المجلد)
١٢ ديناراً	ورق وحبر وأقلام للمطالعين
١٠ دنائير	ثمن الحصر العبدانى
١٠ دنائير	ثمن الماء
٥ دنائير	ثمن لبود للفرش فى الشتاء
٤ دنائير	ثمن طنائس فى الشتاء
١ دينار	مرمة الستارة

وكانت المرتبات لموظفى المدرسة المستنصرية محددة على الوضع التالى :

لخازن الكتب فى كل يوم عشرة أرطال خبزاً ، وأربعة لحماً ، وفى كل شهر عشرة دنائير ، وللمشرف فى كل يوم خمسة أرطال خبزاً ، ورطلان لحماً ، وفى كل شهر ثلاثة

(١٦٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الاطباء ج ١ ص ١٨٧ .

(١٦٤) .

Khuda Bukhshi, Contribution to the History of Islamic Civilization,
Calcutta 1905, p. 269.

(١٦٥) المقرئزى : الخطط والآثار ج ١ ص ٤٥٩ .

دنانير ، وللمنازل في كل يوم أربعة أرطال خبزا وغرف طيبخا في كل شهر ديناران(١٦٦) .

ومن مكتبات بغداد(١٦٧) الشهيرة المكتبة التي ألحقت بالمدرسة المستنصرية وهي ذات قاعات واسعة للمطالعة مجهزة بمايساعد على القراءة من مقاعد وصهاريج لتبريد مياه الشرب وساعة حائط لمعرفة الوقت والتنبيه الى اوقات الصلاة .

هذا الى أن كثيرا من الأغنياء والوزراء كانت لهم مكتبات خاصة فهاهن العبيد وزير عضد الدولة كان له مكتبة فلما نكب حمد الله كثيرا على أن بقيت له مكتبته لأنها أهم شيء عنده(١٦٨) .

وكان على بن المنجم ممن جالس الخلفاء ، وكان له خزانة كتب عظيمة في ضيعته وسماها خزانة الحكمة ، وكان يقصدها الناس من كل بلد ، فيقتهون فيها ويتعلمون ، والكتب بمذولة والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة في ذلك من مال على بن المنجم(١٦٩) . وهو الذي أعد مكتبة الفتح بن خاقان وأشرف عليها ، وكان من خاصة ندماء المتوكل ، وخصص أيضا بمن جاء بعده من الخلفاء الى أيام المعتمد ، وكان راوية للأشعار والأخبار ، شاعرا محسنا وله صنعة مقدما عند الخلفاء(١٧٠) .

على أن أكثر هؤلاء الخلفاء المثقفين الذين شجعوا ورعوا حق الرعاية مؤسسة بيت الحكمة ولم يبخلوا بالجهد ولا بالمال ولا بكل شيء في سبيل دفع عجلة التقدم الى الامام من أمثال الرشيد والمأمون والواثق ومن بعدهم . هذا الى جانب جهود عضد لا يحصى من الأمراء والوزراء والحكام المطبين والأفراد المتميزين السابق ذكرهم . ولا ننسى استقرار المجتمع الاسلامي وتدفق الثروة عليه مما جعله يؤسس المؤسسات العلمية العظيمة أمثال بيت الحكمة كما نجد عددا من العلماء والفضلاء والوجهاء والرؤساء انقطعوا للعمل في هذه الأكاديمية مثل أبناء ثاكر والخوارزمي وعلان الشعوبى وسلم وسهل بن هارون وسعيد بن هارون وغيرهم .

(١٦٦) عواد كوركيس : (خزائن الكتب القديمة في العراق) . (مطبعة المعارف - بغداد - العراق ١٩٤٨ م) ص ١٦٥ .

(١٦٧) أنور الرفاعي : الاسلام في نظمه وحضارته . ص ٥٤٥ .

(١٦٨) أحمد أمين : (ظهروا الاسلام) . (ط ٣ - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٣٦ م)

ج ٢ ص ٢٢٠ .

(١٦٩) المرجع نفسه ص ٢٢١ .

(١٧٠) ابن النديم : الفهرست ص ٢٠٥ .

الفصل الرابع : أثر بيت الحكمة في حياة المجتمع العباسي



- ١ - تشجيع الحركة العلمية في بيت الحكمة •
- ٢ - التغيرات التي طرأت داخل بيت الحكمة في التصنيف والترجمة •
- ٣ - نشر روح اليقظة الاسلامية في المجتمع العباسي •
- ٤ - انقاذ التراث بادخال نظام المكتبات على العالم الاسلامي لحفظ التراث من الضياع •

اولا - تشجيع الحركة العلمية في بيت الحكمة :

أدى التمازج الحضارى والثقافى بين مختلف الأقطام والعروق والأجناس والثقافات الى بروز الحضارة الاسلامية ذات الشخصية الواضحة المميزة التى اشترك فى انتاجها عدد كبير من العروق والأجناس ، وذوى الحضارات المختلفة والديانات المختلفة ، وفيه بلغت هذه الحضارة درجة كمالها وبلوغها الأوج . وقد تطورت فيه جميع المعارف الانسانية وانتشرت فى أرجاء العالم الاسلامى من حدود الصين والهند شرقا الى الأندلس وحدود فرنسا وإيطاليا وسويسرا غربا . ثم لم تلبث هذه ان انتقلت الى أوروبا وساهمت الى حد كبير ، فى انهائها وإيقاظها من سباتها ، وفى جعلها تأخذ من الحضارة بنصيب موفى (١٧١) .

وقد بلغ العصر الذهبى نروته فى عهد هارون الرشيد وابنه المأمون ، حيث استكمل المجتمع الاسلامى تطوره بعالميته الجامعة ، وموارده الاقتصادية الهائلة ، وحياته الثقافية الرفيعة ، يفخيزها تقابل الفكر والثقافة العربيين مع الحضارات الاغريقية والهندية والفارسية ، بينما ينحصر دور الجزيرة فى توجيه الثقافة العربية (١٧٢) .

ونريد بالحضارة (١٧٣) ما تبلغ اليه الدولة من الثروة وبسطة العيش والتوسع فى أسباب الترف والرغد فى أرقى درجات عمرانها . والدولة الاسلامية أدركت تلك الدرجات أولا فى العصر العباسى ببغداد فى أواسط القرن الثانى للهجرة (الثامن الميلادى) الى أواسط القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) .

فبلغت بغداد (١٧٤) ذروة الرخاء فى عصر هارون الرشيد (١٧٠ هـ / ١٩٣ هـ - ٧٨٦ م / ٨٠٩ م) وابنه المأمون (١٩٨ هـ / ٢١٨ هـ - ٨١٣ م / ٨٣٣ م) وصارت أهم مدن الشرق وذاع صيت الرشيد فى الأفاق ، فأرسلت بلاد التتر والهند والصين

(١٧١) د. محمد ماهر حاده : (الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسى الاول) ، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ص ٥ .

(١٧٢) جون بادوا وآخرون : (عبقرية الحضارة العربية ينبوع النهضة) (مركز البحوث والدراسات بابلو ظلى ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) ص ٣٨ ، ٣٩ .

(١٧٣) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ج ٥ ص ٦١٦ .

(١٧٤) جوستاف لوبون : (حضارة العرب) ترجمة أكرم زعتر (دار احباء الكتب العربية ط ٣

- القاهرة - ١٩٥٦ م) ص ١٧١ ، ١٧٢ .

رسلا الى بلاطه وارسل عاهل المغرب الحقيقى وصاحب الحول والنشوكه والامبراطور شرلمان ، الذى كان يملك ما بين المحيط الاطلنطى ونهر الالب ، وهو الذى لم يملك غير اناس سوى الهمج وفندا ليبلغ الرشيد ، اطيب تحياته ويلتمس منه الحماية لحجيج القدس فاجابه الرشيد الى سؤله .

وبلغت الدولة العباسية (١٧٥) اوج العظمة والاستقرار فى العصر العباسى الاول ، بسبب توالى كثير من الخلفاء الاقوياء على حكم الدولة ، فانتشر الأمن والاستقرار فى أرجاء الامبراطورية العباسية . مما دفع معظم خلفاء هذا العصر الى طبع عصرهم بطابع العظمة والفخامة والترف . وكانت البيئة الثقافية (١٧٦) من اقوى العوامل فى النهضة العباسية اذ أخذ الخلفاء يشجعون الحركة العلمية فى نواحيها المتعددة ويمدونهم بمالهم وجاههم ، وقد بالغوا فى اكرام الأدباء فجالسهم وولاهم احيانا المناصب العالية ثم حسدوا الأمراء والوزراء حسد الخلفاء فى اكبر مدن الدولة ، فكانوا يتنافسون فى ذلك كما يتنافسون فى فتح دور العلم ، وأظهر الجيل الجديد ميلا شديدا الى الحياة العلمية وتشجيعها . لا عجب فى ذلك فمقد رأينا ما كان هنالك من نماذج مدنيات واختلاف حضارات ووعى عام أرهفه ما ناله القوم من ثقافات الشعوب المتمدنية .

(١٧٥) د. موفيق سلطان البيزبكي : (الوزارة نشأتها وتطورها فى الدولة العباسية) . (مطبعة

الرسالة - بغداد ١٩٧٠ م) ص ٦٨ .

(١٧٦) د. طه الحجرى (الجاحظ حياته وآثاره) . (دار المعارف ببحر - القاهرة ١٩٦٨ م)

ص ٣٤٦ .

ثانيا - التغييرات التى طرأت داخل بيت الحكمة فى التصنيف والترجمة :

ان الثورة العباسية التى جاءت بهذه التغييرات الجذرية كانت قبل كل شئ نصرا للإسلام والداعين الى الإصلاح الدينى ومن هنا نشأت العلوم الاسلامية فى هذه الفترة جنبا الى جنب مع العلوم الأجنبية ، فالعلماء العباسيون هم الذين وضعوا معظم المصادر الأساسية والمؤلفات الممتازة فى الدراسات القرآنية والفقه وعلم الكلام وقواعد اللغة والمعاجم والبلاغة ، والأدب من جهة أخرى . ومن الظواهر التى تستحق التسجيل فى هذا العصر وهو العصر العباسى الأول وعصر ظهور بيت الحكمة هو تدوين التراث العربى كله شعره ونثره ، فكان هذا العمل الجليل من أهم منجزات بيت الحكمة فى تاريخ الفكر العربى^(١٧٧) .

وفى الحق لا نريد أن نمر بهذه الظاهرة مرورا عابرا فهى من أهم آثار بيت الحكمة التى نحن بصدددها ، انما ينبغى أن نقف عندها ونسأل عن الدوافع التى أدت الى مثل هذا الحادث الفكرى ثم نتحدث عن تفاصيله مشيرين الى نتائجه ، فالطامعات الجديدة التى دخلت فى الاسلام واستعريت والملايين المتعطشة الى المعرفة لم يكن من المعقول أن تقنع بالتراث الذى يحتكر روايته شفاها جماعه من الحفاظ انما كانوا فى حاجة الى أن يجدوا بين أيديهم التراث كله مجموعا ليكون غذاء لروحهم ووقودا لنهضتهم ، كما أن النظرة العلمية الجادة التى جاءت نتيجة للاحتكاك بالفكر الهلنى بوجه خاص نتيجة لاسلام الموالى واستقرارهم .

ولم يكن من المعقول أن ننظر نظرة الاعتبار الى التراث المروى مشافهة لما كانت الحاجة ماسة الى متون بين يديها تقفلها درسا وبحثا . وثمة اعتبار آخر ينبع من المفكرين العرب انفسهم الغيورين على تراثهم الفكرى هو خوفهم الى أن تمتد الى هذا التراث غير المكتوب يد الوضع والانتحال والتزييف بسبب الاعتبارات التى استجدت على الحياة العربية فى القرن الثانى الهجرى ، كالشعوبيين الذين كانوا ينقلون من الثقافة العربية ويزدرون بكل ما هو عربى^(١٧٨) .

وكان العربى فى حاجة الى مواجهة هذه الحركة وبعث أمجاد العرب القديمة والتاريخ الماضى العربى ، كما أن الفرق الدينية والتيارات السياسية المتضاربة

(١٧٧) د. حسن أحمد محمود وزميله : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٢٦١ .

(١٧٨) د. حسن أحمد محمود وآخرون ، العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

كانت تمتد الى التراث العربى لتلتمس منه ما يؤيد وجهة نظرها ، وتكسب نشاطها طابعاً مشروعاً . وهذا ما جعل الخلفاء العباسيين يهتمون بالمؤسسات العلمية والثقافية كبيت الحكمة حيث عينوا له جلة العلماء ، للترجمة والتصنيف والنسخ والتجليد والاشراف ورتبوا لهم المرتبات والأجور السخية لكى يخدموا النهضة العلمية وليقوموا على وجه الخصوص بأعمال الترجمة ومن هؤلاء يوحنا بن ماسويه وجبريل بن بختيشوع وحنين بن اسحاق وغيرهم .

ثالثاً - نشر روح اليقظة الإسلامية في المجتمع العباسي :

لو نظرنا لتمازج الثقافات الذي حدث في بغداد وفي بيت الحكمة ومن يعمل بها لوجدنا أنه لما عبرت بغداد^(١٧٩) توافد الناس اليها من كل حذب وصوب فريق يطلب الكسب وفريق تستهويه الحياة العلمية والفكرية وفريق يطلب حياة الترف ، فإذا ببغداد معترك تشارك فيه الى جانب العربى الفارسى والرومى والنبطى والتركى والصينى والهندي والبربرى والزنجى وفيهم المسلم والنصرانى واليهودى والصابئى والسامرى والمجوسى والبوذى وغيرهم .

وهؤلاء بلا شك قد حملوا الى بغداد الوانا من الفكر والثقافة سرعان ما انتفعت بها ببغداد وأثرت فيها . وقد شهد المجتمع البغدادى^(١٨٠) تكتلات اجتماعية قائمة على اساس قسومى منذ العقد الأخير من القرن الثانى الهجرى . وتمثل ذلك أيضا في انقسام عنصرى ومناقشات بين العرب والعجم . ويلمس المقدسى^(١٨١) : وجود ظاهرة التكتل القومى والمذهبى في أسواق ببغداد ، عندما يشير الى وجود المجوسى ضمن العاملين في أسواق ببغداد (العاصمة) بالإضافة الى اهل الذمة . سواء أكانوا من النصارى أو اليهود ، مع وجود أغلبية مسلمة من الحنابلة والشيعة . وما بين أولئك من مشاحنات تنعكس على علاقاتهم مع بعضهم البعض .

وقامت الدولة العباسية^(١٨٢) على رأس موالىها من اهل خراسان والعراق . وكان لهؤلاء الموالى شأن كبير في السياسة والعلم والتعليم . فمن هؤلاء الموالى إعلان الشمعى وسلم وغيرهم ممن قام بدور بارز في تنظيم بيت الحكمة واعلاء شأنها . وساهم اهل الذمة في ببغداد في ازدهار الحركة العلمية في العصر العباسى الاول ونشر المعرفة ، فأسسوا المدارس وقاموا بالتدريس لابناء كبار رجال ببغداد ، وترجموا من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية . ذلك أن الخلفاء العباسيين الأوائل عنوا بترجمة الكتب العلمية ، واستعانوا بأهل الذمة في حركة الترجمة^(١٨٣) .

(١٧٩) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٩ . ٣٠ .

(١٨٠) د . حمدان الكبيسى : (أسواق ببغداد في بداية العصر البويهى) ، (مطبعة وزارة الاعلام

- ببغداد - العراق ١٩٧٩ م) ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

(١٨١) المقدسى : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٢٦ .

(١٨٢) الشيخ محمد الخضرى : (التشريع الاسلامى) ، (المكتبة النجارية الكبرى - مصر -

التساهرة ١٩٧٠ م) ص ١٧٠ .

(١٨٣) د . عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ١٨٢ .

وقدر الخلفاء جهودهم ومنحهم الرواتب الجزيلة ، وكان الخلفاء يرسلون العلماء الموثوق بهم من أهل الذمة الى الدولة البيزنطية لابتغاء طرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب ، ويعهدون الى التراجمة من أهل الذمة بنقل هذه الكتب الى العربية^(١٨٤) .

ومن أشهر من ساهم في حركة الترجمة بنصيب موفور من أهل الذمة حنين ابن اسحاق ، نشأ على حب العلم ، وتلمذ على الطبيب الحافق يوحنا بن ماسويه ، وتوجه الى الدولة البيزنطية ، وأقام بها فترة من الوقت يدرس خلالها اللغة اليونانية ، وعاد الى العراق ودرس اللغة العربية دراسة مستفيضة على الخليل ابن أحمد ، ثم عاد الى بغداد ومكثته معرفته القوية باللغتين اليونانية والعربية من القيام بنشاط كبير في حركة الترجمة^(١٨٥) .

ان بغداد^(١٨٦) لم تكن العاصمة السياسية ومركز الخلافة فحسب بل كانت الى جانب ذلك ملتقى العلماء والتجار ، وزعماء الحركات السياسية والمذهبية . لكن أكبر حزبين كانا بها ، في بداية القرن الرابع الهجري ، هما الحزبان المتشددان في التمسك بمذهبهما وهما الحنابلة والشيعة . وليس هذا غريبا في المجتمع العباسي^(١٨٧) الذي تمثل الاسلام وعرف قسدر العلم ومكانته ، فهياً له وسائله وأخذ بأيدي أهله الى أعلى الدرجات ، وليس عجبا ان يسارع المسلمون الى المكتبات ، وحوانيت الوراقين ، ومؤسسات التعليم ما دام الاسلام قد فتح أبواب العلم امام المسلمين جميعا ، وحث على التعليم ، وجعل العلم أساسا في رفع الدرجات وان كان كل ذلك لما يدهش له الباحثون من غير المسلمين ، لأنهم لم يفتقوا في التاريخ على امة أمدت الحضارة الانسانية بالتراث الفكري كأمة الاسلام .

وكانت الدولة العباسية في أولى مراحلها وأيامها تحتاج الى توطيد أركانها واستكمال بنيانها مثلها في ذلك كمثل كل دولة حديثة ناشئة ، ولقد كانت عناصر الحياة الاجتماعية في بغداد ثراء عريضا ينصب في أيدي الخلفاء من منابع عديدة

Hitti, P. K. : The History of Arabs, London 1949, p. 327. (١٨٤)

(١٨٥) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ١٨٢ .

(١٨٦) آدم منز : (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري) ترجمة د. محمد عبد الهادي

ابو ريده (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط ٢ - القاهرة ١٩٤٧ م) ج ١ ص ٨٧ .

(١٨٧) د. محمد عجاج الخطيب : لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص ٤١ .

وحياة عقلية راقية بلغت مبلغها من النضج واقبلت على بغداد من كل مكان فنا
وغناء وحياة طرية مترفة ، بدأت في الحجاز وانتقلت الى الشام والكوفة ثم جنت ثمارها
بغداد (١٨٨) .

(١٨٨) أحمد عبد الستار الجوارى : (الشعر في بغداد حتى القرن الثالث الهجرى) ١٠ مطبع
وزارة الاعلام - بغداد - العراق ١٩٦٥ م (ص ٣٦ .

رابعاً — انتقال التراث بإبخال نظام المكتبات على المعالم الاسلامى لحفظ التراث من الضياع :

أما الحياة العقلية^(١٨٩) فقد شهد العراق بواكيرها من قبل أن تنشأ بغداد أو تظهر الدولة العباسية الى الوجود . فكانت نشأة المعتزلة في البصرة ، وكانت نهضة الرواية وعلم اللغة في الكوفة . ثم قام الخليل بن أحمد وتلاميذه في البصرة والكوفة فكانت المذاهب النحوية والدراسات اللغوية والأدبية . وعلى الجملة فقد قامت بغداد وربيع الفكر في ابائه والحياة العقلية مزدهرة تؤذن بثمار دائية القطوف . وتلاقت هذه المقومات الاجتماعية في المجتمع البغدادي فطبعته بطابع متميز ، عرفه التاريخ بالمزاج البغدادي ، واشتهر بالظرف وتذوق الحياة ، والاستمتاع باللوانها وضروبها المختلفة ، وكانوا الى جانب استمتاعهم بالحياة وترغفها يقبلون على العلم ويطلبون منه نصيبا حسنا حتى لقد قال فيهم أحد المحدثين « ما رأيت أعقل في طلب الحديث من أهل بغداد »^(١٩٠) .

ومن عوامل التجديد في بغداد غلبة الاعاجم على الحياة الاجتماعية ومسيرورتهم عنصرا أساسيا من عناصر التوجيه الاجتماعى . فانطبع المجتمع العباسى في كثير من نواحي الحياة فيه بطابع غير عربى . وعرف الترف والبذخ واصبح اللهو والشراب والانس أشبه شئء بالضرورة اللازمة للحياة . وكان فوق ذلك من تزلزل بعض النقيم الاجتماعية النى سار عليها المجتمع الاسلامى محتفظا بالتقاليد العربية^(١٩١) .

وحديث من جراء ذلك ايضا ان اعلان القوم على تسرب الحضارة الفارسية الى الحضارة العربية . ودخول الأفكار الغربية والعقائد الأجنبية التى اتضح أن من أغراضها ومراميها زلزلة العقيدة الاسلامية ، ومهاجمة الدين الذى حملة العرب في عقر داره^(١٩٢) . ولعله من المسلم به القول بأن العصر العباسى الأول^(١٩٣) شهد

(١٨٩) أحمد عبد الستار الجوارى : التسمر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجرى . ص ٤٠ ، ٤٥ .

(١٩٠) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ٥٥ .

(١٩١) أحمد عبد الستار الجوارى : التسمر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجرى .

(١٩٢) أحمد الشايب (العامل السياسى في ادب العصر العباسى الاول) ، (مكتبة نهضة مصر ، النجالة - القاهرة - بدون تاريخ) ص ٢٥ .

(١٩٣) د. فاروق عمر : (العباسيون الأوائل) ، (مطبعة الرسالة - بغداد - العراق ١٩٦٣ م)

١ ص ٩١ .

نشاطا كبيرا في الحقول الفكرية والعقلية في المجتمع الاسلامي وما نتسج عنه من ظهور المدارس المختلفة في التفسير والتشريع واللغة والآداب والتاريخ وعلم الكلام وغيرها من العلوم العقلية والنقلية . مما جعل تنظيم المعارف يهدأ الى جانب التدوين الذي فتح امام المجتمع العباسي آفاقا جديدة في المعرفة ، فاطلموا على طائفة من الآثار الأجنبية في العلوم والفلسفة وبخاصة الآثار اليونانية والفارسية والهندية فادى ذلك الى النهضة العلمية التي رعاها الخلفاء والوزراء والأمراء والعلماء والأدباء والشعراء . فقد وصلت بغداد في عهد الرشيد الى قمة مجدها ومنتهى فخارها ثم لما انقضت الخلافة الى المأمون اتم ما بدأه جده المنصور فأقبل على طلب العلم في مواضعه واستخرجه من معانده . فداخل ملوك الروم وسالهم عما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا بما حضرم من كتب أفلاطون وأرسطو وأقليدس وجالينوس وبطليموس وغيرهم^(١٩٤) .

على ان أكثر هؤلاء الخلفاء قربوا اليهم العلماء والأدباء واستوزروهم وزادوا في انشاء المكتبات وجلبوا لها نفائس الكتب ، ولم يضمنوا في سبيلها بمخزون التلاد فقامت المكتبات العلمية بدور فعال في نشر العلم والثقافة بين أبناء الأمم الاسلامية ، وقامت أيضا بحفظ التراث من الضياع ، فلا يقل دورها عن دور المساجد والمدارس في النهضة العلمية لأن الكتب في ذلك الوقت لم تكن ميسرة^(١٩٥) . وكان المهتمسون بالعلم والمعرفة يذهبون الى المكتبات العلمية حيث تتوافر الكتب والمراجع فيقرأون ويطلعون على آراء الأقدمين من العلماء عن طريق كتبهم وآثارهم .

ويحق لنا ان نطلق على المكتبات اسم « المعاهد العلمية » لأن الدور الذي كانت تقوم به لا يقل عن دور المعاهد الرسمية ، وكثيرا ما كانت تمثل هذه المكتبات النوادي الفكرية حيث يجتمع طلاب المعرفة ومحبوها تدور بينهم المناظرات والمناقشات . فالتشجيع العلمي والتزام الدولة بتقديم كل ما يلزم لكل طلاب العلم والمعرفة . ولا شك أن انتشار المكتبات العامة في أرجاء العالم الاسلامي في العصور الوسطى واتباعها هذه الأنظمة وفتح الأبواب لكل قارئ ، وتسخير كل هذه الامكانيات لخدمته دليل بناطق على تقدم العرب الفكري والعلمي ومدعمة للفخر ، ويسجل لهم ولتاريخهم بمدا من نور . فقد اثبتت مؤسسة بيت الحكمة الثقافية أنها ساهمت في انقاذ التراث وادخال نظام المكتبات على العالم الاسلامي لحفظه من الضياع . وهكذا بقيت بغداد مهد الحضارة ، ومقر العلم والنور وعين العالم الاسلامي وقلبه .

(١٩٤) محمد عبد الجواد الأصمى : أبو الفرج الأصفهاني . ص ٢٦٥ .

(١٩٥) د . محمد فاروق النبهان : مبادئ الثقافة الاسلامية . ص ٣٣ .

الباب الثاني



ويشمل الفصول الآتية :

الفصل الاول : تاريخ المدارس الاسلامية وأثر بيت الحكمة فيها *

الفصل الثاني : التدريس والمدرسون في بيت الحكمة *

الفصل الثالث : حركة التأليف في بيت الحكمة *

الفصل الرابع : المباحثة والمناظرة بين العلماء والخلفاء والوزراء في بيت الحكمة *

الفصل الأول : تاريخ المدارس الإسلامية وأثر بيت الحكمة فيها



- ١ - نشأة المدارس الإسلامية قبل إنشاء بيت الحكمة •
- ٢ - المدارس الإسلامية حالتها بعد إنشاء بيت الحكمة •
- ٣ - أثر بيت الحكمة في المدارس الإسلامية •

ان الأمم التى تبغى مجدا عليها أن تخلق فى الأفراد روح الايمان بقابليتهم على الابتداع ، وأن تنشئ فيهم الشعور بالعزة القومية وذلك الاهتمام بماضيها وربطه بحاضرها وتعريف النائثة بجهود أسلافهم ومآثرهم فى ميادين العلوم وما كان لها من أثر فى تقدم الحضارة (١) .

وبغداد كما وصفها المقدسى فى قوله : « بغداد (لأهلها) الخصائص والظرافة ، والقرائح واللطافة هواء رقيق وعلم دقيق كل جيد بها ، وكل حسن فيها ، وكل حائق منها ، وكل قلب اليها . وكل حرب عليها ، وهى أشهر من أن توصف ، وأحسن من أن تنعت ، وأعلى من أن تمدح » (٢) .

بلغت بغداد حاضرة بنى العباس من الرقى درجة لم تبلغها مدينة غيرها فى تلك العصور ، فكانت زهرة المشرق وجنة الدنيا . شيدت فيها القصور حتى سميت مدينة القصور ، وغرست فى أنحائها البساتين والحدائق الغناء ، وامتلات بالميادين الكبيرة ، منها (الميدان المربع) وكان ميدانا فسيحا أمام قصر الخليفة تقام فيه استعراضات الجند والمباريات الرياضية وسباق الخيل ووضعت بطرقاتها المصابيح للأنارة ليلا ، وازدحمت المدينة بالمساجد الكبيرة التى شيدت فى بناء ضخمة على شكل هندسى جميل وازدانت جدرانها بالزخارف البديعة والنقوش الزاهية . وبزت بغداد سائر المدن بما حوته من أسباب المدنية الزاهرة إذ امتلات بالمدارس ، ودور العلم التى كانت تدرس بها سائر العلوم ، وأقيمت بها دور الشفاء والملاجئ . وأتى الناس أفواجا من جميع أنحاء الدولة الى (دار السلام) واتخذوها مقرا لهم ، وبلغ عدد سكانها فى ذلك الحين قرابة مليونين من السكان (٣) وخلاصة القول :

(١) قدرى حافظ طوقان : (تراث العرب للعلم فى الرياضيات والفلك) ، (دار الشرون - بيروت - لبنان ١٩٦٣ م) ص ٢٣ .

(٢) المقدسى : احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ١١٩ .

(٣) د. محمود أحمد الحنفى : (اسساق الموصل) ، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٦٤ م) ص ٥٢ .

كانت بغداد عروس المدائن ومنارة الحواضر . أما الخلفاء العباسيون الأول فكانت لهم أثناء قرن كامل من (١٣٢ هـ / ٢٣٢ هـ) الكلمة العليا التامة على العالم الاسلامى شرقا وغربا ياتر الناس بأمرهم ، وليس لأحد مهما علت منزلته وكبر شأنه أن يرد لهم قولا أو يعصى لهم أمرا . وكانوا فى حياتهم مثال الأبهة والجلال ، وكان الخليفة يجمع بين السلطتين المدنية والدينية ، وهو الرئيس الأعلى فى الأمور السياسية والعسكرية ، ومصدر القوة ومرجعها وقد أخذت الدولة العباسية من مظاهر الأبهة والعظمة ما لم تعرفه الدولة الأموية من قبل^(٤) .

كانت مدينة العصر العباسى ازهى عصور العروبة والاسلام تتجلى فى مناحى مختلفة ومذاهب من الفنون والعلوم متعددة نشهدا فى مجالى الحياة المشرقة بعمران المدن ، وازدهار الحضارة التى تترجم عنها دور الحكمة . وتعتبر عنها المدارس والمعاهد ومجالس العلماء ومناظراتهم فى مساجد بغداد والبصرة والكوفة تلك المدينة التى شمع نورها حتى شملت كافة الأقطار الاسلامية . وترتبط الحياة الثقافية بالعواصم والمدن الكبرى ، ويمكن أن يرد تاريخ الثقافة فى أمة الى تاريخ بعض مدنها ، وهذه المدن مقصد طلاب العلم والمعرفة ، يحجون اليها كما يحجون الى الأماكن المقدسة ، وقد لا يقنعون لجرد الرحلة والزيارة ، بل يستقرون ويقيمون حيث اطمانت نفوسهم فطاب لهم البحث والدرس . والمدن العلمية كانت ولا تزال ملتقى الأجناس والشعوب المختلفة ، وهى تتنافس عادة فيما بينها وتتسابق فى انشاء المعاهد والكلليات وبناء قاعات البحث والمكتبات واقتناء الكتب والمخطوطات واجتذاب العلماء وكبار الباحثين^(٥) .

وبغداد من اكبر عواصم الدنيا فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ورثت ملك كسرى ومعظم بلاد الدولة الرومانية وفتحت أبوابها لثقافات الشرق والغرب فأخذت منها ما أخذت وأضافت اليها ما أضافت وأصبحت اكبر مركز ثقافى فى العالم قامت فيها طوال اربعة قرون أو يزيد دراسات دينية ولغوية وعلمية وفلسفية قد لا يكون لها نظير فى مدينة أخرى^(٦) .

(٤) المرجع نفسه ص ٥٢ .

(٥) د . محمود احمد الحفنى : اسحق الموصلى ص ٨١ ، ٨٢ .

(٦) د . احمد مكرى : (أبحاث النقطة الحولية لتاريخ القاهرة) ، (دار المعارف بمصر - القاهرة

١٩٧٨ م) ١ هـ ص ٥١ ، ٥٣ .

فقد كان العراق في القرن السادس الهجري يموج بحركة ثقافية لا حدود لها شغلت الجميع على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم وأعمارهم ودياناتهم . لقد كانت المدارس والجوامع والمكتبات البغدادية تغص بطلاب العلم وعشاق المعرفة من الأقطار المجاورة والبعيدة على حد سواء ، حتى ليندر أن نجد عالما اشتهر وذاع صيته في العالم الاسلامي يومذاك دون أن تكون بغداد صاحبة الفضل عليه ، ويكفي العراقيين فخرا أن المدرسة النظامية ببغداد كانت المعهد الذي يطمح كل عالم أن يدرس فيه (٧) .

(٧) د. حسين أمين : (تاريخ العراق في العصر السلجوقي) ، (مطبعة الارشاد - بغداد -
العراق ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) ، ص ٢٢٨ .

أولاً - نشأة المدارس الإسلامية قبل إنشاء بيت الحكمة :

ان التربية والتعليم في الاسلام ترمى الى هدف مزدوج وهو سعادة المرء في الدنيا والآخرة . فقد سمحت للفرد بالتنعم في الدنيا والعمل للحياة الآخرة . فقد دعا الاسلام الى الصدق في القول والاخلاص في العمل ، والاستقامة في السلوك والى ضبط النفس والى التعاون والبذل والمفاداة ، كما مجد الحرية والمساواة فعاشت الأمة الاسلامية كريمة مرهوبة الجانب محبة للنظام تعمل اذا دعيت للعمل ، وتبذل الغالى والرخيص اذا أريد منها البذل والمفاداة^(٨) .

وللقرآن الكريم الفضل الأكبر في انتشار التعليم والتهذيب بين العرب والمسلمين ، فقد تناول الأخلاق والمزايا الشريفة ، وحدد علاقة الفرد والعائلة ، ووضع للمرأة حقوقا وواجبات وحض على تعلم العلم ، وصار القرآن العظيم امس التعليم في العالم الاسلامى ، واختلف المسلمون في اقطارهم في طرق تعليم القرآن للولدان باختلافهم . واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم - المسجد للدراسة واستمر المسجد مكانا لتعليم القرآن والحديث والقصاص ينطقون والفتهاء يعلمون الفقه مدة العهد الأموى - وكان هناك حلقات علوم الدين وحلقات لعلوم اللغة العربية^(٩) .

لقد وجه الاسلام جل عنايته واهتمامه بطلب العلم وجعل القرآن الكريم الاشخاص غير المتعلمين في عداد الأموات في حين جعل المتعلمين في مصاف الأحياء وقد اعترف الرسول الكريم بأن حبر العلماء يرتقى الى مصاف دم الشهداء^(١٠) . وقال أيضا ان الطريق الموصل الى معاهد العلم هو الطريق الموصل الى السموات ، وان الله عز وجل حينما يريد أن يكرم شخصا يمنحه نور العلم والمعرفة ، معرفة الدين والاحاطة بأصوله وفروعه^(١١) . ان هذه الأقوال وما يماثلها من اقوال وتعاليم أخرى قد تركت انطبعا عميقا في أذهان جمهرة المسلمين ، ففى فترة وجيزة من التاريخ أنجب الاسلام مشاهير العلماء . ويكفى أن نشير الى أنه

(٨) عمر رضا كحالة : (المرأة في عالم العرب والاسلام) * (المطبعة الهاشمية - دمشق

١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م) ج ٢ ص ١١٢ .

(٩) المرجع نفسه ص ١١٣ .

(١٠) محمد رسنم نيوان : (المكتبات في المصريين العربى والاسلامى في العصر الوسيط) * مجلة

الاسلام والمصور الحديثه ، نفلا عن مجلة المورد ع ٤ ، (بغداد - العراق ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) ،

ترجمه بوسف عبد القادر ، ص ٢٨٤ .

(١١) المرجع نفسه ص ٢٨٤ .

في القرن السادس الميلادي ظهرت المبادئ الإسلامية التي دعا إليها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنذ انبثاقها كان التعليم قرينا لها وكانت أولى الآيات القرآنية تشيّر إلى العلم كما قال تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » (١٢) .

وهناك آيات عديدة تدعو المسلمين إلى طلب العلم وتحثهم على التعلم ، قال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات » (١٣) . كما كانت الآيات القرآنية الكريمة ترفع من قدر العلم وتعلّي شأن العلماء وتمجّد العقل والمعرفة وتخفّض من الجهل وأهله وكثيرا ما تقرّنه بالعمى وتشبّهه بالضلالة والظلمات الحالكة كما قال تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور » (١٤) . « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (١٥) . « لكن المراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ... أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما » (١٦) .

وشدّ اعتبر القرآن الكريم التعليم من وظائف النبي صلى الله عليه وسلم حيث جاء في قوله تعالى : « وقبل رب زدني علما » (١٧) . « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، انك أنت العزيز الحكيم » (١٨) . « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » (١٩) .

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي تدعو للعلم وتمجّد العلماء قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « وان العلماء ورثة الأنبياء ورثوا العلم من أخذه أخذ بحظ وافر » (٢٠) . « ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له

(١٢) سورة العلق ، الآيات من ١ إلى ٥ .

(١٣) سورة المجادلة ، الآية ١١ .

(١٤) سورة فاطر ، الآيات من ١٩ إلى ٢١ .

(١٥) سورة الزمر ، الآية ٩ .

(١٦) سورة النساء ، الآية ١٦٢ .

(١٧) سورة طه ، الآية ١١٤ .

(١٨) سورة البقرة ، الآية ١٢٩ .

(١٩) سورة النحل ، الآية ٤٢ .

(٢٠) الامام للحافظ أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخساري الجعفي أمير المؤمنين في الحديث : (صحيح البخاري) . (عالم الكتب - بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) ج ١ ص ٤٥ .

طريقا الى الجنة» (٢١) . « ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » (٢٢) . « ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع » (٢٣) . « اطلبوا العلم ولو بالصين » (٢٤) . « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بماء الشهداء » (٢٥) . « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (٢٦) . « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » (٢٧) . « غدوة في طلب العلم ، أحب الى الله من مئة غزوة » (٢٨) .

وقال سيدنا على رضي الله عنه (٢٩) :

وما الفخر الا لأهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففر بعلم تعش حيا له ابدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

وما من شك أن التعليم من مستلزمات تطور وازدهار المجتمع الانساني وهو من أبسط مظاهره ، ليس سوى تكييف الفرد مع ضروريات الحياة ولوازمها في بنيته ، وإذا كان الاسلام هو النظام الموجه للحياة عند المسلمين بكل مظاهرها فقد كان فهمه ودراسته أمرا لا بد منه لأفراد الجماعة الاسلامية ، فالتعليم اذن كان من مستلزمات الدعوة الجديدة لتحقيق التربيعة الصحيحة التي تهدف الى الدعوة الاسلامية .

ومن الواضح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستهدف بناء أمة جديدة وإنشاء حكومة تضاهي الحكومات القائمة في عصره من وجود طبقة مثورة تتحمل عبء الدولة والدعوة . ولها قوة الحجة والمقدرة على الاقتناع بالطرق العلمية . وتذكر المراجع (٣٠) التاريخية أنه لم يكن بين العرب عدد كثير من الذين يتقنون القراءة والكتابة .

ويذكر القلقشندي (٣١) : « ان عدد الكتاتيب من بين العرب عند بعث النبي

(٢١) . (٢٢) المصدر نفسه .

(٢٣) الغزالي : (احياء علوم الدين) . (مطبعة الحلبي - القاهرة ١٣٥٨ م / ١٩٣٩ م)

ج ١ ص ١٨ .

(٢٤) ، (٢٥) ، (٢٦) ، (٢٧) ، (٢٨) ، (٢٩) : المصدر نفسه ج ١ الصفحات : ١٨ ، ١٥ ،

١١ ، ١٦ ، ٣٢١ ، ١٧ .

(٣٠) د. حسين أمين : (نشأة الحركة العلمية في العراق) . مجلة المؤرخ العربي - بغداد -

العراق . ن ٢ (١٩٧٧ م) ص ٩ .

(٣١) القلقشندي . صبح الاعشى ج ٣ ص ١٥ .

صلى الله عليه وسلم لم يكن يزيد على بضعة عشر نفرا » . ولهذا كان من أهداف النبی صلى الله عليه وسلم العمل على نشر التعليم بين المسلمين وتشجيعهم على ارتياده وواكب المسجد الدعوة الإسلامية ولازمها كما كانت المعاهد الأولى للتعليم في صدر الإسلام ، وأصبح المسجد المكان الطبيعي والملائم لتلقى العلوم . وانتشرت المساجد في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، فقامت بدورها ورسالتها الدينية والتهذيبية والتعليمية .

ولا شك أن المسجد في صدر الإسلام كان هو المنتدى الوحيد في أي مدينة إسلامية ، فيه يلتقى العرب المسلمون بغيرهم من أبناء الشعوب المختلفة ، وهذا الانتقاء أدى إلى أن يتعرف الفرس مثلا في العراق على الأفكار الدينية الجديدة . ويتلقونها باللغة العربية الفصحى ، كما يتعرفون على تراثهم الفكري ، وبخاصة التراث الأدبي . ويعتبر المسجد من مظاهر الحضارة وعناصرها في الإسلام ، بأهميته الكبرى في الحياة الدينية والسياسية والفكرية ، ففيه تقدم فرائض الدين وفيه يبايع الخلفاء والأمراء وتبحث أمور الحرب والسلام ، وكثيرا ما تحدث فيه التجمعات السياسية وكان الأمر يعلن فيه ما أنيط به وما اعترمه من أمر . وبقي المسجد إلى أواخر القرن الثالث الهجري على الأقل المدرسة التي يتلقى فيها الناس العلم والمعرفة ويلتقى فيها العلماء والأدباء فيتناقشون أو يلقون المحاضرات في حلقاتهم وينشرون علمهم كما يقول القصاصون والوعاظ بوعظ الناس وارشادهم وتبصيرهم بمبادئ الدين الإسلامي .

وقد صنف الكثير من الكتب في المساجد الإسلامية ويؤكد ذلك المخطوطات الكثيرة المنتشرة في أنحاء العالم^(٢٢) وفيها يشير مؤلفوها وناسخوها بأنها الفت ونسخت في عدد من المساجد كما أن كتب التاريخ والتراجم تزخر بأخبار العلماء والفقهاء الذين اتخذوا من المساجد أمكنة فيها يتزودون بالعلوم والمعارف وفيها يقيمون ويعيشون ويتدارسون ويدرسون ويؤلفون آذارهم الفكرية . فلم تكن المساجد مجرد أماكن تؤدي فيها الصلوات فحسب بل كانت منبرا للعلوم والمعارف كما ارفعت كلمات الرسول صلى الله عليه وسلم فوق مجد الدين الاعمى . « حبر الطالب أقدم من دم الشهيد » .

وحول أعمدة الجامع كان يجلس الاستاذ ويلتف حوله الطلبة أو التلاميذ

(٢٢) محمد سعيد الطريحي : (خزائن الكتب الإسلامية القديمة في الكوفة) . مجلة المورد المحدث ٩ ع ٤ (١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) ص ٣٠١ .

لقلتي العلم وكانوا يسمونه في ذلك الوقت حلقة وينسبون كل حلقة في الغالب الى استاذها فيتولون حلقة ابي اسحاق الشيرازي في جامع المنصور . وهذه الحلقة ابوابها مفتوحة لمن يشاء رجلا كان او امرأة لكل الحق في سؤال الأستاذ او مقاطعته معارضا ، وكان هذا النظام اكبر دافع للأساتذة يدفعهم دائما للاعداد المتقن في دروسهم والتعمق فيها . كما كان لأي معلم الحق في أن يلقي ما شاء من محاضرات وأن يتخذ الأستاذ الموضوع الذي يريد الحديث فيه ولكن الجمهور المثقف الواعي بنقصه الدائم ويقتضيه كان يحمي تلك المجالس من أن يتسرب الى قيادتها مدعى علم او من لم تنضج ثقافته وتكمل^(٣٣) .

وحصول اعمدة المساجد اتاحت دائما للطلاب فرصة الاستماع الى الأساتذة الزائرين من كل أنحاء العالم المترامي الأطراف . ولقد كان المتعلمون في طريقهم يزورون مراكز الثقافة الاسلامية الواقعة في بغداد ودمشق .

وقد أدت مساجد العراق قسطا كبيرا في نشر العلوم والمعارف وكانت بحق مراكزها منارات للاشعاعات الفكرية ، وقد اشتهرت مساجد عدة كانت أشبه بالجامعات اليوم وأهمها جامع المنصور ببغداد . وكان لهذا الجامع العظيم المكانة العلمية في بغداد وكان لا يفوز بالتدريس فيه الا كبار العلماء الذين أوتوا حظا كبيرا من العلم والمعرفة . فقد انشأ هذا الجامع الخليفة العباسي عندما بنى مدينة بغداد عام ١٤٦ هـ وجعله ملاصقا لقصره الشهير (قصر الذهب) وأعاد الرشيد بناءه مع زيادة مساحته ، ثم اضيفت زبادات كثيرة في عهد الخلفاء العباسيين^(٣٤) .

أما جامع البصرة فقد كان من أهم المراكز العلمية في العراق . وشهد هذا الجامع حلقات المعتزلة التي احدثت حركة الاعتزال ، فلبعت دورا كبيرا في الاتجاهات الفكرية والسياسية في العالم الاسلامي في العصر العباسي الاول . وفي مسجد البصرة هذا كان الشعراء والأدباء يجتمعون ، وقد ذكر الجاحظ انه أدرك بالبصرة رواد المسجد بين المريدين ، واتخذ الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى عام ١٧٤ هـ المسجد مقرا له . ويعتبر الخليل اول من رسم علم اللغة واول من صنف فيه ويذكر ابن خلكان

(٣٣) زغويد هونكه : (شمس العرب تسطع على الغرب) ، ترجمه فاروق بيضون وكمال دسوقي ، (المكتب النجاري للطباعة والتوزيع - بيروت - لبنان ط ١) ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

(٣٤) د. محمد حسين انزببدي : (المراكز الثقافية في العراق في القرنين الرابع والخامس الهجريين) ، مجلة المورخ العربي - بغداد - العراق - ١٥ (١٩٨٠ م) ص ٢٠٤ .

سبب وفاته أنه دخل المسجد فصدته سارية وكان يقطع بحرا من العروض (٣٥) .
كما يعتبر الخليل بن أحمد أول من وضع علم العروض ومن المعاجم في العربية وقد
عاش معظم حياته في البصرة متزهدا متعففا ومن أشهر طلابه سيبويه المتوفى سنة
١٨٠ هـ والذي يعتبر امام البصريين في النحو .

وهناك المسجد الجامع في الكوفة الذي بنى في عام ١٤ هـ وأنشأه سعد بن
أبى وقاص وجده زياد بن أبيه عام ٥٠ هـ وقد كان لانتقال على بن أبى طالب
الى الكوفة واتخاذها اياها عاصمة له أثر كبير في انكفاء النهضة العلمية فيها (٣٦) .
واشتهر مسجد الكوفة هذا بأنه كان مدرسة لاقرأ القرآن ففيه كان يجلس الشيوخ
الأمراء فيلقنون طلاب العلم القراءات التي رووها بأسانيدهم ومن أشهر قراء الكوفة
عبد الله بن حبيب ربيعة الضرير وكان أول من جلس لاقرأ القرآن الكريم في مسجد
الكوفة (٣٧) .

كما كان مسجد الكوفة مركزا من مراكز دراسة الفقه وازدهارها . ففى هذا
المسجد ظهرت بوادر مبادئ الفقه المبني على التجرد واستنباط مفهومه من الكتاب
والسنة ، كما ظهرت في مسجد الكوفة أيضا مدرسة لتفسير القرآن الكريم ، واشتهر
من رجالها سعيد بن جبير حيث كان عالما بالتفسير ، وعلى بن حمزة الكسائي الذي
انتهت اليه رئاسة الاقراء بعد حمزة بن حبيب فكان يجمع طلابه ويجلس على كرسى
يتلو عليهم القرآن الكريم ويسمعون ويضبطون فيه (٣٨) .

ويحيى بن زيد الفراء عنى بدراسة القرآن الكريم وتفسيره ويعتبر الفراء من
نحاة الكوفة وشيوخها في العربية قال ثعلب : « لولا الفراء لما كانت اللغة لأنه
حصلها وضبطها ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع » (٣٩) . لأنها تأثرت
باللغات الأخرى وبذلك كادت أن تفقد خصائصها الأصلية لذا انبرى الفراء وأمثاله
الى وضع قواعد الضبط في اللغة للحفاظ على تلك الخصائص كما نجحوا نجاحا

(٣٥) ابن خلكان : وفیات الأعيان ج ٢ ص ١٩ .

(٣٦) ابن الجزرى ، نسمس الدين أبو الخير محمد بن محمد : (غاية النهاية في طبقات النوا) ،
مكتبة الخانجي - مصر ١٣٥ هـ / ١٩٢٢ م) ج ٢ ص ٤١٣ .
(٣٧) المصدر نفسه .

(٣٨) ابن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء ج ٢ ص ٤١٣ .

(٣٩) الأنبارى ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (نزهة الألباء في طبقات الأدباء)
تحقيق محمد الفضل إبراهيم . (دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة - بدون) ص ٦٥ .

بعيدا في جعل اللغة العربية سهلة المنال لمن يريد تعلمها وضبطها ومطاوعة لارادة الكتاب للتعبير عن آرائهم وأفكارهم أعنى بهذا أنهم نجحوا في جعل اللغة العربية سهلة المنال لمن يريد تعلمها وضبطها ، وبتطورها قدرة على مواكبة التطور الحضارى والمعاشنة بين اللغات الانسانية عامة .

وهكذا أصبحت المساجد الاسلامية في العراق معاهد مهمة تشد اليها الرحال للدرس والتدريس كما كان يطمع العلماء في أن ينالوا منصبا تدريسيا في تلك الجوامع لمكانتها العلمية^(٤٠) . ومن أجل أن يحقق المسجد مطامع مريديه وتيسر عملهم العلمى فتشد الحقت في كل مسجد مكتبة عامرة تضم عددا وفيرا من الكتب في مختلف العلوم والفنون ، وقد تسابق الناس الى تزويد تلك المساجد بالكتب وان بعض المسلمين كان يوقف كتبه على المساجد ، طلبا للأجر أو الحفاظ عليها من أن تبسدها الأيدى وهكذا صارت بعض المساجد اشبه بالأكاديميات الثقافية .

وكان لهذا الأثر الكبير في نجاح الدرس والتدريس والبحث والتصنيف . والى جانب المسجد كمعهد للتعليم كانت توجد أماكن أخرى لتعليم الأطفال وهى الكتاتيب وبمفردها (كتاب) وفي الكتاب يتعلم الطفل القراءة والكتابة ومبادئ الدين الاسلامى ، وبعض المعلومات من الحساب والنحو وشيئا من اشعار العرب ، وتوجه العناية في الكتاب الى تحفيظ الصبيان القرآن الكريم^(٤١) . ويتقاضى المعلم أجرا على عمله ، والدراسة في الكتاتيب أشبه بالدراسة في المدارس الابتدائية في يومنا هذا . أما الربط وهى جمع رباط وأصل الربط ما تربط فيه الخيول المعدة للدفاع والمجاهدة والمرباط هو المجاهد يدافع عن وراءه فالرباط جهاد النفس والمقيم في الرباط مجاهد نفسه ويطلق أيضا على بيت الصوفية . ولم تكن الربط دورا مقصورة على التعبد والتزهد ، وانما كانت فضلا عن ذلك مواضع للتأليف والتصنيف والاقراء والتثقيب والاجازة والمحاضرة وغيرها وكان من عادة واقف الرباط أن يجعل فيه وقفا من الكتب للمطالعة والدرس والاستنساخ والمراجعة والاستشهاد ، وكان لخزائن الكتب في الربط قوام يتولون خزنها وصيانتها ومناولتها وترتيبها^(٤٢) ومن أشهر الربط في بغداد في العصر البويهى :

(٤٠) ياقوت الحموى : معجم الأديباء ج ٤ ص ٢٤٣ .

(٤١) د. عصام الدين عبد الوهوب : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٣ .

(٤٢) د. محمد حسين الزبيدى : المراكز الثقافية في العراق في القرنين الرابع والخامس الهجريين

ع ١٥ ص ٢٠٥ .

(١) رباط الزوزنى المتوفى عام ٥١ هـ (٤٣) .

(ب) رباط شيخ الشيوخ وقد بناه عميد العراق وقد اشار ابن الاثير الى ذلك بقوله « اما عميد العراق فقتله البساسيرى وكان فيه شجاعة وله فتوة وهو الذى بنى رباط شيخ الشيوخ وقد شيد هذا الرباط على نهر الملقى » (٤٤) .

(ج) رباط ابن رئيس الرؤساء الاولى ويعرف برباط الدركاه اما رئيس الرؤساء فهو الوزير أبو القاسم على بن الحسين بن احمد المعروف بابن مسلمة وكان كاتباً للخليفة القائم بأمر الله فاستوزره « ولقبه رئيس الرؤساء شرف الوزراء جمال الورى » ولما احتل البساسيرى بغداد باسم الدولة الفاطمية قطع خطبة بنى العباس وخطب للمستنصر بالله الفاطمى وقبض على هذا الوزير وصلبه حتى مات مصلوباً سنة ١٥٠ هـ .

وهكذا نرى انه بجانب المجالس الزاهرة ورعاية الامراء والوزراء للعلم والمعرفة هناك سبب آخر لازدهار الفكر فى هذه الحقبة من الزمن هو تيسير الاطلاع والقراءة وتيسير التعليم وحضور الدرس الذى ادى الى ظهور مراكز لتدريس العلوم والمعرفة وهى ائشبه بالمدارس اليوم ، فكان معظم هذه المراكز عبارة عن حلقات يجتمع فيها الطلاب حول مدرسهم ويلقى المدرسون على طلبتهم ما يحذفون من علوم دينية ودنيوية ثم تجرى مناظرة بين الطلاب ومدرسيهم وكانت معظم هذه الحلقات بصورة عامة تهتم بالمسائل الدينية بالدرجة الاولى ثم بالمسائل الدنيوية التى تتكون من دراسة اللغة العربية والفلسفة والمنطق والفلك وغيرها . ولم يكن نصيب العلوم البحتة كالطب والرياضيات والصيدلة بأقل من نصيب العلوم الدنيوية والدينية .

فكانت تجرى دراسة الطب فى اغلب الأحيان فى المستشفيات التى اعتمدت لمعالجة المرضى كما جعلت معاهد علمية لتعليم الطب والحقت بها مكتبات كبيرة زودت بعسد كبير من الكتب الطبية الى جانب الكتب العلمية الأخرى .

وخلص القول انه لم تظهر المدارس العلمية المنظمة فى وقت مبكر لان هناك مراكز أساسية فى العراق كانت تقوم بنفس الدور الذى تقصوم به انيوم ومن أهمها ما ذكرناه سابقاً من مساجد ومنازل العلماء والربط والمستشفيات ودور العلم والمكتبات .

(٤٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١٢ بين ١١٥ .

(٤٤) ابن الاثير ، أبو الحسن على بن الكرم محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني المعروف

بابن الاثير الجزرى : (الكامل فى التاويغ) (المطبعة المصرية - مصر ١٣٤٩ هـ) ج ٨ ص ٣٥٠ .

ثانيا - المدارس الإسلامية حالتها بعد انشاء بيت الحكمة :

ان اتساع الحلقات العلمية داخل المساجد وكثرة المناقشات والمناظرات التي كانت تدور داخلها قد أبعدت هذه المساجد عن مهمتها الأساسية وهي العبادة ولهذا نجد أن بعض المساجد قد أصبحت تتخذ طابع المدرسة من حيث بناؤها وتنظيمها وتوفر الغرف فيها للطلاب والأساتذة كما أنه لم تكن هناك نفقات معينة تبذل في سبيل نشر العلم ، فظهرت الحاجة الملحة الى تأسيس مكان يخصص لرعاية العلم ، ونشر الثقافة وظهرت في الوقت نفسه فكرة أن يوقف على هذا المكان أو المعهد وقف ينتج إيرادا يكتفى للانفاق على شئونه وشئون القائمين بالعمل فيه وكان المأمون أول من أبرز هذه الفكرة للوجود فانه لم يشأ أن يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والأمراء بل أراد أن يجعل نشاطه قويا متصلا سواء كان الخليفة شحيحا أم كريما فهياً للعلماء رزقا سخيا يتقاضونه دن وقف ثابت يفيض ريعه عن التكاليف المطلوبة لهذه المؤسسة الثقافية^(٤٥) .

ومن المعروف أن تأسيس بيت الحكمة قد اكتمل على يد المأمون (٢١٧ هـ / ٨٣٢ م) ولكنها لم تكن مدرسة نظامية بالمعنى المتعارف عليه بقدر ما كانت دارا للنسخ والترجمة الى جانب كونها أول مكتبة عامة ذات شأن في العالم الاسلامي .

ويميل بعض المؤرخين الى الاعتقاد بأن نشأة المدارس الإسلامية يحيط بها كثير من الغموض ولا يمكن تحديدها بتاريخ معين كما يرى آخرون أنه من المرجح أن تكون المدارس قد سبقت في ظهورها نشأة المدرسة النظامية في عام ٤٥٩ هـ أي في منتصف القرن الخامس الهجري^(٤٦) .

ومهما يكن الأمر فإن المرجح أن تكون بعض المصادر قد خلطت بين المدارس كمؤسسات تعليمية مستقلة وبين أماكن التعليم الأخرى مثل الكنائس والمساجد وغيرها . حيث لم يصل إلينا من الكتب التي تبحث في المدارس وأماكن التعليم إلا عدد ضئيل إذا قيس بتلك الأعداد الزاخرة التي ألفها العرب في الشئون العلمية والحضارية الأخرى . ولعل من أهم الأسباب التي أدت الى ذلك أن هذه المؤلفات وضعت في العصور العباسية المتأخرة ولم يمض عليها الوقت الكافي لاستنساخها وإطلاع

Sayed Ameer Ali : Short History of Saracens, London 1916,
P. 274.

(٥٣)

(٤٦) د. ابراهيم الجيار : (دراسات في الفكر القريبوى) ، (وكالة المطبوعات - الكويت طبعة

١٩٧٤ م) ص ١٤٣ .

الناس عليها فسرعان ما عصفت بالبلاد الاسلامية موجة المغول التي دمرت مدنا اسلامية كاملة واجتاحت اقطارا واسعة في بلاد المشرق وانت على بغداد والدولة العباسية من القواعد فضاعت مئات الألوف من الكتب النخطية ومحقت دور علم وخزائن كتب لا تعد ومحيت معاهد ومدارس مشهورة وقضى على عدد كبير من جلة العلماء والأدباء . ولما حلت ببغداد نكبة تيمورلنك وایامه السود كانت اشد وطأة عليها من تلك العواصف الهوج فلم تبق حروبه ولم تذر من دور الكتب وخزائنها شيئا يذكر . ولم يبق من الكتب الا ما كانت منه نسخ عديدة انتسخت وامتلكها اناس كانوا في نجوى من هذا الأعصار او احتوتها معاهد ومساجد كانت بعيدة عن حروبه ونفوذها يضاف الى ذلك جهل الناس ابان هذه الفترة بقيمة كثير من هذه المؤلفات^(٤٧) .

اما الكتب التي كانت بخطوط مؤلفيها ولم يكتب لها الاستنساخ فقد فقدت كلها اوضاع أكثر اجزائها وخير مثال على ذلك كتاب ابن الفوطى المعروف « تلخيص مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب » والذي تنص احدى الروايات على انه كان في ثمانين مجلدا لم يصل اليها منه الا المجلدان الرابع والخامس وهما بخط المؤلف وقد وجد الرابع في المكتبة الظاهرية بدمشق ووجد الخامس في لاهور بالباكستان . وذكر ابن الفوطى^(٤٨) أن كتبا صنفت عن المستنصر والمستنصرية ولكنها لم تصل اليها .

ان انشاء المدارس في الاسلام من المنجزات العظيمة التي حققت الاهداف العلمية والتربوية وخدمت الخدمات الجليلة للانسانية جمعاء . وتتشير المؤشرات التاريخية أن مدينة نيسابور كانت رائدة المدن الاسلامية في انشاء المدارس فقد شيد أهلها مدرسة للفقهاء الشافعية ابنى اسحق الأسفرايينى المتوفى سنة ثمانى عشر وأربعمائة للهجرة^(٤٩) .

كما تشير المصادر ان مدرسة اخرى انشئت في تلك المدينة للعالم ابنى بكر

(٤٧) د. ناجى معروف : (المدارس الشراعية ببغداد وواسط ومكة) ، (مطبعة الارشاد - بغداد - العراق ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م) ص ٩ .

(٤٨) ابن الفوطى : (تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب) ، تحقيق مصطفى جواد (وزارة الثقافة والارشاد القومي - دمشق ١٩٦٤ م) ج ٥ ص ٥٢٨ .

(٤٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٩ .

البيهقي المتوفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة للهجرة^(٥٠) . ان انشاء المدارس في الاسلام يظهر انها مبادرات شعبية حققت للناس طموحاتهم في ان تكون تلك الأمكنة مراكز علمية تدرس فيها مختلف العلوم والآداب وهي في عهدها الأول وان لم تستكمل شروط المدرسة فقد تكونت من بيت له رحبة واسعة فيه بعض الغرف للدرس ، وقد تختلف المدرسة من حيث السعة ومن حيث الوقوف التي توقف للصرف عليها وكذلك من حيث الشيوخ الذين يدرسون بها ومكانتهم العلمية واشتهارهم^(٥١) .

ويمكننا اعتبار سنة ٥٩ هـ حدا فاصلا بين عهدين في تاريخ المؤسسات التعليمية الاسلامية . ففي هذا العام انشئت المدرسة النظامية في بغداد مؤنفة ببداية عهد جديد انتقلت فيه أماكن التعليم من الكتاتيب - التي كانت في العصر العباسي الأول تقام لتعليم مبادئ القراءة والكتابة وبعضها كان يعلم فيها أيضا اللغة العربية وما اليها من نحو وعروض^(٥٢) - والقصور والمساجد ودور الحكمة وحوانيت الوراقين ومنازل العلماء الى المدارس المنظمة^(٥٣) .

ويعتبر ظهور المدارس في العصر الاسلامي اهم محاولة جديدة لتنظيم الدراسة واستمرارها لتوفير وسائل التفرغ لها ، اذ جعلت مرتبات للمدرسين وزود الطلاب في حالات كثيرة بالسكن والمسائل مما ساعد بالضرورة على ايجاد نظام ثابت وتقاليد مرعية للمدرس والادارة وعمل على استقرار تلك المعاهد^(٥٤) .

وقد كان التعليم الأولي عاما للجميع وخاصة في عصر الدولة العباسية التي تبنى فيها الخلفاء العلم والعلماء وأبدوا اهتماما كبيرا بالتعليم والمتعلمين ، فعملوا على توفير فرص التعليم الأولي لكل طفل والحقوا بكل مسجد مدرسة لتعليم القراءة والكتابة ومبادئ العلوم بالاضافة الى تحفيظ القرآن .

وكان من نتائج ذلك ان انتشر التعليم في الدولة الاسلامية اثناء عصورها المزدهرة حتى كادت الأمية أن تختفي تماما . ويعلق أحد الباحثين على ذلك بقوله : ولقد

(٥٠) المقرئى : الخط ج ٢ ص ٣٦٣ .

(٥١) د . حسين أمين : نشأة الحركة العلمية في العراق ج ٦ ص ٦ .

(٥٢) عمر رضا كحالة : المرأة في عالمي العرب والاسلام ج ٢ ص ١١٣ .

(٥٣) د . ابراهيم الجيار : دراسات في الفكر التربوي ص ١٤٢ .

(٥٤) أسماء نهدي : (مبادئ التربية الاسلامية) (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر -

القاهرة ١٩٤٧ م) ص ٣٣ .

كانت هذه الليبرالية العظيمة التي أبداهما المسلمون نحو تعليم ابنائهم من أهم عوامل ازدهار وتقدم حضارتهم ، فقد كان التعليم في كل أرجاء الدولة الإسلامية لدرجة أنه يروى أنه كان من العسير أن تعثر على فرد من المسلمين لا يعرف القراءة والكتابة (٥٥) .

أما بالنسبة للتنظيم الداخلي للمؤسسات التعليمية الإسلامية فمن المرجح أن معاهد التحنيم لم تتبع نظام تقسيم الدراسة إلى سنوات تعليمية كما لم يعرف تقسيم التلاميذ إلى فصول دراسية ، وإنما كان التلاميذ يجلسون في حلقات حول الأستاذ الذي يجلس على خشبة أو منصة ويستند إلى حائط أو سارية من سوارى المسجد . ويرى كثير من الباحثين أن نظام التربية الإسلامية في العصور الوسطى قد تميز بقدر من الحرية ومراعاة الفروق الفردية تحسده عليها المدارس والجامعات الحديثة فقد كان الطالب هو الذي يختار أستاذه وينتقى ما يدرسه من علوم وعندما بدأ عهد المدارس النظامية استحدثت بعض القيود إذ كانت تتطلب استمرار الدراسة والتفرغ لها ، ولذا كان الطالب في المدارس النظامية عادة من المتفرغين للدراسة والمنقطعين لطلب العلم (٥٦) .

ويقول المستر (درابر) الأمريكي المشهور : ان المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى والنسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام ، بل فوضوا اليهم كثيرا من الأعمال الجسام ورقوهم إلى مناصب الدولة ، حتى أن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة يوحنا بن ماسويه — ونم ينظر إلى البلد الذي عاش فيه العالم ولا إلى الدين الذي ولد به ، بل لم يكن ينظر إلا إلى مكانته من العلم والمعرفة (٥٧) .

أما بالنسبة لتنظيم المدارس الإسلامية فيمكن أن نستخدم لغة العصر الحديث في إعطائه بنية السلم التعليمي على النحو التالي :

- ١ — المرحلة الأولى : وكانت تقدم في الكتاب من سن ٦ — ١٤ تقريبا .
- وكان الكتاب يوجد غالبا خارج المسجد في منزل الفقيه (المعلم) أو في الحوانيت .

E. H. WILDS : The Foundations of Modern Education). (٥٥)
London 1959, p. 216.

(٥٦) د. إبراهيم الجبار : دراسات في الفكر التربوي ص ١٤٤ .

(٥٧) د. مصطفى السباعي : (من روائع حضارتنا) (الكتب الإسلامية - بيروت - لبنان

ط ٢ ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) ص ٩١ .

٢ — المرحلة الثانوية أو المتوسطة : كانت مدارس هذه المرحلة تعرف باسم مدرسة المسجد أو الحلقة أو المدرسة ويتراوح سن التلاميذ فيها من ١٤ الى ١٨ .

٣ — مرحلة التعليم العالي : وتبدأ من بعد انتهاء التلميز من حفظ القرآن الكريم وكانت توجد في إحدى المؤسسات التالية : بيت الحكمة ، المكتبات ، الصالونات الأدبية ، دور العلماء ، المساجد الكبيرة مثل الأزهر وجامع القرويين وجامع الزيتونة^(٥٨) . وذكر ابن خلكان المتوفى (٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) أن الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي المتوفى ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م أول من أحدث المدارس في الاسلام وأن أول مدرسة أنشئت هي المدرسة النظامية التي شرع بإنشائها ببغداد ٤٥٧ هـ / ١٠٦٤ م وافتتحها في ذي القعدة ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م^(٥٩) .

نظام الملك الطوسي مؤسس المدرسة النظامية ببغداد والنظاميات التسع الأخرى في المشرق والعراق ، لم يكن رجلاً سياسياً فحسب بل كان فقيهاً متحدثاً أيضاً . حدث بمرور ونيسابور والري وأصبهان وبغداد ، وأملى الحديث في جامع الرصافة وفي مدرسته النظامية ببغداد وكان يقول : « انى لأعلم أنى لست أهلاً للرواية ولكن أريد أن أربط نفسى على قطار النقطة بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٦٠) » .

وكانت هذه المدرسة في الجانب الشرقى من بغداد وقد أنشئت لتدريس الفقه الشافعى وشرط الوقتى فيها أن يكون المدرس والواعظ ومتولى الكتب من الشافعية أصلاً وفروعاً^(٦١) ، وكان نظام الملك قد أمر بإنشاء عدة مدارس أصبحت نموذجاً للمدارس الجديدة ، وغدا نظام الملك نفسه قدوة حسنة يحتذى بها كبار رجال الدولة من الوزراء والأمراء في إنشاء المدارس كما أن أهمية عمل نظام الملك ترجع الى كونه بداية عصر جديد من الازدهار للمدرسة إذ أصبح السلطان ورجال الطبقة العالية مولعين بتأسيس المدارس ، كما أن تكوين المدرسة على الوضع الذى رسمه نظام الملك وما لحقه من أقسام داخلية لإقامة الطلاب أصبح فيما بعد نموذجاً يحتذى في سائر المدارس التى أنشئت في العصور التالية^(٦٢) .

(٥٨) د. إبراهيم الجبار : (تاريخ التعليم الحديث) ، (دار الثقافة - القاهرة ط ١٩٧١ م)

ص ١٠ .

(٥٩) ابن خلكان : وفیات الاعيان ج ١ ص ٣٩٦ .

(٦٠) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٦٢ .

(٦١) ابن الجوزى : المنظم ج ٩ ص ٦ .

Encyclopedia of Islam, Art Masjid.

(٦٢)

ان الدافع على الأرجح من تأسيس المدارس النظامية كان مذهبيا وسياسيا فقد كان نظام الملك شافعيًا اشعريًا حريصًا على مذهبه وعاصرت نظام الملك آراء وافكار متباينة كانت منتشرة في العالم الاسلامي كالمعتزلة والباطنية وبقايا القرامطة من اصحاب الملل والنحل . كما ان اندحار البويهيين سياسيا لم يكن يعنى ابدًا ان آثار مذهبهم الشيعي في المشرق قد زالت لذا كان لابد من اجراء سريع يزيل ما علق في اذهان الناس ونفوسهم من آثار هذا المذهب^(٦٣) .

وهذا ما قامت به المدرسة النظامية والمدارس الأخرى في بغداد واصبهان ونيسابور حيث بنى نظام الملك مدرسته النظامية على شاطئ دجلة ورهب فيها العلماء لدراسة العلوم الدينية واللسانية وبنى حولها أسواقًا ووقف عليها أوقافًا دارة . ولقد كان لهذه المدرسة شأن كبير في العالم الاسلامي تخرج منها جماعة من محول العلماء ، وكان من اساتذتها ابو اسحاق الشيرازي وابو حامد الفزالي وكمال الدين الانباري ، ثم امتلأت دمشق و حلب و حمص و حماه و طبرك وغيرها من بلاد الشام وقرطبة و اشبيلية و طليطلة و غرناطة وغيرها من بلاد الأندلس ثم مصر والاسكندرية بالمدارس المجانية على غرار المدرسة النظامية^(٦٤) .

وتكاد تجمع المصادر العربية مثل الأصفهاني وابن الاثير وابن الجوزي والسبكي وغيرهم على عظمة المدارس النظامية وكثرتها ووفرة ما اغدق عليها من أموال وما بها من كتب حتى قيل انه انشأ في كل مدينة مدرسة من العراق وخراسان^(٦٥) .

ولقد قيل ان ما كان ينفقه نظام الملك على المدارس النظامية بلغ سنهائه ألف دينار . وكان وقفها ببغداد خمسة عشر ألف دينار سنويًا ونظامية أصبهان عشرة آلاف دينار وهكذا^(٦٦) . ويكاد يكون غالبًا بجانب هذه المدارس اربطة للصوفية والسابلة وكتاتيب لصغار المتعلمين ودور كتب معظمه لمراجعة العلماء والحللاب غير خزائن كتب الملوك والوزراء التي كانت تحوى مئات من المجلدات^(٦٧) .

-
- (٦٢) د . مجاح القادسي : (المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الاسلامي) • محله المزيّن العربي - بغداد - العراق ع ١٩ (١٢٠١ م / ١٦٨١ م) ص ١٨٠ . ١٨٨ .
- (٦٤) مصطفى أمين : (تاريخ التربية) • (دار المعارف بمصر - مصر) ص ١٧٦ .
- (٦٥) د . عبد الحليم مدني . (تاريخ العلم ودور العلماء العرب في نمجه) • دار المعارف بمصر - القاهرة ط ٦ . ١٩٧٥ م) ص ٥٤ . ٥٥ .
- (٦٦) د . عبد الحليم مدني . تاريخ العلم ودور العلماء العرب في نمجه ص ٦٨ . ٦٩ .
- (٦٧) د . محمد عبد المنعم حجاجي : (الاداب العربية في العصر العباسي الثاني) • دار المعارف بمصر - القاهرة ط ١٩٥٧ م) ص ٢٣ .

ونظام الملك هذا كان رجلا دينيا له مجالس يحضرها أئمة الدين من قراء وفقهاء ومحدثين كما أنه أنشأ المدارس في الأمصار المختلفة لتعليم الحديث بل كان هو يملئهم ، وفي ذلك يقول ابن الأثير : « كان عالما دينيا جوادا عادلا حكيما كثير الصبح عن المذنبين طويل الصمت ، كان مجلسه علمرا بالقراء والفقهاء ، وأئمة المسلمين وأهل الخير والصلاح . أمر ببناء المدارس في سائر الأمصار والبلاد وأجرى لها الجرايات العظيمة وأملى الحديث ببغداد وخراسان » (٦٨) .

وعرف عن نظام الملك حبه للعلم واصطفائه للتابعين من العلماء فتوغل الآباء على تعليم أبنائهم حتى يحظوا بالمناصب التي كان يقسمها درجات ويرشح لكل بحسب فضله وعلمه . فيذكر العماد الأصفهاني « في أيامه أنشأ للناس أولاد نجباء على تهذيب الأبناء ليحضرهم في مجلسه ويحفظوا بتقريبه فإنه كان يرشح كل أحد لمنصب يصلح له بمقدار ما يرى فيه من الرشد والفضل ومن وجد في بلد قد تميز وتبحر في العلم بنى له مدرسة وقف عليها وقفا جعل فيها دار كتب » (٦٩) .

وساعدت حياة الرخاء والرفاهية وما نالته بغداد من الشهرة في آفاق العالم الاسلامي على رغبة العلماء والطلاب في الذهاب اليها وتلقى العلم بها وقد وصف لنا ابن جبير ما تركته هذه المدينة في نفسه عند ذهابه اليها من احساس وانعكاسات مبهجة لما فيها من الحياة الزاهرة بأنواع السرور والبهجة حتى اشتهرت في آفاق العالم الاسلامي بذلك وأصبح اسمها علما على البهجة والأناقاة والانس ومن أهم من أقاموا فيها دروس الأدب أبو منصور الجوالقي المتوفى ٥٣٩ هـ وشيخه التبريزي ودرس بها على بن أبي زيد القصبي وابن الجوزي (٧٠) .

ان المدارس الاسلامية — على ما اعتقد — كان هدفها واحدا هو العناية بالمواضيع الدينية أساسا ثم الاهتمام بالدراسات الأدبية والعلمية ، ان هذه المدارس ساعدت على اشاعة العلم والمعرفة بين الناس عامة وربط المسلمين برباط الثقافة ، وان اتاحة الفرصة للمسلمين القبول في أي مدرسة في بغداد والبصرة والقاهرة وتونس والرباط وأصبهان كان له الأثر المحمود في توحيد الفكر الاسلامي وزيادة الترابط الانساني مما يساعد على اتاحة الفرصة للعراقى والسورى والمصرى

(٦٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٠ ص ٧٢ .

(٦٩) العماد الأصفهاني . الامام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد : (تاريخ دولة آل سلجوق) .

، طبعة ١ مجلس دار الفانكف — مصر — القاهرة ١٣٧٢ هـ (ص ٥٤) .

(٧٠) ماموت الحموى . معجم الأدباء ٥ ص ٢٣٩ .

والمارسى والركى أن ينعارفوا وأن تنهاس العقول وتحتك الأفكار وتنصهر جميعها في بوتقة العام لتبرز افكارا مدروسة وآراء مجدية في حقول الادب والعلم^(٧١) .

وهذا على ما اعتقد من أبرز ما قدمته تلك المدارس في ذلك العصر من خدمة للإنسانية ولتراثها الخالد . كما ساعد ذلك اللقاء بين شعوب البلدان المختلفة ، في تعرفهم على عادات ، وتقاليدهم البعض وانتشار اللغة العربية التي أصبحت لغة الدراسة والثقافة والعلم . مما أدى الى الاهتمام بهذه اللغة وتطويرها وازدهارها . ويرجع انتشار تلك الثقافات في البسلاد الى المدارس والترجمات وتشجيع الخلفاء ونشرهم لها . فمدارس جنديسابور والرها ونصيبين وحران كانت تنشر الثقافة اليونانية ومدرستا الرها ونصيبين كانتا تزخران بالفلسفة اليونانية والتعليم المسيحية فكان في حران جماعة وثنية تسمى الصابئة نبغت في الدراسات اليونانية من علمية وأدبية ، أما جنديسابور فقد أسس النساطرة فيها مركزا مهما للثقافة اليونانية ، ونالت شهرة فائقة في الطب . وكانت هذه المدارس كلها منارات اشعاع في جميع العالم العربي والاسلامى^(٧٢) .

ان المدارس العراقية قاومت بأداء رسالتها العلمية والتعليمية وقدمت خدمات جليلة في نهضة العلوم الدينية كالتفسير والحديث والفقه والفرائض والعلوم العربية كاللغة والنحو والصرف والعروض والآداب والعلوم الرياضية والعقلية كالمنطق وعلم الكلام والاصول والعلوم الطبيعية كالطب والصيدنة وعلم الحيوان ، وأصبحت لتلك المدارس شخصية بارزة في عالم الثقافة وفي تربية النشء واعسادهم لحياة افضل^(٧٣) . كما ان تلك المدارس كانت مراكز للتطور الفكرى فظهرت المؤلفات والتصانيف في شتى مواضيع الفكر والمعرفة مما أدى الى تطوير الآداب والعلوم وازدهارها ، فكانت تلك المدارس بحق مصادر الاشعاع الفكرى ومنبع الثقافة الإنسانية في العصور الوسطى الاسلامية حيث انتشر طلابها مشرقا ومغربا ونقلوا تراث بغداد والمدن العراقية الأخرى كما أصبحت تأليف أساتذة المدارس العراقية المعين الذى يغترف منه المتعلمون في جميع أنحاء العالم مراكز للقاء العلماء والأدباء وإمكة البحث والتأليف كل ذلك بلا شك ساعد على تطوير العلوم والآداب ، وعمل على ازدهارها خدمة للعلم والثقافة والإنسانية .

(٧١) د. حسين أمين : نشأة الحركة العلمية في العراق - ص ٦ - ١٠ .

(٧٢) حنا الفاخوري : (الملاحظ) ، (دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٥٨ م) ص ١٤ .

(٧٣) د. حسين أمين : نشأة الحركة العلمية في العراق ، ص ٤ ، ١٨ ، ١٩ .

كانت المدارس العراقية أمكنة صالحة للعلم والتعليم ، وقد عنيت تلك المدارس في تدريس العلوم والآداب وتربية المواطنين تربية صالحة واعدادهم الاعداد الذي يليق والمجتمع الاسلامي . وقد عنيت المدارس العراقية بالاختصاص فقد كان لكل موضوع مدرسه المختص وكان هذا واضحا كل الوضوح في المدرسة النظامية والمستنصرية ، فعندما توفي ابو زكريا التبريزي استاذ الأدب في النظامية أصبح على ابن محمد الفصيحى صاحب ذلك الكرسي^(٧٤) لاشتهاره بالأدب .

وكان مجال المناقشة مفتوحا امام الطلاب ، وكانت للمناقشة بين الأساتذة وطلابهم آداب خاصة تكفل للأستاذ وقاره وهيبته ومكانته ، كما تحقق للطلاب طريق الفهم والتعليم ، ذلك ان طالب العلم لا ينال العلم ولا ينتفع به الا بتعظيم العلم وأهله وتعظيم الأستاذ وتوقيره . وكان الاستاذ هو الذى يضع برنامج التدريس وهو الذى يختار المادة العلمية التى يلقيها على طلابه . وكنت الدراسة حرة أى ان الطالب هو الذى يختار الاساتذة الذين يرغب فى مصاحبتهم وحضور دروسهم .

وارتقت المدارس العراقية فى سلم درجات التدريس مرتبة المعيد ووظيفته أن يساعد المدرس أو الشيخ ويوضح ما يصعب على الطلبة من أمور فى مادة الدرس . وهذا ما كانت تشترطه المدرسة المستنصرية أن يكون لكل طائفة من المذاهب الأربعة مدرس وأربعة معيدين وأن يكون بالمدرسة طبيب حاذق يشغل عشرة أنفس يعلمهم الطب^(٧٥) .

أن كثرة المدارس والاتفاق عليها بسخاء وميل الناس وخاصة الأثرياء الى بناء مدارس جديدة أو وقف دورهم وقصورهم لتكون مدارس كل هذا يدل على نهضة ثقافية ووعى علمى لا شك فيه .

ويظهر الصراع المذهبى واضحا فى تأسيس المدارس وفى الدراسة والتدريس بها فكل مذهب طريقته التى يحاول عن طريقها نشر تعاليمه وتشجيع كبار العلماء على اعتناقها ليستطيعوا التدريس فى مدارس المذهب الخاصة ، فقد كانت المدارس النظامية وفيها نظامية بغداد من أسباب انتشار المذهب الشافعى لأن كل طالب لا يقبل فيها الا اذا كان شافعيًا وكذلك المدرسون^(٧٦) .

(٧٤) الأربلى ، عبد الرحمن سفيط بن ابراهيم بن قنيتو : (خلاصة الذهب السبوك مختصر دن سير الملوك) تحقيق مكى السيد جاسم (مكتبة الخفنى - بغداد - العراق ط ٢ ، ١٩٦٤ م) ص ٢١٢ .
(٧٥) الزرنوجى ، برهان الاسلام : (تعلم التعلم طريق التعلم) (القاهرة ١٩٤٨ م) ص ١٨ .
(٧٦) د. حسين أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

قال أبو البقاء المعكبري : وكان حنبلي المذهب . جاء الى جماعة من الشافعية ، فقالوا : انتقل الى مذهبنا ونعطيك تدريس النحو واللغة والنظامية فانقسمت وقلت لو اقمتموني وصببتم على الذهب حتى ارتوى ما رجعت عن مذهبي^(٧٦) .

قال المقرئزي : « والمدارس مما حدث في الاسلام ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين وانما حدث عملها بعد الأربعمئة من سنى الهجرة »^(٧٧) . ولا شك أن المقرئزي يعنى بالمدارس هنا مؤسسات تعليمية خاصة توقفت لها الأوقاف والأموال ، وتجرى على نظم معينة كالنظامية في بغداد ، ودار العلم والأزهر في مصر ، والا فان التعليم سابق للدولة العباسية ، ولكنه لم ينتظم الا بعد القرن الرابع الهجرى . وأهم مراكز التعليم في العصر العباسي : بغداد ودمشق ومصر والكوفة والبصرة وقرطبة والقدس ويليها حلب وطرابلس مدائن كثيرة من أمصار مختلفة^(٧٨) .

واهتم العلماء في مختلف أنحاء الدولة الاسلامية بالرحيل الى المدن الكبرى للاتصال بالعلماء المشهورين للاستفادة من علمهم وفضلهم ، والسبب في ذلك أن الناس يأخذون معارفهم تارة علما وتعلما والقاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها ، وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية ، فالرحلة لا بد منها في طلب العلم واكتساب الفوائد^(٧٩) .

قال صلى الله عليه وسلم : « من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا الى الجنة »^(٨٠) وقوله صلى الله عليه وسلم : « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة »^(٨١) .

لقد جرت العادة أن تنسب المدرسة الى منشئها وهو الغالب أو الى مدرستها اذا كان مشهورا جدا أو الى العالم الذي تنشأ له أو الى الموضع الذي

(٧٧) ابن رجب ، زين الدين ابن الفرج عبد الرحمن شهاب : (ذيل طبقات الحنابلة) . (مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م) ج ٢ ص ١١١ .

(٧٨) المقرئزي : الخطط ج ٤ ص ١٩٢ .

(٧٩) Khaleil Tutah : Th Contribution of the Arabs to Education) p. 23, London.

(٨٠) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٤١ .

(٨١) البخارى : صحيح البخارى ج ١ ص ٤٥ .

(٨٢) الغزالي : احياء علوم الدين ج ١ ص ١٩ .

أقيمت فيه ، ولابد لنا أن نذكر نبذة موجزة عن أحوال المدارس العباسية (٨٣) منذ أن تأسست ببغداد حتى نهاية القرن السابع الهجري . ومما يلاحظ في مواقع هذه المدارس أن كثيرا منها كان على ضفة دجلة أو على مقربة منها ومن هذه المدارس :

١ — مدرسة أبي حنيفة أو المدرسة الشرقية بباب الطاق وقد يطلق عليها (مدرسة الحنفيين بباب الطاق) أنشأها شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور العميد الخوارزمي مستوفى الملكة بالسلطان الب أرسلان السلجوقي سنة ٤٩٥ هـ / ١٠٦٦ م عند مشهد أبي حنيفة . وقال الصفدي في ترجمة أبي طالب الزينبي الملقب نور الهدى المتوفى ٥١٢ هـ : « ودرس بالشرقية التي أنشأها شرف الملك بباب الطاق » وانتهت إليه رئاسة أصحاب الرأي ببغداد . وقد اشتهر عدد كبير من مدرسيها وخزان مكتبتها وكان لا يخرج من خزائنها شيء إلا إلى ذي أمانة نستظهرها بالرهن عن ذلك (٨٤) .

٢ — مدرسة (ترکان خاتون) زوجة السلطان ملك شاه بن الب أرسلان السلجوقي بنتها للحنفية بالجانب الشرقي .

٣ — المدرسة التاجية (٨٥) نسبة إلى تاج الملك أبي الغنائم المرزبان ابن خسرو مستوفى ملك شاه السلجوقي بنسبته للشافعيين بباب أبرز ببغداد الشرقية سنة ٤٨٢ هـ ومن أشهر مدرسيها فخر الإسلام أبو بكر الشافعي صاحب المدرسة المعروفة باسمه أحد كبار مدرسي النظامية ببغداد ، وسراج الدين التهرقلى أفضى القضاة (٨٦) .

٤ — المدرسة الفخرية (٨٧) : أو دار الذهب أو مدرسة فخر الدولة بعقود المصطلح في المأمونية بالجانب الشرقي من بغداد وهي للشافعية بناها الوزير فخر الدولة أبو المظفر الحسن بن عبد الله بن علي أبي المطلب الكرمانى البغدادي المتوفى ٥٧٨ هـ . وقد بناها لأبي القاسم يحيى بن فضلان الشافعي ودرس فيها

(٨٣) د . مصطفى جواد : (بحث متع في مدارس بغداد) ، مجلة الأستاذ ، بغداد - العراق

ع - ٥ ، ٦ (٩٥٨ م / ١٩٥٦ م) ص ١١٠ ، ١١٩ ص ٨٦ ، ١١٣ .

(٨٤) د . ناجي معروف : المدارس للشرابية ص ١١٧ . ١١٨ .

(٨٥) ابن الجوزي : المتقظم : ج ٩ ص ٣٨ . ٣٦٠ .

(٨٦) المصدر نفسه ج ١٠ ص ٣٨ ، ٤٨٠ .

(٨٧) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص ٦٣ .

هو وابنه من بعده أبو عبد الله محمد بن يحيى أول مدرس للمذهب الشافعى بالمدرسة المستنصرية . ومن مدرسيها أيضا مجيد الدين أبو طاهر على بن محمد الواسطى البغدادي الفقيه . ومن سكن « دار الذهب » أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني وقد تولى الاعادة بها قيما بفن العربية والفقه والجسد والأصول والخلافة والحكمة والطب^(٨٩) .

٥ - مدرسة درب القيار^(٩٠) : أو « مدرسة الحراني » بدرب القيار شرقي بغداد بـ « مدرسة ابن بكروسي » وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن بكروسي الحماني الحنبلي . بناها للحنبلة وكانت تجاور منزله . وكانت ولادته سنة اثنين وخمسمائة ووفاته في سنة ٥٧٣ هـ ودفن بمقبرة الإمام أحمد بن حنبل . وكان قد تزهد واعتزل الناس . وتردد الناس اليه فأقرأ جماعة وتفقه به جماعة .

٦ - « مدرسة زمرد خاتون » زوجة الخليفة المستضيء بالله وأم الخليفة الناصر لدين الله . وتعرف « بمدرسة الأصحاب » أي أصحاب الشافعى . وتسمى « مدرسة أم الخليفة » وسميت « بالمدرسة الغربية » لوقوعها في الجانب الغربي في بغداد وتوصف بـ « الميونة » بنتها زمرد خاتون للشافعية بالجانب الغربي عند مشهد معروف الكرخى بجوار تربتها . ويظهر أنها بقيت الى عهد سليمان باشا الكبير وإلى بغداد . وكانت زمرد خاتون من أرغب النساء في فعل الخير ، وكثرهن له فعلا ولها بر وأفضال فضلت به أمثالها في الصدقات الجارية وعمارة المساجد والمشاهد والأربطة والمدارس وغير ذلك مما لاخفاء له عن نظر متأمل . عمرت القربة قبر معروف الكرخى والمدرسة الى جانبها ووقفت عليها الأوقاف وكان افتتاح المدرسة في سنة ٥٨٩ هـ ووفاة مؤسسها^(٩١) سنة ٥٩٩ هـ .

٧ - المدرسة الثقفية^(٩٢) : أو مدرسة ثقة الدولة بناها لأصحاب الشافعى وكيل الخليفة المقتفى لأمر الله أبو الحسن على بن محمد الانباري الدريني

(٨٩) د. ناجي معروف : المدارس النرابية ص ١١٨ .

(٩٠) الحنبلي ، ابن العماد أبو الفلاح عبد الحى الحنبلي : (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) . (القاهرة ١٣٥٠ هـ) ج ٢ ص ٢٤٤ .

(٩١) ابن السامى ، أبو طالب على بن أنجب نايج الدين الملقب بابن السامى : (الجامع المختصر في عيون التواريخ وعيون السير) تحقيق د. مصطفى جواد (المطبعة السريانية للكاتوليكية - بغداد ١٩٣٤ م) ج ٩ ص ١٨٨ ، ٢١٧ .

(٩٢) ابن الفوطى . تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ج ٤ ص ٢٧٣ ، ٣٣٩ .

الملقب ثقة الدولة المتوفى سنة ٥٤٩ هـ على دجلة تحت راية الخلافة في باب الأرج بالجانب الشرقي . وكان ثقة الدولة أول أمره حدادا فقدمه المقتنى وقربه وهو زوج الكاتبة العالمية شهده بنت أحمد بن الأبرى المتوفاة سنة ٥٧٤ هـ . وقد دفنت بسباب أبرز قرب المدرسة التاجية وممن درس فيها يعيش بن صدقة المتوفى سنة ٥٩٣ هـ وكان إماما في الفقه^(٩٤) . وكان أجل الشافعية في زمانه . وعز الدين بن عمر الطيارى التستري وشرف الدين يوسف بن بندار الدمشقى المتوفى سنة ٥٦٣ هـ وهو الذى بنى له ثقة الدولة المدرسة الثقتية المنوه بها . وعفيف الدين الزبيدى الواسطى وكمال الدين أبو المظفر عبد الودود الواسطى البغدادي . وكمال الخليفة ، وموفق الدين أبو النصر أحمد بن أسفندنار بن عبد الرحمن البغدادي النقيص المؤدب المتوفى سنة ٦٨٥ هـ ومحيى الدين أبو المكارم منصور بن الحسن الزنجاني وقد تولى التدريس بها سنة ٥٩٣ هـ وممن سكن بهذه المدرسة محمود الزنجاني وقد أعاد بها الدرس لكمال الدين عبد الودود^(٩٤) .

٨ — مدرسة بنفشه^(٩٥) وتسمى « المدرسة الشاطئية » بنتها بنفشه زوجة الخليفة المستضى بالله للحنابلة بباب الأرج بالجانب الشرقي في بغداد سنة ٥٧٠ هـ وبذكر ابن الزوجى أنها كانت دارا لنظام الدين أبى نصر بن جهم وكانت وصلت ملكيتها الى الجوة بنفشه فجعلتها مدرسة وسلمتها الى أبى جعفر ابن الصباغ وبعد أيام سلمتها لابن الجوزى فذكر فيها الدروس وحضر قاضى القضاة وحاجب الباب وفقهاء بغداد .

٩ — المدرسة الموفقية^(٩٦) : وهى مدرسة للحنفية بنتها بنت السلطان ملك شاه السلجوقى وزوجة الخليفة المستظهر بالله ببغداد الشرقية بدرب « زاخا » على نهر دجلة .

قال ابن الجوزى يذكر قتالا جرى سنة ٥٤٣ هـ ببغداد في نهر دجلة بين الأتراك وجيش الخليفة : « وكان القتال تحت مدرسة موفق » ولعلها هى مدرسة

(٩٣) د . ناجى معروف : المدارس الشراعية ص ١٢٠ .

(٩٤) د . ناجى معروف : المدارس الشراعية ص ١٢٠ .

(٩٥) النسانى : المسجد المسمى الورقة ١٩٣ - ١ ، مخطوط .

(٩٦) ابن الجوزى : المنتظم ج ٩ ص ٢٢٧ ، ج ١٠ ص ١٢٢ .

الخاتون المستظهيرية التي ذكرتها بعض المصادر التاريخية . وقد نسبت الى مملوكها الموفق بن عبد الله الخاتوني الذي دفن بالمدرسة وذكر ابن الساعي ان موفق الخادم هو واقفها . ومن مدرسيها علم الدين أبو زكريا بن محرز البغدادي ، ومجد الدين ابن اللمغاني مدرس مشهد أبي خنيفة .

١٠ - مدرسة زبرك « أو مدرسة سوق العميد » وهي مدرسة الحنفية بالجانب الشرقي وهي مدرسة للحنابلة أنشأها أبو حكيم إبراهيم بن دينار العميد كانت ممنا يلى جلايع المرادية حيث كانت تقع مدرسة زبرك^(١٨) وممن تولى التدريس فيها محمد بن أحمد بن عبد الجبار أبي المظفر الحنفي من أهل سمنان ، ويعرف بالشطرب المتوفى سنة ٥٧٣ هـ وقيل عنه الصفدي : دخل بغداد واستوطنها وولى تدريس مدرسة زبرك بسوق العميد .

١١ - مدرسة ابن دينار^(١٩) النهرواني الحنبلي الحسنى الفقيه بباب الأزج بالجانب الشرقي وهي مدرسة للحنابلة أنشأها أبو حكيم إبراهيم بن دينار النهرواني البغدادي الملقب بالقصدوة وكان يقيم بها . ولد في سنة ٤٨٠ هـ وتوفى سنة ٥٥٦ هـ ودفن قريبا من بشر الحافي وكان يخطط للفاس الثياب وكان عالما بالمذهب والخلاف والفرائض حسن المعرفة بالفقه والمناظرة وكان يضرب به المثل في التواضع . قرأ عليه خلق كثير وتخرجوا به .

١٢ - مدرسة أبي سعد المخزومي^(٢٠) : بباب الأزج بالجانب الشرقي بناها سعد المبارك بن على بن الحسين وهي مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني . وتعرف بالقادرية وبمدرسة الجيلاني أو مدرسة ابن الخزومي وكانت للحنابلة .

١٣ - المدرسة التتشية^(٢١) : أو مدرسة خمارتكين التتشي المتوفى سنة ٥٠٨ هـ بناها نجم الدولة خمارتكين بمشرفة درب دينار بالجانب الشرقي من بغداد وكانت للحنفية . وهذا خمارتكين هو خادم الملك تتش بن الب أرسلان يقال له

(٩٧) ابن الفوطى : تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ج ٤ ص ٥٢١ .

(٩٨) الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك : (اللواتى بالكوفيات) (استانبول ١٩٣١ م)

ص ١٥٦ .

(٩٩) ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٥ ص ٣٢٧ .

(١٠٠) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص ٨٧ .

(١٠١) ابن الجوزى : المنتظم ج ١٠ ص ٢٢٦ .

داوود السلجوقي . ومن مدرسي « المدرسة القشتية » علم الدين أبو زكريا بن محرز البغدادي ، ويذكر ابن الجوزي من مدرسيها يوسف الدهشتي وابن الشاشي .

١٤ — مدرسة ابن الأبرادي^(١٠٦) : وهي مدرسة لأصحاب أحمد بن حنبل بالجانب الشرقي كانت في الأصل دارا بالبلدية لأحمد بن علي ابن الأبرادي الفقيه الزاهد المعروف بابن الأبرادي الذي توفي في ٢٢ شهر رمضان سنة ٥٣١ هـ ودفن بباب أبرز .

١٥ — مدرسة سماعة^(١٠٧) : وهي من المدارس المشتركة بين الحنفية والشافعية أنشأها بالجانب الشرقي الأمير عز الدين أبو الحسن سماعة الرسائلي الذي وصف بأنه كان يفصح بأكثر اللغات . وكانت وفاته سنة ٥١٠ هـ ودفن في جوار الإمام أبي حنيفة . ومما ذكره ابن الجوزي^(١٠٨) أنه كان في مدرسة سماعة منارة ، ومن مدرسيها فخر الدين الأمدى الصوفي أحد المعينين بالمستنصرية وكان مدرسا للنحو فيها والقاضي بدر الدين علي بن محمد ملاق الرقي المحتسب بجانبى بغداد .

١٦ — المدرسة الكمالية^(١٠٩) : أو مدرسة ابن طلحة نسبة إلى كمال الدين أبي الفتوح حمزة بن علي بن طلحة الشافعي المتوفى ٥٥٦ هـ . ويعرف بابن بقشلاق وأصله من الري . وكان أحد الأماثل الأعيان ولاء المسترشد حجابة باب التوني في أواخر سنة ٥١٢ هـ وجعله صاحب مخزنه في سنة ٥١٤ هـ ولم تقل حاله عنده عالية مدة خلافته وكذلك من بعده في أيام المقتدى لأمر الله إلى أن حج واستعفى من الخدمة سنة سبع أو ست وثلاثين وخمسائة وانقطع في بيته نحو من عشرين سنة ، وكان محترما في زمان عزله يغشاه أرباب الدولة وغيرهم . وبنى مدرسة للفقهاء الشافعية مجاورة لداره بباب العامة ووقف عليها ثلث أملاكه ، ورتب فيها « ابن الخل » مدرسا فيها ولذلك تسمى « مدرسة ابن الخل » أحيانا . كما تعرف بمدرسة ابن طلحة . ولما توفي دفن بتربة له في الحربية مقابلة لتربة أبي الحسن القزويني . ويظهر أن ابن عمر ابن الشمحل كان متزوجا من ابنته .

(١٠٢) ابن العماد الحنبلي : تذكرة الذهب ج ٤ ص ٩٦ .

(١٠٣) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ج ٤ ص ٣٨٥ .

(١٠٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ ص ١٠٨ .

(١٠٥) المكتبي ، ابن شاکر محمد : (فوات الوفيات) ، تحقيق د. احسان عباس (دار صادر

— بيروت — لبنان — بئون) ج ٢ ص ٤٠ .

١٧ — المدرسة الغياثية^(١٠٦) : نسبة الى الملك غياث الدين مسعود بن محمد ابن ملك شاه السلجوقي وقد تسمى « المغيثة » التى تنسب الى أخيه مغيث الدين محمود بن محمد ملك شاه السلجوقي . والغياثية مدرسة لحنفية ملحقة بالجانب الشرقى من بغداد وقد ذكرت فى التراجم بالنسبة الى الاخوين غياث الدين ومغيث الدين . فقد ذكر ابن الديبى الغياثية فى ترجمة أبى الفضل الضرير الحنفى المتوفى سنة ٥٤٦ هـ . هو المعروف بزين الأئمة وقال : درس بالمدرسة الغياثية مدة . كما نكر الذهبى من مدرسيها : المبارك بن نصر الحنفى ابن الذنى المتوفى سنة ٥٢٨ هـ وذكر ابن الفوطى من مدرسيها مجد الدين مسعود بن الحسين اليزدى المتوفى بالموصل سنة ٥٧١ هـ .

١٨ — المدرسة المغيثة^(١٠٧) : ذكرها ابن الفوطى فى ترجمة فخر الاسلام النوجاباذى مدرس المغيثة وقال عنه : قدم مع والده ظهر الدين النوجاباذى عندما استدعى لتدريس الحنفية بالمستنصرية وكان تدريسه بالمغيثة سنة ٦٧٧ هـ وجاء فى الحوادث الجامعة ذكر محى الدين بن الحيا الحنفى مدرس المغيثة سنة ٦٧٣ هـ من مدرسيها أبو الخير مسعود بن الحسن اليزدى الحنفى ومنتخب الدين أبو الفضل المعروف بابن الصيرفى المتوفى سنة ٥٩٦ هـ . وحضر مغيث الدين الى حضرة المسترشد بالله وطلع عليه ومدحه ، واليه تنسب المدرسة المغيثة ببغداد .

١٩ — المدرسة الأسبافية^(١٠٨) : بالجانب الشرقى بين الدين وفكرها ابن الديبى بالأصفهانية ، وفكرها ابن الساعى وقال عنها : انها سلمت فى سنة ٦٠٤ هـ الى عماد الدين أبى بكر السلامى المعروف بابن الحبير بعد أن انتقل من مذهب أحمد ابن حنبل الى مذهب الشافعى . وفى المسجد المسبوك : ان أبا معشر الهمذانى كان مدرس « مدرسة بين الدين » وكان شيخا خيرا فاضلا متواضعا .

٢٠ — المدرسة البهائية^(١٠٩) : وهى من المدارس الشافعية ، بنيت فى الجانب الشرقى من بغداد ، وكانت على مجلة قريبة من النظامية ومن مدرسيها : علم الدين أبو الخير داوود الجبلى المدرس ، ومحمد أبو هاشم البردى الشافعى . قال ابن

(١٠٦) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ج ٤ ص ٣٨٥ والتلخيص ج ٥ ص ٢٦٠ .

(١٠٧) د. ناجى معروف : المدارس الترابية ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(١٠٨) محمد بن سعيد بن الديبى : (المختصر المحتاج اليه) تحقيق د. مصطفى جواد (مطبعة

دار للدهان - بغداد ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م) ج ١ ص ١٦٢ وابن الساعى : الجامع المختصر ج ٩ ص ٢١٩ .

(١٠٩) ابن الجوزى المنتظم ج ١٠ ص ٢٣٤ .

الجوزى : « ... واخذت مدرسة كانت للحنفية وقد كانت قديما للشافعية وهى بالموضع الأسى بباب المدرسة على الشط . وقد حضرت فيها مناظرة يوسف الدمشقى وبيده كانت وآل امرها الى أن سلمت الى محمد البردى مدرس فيها وحضر قاضى القضاة وشيخ الشيوخ وصاحب الباب ومدرس النظامية وابن سديد الدولة كاتب الانشاء » .

٢١ — المدرسة النجيبية^(١١٠) : أو مدرسة أبى النجيب السهروردى بالجانب الشرقى وهو عبد القاهر بن عبد الله البكرى الصديقى الشافعى من أشهر أعيان المسلمين ولد سنة ٤٩٠ هـ بسهرورد وتوفى ببغداد سنة ٥٦٣ هـ ودفن بمدرسة ولا يزال قبره ظاهرا هناك . قال ابن الجوزى عنه : « وكان ممن تفقه ودرس بالنظامية وبنى لنفسه مدرسة ورباطا ووعظ مدة وكان متصوفا »^(١١١) .

٢٢ — مدرسة الشاشى^(١١٢) : بناها للشافعى فخر الاسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشى الأصل الفارقى المولد البغدادى . ولد بميافارقين فى المحرم سنة ٤٢٧ هـ . وقدم بغداد ولزم الشيخ أبا اسحاق الشيرازى وتفقه على أبى نصر ابن الصباغ وانتهت اليه رئاسة الشافعية . وتولى انتدريس بالنظامية ببغداد من سنة ٥٠٤ هـ وحتى وفاته سنة ٥٠٧ هـ .

٢٣ — مدرسة أبى شجاع^(١١٣) : وكانت مدرسة للحنابلة بناها بباب الأزج عند باب كلواذا ودفن فيها . ووقف قطعة من أملاكه على الفقهاء ، وسبل الخير وكانت وفاته سنة ٥٢٠ هـ .

٢٤ — المدرسة القيصرية^(١١٤) : وكانت على مقربة من رباط الشيخ أبى النجيب السهروردى وهى إحدى مدارس الجانب الشرقى اقام بها فخر الدين النوقانى عندها قدم الى بغداد ودرس فيها من سنة ٥٨٩ هـ وحتى وفاته سنة ٥٩٢ هـ .

(١١٠) د. ناجى معروف : المدارس الشراعية ص ١٢٧ .

(١١١) ابن الجوزى : المنتظم ج ١٠ ص ٢٢٥ .

(١١٢) المصدر نفسه ج ٩ ص ١٧٩ .

(١١٣) المصدر نفسه ج ٩ ص ٢٦٢ .

(١١٤) ابن الجوزى : المنتظم ج ١٠ ص ٢٤٥ .

٢٥ - مدرسة ابن الجوزي^(١١٥) : أبى الفرج عبد الرحمن بن على المتوفى سنة ٥٩٧ هـ وهو مؤلف عدد كبير من الكتب منها : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم . وكانت هذه المدرسة بالجانب الشرقى بدرب دينار . وجاء فى حوادث سنة ٥٧٠ هـ ان ابن الجوزى ابتداً بالقضاء الدروس فى مدرسته بدرب دينار فذكر يومئذ أربعة عشر درساً من فنون العلوم . ومن مدرسيها الشيخ أبو محمد عبد اللطيف بن سليمان الخياط .

٢٦ - المدرسة المستنصرية : وفى سنة ٦٣١ هـ ببغداد افتتحت المدرسة المستنصرية تلك المدرسة التى شيدها الخليفة المستنصر بالله العباسى وجعلها موقوفة على المذاهب الأربعة وصار لكل مذهب من المذاهب السنية ركن خاص وله مدرسون وطلبة ، كما درست علوم الطب والأدوية فى هذه المدرسة العظيمة^(١١٦) .

وقد جعل المستنصر لمدرسته هذه ميزة أخرى على المدارس الإسلامية وذلك أنه شرط أن يضاف إلى مدرسته الفقه والطب كما يذكر ابن السعائى دارين آخرين لعلمين مهمين من علوم الشريعة والإسلام أولهما دار القرآن والثانية دار السنة^(١١٧) .

وظل التدريس بالمستنصرية قائماً أربعة قرون منذ افتتاحها سنة ٦٣١ هـ إلى سنة ١٠٤٨ هـ عدا فترتين من الزمن الأولى قصيرة جداً وكانت أثناء الاحتلال المغولى لبغداد سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م حيث تعطلت المدارس والربط والمساجد كما يقول ابن الفوطى والثانية طويلة جداً وتبدأ من احتلال الجيوش اللتكية لبغداد بقيادة تيمورلنك .

وكان يدرس بها علوم القرآن والسنة النبوية وعلم الطب والعربية والرياضيات والفرائض وكلها فى مكان واحد يتألف من مبان عديدة ، أو متجاورة . ولم تكن المدارس قبل المستنصرية كذلك فقد كانت مدارس الطب تبنى مستقلة عن مدارس الفقه أو دور الحديث أو دور القرآن ، كالبيمارستان العضدى بالجانب الغربى من

(١١٥) المصدر نفسه ص ٢٥٠ .

(١١٦) د. حسين أمين : (كتاب المستنصرية) ، مجلة المآثر العربى - بغداد - للعراق ع ١٤

(١٩٨٠ م) ص ٢١ .

(١١٧) د. ناجى معروف : (تاريخ علماء المستنصرية) ، (مطبعة جامعة بغداد - العراق

١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٥ م) ج ٢ ص ٢٥ .

بغداد ومدرسة الطب التي أنشأها أبو المظفر باتكين بالبصرة سنة ٦٢٩ هـ في خلافة المستنصر ومدارس الطب في دمشق^(١١٨) .

وقد اجمع المؤرخون على ان المستنصر رتب في المستنصرية خزانة كتب من الكتب النفيسة في أنواع العلوم المختلفة شيء كثير جدا . . . وجد برسم من يطالع ويستنسخ من الفقهاء ، ورتب لهم فيها الورق والكتابة عن يريده النسخ^(١١٩) .

ومما يدل على عناية المستنصر بالعلوم والكتب العلمية وميله لاقتنائها وخزنها في دور الكتب التي في المدارس ما ذكره الصفدي قال : « ويبيع كتب العلم في أيامه بأعلى الأثمان لميله الى اقتنائها وروعى في تحصيلها . وانكباه على مطالعتها وحسن خطوطها . ووقفها على اهل الفضل وخزنها في المدارس وصنف الفضلاء في دولته . يدافع المصنف في فنون العلم وتقربوا باهدائها اليه »^(١٢٠) .

٢٧ - المدرسة البشرية : وفي بغداد شرعت زوجة المعتصم المعروف بباب بشر سنة ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م ببناء المدرسة البشرية بالجانب الغربي من بغداد فجعلتها وقفا على المذاهب الأربعة على قاعدة المدرسة المستنصرية وافتتحت في سنة ٦٥٣ هـ وعُدت المستنصرية قدوة لمؤسسي المدارس من الرجال والنساء في العراق ومصر والشام والحجاز حيث شرعوا يبنون مدارسهم على صفتها . من حيث الدراسة على المذاهب الأربعة^(١٢١) . وحضر الخليفة المستعصم واولاده فجلسوا في وسطها . ومن مدرسيها سراج الدين النهرواني القاضي القضاة وشرف الدين ابن عبد الله بن الجوزي ، ومحيى الدين ابن الجوزي ونور الدين الخوارزمي الحنفي ، وعلم الدين الشارماحي ، وجمال الدين ابن العاقولي ، وصدر الدين محمد بن شيخ الاسلام . وصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ، وقاضي قضاة سراج الدين الهنائي ، وعلم الدين اسماعيل بن علي النحوي ، وشمس الدين الأصبهاني وعبد الرحمن ابن الكوازي ، وتاج الدين عبد الرحيم بن يونس الموصلية قاضي انجانب الغربى من بغداد^(١٢٢) .

(١١٨) ياقوت الحموي : معجم الادباء ج ١ ص ١٧٨ ، ٥٨ ، ٣٥٨ .

(١١٩) ابن تقيية : (عيون الأخبار) الورقة ٢٣٩ - مخطوطة .

(١٢٠) الكتبي : (الوافي بالوفيات) ج ٢٤ الورقة ١٢ من مخطوطة لندن .

(١٢١) د. ناجي معروف : (تاريخ علماء المستنصرية) (طبعة جامعة بغداد - العراق

١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م) ج ١ ص ٣٠ .

(١٢٢) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص ٢٧٤ ، ٣٠٧ ، ٤٤٨ ، ٥٦٢ .

٢٨ — مدارس واسط : لقد زخرت واسط في خلافة العباسيين بعدد كبير من المدارس ، ودور القرآن والمقرئين والمدرسين وعدت من أهم المراكز لتدريس القرآن والقراءات المختلفة . واصبحت المدن الكبرى والأقطار الإسلامية لا تخلو من واسطى يدرس فيها القرآن وعلومه . أو مؤلف في القراءات . كما كثرت فيها الربط التي كانت تؤدي خدمات ثقافية واجتماعية في آن واحد . وقد وفد الى مدارسها كثير من الطلاب لطلب العلم فيها . ولعل من أشهرهم الفيروزابادي الصديقي البكري صاحب القاموس المحيط . فقد وفد اليها من بلاد فارس ، ورحل بعد ذلك الى بغداد وغيرها (١٣٣) .

واشتهر من بين الأساتذة الكبار بواسط : أبو بكر الباقلاني الذي قرأ القرآن بها . وقرأ عليه الأدب والنحو القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطي (١١٠) ومن علمائها : عماد الدين القزويني الأنصاري صاحب كتاب آثار البلاد وأخبار العباد وكتاب عجائب المخلوقات . وابن الديبئي الواسطي المتوفى سنة ٦٣٧ هـ ، وأبو طالب الكتاني المتوفى سنة ٥٧٩ هـ وكان يتولى الحسبة بواسط هو وأبوه (١٣٥) .

والقاضي أبو تغلب الواسطي ، وابن أخيه محمد بن الرشيدي وكان ننظر مارسقان واسط (١٣٦) . وأبو بكر الفاروقي ، والداعي الرشيدي والبدر عبد الجبار ابن المجد محدث واسط وفقهها ، وعبد الله بن عبد المؤمن التاجر الواسطي الذي أقرأ الناس ببغداد وواسط والبصرة والبحرين ، والذي صنف كثيرا من كتب القراءات والمقرئ أبو العز القلانسي وأبو الحسين بنان بن محمد بن حمدان الحمال ، ويزيد بن هارون وكان عالما عابدا مقرئا محدثا ... الخ (١٣٧) .

ان ظهور الحركة المدرسية في المشرق (١٣٨) في عهد الوزير نظام الملك النسلجوقي عامة وفي العراق خاصة وما تبعها من تطور لتلك الحركة وتوسيع وتنظيم ، كان له الأثر الكبير في انتقال تلك الفكرة الى الأقطار الإسلامية ولا سيما الى مصر والشام . ويجد الباحث المدقق أن هناك الكثير من المدارس التي بنيت في

(١٣٣) د. ناجي معروف : المدارس الشراعية ص ٢٦٤ .

(١٣٤) ياقوت الحموي : معجم الأنبياء ج ٥ ص ٢٥٩ .

(١٣٥) ابن الديبئي : المختصر المحتاج اليه ج ١ ص ٩٤ ، ٩٥ .

(١٣٦) المصدر نفسه ج ١ ص ١١٠ .

(١٣٧) د. ناجي معروف : المدارس الشراعية ص ٢٦٤ .

القاهرة زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي سار على غرار سياسة نظام الملك السلجوقي في نشر المدارس الإسلامية والعمل على تشجيع تشييدها .

ومما لا شك فيه ان المدارس التي نهضت في بغداد وانتشرت انتشارا واسعا كانت تخدم فكرة نشر المذهب السني والعمل على تقويته والدفاع عن إصابه ، وان انتقال الفكرة المدرسية الى مصر أيام الحكم الفاطمي معناه العمل في مصر على اضعاف الدولة الفاطمية الشيعية وفعلها عملت المدارس السنية وخاصة تلك التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي وعملها المؤثر البالغ في اظهار المذاهب السنية . فلا غرو اذن ان الاتصال السياسي والاقتصادي والثقافي الذي كان يسود المنطقة الإسلامية وعلى الأخص العراق ومصر كان عاملا مهما في نقل الفكرة المدرسية الى القاهرة وضعف وانزواء المذهب الشيعي الذي كان المنفذ والمسيطر على مصر بأسرها ، ولعل هذه من النتائج الكبيرة للعلاقات الثقافية التي كانت سائدة بين القاهرة وبغداد والتي كانت حسيطة نشر المدارس في أرض الكنانة (١٢٩) .

وقد أدت الحركة العلمية التي يعتبر بيت الحكمة لولبها الى ازدياد طلب المعرفة من قبل فئات لا يستهان بها من الناس الأمر الذي أدى الى الاقبال على شراء الورق ، لذا أسست مصانع الورق في عهد الرشيد في بغداد (١٣٠) ثم انتشرت صناعته في أنحاء البلاد العربية وقبل ذلك كان يكتب على ورق البردي أو على الرغوف من الجلود أو العظام أو أى شئ . ووجدت حوائث الوراقين بكثرة وخاصة في خلافة المأمون (١٣١) وكان ظهور الورق فاتحة لانتشار الثقافة العربية (١٣٢) .

(١٢٨) د. حسين أمين : كتاب المستنصرية ، مجلة المؤرخ العربي ع ١٤ ص ٢٠ بغداد - العراق .

(١٢٩) د. حسين أمين : كتاب المستنصرية ، مجلة المؤرخ العربي - بغداد - العراق ع ١٤

ص ٢١ ، ١٩٨٠ م .

(١٣٠) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٦٥ .

(١٣١) د. عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الأول ج ١ ص ٣٥٨ .

(١٣٢) د. ناجي معروف : (أصالة الحضارة العربية) دار الثقافة - بيروت - لبنان ط ٣ ،

١٩٧٥ م (ص ٤٤١) .

ثالثا - أثر بيت الحكمة في المدارس الاسلامية :

أضحى من المسلم به أن المكتبة برسالتها ، وهدفها عدت صورة حياة صادقة للأمم وتقدمها ، ومظهرا حضاريا بمدى اهتمام الشعوب بالفكر ، وصيانة آثاره من العبث والضياع ، فضلا عن الدور الذي تؤديه لحفظ ما خلف السلف من كنوز المعرفة ، وثمار القرائح ونتائج العقل .

ففي العصر العباسي الأول انتشرت الكتابة ، وكثر التأليف ، واشتدت الحاجة الى معرفة ثقافة الشعوب العريقة التي غلبت على أمرها ، وباتت الترجمة عملا منظما تشرف عليه الدولة وترعاه ، وأصبح النقلة شبه موظفين يختارون لهذا العمل بالنسبة لثقافتهم ومعارفهم . ويعينهم الخليفة ويجري عليهم المال ، مما ساعد على انتشار الكتب المنقولة عن اللغات ، واتساع حركة التأليف والتدوين والنسخ ، وأنشاء المكتبات لتستوعب هذه المجلدات الكبيرة وتعين على استمرار حركة الثقافة والمعرفة^(١٣٣) .

فالأمة التي لا تولى الكتاب والمكتبة كل عنايتها هي أمة متخلفة من العسير أن تنبؤا مركزها في موكب الحضارة ، وكل نهضة لا تقوم على أساس من التخطيط المعتمد على الكتب والمكتبات كأداة فعالة وإسنادية في هذه النهضة يتهددها الفشل .

وفي خلافة العباسيين اختلف الأمر عما كان عليه في صدر الاسلام حيث اعتنى العرب في العصر العباسي بغن التدوين ، ووضعت مسانيد الحديث فألفت الكتب في كل صقع واهتموا حينئذ بإنشاء دور الكتب وهي عبارة عن خزانات عامة للمكتب يخصص أحد جوانبها لمطالعة الكتب ونسخها وتكون هذه الدور موقفا للعلماء والباحثين يناقشون فيها ويبحثون مختلف المواضيع وتقوم تلك الدور أحيانا بصورة عرضية بهمة تعليمية ولا سيما أن بعض روادها يقصدونها من أماكن بعيدة ويقيمون فيها مدة طويلة ، وأن القائمين على تلك الخزانات يسهمون بنفقات أولئك الرواد ويمكن تصنيف خزانات الكتب التي ظهرت في هذه الفترة الى ثلاثة أصناف :

(١) خزانات عامة : وهي خزانات الكتب الملحقة بالمدارس والمساجد والربط والبيمارستانات وكانت تعمر الكتب للطلاب وأصبح لهذه الخزانات نظام تسمير عليه الادارة للاعارة والاستنساخ .

(١٣٣) عبد الله أنيس العليان : (علم المكتبات - الادارة والتنظيم) ، (دار الكتاب اللبناني - بيروت - ط ١ ، ١٩٧٢ م) ص ٢٠٣ ، ٢٠٥ .

(ب) خزانات خاصة : وهى الخزانات الشخصية التى كانت فى بيوت الخلفاء والولاة والعلماء والادباء والأثرياء من الناس .

(ج) خزانات بين العامة والخاصة : وكان استعمالها مقتصرًا على طبقة معينة من العلماء والطلاب ومن أشهر الخزانات فى ذلك العهد خزانة بيت الحكمة التى أنشأها الرشيد وازدهرت كثيرا فى خلافة ابنه المأمون وقد حوت هذه الخزانة العديد من الكتب القيمة ، وكان فيها الى جانب الكتب العربية المخطوطات الفارسية والسريانية واليونانية وغيرها^(١٣٤) .

وكانت هذه الكتب تعار متبادل رهن حافظ لقيمتها مما ساعد الطلاب على الاستفادة من هذه الكتب ، أما ادارة خزائن الكتب فكان يتولاها أحد العلماء المشهورين ويطلق عليه الخازن ويساعده فى ذلك المشرفون والمناولون وقد خصصت لهم الرواتب والجرايات .

وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت بغداد تجتذب الطلاب العديدين من مختلف الجهات ولم تكن الدراسة فى معاهد بغداد مقصورة على الناحية النظرية بل كانت هناك أيضا دراسات عملية تعالج أهم النظريات فى الكيمياء والطب والهندسة ، ولعل احصائية القرن العاشر فى عصر المقتدر بالله تبين لنا عدد الأطباء الذين كانوا يمارسون المهنة بعد حصولهم على شهادات رسمية فى الدراسات الطبية قد وصل ٨٦٠ طبيباً . وبجانب هذا العدد الكبير كان يوجد أكثر من ٢٠٠ طبيب يمارسون العمل بدون شهادات وذلك بسبب خبرتهم الطويلة وبسبب أنهم كانوا أطباء فى تصور الخلفاء . وقبل عمل هذه الاحصائية بقليل كان عدد الأطباء المسلمين فقط الذين يعملون فى قصر الخليفة المتوكل ستة وخمسين طبيباً^(١٣٥) .

وكان المأمون أول من أبرز فكرة بيت الحكمة للوجود وكان سخيا فى الإنفاق عليها وعين لها جلة العلماء للإشراف عليها ورتب لهم المرتبات والأجور السخية فانتشرت فكرة المأمون هذه بين من جاء بعده من الخلفاء والعظماء^(١٣٦) فأصبح

(١٣٤) محمد سعيد الطريحي : خزائن الكتب الإسلامية القديمة فى الكوفة ص ٢١٢ . ٢٩٣

(١٣٥) د. حسن عون : (صور ملهمة من واقع المجتمع العربى) (دار المسارف بمصر -

القاهرة - بدون) ص ٢٥٠ .

Sayed Ameer Ali : Short History of Saracens, p. 274. (١٣٦)

من ضروريات انشاء معهد ثقافى او مدرسة أن يعين لها وقف ثابت تتلقى فيه ما يفى بنفقاتها وما يمددها بما تحتاجه من مصروفات ثم تطور هذا الاتجاه فظهرت الأوقاف أيضا على الذين يشغلون أنفسهم بخدمة العلم في المساجد بل ان بعض الأركان والأعمدة بالمساجد كان يوقف عليها أوقاف سخية يصرف ريعها الى من يجلس بها للتدريس والتعليم (١٣٦) .

وقد قدر للخلفاء العباسيين أن يجمعوا في بيت الحكمة كل الكتب التى نقلت من أقطار وسائر بلاد الروم ، وأن تنشر في زمنهم مجموعة كبيرة من الكتب المنقولة من اللغات العالية المعروفة مثل السريانية واليونانية والفارسية والهندية في ذلك العصر من علوم الطب والفلك والحكمة والآداب والتخصص وغيرها ، هذا فضلا عن المؤلفات العربية الجديدة التى أنتجها علماء العربية في شتى أنواع العلوم القرآنية واللغة والنحو والتاريخ وسائر الفروع الأخرى (١٣٨) .

فكان هارون الرشيد شديد الحرص عليها ثم جاء من بعده ابنه المأمون فزاد في عددها كماً ونوعاً حيث أصبحت المكتبة تنطق بفضلها وتشهد للعباسيين بكانتهم العلمية ومركز دولتهم الحضارى واثرت في التراث العربى الاسلامى بهذه الكتب (١٣٩) .

واهتم الخلفاء العباسيون بتعليم الرعية ولم يلبث أن جعل من التربية واجبا ترعاه الدولة فالأطفال من مختلف الطبقات يتعلمون التعليم الأولى مقابل مبلغ ضئيل يقدر على دفعه دون مشقة ، ومنذ أن بدأت الدولة تعين المعلمين بالمدارس أمكن الفقراء أن يعلموا أولادهم مجانا ولقد أفادت حركة التعليم من التناقص السياسى بين المعارضة وأحزاب الحكومة وبدأت أحزاب المعارضة تضع في برنامجها من قبيل الدعاية انشاء تعليم عال لكل طبقات الشعب ومدارس عليا تشبه الكليات فأنشأت المدارس العليا في كافة المدن الكبيرة (١٤٠) .

ونستطيع القول بأن التسامح الدينى الذى كان سائدا في انحاء العالم

(١٣٧) د. احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ٣٦٥ .

(١٣٨) د. عبد الجبار الجومرد : (هارون الرشيد) * (المكتبة العمومية - بيروت - لبنان ،

١٩٥٦ م) ج ٢ ص ٣٢٧ .

(١٣٩) عبد الله أنيس الطباع : علم المكتبات والادارة والتنظيم ص ٢٠٦ .

(١٤٠) زيفريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٩٢ .

الإسلامى فى عصر ازدهار الحضارة الإسلامية كان كبيراً جداً ولنا أن نشير هنا الى أقوال كثير من كبار المؤرخين الذين أعجبوا أيما إعجاب بهذا التسامح الذى كان فى ذلك العصر من المستحيلات فى غير الدولة الإسلامية ، يقول الأستاذ سيدنىو « ان المذهب النسطورى المسيحى قد تغلغل وانتشر فى الاجزاء الشرقية من اسيا تحت الحماية العسكرية الإسلامية . ويعجب الأستاذ « دربير » ان النساطرة لم يسمح لهم بممارسة شعائرتهم الدينية فحسب بل ان العرب قد عهدوا اليهم احيانا بتثقيف أبناء العائلات الكبيرة . ويقول بأن هذا الموقف تحرر مذهل اذا قيس بتعصب أوروبا . وهذا التحرر قد جعل هارون الرشيد يقلد يوحنا بن ماسويه وهو نسطورى مشرفاً على التعليم فى عصره ، اما المؤمنون فكان مجلسه يتألف من مهنيين لجميع الطوائف التى تدين بملكه . ويذكر الأستاذ دوزى مبرهننا على حرية التفكير فى ذلك العصر قصة نقلها عن أحد علماء الكلام العرب يروى فيها كيف كان يحضر فى بغداد دروساً كثيرة فى الفلسفة يشترك فيها يهود وزنادقة ومجوس ومسلمون ونصارى . ويحيرنا أن الحضور كانوا يستمعون الى كل منهم باحترام عظيم وانه لم يكن ينبغى لأى منهم أن يستند الا الى الأدلة الصادرة عن العقل لا الى الأدلة المسخوذة من أى كتاب مقدس .

ولا غرو ان ان يسمح الخلفاء والأمراء المسلمون للنصارى واليهود ان يتقلدوا مناصب الدولة كالمسلمين تماها (١٤١) . وذلك سهل لبيت الحكمة القيام بأكثر مجهود فى ترجمة العلوم الفلسفية والمعارف القديمة وفى حدود منتصف القرن التاسع الميلادى أصبح تحت يد العرب مختلف علوم الأسبقين ومعارفهم (١٤٢) .

ونهض التعليم العالى على وجه الخصوص حينما اهتم الخلفاء العباسيون بحركة النقل ومن أساتذة بيت الحكمة نستنتج ونحكم على مستواها العلمى من مقدرة أسساتذته ومديره اذا نظرنا الى منهج التدريس فى الحكمة وجدناه راقياً جداً فكانت تدرس فيه العلوم الفلسفية والطبية والرياضيات والفلك والعزوم الطبيعية والتاريخ والموسيقى (١٤٣) فاذا كان هذا خريج بيت الحكمة وقد أنهى هذه العلوم فلا ريب فى ان ذلك المعهد كان يساوى الكلية فى يومنا هذا .

(١٤١) جلال مظهر : (الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمى الحديث) . (مركز كتب الشرق الأوسط ، ١٩٦٩ م) ص ٥٧ .

(١٤٢) جلال مظهر : (علوم المسلمين أساس التقدم العلمى للحديث) . (الهيئة المصرية العامة للنشر - القاهرة ١٩٧٠ م - ع ٢٤٧) ص ١١ ، ١٥ .

(١٤٣) د . عبد المعص ماجد : (تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى) . (مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٣ م) ص ١٦٣ .

ولعل من آثار تقدم الحضارة العربية وازدهارها ان التعليم كان حراً من كل قيد اللهم الا الميل والرغبة . هذا يهوى العلوم الشرعية فينتجه اليها وذلك يعشق الحديث فيرحل لطلبه من رجاله وثالث يميل الى علم انكلام أو التصوف أو الطب أو الرياضيات فيتعمقها . وأفضل دراسة ما كانت عن ميل أصيل في النفس^(١٤) ، ونشأت علوم جديدة مثل علوم التفسير والحديث واللغة ، فلما اتسعت دائرة العلوم اتسع بطبيعة الحال مجال التدريس وشمل هذه العلوم أيضاً ، ولما كان الاسلام دينسا واقعيا حض المسلمين على الاستزادة من العلم ولم يضع اى عقبات في هذا السبيل فكان طبيعيا ان تستمر هذه المدارس وأن تنشأ مدارس جديدة وأن يستفيد المسلمون منها ومن علمائها في وضع حجر الأساس للحضارة العلمية الاسلامية التي بلغت ذروتها في عهد الخلفاء العباسيين ، وقد كان لبيت الحكمة القدر المعلى في ازدهار الحركة العلمية فيها .

وكان المأمون مثالا في انشاء المكتب في الممالك الاسلامية كما كان مثالا في سائر اسباب النهضة العالمية ، فقد اقتدى به كثيرون من الوزراء والأمراء داخل بغداد وخارجها فقد أقيمت دور كتب أخرى كثيرة في بغداد وجمع لها من الكتب آلاف مؤلفة فكانت هذه الدور جميعها ركنا من أركان النهضة العلمية في الدولة العباسية^(١٥) .

وفي الأندلس تشبه بنو أمية بالمأمون فآخذوا في انشاء دور الكتب وملئها بأنفس الأسفار وعجيب المخطوطات وأشبههم به الحكم بن الناصر الذي تولى الخلافة سنة ٣٥٠ هـ وكان محبا للعلم والعلماء وقد أنشأ في قرطبة دار كتب كبيرة وجمع اليها الكتب من جميع الجهات وكان يرسل التجار لشراؤها من أسواق العالم ويحضهم على كثرة البذل والعطاء .

واقتدى بخلفاء بغداد الخلفاء الفاطميون بمصر فبدأ العزيز بالله ثاني خلفاء الفاطميين بجمع الكتب في عصره وخصص لها قاعات سماها خزائن الكتب ويقدر رجال التاريخ عدد أسفارهم بألف مجلد ثم دار الحكمة التي أنشأها الحاكم بأمر

(١٤٤) د . أحمد فؤاد الأمواني : (الكنى فيلسوف العرب) * وزارة الثقافة والارشاد القومي -

للقاهرة ع ٢٦ اعلام العرب) ي ٣١ .

(١٤٥) جرجي زيدان : التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٢٠٨ .

الله بن العزيز بالله سنة ٣٩٥ هـ بجوار القصر الغربى بالقاهرة ويقدر ما كان فيها
من الكتب بنحو مائة ألف مجلد وهى غير خزانة العزيز او خزائن القصور (١٤٦) .

(١٤٦) جرجى زيدان : القمطن الإسلامى ج ٣ ص ٢١١ ، وقد كانت دار للعلم الحاكمة أكبر معهد
علمى شهده القرن الرابع الهجرى بناها للحكم بأمر الله الفاطمى ليجعلها منافسة لدار الحكمة فى
بغداد . (محمد عبد الرحيم غنيمه) (الجامعات الاسلاميه الكبرى) (المغرب - تطوان ١٩٥٣ م)
ص ٥٩٥ .

الفصل الثاني : التدريس والمدرسون في بيت الحكمة



- ١ - عمل المدرسين في بيت الحكمة .
- ٢ - رواتب المدرسين في بيت الحكمة .
- ٣ - المواد الدراسية التي تدرس في بيت الحكمة .

أولا - عمل المدرسين في بيت الحكمة :

ويحس الرشيد بقيمة العلم ومكانته ، وقدره واحترامه فلا يسعه الا أن يدعموا
افاضل العلماء أن يتعهدوا ابناؤه بالتربية والتثقيف والتقويم والتثقيف وهذا
خلف الأحمر يتولى ذلك مع الأمين فترة من الزمن ، ثم يحل محله بعد ذلك الكسائي
وكذلك يدفع بالمأمون الى اليزيد ثم سيويه ، ومما يعتبر دستوراً للمربين أو
نبراساً هادياً للأساتذة لتكون تربيتهم للناشئة على أصول مرعية ، ذلك الخطاب
الذي كتب به الى الأحمر ليجعله عماده في السير مع الأمين في مساجات العلم ، وباحات
المعرفة ، دون أن يرهقه ، أو يدخل عليه الكراهية واللئال . قال : « يا احمر ، ان أمير
المؤمنين قد دفع اليك بمهجة نفسه ، وثمره قلبه ، وفلذة كبده ، فصر يدك عليه
مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين اقرئه انقرآن ،
وعرفه الاخبار ، وروه الأشعار ، وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام ويده ، وامنعه
من الضحك الا في أوقاته ، وخذه بتعظيم بني هاشم اذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس
النواد اذا حضروا عنده ، ولا تمرن بك ساعة الا وانت مفتنم غائدة تفيده اياها ، من
غير أن تحزنه فقميت ذهنه ، ولا تمنع في مسامحته فيستحلى الفراغ وبالفه ، وقومه
ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان اباهها فعليك بالغلظة والشدة » (١٤٧) .

وكان الخلفاء العباسيون يجلون العلماء ويحرصون على تعليم أولادهم بواسطة
نخبة من رجالات عصرهم ، فالمنصور ضم الشرقي بن القطامي الى ابنه المهدي (١٤٨) .
وقد حضر بعض أولاد الخليفة المهدي عند شريك القاضي (١٧٧ هـ) وهو يلقي
الدرس على طلابه ، فاستند ابنه المهدي الى الحائط وسأل عن حديث فلم يلتفت
اليه شريك . ثم عاد وسأل فعاد شريك الى أهله فقال ابن الخليفة : تستخف
بأبناء الخلفاء ؟ قال : لا ولكن العلم أزين عند أهله من أن يضيعوه (١٤٩) . و مرة بحلقة
محمد بن الحسن فقام الناس كلهم الا محمد بن الحسن فخرج الآذن ونادى محمد بن
الحسن ، فذهب هذا لمقابلة الرشيد فلها عاد سأل أصحابه عما كان فقال : سألتني
الرشيد : مالك لم تقم مع الناس ؟ فقلت : كرهت أن أخرج عن طبقة العلماء الى
طبقة العامة ، فسر باجابتي (١٥٠) .

(١٤٧) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي : (مروج الذهب) (القاهرة ١٣٧٠ هـ /
١٩٣٨ م) ج ٢ ص ٢٧٨ .

(١٤٨) محمد عبد الجواد الأصمعي : أبو الفرج الأصبهاني ص ٥٧ .

(١٤٩) ابن جماعة ، بدر الدين : (تذكرة السامع والناكلم في أدب العالم والمتعلم) (حيدر آباد

١٣٥٣) ص ٨٨ ، ٨٩ .

(١٥٠) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

ويحكى بالمر(١٥١) : أن أبا معاوية العالم الأعشى كان يتغدى مرة مع الرشيد فلما انتهى الغداء فأراد العالم أن يغسل يديه على عادة المسلمين ، قدم له شخص ما الطشت والأبريق وصب عليه ، ولما انتهى العالم الأعشى من غسل يديه شكر ذلك الذى أولاه هذه العناية وصب عليه الماء ، ولكنه اكتشف أن الذى فعل ذلك هو الرشيد نفسه على كثرة خدمه . فقال العالم : يا أمير المؤمنين ، انى أعتقد أنك فعلت هذا تكريما للعلم ، فأجاب الرشيد : هو كذلك .

وقد اهتم الخلفاء والعظماء بمؤدبى اولادهم اهتماما عظيما وارتفعوا بهستواهم الاجتماعى الى درجة تناسب مكانتهم من الأمراء وولاة العهود : فقد كان على بن الحسن الأحمر (١٩٤ هـ) حينما اختير لتأديب الامين يعيش معه فى حجرة واحدة فى حى متواضع من أحياء بغداد فسرعان ما نقله الرشيد الى مستوى اجتماعى رفيع يصفه محمد بن الجهم : كنا اذا اتينا الأحمر تلقانا الخدم فندخل قصرا من قصور الملوك ويخرج علينا الأحمر وعليه ثياب الملوك(١٥٢) .

ومن سمو مكانة المعام واحترامه من تلاميذه ما حدث ابن محمد بن اسحاق النديم قال : « قرأت بخط أبى الطيب ابن أخى الشافعى قال : أشرف الرشيد على الكسائى وهو لا يراه فقام الكسائى ليلبس نعله لحاجة يريدها فابتدرها الأمين والمأمون ، وكان مؤدبهما فوضعاها بين يديه فقبل رأسيهما وأيديهما ثم أقسم عليهما الا يعاودا فلما جلس الرشيد مجلسه قال : أى الناس أكرم خدما ؟ قالوا : أمين المؤمنين أعززه الله : قال : بل الكسائى ، يخدمه الأمين والمأمون . وحديثهم الحديث «(١٥٣) . اما الخليفة المأمون فيعلل لما نثر عن بعض المعلمين من بلادة وتكلف بالعبارة الآتية : « وكان الكندى أقرب الى المعتصم بالله ، فهو مؤدب ابنه ، واليهما كتب كثيرا من رسائله » .

روى المقرئى « أن الخليفة المعتضد بالله هو الذى ولى الخلافة سنة ٢٧٩ هـ الى ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ الى ١٠٩٢ م بنى بجوار قصره فى الشامية ببغداد دورا ومسكن ومقاصير ورتب فى كل موضع منها رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العوام

Palmer, E. : (Harun Rashid). (Marcus Ward, 1881) p.32. (١٥١)

(١٥٢) ياقوت الحموى : معجم الأعيان ج ٥ ص ١١٠ .

(١٥٣) ابن النديم : الفهرست ص ٦٥ .

النظرية والعملية وأجرى عليهم الأرزاق السنية» (١٥٤) ليقصد كل من اختار علما وصناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه .

وكان المعتضد يطوف يوما في البستان وهو آخذ بيد ثابت بن قرة اذ جنبها دفعة واحدة وخلها فقتل ثابت : ما بدا يا أمير المؤمنين ؟ فقال المعتضد : كانت يدي فوق يدك والعلم يعلو ولا يعلى عليه (١٥٥) . نصح أحد الخلفاء برسالة هامة جاء فيها : وأعلم أن مواقع العلماء من ملكك مواقع السرج المتألفة والمصابيح المتعلقة وعلى قدر تعامدك لما تبذل من الضياء وتجلو بنورها صور الأشياء (١٥٦) .

وقيل لأحد أكابر الخلفاء « قد حقق الله لك كل مرغوب ومأرب فهل بقيت لك لذة أو بغية لم تنلها ؟ فقال : نعم بقيت لذة واحدة هي أعلى من جميع ما نلتها . وتفهم من كل ما باشرته ، بل لم تقرب منها ، فضلا عن أن تتساوئها لذة من لذات الدنيا ولا مرتبة من مراتب الخلافة العليا ، وهي أن أجلس مجلسا كمجلس مشايخ الحديث فأملئ وأشرح وأفيد » (١٥٧) .

وكن أبو الاسود الدؤلي يقول : ليس اعز من العلم ، والملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك (١٥٨) .

وقال الشاعر :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

هذه الأمثلة القليلة نماذج لتراث ضخم يتحدث عن قدر العلماء ومكانتهم

(١٥٤) المقرئزي : الخطط ج ٢ ص ٣٦٣ .

(١٥٥) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج ٦ ص ٣١٠ .

(١٥٦) مجموعة رسائل بجامعة اسطنبول ، ورقة ٣٧ ب ، مخطوط .

(١٥٧) ابن حجر : معجم ابن حجر (دار الكتب المصرية ، ٢٥ مجلد م ، ٨ ب) .

(١٥٨) الذهبي ، الامام أبو عبد الله شمس الدين : (تذكرة الحفاظ) (دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان ١٣٧٤ هـ) ص ٢٠ .

السامية وهي وسواها تدل بوضوح على المنزلة الرفيعة التي كان ينزلها من نفوس الناس هؤلاء العلماء والمدرسون .

وقبل انشاء المدارس كانت قصور الخلفاء ، ومنازل العلماء ، ودور الكتب والمساجد بمثابة جامعات يحج اليها طلاب العلم من كل أرجاء الأرض ، وجاء وقت كان كل طالب علم يجد معهدا يتعلم فيه ، ومعلما يقوم على تعليمه ، وراتبا يقوم بأوده . وكان الجامع المنصور في بغداد ، والجامع الأموي في دمشق ، والجامع الأزهر في القاهرة وجامع القيروان في تونس ، وجامع القيروان في فاس وجامع قرطبة بالأندلس ، والجامع الكبير بصنعاء ، الى جانب بيت الحكمة في بغداد ودار العلم بالموصل ، ومكتبة ابن سوار بالبصرة ومكتبة ابن الشاطر بالشام ، ودار الحكمة بالقاهرة كانت جميعها بمثابة معاهد للعلم في أرقى صورته وكانت في رعاية الخلفاء والحكام (١٥٩) .

وكان من مظاهر النهضة الثقافية والعلمية في العالم الاسلامي والعناية بوسائلها الحرص على تأسيس المدارس والمكتبات . ولقد بدأ التدريس أول الأمر في المساجد والجوامع ، كما كان يجري أحيانا في بيوت المدرسين الخاصة ثم صار يعد له دور علم خاصة يؤسسها الخلفاء والولاة وكان يطلق عليها اسم بيوت الحكمة أو خزائن الحكمة (١٦٠) وصوابين الحكمة . وكانت هذه أساسا دور كتب وجد فيها أيضا مدرسون وعلماء بالاضافة الى التراجمة والنسخين والمجلدين .

وكانت الشهادة أو الاجازة يمنحها الأستاذ للتلميذ أن يفرغ الطالب من دراسة كتاب أو موضوع يجيز له تدريسه ، ويشرف على ادارة المدرسة ناظر يتولى ادارة شئونها ، ويعاونه المشرف أو المعاون والمسجل أو الكاتب وأمين المكتبة الذي يتولى شئون خزائن الكتب .

فدار الحكمة كان يتردد عليها أفاضل العلماء أمثال محمد بن موسى الخوارزمي الفلكي ويحيى بن أبى منصور المولى الراصد المشهور والبلاذرى (أحمد بن يحيى ابن جابر) مؤلف « فتوح البلدان » الذي يتحدث عن الأحوال الاقتصادية

(١٥٩) د. عبد الحليم منتصر : (اثر العرب في النهضة الأوروبية) (للهيئة المصرية العامة للتأليف

والنشر - القاهرة ١٩٧٠ م) ي ٢٠٥ .

(١٦٠) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٣ .

والعملة والنقود العربية وكتاب « انساب الأشراف » الذى يشرح الأنساب والأعمال التى يقوم بها ذوو النفوذ والجاه فى عصره (١٦١) .

والمربون المسلمون قد عرفوا الطريقة الحوارية التى ينسبها المربون المحدثون الى الفيلسوف اليونانى سقراط ، فطوروها وطبعوها بطابع دينهم وأخلاقهم وبنوا عليها طريقة المناظرة التى تعتبر بحق من مميزات التربية الاسلامية ... وكان لانتداد حركة الاعتزال فى عصر المأمون وخلافها اثرها على المذاهب الأخرى (١٦٢) .

وكثر اهتمام العلماء فى مختلف أنحاء الدولة الاسلامية بالرحيل الى المدن الكبرى للاتصال بالعلماء المشهورين للاستفادة من علمهم وفضلهم والسبب فى ذلك « ان الناس يأخذون معارفهم تارة علما وتعلما والقاء ، وتارة محادثة وتلقينا بالمباشرة » (١٦٣) .

ومن العوامل الفعالة فى سرعة نضج العلم فى النهضة العباسية ان الخلفاء اصحاب تلك النهضة كانوا يبذلون كل مرتخص وغال فى سبيل نقل هذه الكتب ، ويرغبون النقلة وغيرهم بالبذل والكرم بقطع النظر عن مللهم ونحلهم او انسابهم حتى أن صاحب كشف الظنون يقول : فى هذه المناسبة « والحق أن أعظم الأسباب فى رواج العلم وكساده رغبة الملوك فى كل عصر » (١٦٤) .

وثمة عامل آخر كان له القدر المعلى فى نشر العلم والتعليم هو استعمال الورق ، فمما لا شك فيه ان حركة العلم وتدوينه فى العصر العباسي ما كانت تصل الى ذلك القدر من الرقى لو ظلت أدوات الكتابة على حالتها الأولى من السداجة أو الندرة (١٦٥) . فالتعليم مدين لصناعة الورق الذى به أثرت الكتب والمكاتب وخزائنها واصبحت مصدرا عظيما للثقافة فساعدت المتعلمين على ارتشاف مناهل

(١٦١) محمد الحسينى عبد العزيز : (الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية) ، (وكالة المطبوعات - الكويت ١٩٧٣ م) ، ص ٦١ .

(١٦٢) د. عمر محمد التومى الشيبانى : (فلسفة التربية الاسلامية) (الشركة العربية للنشر والتوزيع - طرابلس - ليبيا ط ١ ، ١٩٧٥ م) ، ص ٤٤٥ .

(١٦٣) د. عصام الدين عبد الرؤف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٤ .
(١٦٤) حاجى خليفة : (كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون) (طبع دار المعارف للتركية ١٩٤١ م) ج ١ ص ٢٩ .

(١٦٥) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢١ .

العلم وربما كان تأثير استعمال الورق في خلق النهضة العلمية في الاسلام مثل
تأثير الطباعة في أوروبا في أواخر العصور الوسطى .

ان خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل كان لاستنباط الدولة العباسية
ووفرة ثروتها ، ورواج تجارتها أثر كبير في خلق نهضة ثقافية عظيمة كان لها أثرها
في الشرق (١٦٦) .

وكان للمدرسين دور سياسى الى جانب وظيفتهم التعليمية فلم يقتصر المدرسون
على ان يكونوا مجرد معلمين مجهزين لموظفين فحسب بل صارت لهم أهمية في مجال
السياسة الداخلية والخارجية كما كان يختار منهم في كثير من الأحيان رجال الدولة
والادارة كالولاة وأصحاب الشرطة والوزراء والشعراء وغيرهم كما كانوا بمثابة
مستشارين للولاة والأمراء . وازداد نفوذ المدرسين بفضل سلطانهم الأدبي والروحي
فعظمت منزلتهم بين الناس في حياتهم وبعد موتهم ومن ثم استطاعوا ان يوجهوا
الرأى العام . واستغل الولاة هذه المنزلة فعنوا بتقريب المدرسين حتى يضمنوا كسب
الرأى العام واستقرار الأمور (١٦٧) .

واكتسب العباسيون ثقافة الفرس وتأثروا بمحيطهم وفتحوا الأبواب على
مصراعها لنبوغ الأعاجم وما يستدعى الانتباه أن السواد الأعظم من الذين اشتغلوا
بالعلم والتعليم كانوا من الموالي (١٦٨) .

وقد عقد ابن خلدون في المقدمة فصلا عن ان « حلة العلم في الاسلام
أكثرهم من العجم » (١٦٩) . ولهذا فقد غدا الناس جميعا من الخليفة الى أقل
أفراد العنامة شأنا طلابا للعلم وعلى الأقل أنصارا للأدب فكانوا يجوبون ثلاث قارات
سعيًا وراء موارد العلم والعرفان ثم يعودون الى بلادهم كالنحل يحملون الشهد
الى جموع التلاميذ المتلهفين اليه (١٧٠) .

(١٦٦) محمد عبد الجواد الأصمعي : أبو الفرج الأصبهاني ص ٥٦ ، ٥٧ .

(١٦٧) د. حسن البانبا : (دراسات في الحضارة الإسلامية) ، (دار المعارف بالاسكندرية -

١٩٦٨ م) ص ١٠١ .

(١٦٨) د. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي ٢ ص ٢٣٩ .

(١٦٩) ابن خلدون : المقدمة ص ٦٣٦ .

(١٧٠) د. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والثقافي ج ٢ ص ٢٤٠ .

وتأثر المسلمون بالعلوم التي نقلت الى اللغة العربية فلم تكن تعرف، لديهم حتى اخذوا في درسها والاشتغال بها ، وكان اشتغالهم بها في اول الأمر لا يتمدى النظر والتلخيص والشرح حتى كسبوا ملكاتها ونضج تمدنهم وانتشرت العلوم في البلاد . اخذوا يتدبرون كل علم يدرسونه منها ويحققون مسائله بكل ما أوتوا من قوة وعقل وصحة وفهم فأصبحت العلوم عمدها النظر والقياس والتحليل والتركيب (١٧١) .

(١٧١) د . أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ج ٤ ص ١٧٤ .

ثانيا - رواتب المدرسين في بيت الحكمة :

لم يكن المدرسون في صدر الاسلام يأخذون اجرا على تعليمهم حتى اذا امتدت واتسعت الحضارة وبنيت المدارس واوقفت الأوقاف جعل للمدرسين فيها رواتب شهرية معلومة وأصبح لهم رواتب تختلف بين الكثرة والقلّة بحسب الأمصار والمدارس والأوقاف ولكنها على كل حال كانت كافية ليعيش المدرس عيشة هائلة . فالأجر ضرورى في نظر القابسى فوجه الضرورة « أنه لو اعتد الناس على التطوع لضاع كثير من الصبيان ولما تعلم القرآن كثير من الناس فتكون هى الضرورة القائدة الى السقوط في فقدان القرآن من الصدور والداعية الى تثبيت أطفال المعلمين على الجهالة » (١٧٢) .

والقابسى ينظر الى الواقع لا يتطلب المثل العليا العسيرة المثال فهو يريد معلما ورعا تقيا مخلصا في عمله وفي دينه وفي سلوكه يقوم في التلاميذ مقام الوالد من ولده ويأخذ الصبيان بالشفقة والرحمة والسياسة والحكمة ويبصرهم احوال دينهم ويحفظهم كتاب الله وسنة رسوله حفظا للدين من الضياع ولم يرض القابسى على المعلم في سبيل ذلك بالأجر لحفظ المعاش وكسب الضرريات للحياة (١٧٣) .

ومما ساعد على نمو الحركة التعليمية وزيوعها وامتدادها الى ابعد الحواضر ما كان من رحلة العلماء بين مشرق العالم الاسلامى ومغربه ، ولا شك أن الأمن المأمور والمستوى المعاشى المرتفع والتشجيع الكبير الذى يظفر به الرحالة من الولاة كان له اثره العظيم في اشتداد الرحلة الى الأمصار وامتدادها الى بلاد الشام فأرسل المأمون بعثة القسطنطينية لاحتضار الكتب ورحلة حنين بن اسحاق الى بلاد الروم ليتبكن من اللغة اليونانية (١٧٤) .

ونرى أن المأمون قد استعان بأفراد كثيرين من غير المسلمين لخدموا النهضة العلمية وليقوموا على وجه الخصوص بأعمال الترجمة ومن هؤلاء يوحنا ابن ماسويه وجبريل بن بختيشوع وحنين بن اسحاق وغيرهم وكانوا يمنحون أجورا سخية على القيام بهذا العمل . ويذكر البروفسور أمان الله خان في بحثه

(١٧٢) د أحمد مؤاد الاعوانى : (التربية في الاسلام) • (دار المعارف بمصر - القاهرة

١٩٧٥ م) ص ١٨٤ .

(١٧٣) المرجع نفسه ص ١٩٢ .

(١٧٤) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ١٦٩ .

عن « المأمون وبيت الحكمة » أن المترجمين والموظفين في بيت الحكمة كانوا يتقاضون رواتب شهرية ما يعادل تقريبا ٢٥٠٠ روبية باكستانية بالإضافة الى ان المأمون كان يدفع مقابل كل كتاب يترجم وزنه ذهباً (١٧٦) .

وقد قرب الخلفاء اليهم بعض العلماء الذين اشتهروا في عصرهم واقاموا على تعليم ابنائهم وتاديبهم فأجزلوا لهم العطاء ومن أمثال هؤلاء : الكسائي على بن حمزة ، وأبو زكريا يحيى بن زياد حظى عند المأمون وعهد اليه بتعليم ابنه النحو وله مؤلفات في النحو واللغة (١٧٦) وابن السكيت وأبو يوسف يعقوب بن اسحاق وكان يؤدب ولد جعفر المتوكل .

وارتفعت ثقافة بعض العلماء وتنوعت ، فسجلت أسماؤهم مع الفقهاء ومع العلماء ومع الندماء وكان البعض يأخذ أرزاقاً في هذه الطوائف كلها ، كالزجاج (٣١٠ هـ) فقد كان له رزق في الندماء ، وفي الفقهاء ، وفي العلماء ، ومبلغ ذلك ٢٠٠ دينار كل شهر (١٧٧) .

وقد أجرى الخليفة المقتدر على ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ خمسين ديناراً في كل شهر حينما قدم بغداد فقيراً (١٧٨) . وعندما أنشئت المدارس وعين المدرسون بها كان هؤلاء يتناولون مرتبات شهرية منتظمة من الخزانة العامة او من ايراد الأوقاف التي كانت عادة تعين لينفق من ريعها على هذه المنشآت ، وقد كانت هذه المرتبات تختلف باختلاف مكانة المدرس وريع الوقف ، ولكنها كانت على العموم أميل الى الجود والسخاء .

Dr. Amin Allah Khan : Al-Mamun and his Bayt Al-Hikmat). (١٧٥)

p. 8 (1962, Lahour, Jakistan).

(١٧٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٢٨ .

(١٧٧) ابن النديم : الفهرست ص ٩٠ .

(١٧٨) آدم مئز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع للمجرى ج ١ ص ٣٠٩ .

ثالثاً - المواد الدراسية التي تدرس في بيت الحكمة :

ان المدارس الاسلامية في العصر العباسي أدت دورها البنّاء في الحفاظ على التراث العربي الاسلامي وتطوير وازدهار الدراسات الدينية والأدبية والعلمية وقدمت خدمات جليلة للثقافة الاسلامية .

ومما لا شك فيه أن المدارس الاسلامية في أول نشأتها بذلت عناية فائقة في دراسة العلوم الدينية ، وكان لهذا الأمر الأثر الكبير في تطوير وتعميق المواضيع الدينية فعلوم انقرآن الكريم والحديث والفقه وقد ساعد على هذا الأمر تفهم الناس لتلك المواضيع وظهور الدراسات العلمية التي تميزت بالمتانة والوضوح والجدية وأصالة البحث ثم دخلت المواضيع الأدبية كاللغة والنحو والصرف والعروض والأخبار والأدب إلى المدارس الاسلامية وكانت العناية فائقة بتطوير الدراسات وبذل مجهودات قيمة من أجل خدمة التراث الأدبي العربي وتقديم البحوث القيمة في هذا المجال ، كما عيّنت المدارس بالعلوم الرياضية وهي تشمل الحساب والجبر والهندسة والمساحة وبالعلوم العقلية التي تضم المنطق وعلم الكلام وقد ارتقى مناصب التدريس في هذه المواضيع نخبة من علماء العرب بذلوا مجهودات قيمة من أجل دراسة تلك العلوم وتوسيع مدارك الطلبة وتقديم البحوث القيمة في مجالات العلم المختلفة مما أضاف حصيلة ممتازة في الميدان العلمي (١٧٩) .

والمدارس الاسلامية التي عيّنت بالدراسات الدينية والعلمية شامت بتخريج أعداد كبيرة من الطلبة الذين انتشروا في العالم الاسلامي وصاروا ينقلون ما تعلموه في تلك المدارس ، وارتقى العديد من خريجي تلك المدارس الوظائف المساهمة في مختلف الأمصار الاسلامية . وساعدت هذه المدارس على اشاعة العلم والمعرفة بين الناس عامة وربط المسلمين برباط الثقافة . وان اتاحه الفرص للمسلمين القبول في أي مدرسة في بغداد أو البصرة أو القاهرة أو تونس أو الرياط أو اصفهان كان له الاثر المحمود في توحيد الفكر الاسلامي ، وزيادة الترابط الانساني مما ساعد على اتاحه الفرص للعراقي أو المصري أو السوري أو المغربي أو الفارسي أو التركي أن ينعارفوا وأن تتماسس العقول وتحثك الأفكار وتنبهر جميعها في بوتقة العلم لتبرز افكارا مدروسة وآراء مجدية في حقول العلم والأدب (١٨٠) .

(١٧٩) د. حسين أمين : (المدارس الاسلامية في العصر العباسي واثرها في تطوير التعليم) .

مجلة المؤرخ العربي - بغداد - العراق ع ٦ ، (١٩٨٠ م) ص ٩ ، ١٠ .

(١٨٠) د. حسين أمين : المدارس الاسلامية في العصر العباسي ، مجلة المؤرخ العربي ع ٦ ، ص ١٠ .

هذا على ما اعتقد من أبرز ما قدمته تلك المدارس في ذلك العصر من خدمة للإنسانية وتراثها الخالد . كما ساعد ذلك اللقاء بين البلدان المختلفة في تعرفهم على عادات وتقاليد بعضهم البعض وانتشار اللغة العربية التي أصبحت لغة الدراسة والثقافة مما أدى الى الاهتمام بها وتطويرها وازدهارها . وقد تغلبت اللغة العربية على السن اهل البلاد التي دخلت فيها وأصبحت لغة الانشاء والتأليف .

يقول نالينو : « ان وحدة الدين استوجبت أيضا وحدة اللسان والحضارة والعمران ، فصار الفرس واهل العراق والشام ومصر يدخلون علومهم القديمة في التمدن الاسلامي الجديد » (١٨١) . كذلك شجع الاشتغال بالترجمة ميل أفراد من الخلفاء في العصر العباسي الى العلوم الفلسفية ، « والخلفاء عادة أقدر على الترغيب فيما أحبوه ، والناس أسرع ما يكون الى تحقيق أغراضهم ، والولوع بما أولعوا به » (١٨٢) .

ويقول ابن صاعد الأندلسي : « لما أفضت الخلافة الى عبد الله المأمون طمحت نفسه الفاضلة الى ادراك الحكمة ، وسمت به همه الشريفة الى الاشراف على علوم الفلسفة » (١٨٣) . ويقول صاحب فوات الوفيات : « لما كبر المأمون عنى بعلوم الأوائل ومهر في الفلسفة » (١٨٤) . ويذكر أوليري : « انه لكون المأمون تلقى ثقافته في مرو في محيط الهيلينية المحدثه طبق القواعد الفلسفية على العقائد الاسلامية » (١٨٥) .

وكان يوحنا بن ماسويه الذي جعله المأمون رئيسا لبيت الحكمة يعقد مجلسا للنظر ، ويجرى فيها من كل نوع من العلوم كالفلسفة والفلك والطب والرياضيات ، كما كان يدرس فيها ويجتمع اليه تلاميذ كثيرون وقد تتلمذ عليه حنين بن اسحاق فترة من الزمن (١٨٦) .

-
- (١٨١) كركو نالينو : (تاريخ علم الفلك عند العرب) . (طبع بمدينة روما ١٩١١ م) ص ١٤١ .
(١٨٢) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٦٦ .
(١٨٣) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٥٨ .
(١٨٤) الكتبي ، محمد بن شاكر : فوات الوفيات ج ١ ص ٢٣٩ .
(١٨٥) أوليري : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٣ .
(١٨٦) غريغوريوس بن هارون ثوما الماطي المعروف بابن المبري : (مختصر تاريخ الدول) .
(المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٥٨ م) ص ٢٥٩ .

وقد بلغ من سرور جبريل بن بختيشوع طبيب السامون بحنين واعجابه بروعة ترجماته ان قدمه لأبناء موسى الثلاثة ، وقد كانوا من رعاة العلم الأثرياء .

يقول القفطى فيهم « ومن عنى باخراج الكتب من بلاد الروم محمد واحمد والحسن بنو موسى بن شاكر المنجم ، وقد بنّوا في ذلك الرغائب ، وأحضروا الرغائب منها في الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب وغيرها » (١٨٧) . فاحتضنه هؤلاء وكانوا اصحاب الفضل في اظهار مواهبه كما يجزلون له العطاء وقدموه (١٨٨) بدورهم الى الخليفة السامون معينه عميدا لبيت الحكمة (١٨٩) .

وهكذا نشأ اولاد موسى بن شاكر الثلاثة في بيت كله علم وجو مشبع بالمناقشات الكبيرة بين العلماء ، وكان يحيى بن أبى منصور يدير « بيت الحكمة » في بغداد ولا غرابة في أن يصبح أبناء موسى بن شاكر الفلكي من أساطين العلم في الفلك والهندسة والميكانيكا (١٩٠) .

وقد انتقل محمد بن جابر بن سنان البتاني الى بغداد في شبابه وعمل في المراصد « بدار الحكمة » ببغداد . . وهكذا كان الى أن قبض له أن يصبح واحدا من أكبر علماء عصره أو من المعروفين في عهده (١٩١) .

وهكذا كانت بغداد في علو كعبها في العلم حيث أصبحت القبلة التي توجه اليها رواد العلم من كل حذب وحوب في الدولة الاسلامية التي تحدثت بذكرها الركبان وأسبغت شهرتها الأسم وطرقت اسماع القاصي والداني الا وهى : « بيت الحكمة » التي تضم في اركانها كل ما وصلت اليه الأمة الاسلامية من تفوق حضارى وتقدم علمى وازدهار ثقافى تمثل في مختلف العلوم التي كانت تدرس فيها مثل : الفلسفة والفلك والطب والرياضيات واللغات المختلفة كاليونانية والفارسية والهندية الى جانب اللغة العربية .

(١٨٧) القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤ .

(١٨٨) أولرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٩ .

(١٨٩) حنين بن اسحاق : (مقحمة العشر مقالات في العين) ، تحقيق ماكس مايرهوف ،

القاهرة ١٩٢٨ م ص ١٦ .

(١٩٠) محمد رجب السامرائى : (علم الفلك عند العرب) ، (بغداد - المراق - دائرة الضمّون

الثقافية - الموسوعة الصغيرة) ١٣٨ ، ١٩٨٤ م) ص ٩٥ .

(١٩١) المرجع نفسه ، ص ٩٢ .

منهج التدريس في بيت الحكمة :

المرحلة العالية او مرحلة الدراسة داخل بيت الحكمة	مرحلة الاعداد للالتحاق بالدراسة في بيت الحكمة
<p>بعض انمام المرحلتين السابقتين . يتم فيها التدريس عن طريق نظامين :</p> <p>١ - نظام المحاضرات .</p> <p>٢ - نظام الحوار والمناظرة والمناقشة . يدرس فيها العلوم الفلسفية والطبية والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية والجغرافيا والموسيقى .</p> <p>المدرس يحاضر في بعض العلوم العالية في قاعات كبيرة ، والمعيد يساعد المدرس فيجتمع بفئة من الطلاب ويشرح لهم ما استغلط من المحاضرة ويناقشهم في مادتها والأستاذ أو الشيخ هو المرجع الأخير في موضوعه . وكان الطلاب ينتقلون من حلقة الى أخرى يعالجون في كل منها فرعاً من فروع العلم وربما ألحق بهم الرغبة في الاستزادة من علم ما "رشاقتهم شهرة أحد مشاهير المعلمين فانكبوا على دراسة موضوعه حتى النهاية .</p>	<p>١ - من سن ٦ الى ١٤ سنة : تتم داخل الكتاب في منزل الفقيه (المعلم) او الحوانيت ، ويتم فيها حفظ القرآن ، اجادة الكتابة والقراءة ، ودراسة قواعد اللغة ، وممارسة أوليات الحساب .</p> <p>٢ - من سن ١٤ الى ١٨ سنة : وتتم داخل مدارس المسجد أو الحلقة ويدرس فيها بعض العلوم الدينية من فقه وتفسير وكلام ورواية حديث ثم معرفة رواية الشعر وسير الاعمال والأخبار مع التفقه في اللغة والأدب والبيان والتقد .</p>

الشهادة التي تمنح لهم	لباس الخريجين أو العلماء
<p>إذا كان خريج بيت الحكمة قد أنهى دراسة نظم من هذه العلوم السالفة الذكر يمنحه أستاذه إجازة تشهد بأنه قد اتقن ذلك العلم ؛ فإذا كان من المعانين فيه نصت الشهادة على أنه قد أجز له تدريسه . فحق منح الشهادة ، كان — والحالة هذه — للأستاذ لا للمعهد .</p> <p>أذن الألقاب العلمية لم تكن تمنحها هيئة خاصة بل كان مبعثها تقدير المثقفين . فكان الأستاذ يكتب للخريج إجازة يذكر فيها اسم الطالب وشيخه ومذهبه وتاريخ الإجازة . وهذا يشبه إلى حد كبير ما استنتها الجامعات الأوروبية التي أنشئت في أواخر القرن الثاني عشر .</p>	<p>كان لباس الخريجين والعلماء عبارة عن عباءة سوداء وطيلسانا لعله الروب الجامعي اليوم . وكان هذا الزي ضروريا للمدرسين والفقهاء تمييزا لهم عن غيرهم .</p>

الفصل الثالث : حركة التأليف في بيت الحكمة



- ١ - نشأة حركة التأليف في بيت الحكمة •
- ٢ - تشجيع حركة التأليف في بيت الحكمة على يد الخلفاء والوزراء •
- ٣ - عمل المؤلفين في بيت الحكمة ورواتبهم •

أولا — نشأة حركة التأليف في بيت الحكمة :

لقد كان لمعاملات النشاط الفكري المختلفة التي تمت بدايتها في العصر الأموي ، ان تكون قاعدة لمعاملات ونشاط فكري أوسع في العصر العباسي ، والذي عرف بالعصر الذهبي ، والثى البارز هو أن حلقات الدرس والتتبع والتأليف والترجمة وتشجيع المكتبات العلمية التي كانت على نطاق محدود نسبيا في العصر الأموي قد اتسعت وتعددت في العصر العباسي وحظيت برعاية الدولة الفاتكة . الأهم من ذلك هو وجود نسبة أكبر من قادة الدولة ورؤسائها ممن كانوا يعنون بالعلم والمعرفة . حيث كانوا ينشئون المكتبات العلمية الواسعة التي بلغ تعداد كتبها بالملايين بسد ان كانت في حدود الآلاف من قبل . كما أنهم كانوا يحضرون حلقات المناظرة والمناقشة بأنفسهم . إضافة إلى تشجيعهم وتعضيدهم رسميا لكل من يعمل على تنشيط الحركة العلمية والفكرية^(١٩٢) .

وإذا كانت هذه الظاهرة قد صدقت على أبي جعفر المنصور وهذرون الرشيد بصورة ملموسة ، فإنها كانت أوسع مدى مع المأمون . فلقد كانت عناية المأمون للعلم والعلماء ظاهرة بارزة في عهده . كما عرف بإنشائه المكاتب والمدارس العلمية . وعرف بتخصيصه المكافآت الكبيرة لكل الباحثين في حقول المعرفة المختلفة . كما عرف بأنه كان يجند العلماء لترجمة والتأليف وأنه كان يصنفهم حسب حقولهم ويحضر حلقات مناقشتهم . والأكثر من هذا ' أن تتبعه دراسته الخاصة قد أدت به إلى أن يجد نفسه قد انتهى إلى هذه المدرسة الفكرية دون تلك^(١٩٣) .

على كل حال في أقل من خمسين عاما من آخر الدولة الأموية إلى صدر الدولة العباسية كانت أغلب العلوم قد دونت ونظمت سواء في ذلك العلوم النقلية من علوم القرآن والحديث والفقه وأصوله ، وعلم اللغة والأدب على اختلافها والعلوم العقلية من علوم الرياضيات والمنطق والفلسفة وعلم الكلام^(١٩٤) .

وكان نشاط المسلمين في ذلك يسترعى الأنظار ويستخرج العجب وليس هناك من نشاط يشبهه الا نشاط العرب في فتوح البلدان . وقد نظم العلماء أنفسهم

(١٩٢) د. فاضل زكي محمد : (الفكر السياسي والعربي الاسلامي بين ملابيه وحاضره) ، دار الحرية للطباعة - بغداد - العراق ط ٢ ١٩٧٦ م ، ص ٣١٥ .

(١٩٣) المرجع نفسه ص ٣١٥ .

(١٩٤) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ١٩ .

فرقا كفرق الجيش كل فرقة تغزو الجهل أو الفوضى في ناحيتها تخضعها لنظامها
 فرقة للغة وفرقة للحديث وفرقة للنحو وفرقة للكلام ، وفرقة للرياضيات
 وهكذا ، وهم يتسابقون في الغزو والانتصار ، وتدوين العلم وتنظيمه تسابق قبائل
 العرب في الفتوح والغزوات ، كل قبيلة تود أن تكون السابقة في الميدان ، ووجد في
 ساحة الميدان قواد بارزون يتنافسون في الابتكار ، فإذا فاز أبو حنيفة بوضع
 الفقه ثارت حماسة الخليل بن أحمد فيضع العروض ويرسم المنهج لمعجم اللغة ،
 بل ويريد بعقله الجبار أن يضع « نوعا من الحساب تمضي به الجارية الى البيع
 فلا يمكنه ظلمها » (١٩٥) .

وهكذا في سائر الفروع ، وقد ظل المسلمون ، طوال حياتهم يعيشون
 على هذه الثروة في هذا العصر ليس لهم في الغالب من أثر الا الايجاز والاطناب
 حينما وجمع متفرق وتفرق مجتمع . أما الابتكار فقليل نادر ساعد على هذه الحركة
 العلمية الواسعة أو قل نتج عن هذه الحركة والميل الى تدوين العلم ونقله من
 المشافهة الى الكتابة اتساع صناعة الورق (١٩٦) .

ذلك أن للعرب في تاريخ العلوم مجدا متألعا لا يخبو ، فقد عكفوا على
 العلم منذ شرح الله صدورهم للإسلام ووجدوا في طلب العلم عبادة واستجابة
 لدعوة دينهم ... فاقبلوا على مناهل العلم اقبالا ، وشجعوا العلماء والأدباء
 نشيجا جديرا بالثناء ثم ان بعض الخلفاء والأمراء في العصر الأموي والعباسي
 كانوا يتباهون بعلومهم وكانوا يقربون العلماء اليهم ويغدقون عليهم ورفعوهم مكانا
 عاليا فضربوا بهذا أروع مثل في الشغف بالعلم وتقدير رجالها (١٩٧) .

وقد ظهر ابن النديم بكتابه « الفهرست » في الربع الأخير من هذا القرن
 حاشدا فيه صفوف المؤلفات في عصره وما قبله ، وفيها من كتب الفلسفة مقدار
 يدل على رواجها واتقانها ، وتفرغ العلماء للبحث والتأليف في هذا العصر تفرغا لم
 يعهده السابقون . وقد شاع في هذا العصر اقتناء الكتب وكثرة المكتبات فصار

(١٩٥) ابن خلكان : وفیات الاعيان ج ١ ص ٢٤٥ .

(١٩٦) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٠ .

(١٩٧) د. أحمد الحوفي : (تيارات ثقافية بين العرب والفرس) (دار نهضة مصر للطبع والنشر
 - النجالة - القاهرة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م) ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

الملوك والأمراء بعد الخليفة الأمين يفاخرون باقتناء المصنفات ويتسابقون الى شراء نواذرهما وفي اواخر هذا القرن اولعت بغداد بالكتب والتأليف (١٩٨) .

واتفق المؤرخون من عرب وافرنج على ان اول طالع سعيد لارتقاء الامة العربية كان في القرن الثاني من الهجرة ، حيث سطع نور العلم من بغداد فانار جميع الافاق مصر والأندلس ، لانه في هذا العصر شرع علماء الاسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير وصنف ابن جريح التصانيف بمكة ، وصنف سعيد بن أبي عروبة ، وحماد ابن سلمة وغيرهما بالبصرة ، وصنف أبو حنيفة الفقه والراى بالكوفة ، وصنف الأوزاعي بالشام ، وصنف مالك الموطأ بالمدينة وصنف أبو اسحاق المفلزي ، وصنف معمر باليمن وصنف سفيان الثوري كتاب الجامع ، ثم بعد يسير صنف هشام كتبه ، وصنف الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة ، ثم ابن المبارك والقاضي أبو يوسف ، وابن وهب ، وعيسى بن عمر النحوى ، وكثر تدوين العلم وتبويبه ، ورتبت ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس وقبل هذا العصر كان سنائر العلماء يتكلمون عن حفظهم ويروون الكلم عن صحف صحيحة غير مرتبة ، نسهل والله الحمد تناول العلم (١٩٩) .

اتسع افق الفكر الاسلامى في عهد السلاجقة اتساعا كبيرا ، فقد كانت ملكات المسلمين في البحث والتأليف على درجة عظيمة من النضج كفتيجة طبيعية لحركة الترجمة التى نشطت في الدولة العباسية ، وكثرة تنقل رجال العلم والأدب في مشارق العالم الاسلامى ومغاربه في ذلك الوقت للاتصال بحكام الدول التى استقلت عن الخلافة العباسية ، فنشطت الحركة الفكرية ، وراجت الثقافة وزخر بلاط السلاجقة وغيرهم من حكام الدول بالعلماء والأدباء (٢٠٠) .

وكانت المدارس الفكرية لا حصر لها ، وكانت الفنون والعلوم تشجع على الحكمة ، وكان الجو يروج بالشعر وبالمتعة الكاملة في الفهم ، وكانت حياة بغداد تنطوى على شىء من التسامى ، وفي زمن الرشيد لم تكن المدينة قد بلغت من العمر خمسين عاما ، لكنها اعتبرت مركزا عالميا في الدرجة الأولى من القدر وكأنها

(١٩٨) د زكى المحاسنى : (التنبيه ، من نوايغ الأفكار العربى) ، (دار المعارف بمصر

١٩٧١ م) ص ١٢ ، ١٣ .

(١٩٩) محمد عبد الجواد الأصمعى : أبو الفرج الاصبهاني ص ١١٢ .

(٢٠٠) د عبد النعيم حسنين : (سلاجقة ايران والعراق) ، (مكتبة النهضة المصرية -

القاهرة ط ٢ ، ١٣٨٠ / ١٩٧٠ م) ص ١٨٧ .

مكان مقدس للفكر ، وإذا كانت عظمتها قد نمت في عصر الامبراطورية ، فاتها أصبحت بسرعة المنافسة للامبراطورية البيزنطية (٢٠١) .

فالتاريخ يحدثنا أن خلفاء الدولة العباسية شجعوا العلم على اختلاف ألوانه فأمرؤا بنقل الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية فضلا عن عنايتهم بالعلوم الإسلامية ، وقد اقتفى أثرهم وسار على منوالهم أمراء الدويلات الناشئة في العصر العباسي الثاني وجعلوا من العلم ميداناً للمنافسة وجمعوا العلماء حولهم ، وقربوهم ، حتى أن الباحث ليلمس أن العلوم الكلامية لا الفلسفة كلها قد سارت جنباً إلى جنب في طريق التقدم والنضوج (٢٠٢) .

ومن الناحية الثقافية ظهرت آثار سياسة الانفتاح نحو الشرق في الحركة العلمية ، فكان العصر العباسي عصر أحياء للثقافات الإقليمية وبالذات للثقافات الفارسية القديمة ، وهو العصر الذي بلغت الحياة العلمية فيه أوجها ، ونشطت حركة الترجمة عن اليونانية والهندية والفارسية (٢٠٣) .

وفي هذه البيئة العلمية الصالحة ، وفي هذا الجو العلمي الحافل نشأ عسدد من العلماء يقرنون إلى أعظم العلماء في كل عصر وآن . . . وكانت العربية لغة العلم يكتب بها العلماء ، ليقراها الناس في أى صقع من اصقاع الوطن الإسلامي الكبير ، وازدهرت حركة الترجمة التي ازدهار ثم أقبل العلماء على التأليف والكتابة في مختلف فروع المعرفة العلمية ، نقلوا علوماً وابتكروا أخرى ، وأضافوا كثيراً من الآراء والنظريات التي نسبت إلى غيرهم (٢٠٤) .

وكان مركز الحركة الثقافية قبل تأسيس بغداد في البصرة والكوفة ثم شيدت بغداد فغلبت على المدينتين . ويقول اليعقوبى (٢٠٥) : « ليس لها نظير في مشارق

(٢٠١) جاك . س . ريسلر : الحضارة العربية ص ١١٤ .

(٢٠٢) د . فوقيية حسين محمود : (الجويني امام الحرمين) ، (الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م) ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٢٠٣) د . السيد عبد العزيز سالم : (دراسات في تاريخ العرب ، العصر العباسي الأول) ، مؤسسة الشيباب للجامعة - الاسكندرية - بدون) ج ٣ ص ٤٩ .

(٢٠٤) د . صالح رمضان محمود : (أهم المبدعين في مجالات الفكر والعلم) ، مجلة المزرع العربي - بغداد المراق عد ١٨ (١٩٨١ م) ص ١٦ .

(٢٠٥) اليعقوبى ، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر ومب بن واضح : (معجم البلدان) ، (بيروت - لبنان - دار صادر ١٩٦٠ م) ص ٢٣٣ .

الأرض ومغاربها سعة وكبرا وعمارة وكثرة مياه ، وصحة هواء ، لأنه سكنها من اصناف الناس وأهل الأمصار والكور وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية وآثرها جميع أهل الاتفاق على أوطانهم وهى مع هذا مدينة بنى هاشم ودار ملكهم ومحل سلطانهم . . . واعتدال الهواء وطيب الثرى وعذوبة الماء حسنت أخلاق أهلها ونضرت وجوههم وانفتحت أذهانهم حتى فضلوا الناس فى العلم والفهم والأدب . فليس أعلم من عالمهم ، ولا أروى من روايتهم ، ولا أجدل من متكلمهم ولا أحذق من مفتيهم ولا أعرب من نحوِيهم ولا أصلح من قارئهم ، ولا أهر من مطبِهم ولا أكتب من كاتبهم ، ولا أشعر من شاعرهم .

وكذلك ظهر فى بغداد علماء عنوا بتأليف الكتب واقتناء النفيس منها كمحمد ابن عمر الواقدي الذى خلف بعد وفاته ستمائة مِطر كتب كل مِطر منها حمل رجلين . وكان له غلامان مملوكان يكتبان له الليل والنهار^(٢٠٦) ، وله عدة مصنفات :

ويذكر ابن خلكان^(٢٠٧) أن اسحاق بن ابراهيم الموصلى كان عنده ألف جزء من لغات العرب . ونشطت الكتب والمباحث الجغرافية منذ هذا التاريخ المبكر ، ومع افتتاح هذا العصر العباسى الثانى يؤلف عبد الله بن خرداذبه الفارسى الأصل كتابه « المسالك والممالك » وهو يصرح فى مطالعه بأنه اعتمد فى بيان حدود الأرض ومسالكها على كتاب بطليموس ، ومر بنا أنهم كانوا يشجعون بأموالهم والأغسداق على الترجمة ، وإن كثيرا من الكتب ترجم باسمهم ومن أهمهم بختيشوع^(٢٠٨) بن جبرائيل بن بختيشوع ، وبلغ من كثرة ثرائه أنه كان يضاهى الخليفة المتوكل فى الزينة والفرش والمأكول والمشرب .

نخلص من ذلك أن النشاط العلمى الزاخر الذى حفلت به بيت الحكمة فى ظل العباسيين كان له دوره فى دفع حركة الفكر الى الامام ، وكانت دعامة هذه الحركة ترجمة الكتب الأجنبية التى استجلبها الخلفاء من بقاع كثيرة وكان السريان بخاصة هم الذين اضطلعوا بالنصيب الوافر من هذا العمل . ولولا التعريب الذى قام به هؤلاء المترجمون لما انتفع أحد بتلك العلوم لعدم معرفة غيرهم ببلاد اليونان . لا جرم كل كتاب لم يعرفه باق على حاله ، ولا ينتفع به الا من عرف تلك اللغة^(٢٠٩) .

(٢٠٦) ابن النديم : الفهرست ص ١٤٤ .

(٢٠٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٩٢ .

(٢٠٨) ابن القفطى : أخبار الطمء بأخبار الحكماء ص ١٠٢ .

(٢٠٩) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٠٩ .

ونراهم ينشئون المدارس والمعاهد العلمية في كل مكان . ويؤسسون المكتبات في كل مكان ويبيحون دخولها لكل قاصد ، ويدرسون آراء كبار الفلاسفة القدامى جنبا الى جنب مع دراسة القرآن ، وهذا يلقي جالينوس وأرسطو وأفلاطون وأقليدس وبطليموس وما هم له من التقدير^(٢١٠) ولم تكن مهنة الوراق في عهد الدولة العباسية تقف عند حد الصفقات التجارية ، وانما كانت تتعدى ذلك الى مهام ثقافية بالغة الأهمية في ذلك الحين ، اذ كان الوراقون هم الذين ينسخون الكتب ويعرضونها للراغبين فيها . ويتقاضون على ذلك أجرا متواضعا متوسطه دينار عن كل كتاب^(٢١١) .

ووصف ابن الجوزي^(٢١٢) (٥٩٧ هـ) سوق الوراقين ببغداد في زمنه بقوله : انها سوق كبيرة وهي مجالس العلماء والشعراء .

(٢١٠) سيد أمير عاى : (روح الاسلام) ترجمة محمود أمين الشريف (مكتبة الآداب بالقاهرة -

١٩٦٣ م) ج ٢ ص ٢٥٦ .

Ameer-Al-short History of Saracens, p. 460.

(٢١١)

(٢١٢) ابن الجوزى : (منلقب بغداد) • (بغداد ١٣٤٢ هـ) نشره فحمد بهجت الأثرى ص ٢٦ .

ثانيا - تشجيع حركة التأليف في بيت الحكمة على يد الخلفاء والوزراء :

كان التدوين في المشرق سائرا في منهج التقدم في هذا العصر ، فتمددت اغراضه وموضوعات علومه ، وتنوعت أشكال كتبه من مبسوطات مفصلة ومختصرات مجلدة ، ورغب العلماء المصنفون في الافادة والاستفادة ووجود عدة دول متجاورة متنافسة كل منها تحرص ان تفوق الأخرى في احرار وسائل القوة وعناد الملك وترغيه العيش ، ولا يكون ذلك الا بتأثيل الحضارة وتعزيد العلم وأغيدق ملوك هذه الدول ووزرائها على العلماء والأدباء ، وتنافسوا في ضمهم الى مجالسهم واغراء عؤلاء بتأليفهم الكتب بأسمائهم واستنباط دقائق العلوم لفائدتهم ، فكثر الكتب والمصنفات التي وضعت في العصر العباسي الأول في علوم أخرى اشتقت منها علوم الأخلاق ، وآداب السلوك ، وسياسة الملك وقيادة الحرب ، وتعبئة الجيوش ، واستعمال الأسلحة وتدبير المال وتصريف وحدة الكسب في التجارة وتدبير المنزل ، والبحث في معرفة اسباب العمران^(٢١٣) ، واتسع مجال البحث في الطب والحساب والجبر والهندسة والكيمياء والطبيعة والفلك والجغرافيا وفن الحيل ، والمنطق وعلم الكلام ، وسائر العلوم الحكيمة والخيلة ، فثبتت أصولها ، وتشعبت فروعها وتعددت المذاهب ، وأصبحت بعيدة الشبه بأصولها اليونانية ، وانصبغت بصبغة الروايات وامتزجت باختلاف طرقها^(٢١٤) .

وبازدهار حركة التدوين والتأليف والترجمة في العصر العباسي ، اتسعت دور المكتبات العلمية ، وحفلت بأنواع مختلفة من الكتب المؤلفة والمترجمة واصبح العلماء يذهبون للاطلاع على هذه الكتب التي كانت الدولة العباسية تحرص على تزويد المكتبات بها ، وكثيرا ما كان الخليفة يرسل البعثات العلمية الى الأمصار المختلفة لشراء الكتب وتزويد المكتبات بها ، وقد فعل الخليفة المأمون ذلك بأن أرسل البعثات الى بلاد الروم للبحث في خزائنها العلمية الشهيرة عن الكتب الهامة لنقلها الى البلاد الاسلامية وترجمتها^(٢١٥) .

واخذ العلماء المسلمون ينهلون من موارد العلم بمختلف فروع وفنونه ، فأخذوا يترجمون العلوم وينقلون الى اللغة العربية علوم اليونان والرومان والفرس والهنود ... ترجموا عن الاغريقية والفارسية والقبطية والآرامية والهندسية ونقلت

(٢١٣) د. محمد عبد النعم خلفي : الآداب العربية في العصر العباسي الثاني ص ٢٢ .

(٢١٤) المرجع نفسه ص ٢٣ .

(٢١٥) د. محمد فاروق الغنجان : مبادئ الثقافة الاسلامية ص ٣٤ .

الوف الكتب من المكتبات القديمة ، واثبت دور الكتب والمكتبات ، وفتح الخلفاء والأمراء قصورهم للعلم والعلماء ، وتنافس الخلفاء والحكام في رعاية العلم والعلماء ، وتسابقوا في الإنفاق في سخاء عليهم ، وقبل الرشيد الجزية كتباً كما دفع المأمون وزن ما يترجم ذهباً^(٢١٦) فما بنالك بمن يقوم بالتأليف ؟ .

وكانت حركة التأليف تسير الى جانب حركة الترجمة بدليل ان بعض المترجمين كانوا يزاولون التأليف والترجمة^(٢١٧) في وقت واحد ، وقد عرفنا من قبل ان علماء العرب كانوا مولعين بالعلم لذلك اكبوا على الدراسة والاطلاع فكتبوا الملكة في العلم والتسيرة على التأليف ومن أجل ذلك كانت نهضة أخرى بعد نهضة الترجمة وهي نهضة التأليف في العلوم وقد وضع ذلك مساقدهم ، كما ان الذين اشغلوا بالترجمة والتأليف كانوا من الأطباء وان اعلام التراث العربى كانوا ينبغون في أكثر من علم واحد^(٢١٨) .

ويقول مؤرخ الحضارة الاسلامية في عهد الخلفاء : « من الحقائق المشهورة ان الخليفة المنصور ، الذي تنسبنا مزاياه الخلقية والعقلية بعض النواحي السوداء من طباعه ، كان من انصار الحركة الفكرية العظيمة التي بدأت اذ ذاك في العالم الاسلامي فهو الذى أمر بترجمة الكتب العلمية والأدبية من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية ، وهو الذى لم يقدر لا يستهان به من العلوم والرياضيات ولم تك هذه الكتب المترجمة تنشر حتى اكب الناس على دراستها بشغف ولم يقف خلفاء المنصور عند حد تشجيع العلماء البارزين الذين فسدوا على العاصمة من كل حذب بل كانوا هم انفسهم أشد الناس اهتماماً باكتساب كل غرور المعرفة ، وفي عهدهم سارت الحركة العلمية بخطى حثيثة عند العرب ، وبعبارة أخرى عند مختلف الأمم التي انضوت تحت لواء الخلافة ، وكان لكل أمة من أهم العالَم العظيمة عصرها الذهبي . كان عصر اثينا الذهبي هو عصر أغسطس ، وكذلك كان للعالم الاسلامي عصره الذهبي^(٢١٩) . كان المنصور سخياً نحو العلماء والأدباء حتى أنه جعل من نفسه

(٢١٦) د. صالح رمضان محمود : أهم المبدعين في مجالات الفكر والعلم ص ٢٦٨ ، مجلة المؤرخ للصويى ع ١٨ ، ١٩٨١ م .

(٢١٧) أبو الفتوح التوأنسى : (من أعلام الطب العربى) (الدار القروية للطباعة والنشر - للقاهرة ١٩٦٦ م) ع ١٤٤ ص ٢٨ .

(٢١٨) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٦١ .

(٢١٩) السيد امير على : روح الاسلام ج ٢ ص ٢٥٤ .

تدوينة في محبة العلوم والآداب (٢٢٠) .

فلقد عني خلفاؤه وعلماءه بتدوين العلوم وترجمتها ونشرها وكان المنصور أسبقهم إلى ذلك حيث استقدم جرجيس بن بختيشوع رأس أطباء جنديسابور من السريان والفرس والهنود فترجموا له كتباً في النجوم والطب ... فنشطت حركة التأليف والترجمة وعظمت صناعة الورق وتبع ذلك ظهور حرفة الوراقين ووجود أمكنة تتخذ مباءة للعلماء والأدباء ، يتزودون منها بالعلم ، وكثرت المكتبات ونشرت بالكتب (٢٢١) ، وكان الخليفة المهدي للأدب ، مشجعاً على التأليف فيه (٢٢٢) وفي حجر المهدي نشأ ابن إبراهيم أديبا شاعرا موسيقيا ، ولقد شارك في التأليف فالف كتاباً في الأدب سماه « ادب إبراهيم » و « كتاب في الطبخ » وآخر في الطب ، وكتاباً في الغناء إلا أنها كلها لعبت بها يد الزمان فضاغت فيها ضاع (٢٢٣) .

وكان الهادي مثل أبيه محبا للآداب مشجعاً للشعراء ، وكان على سنته في بغض الزنادقة وليس من شك في أن هؤلاء الزنادقة قد تركوا أثراً ملموساً في الدين والشعر والأدب ، أما أثرهم في الدين فقد أحدثوا معاني جديدة في تفسير لغة القرآن ، وساعدوا على نشر مبدأ التأويل واتخذوه وسيلة للطمع في كتاب الله ، كما أنهم نشطوا في وضع الأحاديث والدس فيها ، ومن ناحية أخرى انتشر بسببهم علم الكلام واشتد الجدل بينهم وبين العلماء والفقهاء فكانت حركة غزيرة في التأليف والمناظرات ، فوضعت كتب كثيرة للرد على الزنادقة وأهل الانحاد (٢٢٤) .

ثم فترت هذه النهضة أيام المهدي والهادي حتى قواها الرشيد بروح البرامكة ، ونشرها في مملكته المتسعة ، وضم أيوانه نوابغ العلماء وأخذ على نفسه بأن

(٢٢٠) ل. أ. سيدي : (تاريخ العرب العام) نقله عادل زعيتر (دار احياء الكتب العربية - مكتبة الحلبي - القاهرة - ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) ص ١٨٢ .

(٢٢١) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٦١ .

(٢٢٢) د. أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ج ١ ص ١٠٥ ، ١١٢ .

(٢٢٣) ابن قتيبة ، أبي محمد بن عبد الله بن مسلم : (المعارف) ، تحقيق د. ثروت عكاشة - (دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م) ص ٩ .

(٢٢٤) د. زاهية قحورة : (الشعبية وأثرها الاجتماعي والسياسي) (دار للكتاب اللبناني - بيروت - لبنان ط ١ ١٩٧٢ م) ص ١٧١ .

الحق بكل جامع جامعة للعلم وأن يصطحب مائة من العلماء كلما سافر وكان يجلس العلماء على تباين نحلهم (٢٢٥) ، ثم ينشئ (هارون الرشيد) في نفسه صورة الخليفة العالم الأديب الفقيه بالوان العلم والدين والأدب ، المشجع للفقه والعلماء والشعراء والكتاب تشجيعا أصبح فيه مثلا لمن جاء بعده في الشرق والغرب (٢٢٦) .

ولقد كانت دولة الرشيد كما يقول الفخرى : « دولة من أحسن الدول وأكثرها وقارا ورونقا وخيرا » وأوسعها رفعة مملكة ، ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب والندماء والمغنين ، مثلما اجتمعوا على باب الرشيد وكان يصل كل واحد منهم أجزل صلة ، ويرفعه أعلى درجة . وكان ناضلا شاعرا راويا للأخبار والآثار والأشعار صحيح الذوق والتمييز مهيئا عند الخاصة والعامة (٢٢٧) .

ولهذا كان عصر الرشيد نفسه من أزهى العصور بالنسبة لحياة اللغة العربية والتأليف فيها ويكفى أن نذكر من علماء هذه الفترة أمثال الكسائي والأصمعي والفراء وأبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري لفتين صدق ما ذهب إليه (٢٢٨) .

يقول ابن أبي أصيبعة : « كان يوحنا بن ماسويه مسيحي المذهب سريانيا قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجدته بانقرا وعجمورية وسائر بلاد الروم حين سبأها المسلمون ووضعها أمينا على الترجمة (٢٢٩) مما شجع حركة التأليف في بيت الحكمة . ويقال أنه هو الذي نصح هارون الرشيد بانشاء دار كتب كبيرة وهي تلك الدار التي اتسعت واشتهرت فيما بعد وأصبحت تدعى دار الحكمة (٢٣٠) » أو بيت الحكمة .

ويمكننا أن نعد من النقلة الذين خدموا الرشيد ومن بعده المأمون الحجاج بن يوسف بن مطر إذ أنه نقل كتاب أقليدس وأصول الهندسة مرتين الأولى

(٢٢٥) د. أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ص ٣٥٨ .

(٢٢٦) د. أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٢٢٧) ابن الطقطقي : الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢٢٨) د. محمد مصطفى هداره : (اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري) (دار

المسارف بمصر ط ٢ ١٢٨٩ م / ١٩٦٩ م) ص ٨٦ .

(٢٢٩) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٢٤ .

(٢٣٠) محمد عاطف البرقوقى : الخوارزمي العالم الرياضي الفلكي ص ٧٩ .

زمن هارون الرشيد ويعرف هذا النقل بالهاروني نسبة لهارون الرشيد والثانية
زمن المأمون ويعرف هذا النقل بالمأموني^(٣٣١) .

كذلك عهد الرشيد بالقيام بشئون خزانة الحكمة الى شخص يتقن الفارسية
هو الفضل بن نوبخت أبو سهل وهو فارسي الأصل . يذكر عنه القفطي أنه
مذكور مشهور من أئمة المتكلمين في زمن هارون الرشيد حيث ولاء القيام بخزانة
كتب الحكمة وكان ينقل من الفارسي الى العربي ما يجده من كتب الحكمة
الفارسية ومعوله في علمه وكتبه على كتب الفرس^(٣٣٢) .

وقد اتبع المأمون سياسة والده في توجيه الغزوات نحو المدن التي تحوى
خزائن عامة للمخطوطات وذلك من أجل الحصول على تلك الثروة العلمية التي
لا تقدر بثمن ، ولكنه زاد عليه زيادة كبرى ، وذلك في مراسلته ملوك الروم في
التسليمات وصقلية وقبرص وطلبه منهم انفاذ ما عندهم من مخطوطات يونانية
وارسالة البعوث المختلفة الى بلاد الروم في سبيل الحصول على مثل هذه الكتب^(٣٣٣) .

وقد صار التأليف الأصيل في هذا العهد جنبا الى جنب مع النقل والتعريب
نقد زخر العصر بالعلماء والاعلام الذين ألفوا في مختلف العلوم ، ذلك أن الامام
مالك ألف كتابه الموطأ في مطالع هذا العصر ، وفي الواقع لقد شاهد هذا
العصر ازدهار الدراسات الاسلامية ونشوء المذاهب الفقهية وألف الجاحظ كتبه في
الأدب والتي قيل فيها كتب الجاحظ تعلم العقل والأدب ثانيا^(٣٣٤) .

شجع المأمون التأليف عن طريق بذل المنح السخية وكان هناك عدد لا حصر
لله من كتب الرياضيات والهندسة والفلسفة والفلك وعلم الارصاد الجوية وعلم
البحريات والميكانيك والطب ... الخ ، كل هذه العلوم قد جمعت ويسرت الاطلاع
عليها لجمهرة القراء^(٣٣٥) .

(٣٣١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٧١ .

(٣٣٢) القفطي : أخبار العلماء في أخبار الحكماء ص ٢٥٥ .

(٣٣٣) د. محمد باقر حماد : المكتبات في الاسلام ص ٥٩ .

(٣٣٤) المرجع نفسه ص ٧١ .

(٣٣٥) جى. دبليو. تومسون : (تاريخ المكتبات في العصر الوسيط) (نيويورك ، شركة هانز

للفنر ١٩٥٧ م) ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

وكان البرازى المتوفى ٩٢٥ م من علماء الفيزياء حيث كتب ما يربو على مئتي كتاب لبيت الحكمة كما ان (ابن ابي الحارث) وهو من مشاهير مجلدى الكتب عد كمجلد للكتب فى هذه المكتبة . وفى هذا الجو العلمى الخلاق والحضارة الزاهرة والمنيرة قويت حركة التأليف فى عهد المأمون حتى انه تخير المؤلفين ممن كان له اثره فى تنوير افكاره وتحضير اعماله (٢٣٦) .

ويقول سيدىو فى كتابه تاريخ العرب العالم « كان المأمون يعد سلامة الاهم فى العلم ، ولم يرد المأمون ان يشع نور العلم من جود ولى الأمر الطارىء ، فجعل شرف الآداب فى حرز من تقنيات الحوادث بما حبسه عليها من الوقت الدائم ، وفتحت المدارس من كل ناحية ، فصرت ترى لأول مرة فى تاريخ العالم على ما يحتفل حكومة دينية مستبدة تخالف الفلسفة وتتهىء فوزها وتشاطرها نصرها » (٢٣٧) ونرى المأمون يضرب به المثل فى عظم الحركة العلمية فيشير « نولدكه » فى « دائرة المعارف البريطانية » وغيرهم يملئون المأمون انوشروان وغيره من خدمة الانسانية ورسل الثقافة العامة ، والحق ان المأمون وعصر المأمون كانا متقدمين عن زمانهما ، اذ كانت حالة المأمون وحال المملكة المأمونية فى ذلك الحين — ارقى بمراحل من حال ملوك أوروبا وممالك أوروبا . ويقول د. خليل طوطح فى رسالته الانكليزية عن حال التعليم عند العرب : « انه بينما كان شارلمان يتعلم القراءة مكبا على مطالعة رسائله مع أترابه فى مدرسة القصر كان المأمون يعالج الفلسفة ومناقشاته اقضيها هناك فى بغداد » (٢٣٨) .

أما المؤلفون النساطرة فعددهم وفير ومقامهم رفيع أولهم تلك الأسرة الراسخة فى علم الطب والفلسفة آل بختيشوع بن جنديسابور وقد تناقلوا العلم من جيل الى جيل على مدى ثلاثة قرون تقريبا فى عهد العباسيين مؤسسها جورجيس ابن جبرائيل وابن بختيشوع وحفيده جبرائيل وابن حفيده بختيشوع وحفيد حفيده يوحنا من أبناء هذه الأسرة جبرائيل بن عبد الله وابنه سعيد عبيد الله كلهم خدموا الطب والفلسفة والمنطق والديانة النصرانية بما عربوا والفوا . نقل الينا أخبارهم ابن أبى

(٢٣٦) د. زامية مقدورة : التسوية واثرا الاجتماعى والسياسى ص ٢٢٢ .

(٢٣٧) ل. أ. سيدىو : تاريخ للعرب العام ص ١٨٢ .

(٢٣٨) د. خليل طوطح : التربية والتعليم عند العرب ، ص ٦٩ .

اصيبعة^(٢٣٦) وأبو الفرج العبري^(٢٣٧) . والقفطلي^(٢٣٨) من القدماء ، شيوخ^(٢٣٩) وسليمان صائغ^(٢٤٠) وبرغشتراسر^(٢٤١) وماكس مايرهوف^(٢٤٢) وبركلمان^(٢٤٣) ودائرة المعارف الاسلامية ويوسف غنيمه^(٢٤٤) .

هؤلاء هم المؤلفون الفساطرة وقد كانوا من نخبة القوم علميا واجتماعيا . وكان حنين بن اسحاق مؤلفا غزير الكتابة غزارته في الترجمة ، كتب في مواضيع علمية متنوعة كما وضع ثبنا قيا بكتاب جالينوس المتوفرة في ترجمات سريانية وعربية وقد نسب (الفهرست) لابن النديم الى حنين تسعة وعشرين وصفا وكان يرى فيه بُرز مؤسسى العلوم الصحية والعربية^(٢٤٥) .

نفى عهد الخلفاء العباسيين الستة الأول وبخاصة عهد المأمون كان المسلمون يحملون لواء الحضارة ، وكانت الأمة العربية الاسلامية أجدر الأمم بأن تكون استاذ البشرية بفضل عبقريتها المنة ، وتوسط مركزها بين الأمم مما أتاح لها الانتفاع بكنوز اليونان والرومان وكنوز الهند والصين التى ظلت تغط في سبات عميق طوال العصور .

وظهر جليا اشتغال العلماء بالتأليف في ميادين العلم المختلفة ومن بينها التأليف

-
- (٢٣٩) ابن أبى اصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٢٣ .
 (٢٤٠) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢١٣ .
 (٢٤١) القفطلي : تاريخ الطماء بأخبار الحكماء ص ١٠٢ .
 (٢٤٢) شيوخ : (معاني الأدب في حقائق العرب) ، (مجلة بيروت - لقتنسان ١٩٠٠ م) ج ٢ ص ٢٩ .
 (٢٤٣) سليمان صائغ : (مقال عن اسرة بختيشوع) ، مجلة النجم - بغداد - العراق ع ٤ (١٩٣٢ م ص ٣٧٦) .
 (٢٤٤) برغشتراسر : (حنين بن اسحاق حول ترجمات كتب جالينوس السريانية والعربية) (لبيبج ١٩٢٥ م) ص .
 (٢٤٥) ماكس مايرهوف : (الفلسفة الانسانية الحديثة) مجلة أيزيس ع ٨ (١٩٣٥ م) ص ٧١٧ .
 (٢٤٦) كارل بروكلمان : (تاريخ الادب العربى بالاسمات) انظر الفهارس .
 (٢٤٧) يوسف غنيمه : (خزائن كتب العراق العامة في أيام العباسيين) مجلة المشرق بغداد - العراق ع ٨ (١٩١٥ م) ص ١٠٩٧ . ١١٠٧ .
 (٢٤٨) لويس ماسينيوس : (السياسة الاسلامية المسيحية لكتاب الفساطرة) بالفرنسية (مؤلفاته الصغرى - بيروت - لبنان ١٩٦٣ م) ص ٢٥٠ ، ٢٥٧ .

في علم اللغة والأدب وأخبار العرب وأشعارهم فتركوا لفسا فخاثر (مثل الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني) قيمة خالدة تعكس صورا واضحة المعالم من الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية في ذلك الزمان^(٢٤٩) ولم يكن الوزراء بأقلل شأننا في تشجيع حركة التأليف في بيت الحكمة حيث أدرك ذلك سهل بن هارون وزير المأمون في قوة شخصية الجاحظ وثقافته العميقة والهوية التي تفصل بين أسلوبه وأسلوبهم وبيانه وبيانهم ، فقال كبريته التي هزمت أمثلة الديوانيين : ان ثبت الجاحظ في الديوان أقل نجم الكتاب . فبعد ان قرأ الجاحظ كثيرا واتسعت آفاق ثقافته ووعى علم العربية بشتى فروعها ومختلف ألوانها . وبعد أن أحاط إحاطة شاملة بما ترجم عن اليونانية والهندية والفارسية — رأى أن المؤلفين الذين سبقوه الى التدوين والتأليف ليسوا بأكثر منه ولا أبصر منه ذوقا ، ولا أقدر وأعمق منه على تناول قضايا الفكر والأدب بالبحث والدرس . واخذ يؤلف الرسالة تلو الرسالة ، والكتاب تلو الكتاب ، فبما فرغ من تأليف كتاب « العباسية » الذي أهداه للمأمون حتى اختاره لقولى ديوان الرسائل في بغداد ، وهو منصب خطير لا يتولاه الا الاعلام من ثمة الأدب : . . فحز هذا الاختيار في نفوس الكثيرين من الأدباء المرموقين ، وأخذت دسائسهم تنصب عليه ، فلم يتركوا قذيفة من قذائف المثالب الا رموه بها^(٢٥٠) .

نعم أثر الجاحظ الحياة الحرة المنطلقة على قيود الوظيفة وجودها الموبوء . وقد فرض على نفسه أن يتفرغ لعالم الفكر بأفانيه الواسعة فلا يكاد يفرغ من تأليف كتاب حدد له موضوعه حتى يجد موضوعات تنتظره وتنسبه مضى يؤسسه وسواد فقره^(٢٥١) .

ومن شجع العلم وأكرم العلماء بنو طاهر في خراسان والسامانيون في بلاد ما وراء النهر وبنو طاهر في طبرستان ، ثم بلاد الفرس وبغداد أمراء الدولة . وكان عبد الرحمن الصوفي من أشهر علماء الطبيعة في عصره صديقا حميما للأمير البويهى عضد الدولة الذي سمى بحق أغسطس العرب الثانى ، وأدخل عبد الرحمن شيئا من التحسن على قياس الضوء ، وكان عضد الدولة نفسه رياضيا فأكرم العلماء الذين وفدوا على بغداد من كل حذب وصوب ، واشترك في مجالسهم العلمية ، وقام جعفر بن الخليفة المكتفى بالله بارصاد خاضعة لحركة المذنبات وألف

(٢٤٩) د . سعد الدين الجيزاوى : دراسات في الادب العربى ص ٦٧ .

(٢٥٠) سامى الكياى : (النفس الانسانية في ادب الجاحظ) . (دار المعارف بمصر ١٩٦١ م

سلسلة اقرا) ص ١٦ ، ١٧ .

(٢٥١) المرجع نفسه ص ١٨ .

بحسبها ، كما اشغل غيره من الأمراء بدراسة العلوم مع رعاياهم جنباً إلى جنب^(٢٥٢) .

وهذا (أبو العباس أحمد بن محمد مروان) السرخسي عرف العباس باسم أحمد بن الطيب ، فارسي الأصل ، وكان من تلاميذ الكندي ويقال انه ينتمي إليه ، وكان متفناً في علوم كثيرة من علوم القدماء والعرب ، حسن المعرفة جيد القريحة بليغ اللسان ، مليح التصنيف والتأليف^(٢٥٣) . مضى عليه زمن كان فيه معلماً وصديقاً ومستشاراً « للمعتضد » ولكن هذا لم يدم طويلاً وانتهى الأمر بقتل « السرخسي » لأسباب لم نرد الخوض فيها ، وكان ذلك حوالي (سنة ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م) اشتمل السرخسي بالجبر والحساب والتنجيم والموسيقى وله في ذلك مؤلفات أهمها « كتاب المدخل الى صناعة النجوم » و« كتاب الاتماطيقى في الاعداد والجبر والمقابلة »^(٢٥٤) ، ر « كتاب المدخل الى الموسيقى » وغيرها من الكتب .

وباستقرار الأمر للعباسيين بدأت الحركة العلمية تنمو وتزدهر حيث أصبحت بغداد قبلة الوافدين من أنحاء الدولة الإسلامية فأسست بها دور العلم وعظم شأن مدينة المنصور بفضل تشجيع الخلفاء والوزراء والقادة حتى ساهم كثير منهم في تأسيس دور العلم التي أخرجت أعظم العلماء وفحول الكتاب والمؤلفين الذين كانوا رواد الحركة الفكرية في العصور الوسطى ، كما نشطت حركة الترجمة عن اليونانية والفارسية وأرست دار الحكمة أو بيت الحكمة وغيرها وأقيمت الندوات في تصور الرشيد والمأمون ، كما عقدت حلقات الدرس والمناقشة والأدب والشعر والفلسفة والمنطق وغيرها^(٢٥٥) .

وللثعلبي^(٢٥٦) كلمة في بنى العباس لم تكن بعيدة عن الصواب ، قال فيها : ان لبنى العباس فاتحة وواسطة وخاتمة . فالفاتحة المنصور والواسطة المأمون والخاتمة المعتضد ، وبعدد الوثائق أخذ الانحطاط يقترب الى جسم الدولة حتى أتى الخليفة السابع والثلاثون المستعصم لاقت الدولة أجلها المحتوم على أيدي المغول سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

(٢٥٢) سيد أمير علي : روح الاسلام : ج ٢ ص ٣٦١ .

(٢٥٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٦٦ .

(٢٥٤) - درى حافظ طوقان : تراث العرب الملى في الرياضيات والفلك ص ١٨٤ .

(٢٥٥) محمد الحسينى عبد العزيز : الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ص ٥٨ .

(٢٥٦) الثعلبي . أبو منصور عبد الملك بن محمد : (لطائف المعارف) (نشر دى يوانغ ، لندن

١٨٦٧ م) ص ٧١ .

لكن ذلك لن ينسينا ذروة النفوذ والسلطان والعمران التي بلغها بنو العباس ممثلة في أيام هارون الرشيد وابنه المأمون اللذين القيا على ذلك العصر حالة مشرقة من النور بحيث أصبح يعتبر ازهى عصور التاريخ الاسلامى على الاطلاق^(٢٥٧) . وكما تجلى لنا باستطلاع علاقاتهم في الدول الأخرى وباستعراض حياة البلاط وبساط الارستقراطية في العاصمة بغداد وبمراجعة النهضة الفكرية في عصر المأمون . هذه هي النهضة التي لم تعادلها نهضة أخرى^(٢٥٨) .

(٢٥٧) د. فبليب حتى : (تاريخ العرب الطول) • ترجمة ادوارد جرجي و د. جبرائيل جبور (دار الكتشاف - بيروت - لبنان - ط ٤ ، ١٩٦٥ م ، ١ د ١ ص ٣٦٩ .
(٢٥٨) المرجع نفسه ج ١ ص ٢٧٠ .

ثالثا - عمل المؤلفين في بيت الحكمة وروايتهم :

وكان يلحق ببيت الحكمة علماء لهم رواتب محددة ، وتنوعت اختصاصاتهم ، ومن بين هؤلاء العلماء علماء فلكيون ذلك لأن المأمون الحق ببيت الحكمة مرصدا لاصلاح آلات الرصد ، وكان عماله بالضرورة من بيت الحكمة ، بل كان بعضهم من خارجة^(٢٥٩) وصاحب بيت الحكمة يرشد على العاملين فيه وعليه أن يرتب الكتب ويعد فهارسها ويصنفها ، وضم بيت الحكمة عدة طوائف ، طائفة النساخ ، وطائفة المترجمين ، وطائفة المفسرين ، وطائفة المنجمين ، وطائفة الكتبة وطائفة الجالدين ، وكان الناسخ ينسخ كل ما يطلب منه نظير أجر ، وعليه أن يرتب لها اوراق كل نسخة بعد جمعها واصلاح ما قد يظهر فيها من أخطاء^(٢٦٠) .

وحين فرغ الجاحظ من تأليف كتاب « البيان والتبيين » أهداه الى قاضي القضاة احمد بن ابي داود فأعطاه خمسة آلاف دينار وحين فرغ من تأليف كتاب « الزرع والنخل » أهداه الى ابراهيم بن العباس الصولى فأعطاه أيضا خمسة آلاف دينار . وقبل تأليف هذين الكتابين كان قد فرغ من تأليف كتاب « الحيوان » فأهداه الى محمد بن عبد الملك الزيات فأعطاه خمسة آلاف دينار . واذا تجلت مواهبه الفذة جعل التأليف صناعته ، فما من باب الا ولججه باطمئنان وجلى فيه ، وقد كثرت كتبه ورسائله حتى بلغت على حد بعض الرواة ، ثلاثمائة وخمسين مصنفا لم يصان منها غير « البيان والتبيين » - البخلاء - الحيوان - المحاسن والاضداد^(٢٦١) .

وكان بيع الكتب وشراؤها ونسخها وتجليدها يشغل حيزا كبيرا من حياة الناس الاقتصادية والمعاشية ، فقد كان للكتب سوق تباع فيه كما تباع بقية البضائع ، ويقع سوق هذا بباب بدر ببغداد الشرقية^(٢٦٢) ، وعرف أبو المعالي سعيد بن على الحظري^(٢٦٣) ، المتوفى سنة ٥٦٨ هـ بأنه دلال الكتب في بغداد^(٢٦٤)

(٢٥٩) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٧ .

(٢٦٠) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٢١ .

(٢٦١) سامى الكيالى : النفس الانسانية ، ص ١٩ .

(٢٦٢) الأصفهاني ، عماد الدين ابو عبد الله محمد بن ابي الرجاء : (خريدة القصر وجريدة مصر) .

(٢٦٣) لجنة التأليف والترجمة بعصر ١٣٥١ هـ - القاهرة) ج ٢ ص ٣٤٤ .

(٢٦٤) نسبة الى الحظير وهي قرية كبيرة كانت من أعمال بغداد . من جهة تكريت من ناحية دجيل - معجم البلدان - الحظيرة .

(٢٦٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ ص ٢٤ .

وكان معاشه من الكتب^(٢٦٥) . وقد اشتهر جماعة بجودة الخط ، وكان قسم من هؤلاء ممن يحرص الناس أن يحصلوا على كتب بخطوطهم لما عرفت به من الدقة والجمال ، فقد عرف أبو الحسن علي بن عبد الرحيم المعروف بابن القصار اللغوي المتوفى سنة ٥٧٦ هـ بأنه كتب بخطه الكثير من كتب الأدب وشعر العرب ... والناس ينشأون في خطه ويقولون به^(٢٦٦) .

وكذلك اشتهر موهوب بن أحمد المعروف بابن الجواليقي المتوفى سنة ٥٤٠ هـ بأنه مليح الخط كثير الضبط ، صنف التصانيف وانتشرت عنه وشاع ذكره بخطه الكثير^(٢٦٧) . وكان صدقة بن أبي الحسين المتوفى سنة ٥٧٣ هـ يعرف بالناسخ ، لأنه كان يعيش من نسخ الكتب . وكان ما يتقاضاه الخزان العظام في المستنصرية كابن السامعي وابن الفوطي وهما من كبار مؤرخي العراق لا يزيد عن (عشرة دنائير في الشهر)^(٢٦٨) . وكان علي بن عيسى وزير المقتدر يعطى الطالبين والعباسيين وأبناء الأتصار^(٢٦٩) .

وكان ابن الفرات يعطى الفقهاء والعلماء والفقراء وأهل البيوتات أكثرهم مئة دينار في الشهر وأقلهم خمسة دراهم وما بين ذلك^(٢٧٠) لهذا كله كانت كل انظار الناس موجهة إلى الخلفاء والأمراء . فالعلماء ان أرادوا الفنى لم يجدوه الا في خدمتهم ، والشعراء ان زادوا العيش لم يجدوه الا في مديحهم . ومن أبرز مظاهر الحركة الثقافية الكبرى في القرن السادس الهجرى الاقبال على التأليف والتصنيف ، وهذا الغرام بالكتب والتسابق لاقتنائها وبذل الأموال الطائلة في سبيل ذلك . فابو محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب المتوفى سنة ٥٦٧ هـ كان مولعا بالكتب حتى أنه لم يحث أحد من أهل العلم وأصحاب الحديث الا وكان يشتري كتبه كلها بل انه باع داره ليشتري بثمنها كتباً حين وجد أن ما معه من نقود لا يكتفى^(٢٧١) .

(٢٦٥) ابن اللبثي : المختصر المحتاج إليه ج ٢ ص ٨١ .

(٢٦٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٥ .

(٢٦٧) ابن رجب : ذيل الطبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٥٠ .

(٢٦٨) د. ناجي معروف : المدارس الشراعية ص ٣٥ .

(٢٦٩) الصابى ، أبو الحسين هلال بن الحسن : (تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء) (مطبعة

البابى الطبى - مصر - القاهرة - بدون) ص ٣٢٣ .

(٢٧٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٢ .

(٢٧١) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ ص ٣١٩ .

وحين عرفت كتب أبي محمد سعيد بن المبارك المعروف بإبن الدهان المتوفى سنة ٥٦٩ هـ أشاروا عليه ، أن ييخرها ويصلح ما يمكن منها ، فبخرها بأكثر من ثلاثين رطلا وطلع على رأسه وعينيه ، فأحدث له العمى وكف بصره (٢٧٢) .

لقد خاض عالمنا الكبير (الكندي) حقولا شتى من المعرفة وتناول بالتأليف مواضيع مختلفة في علوم الكيمياء والطب والحساب والمنطق والأدب والهندسة والسياسة والجديلية وعلى الفلك والنجوم ووضع الألحان الموسيقية وغير ذلك من البحوث التى تناولت تقلبات الجو والبرد والثلج والضباب والرعد والبرق والصواعق . وكان عالمنا على جانب كبير من الثقافة والفلسفة اليونانية وكان متمكنا منها ، وقد احصى ابن النديم مؤلفات ومترجمات الكندي بـ (٢٤١) مؤلفا وقد نشر الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده مجلدين تضمنا خمسا وعشرين رسالة من مصنفاته وسماها بـ (رسائل الكندي الفلسفية) وقد ترجم بعض المستشرقين بعض مؤلفات الكندي الى اللغة اللاتينية والألمانية وغيرها من اللغات الأجنبية (٢٧٣) .

فالكندي واسع الاطلاع متبحر فى فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية ، وهو لم يقف عند حد الاطلاع والتبحر بل أنتج وكان منتجا الى أبعد حدود الانتاج ، يدلنا على ذلك مصنفاته العديدة التى وردت فى الفهرست وقد جعلها ابن النديم على سبعة عشر نوعا وهى تزيد على (٢٣٠) كتابا ورسالة : فلقد وضع الكندي : ٢٢ كتابا فى الفلسفة ، ١٩ كتابا فى النجوم ، ١٦ كتابا فى الفلك ، ١٧ كتابا فى الجدل ، ١١ كتابا فى الحساب ، ٢٣ كتابا فى الهندسة ، ٢٢ كتابا فى الطب ، ١٢ كتابا فى الطبيعيات ، ٨ كتب فى الكريات ، ٧ فى الموسيقى ، ٥ فى النفس ، ٥ فى تقدم المعرفة ، ٩ فى المنطق ، ١٠ فى الاحصائيات ، ٤ فى الاحداثيات ، ٨ فى الإبعادات (٢٧٤) .

ومن هنا يتجلى لنا خصب قريحة (الكندي) وأنه كان واحد عصره فى معرفة العلوم بأسرها وهى تدل على احاطته بكل أنواع المعارف التى كانت لمعهده على اختلافها احاطة تدل على سعة مداركه وقوة عقله وعظيم جهوده . ويرى بعضهم أن مؤلفات الكندي من أهم العوامل التى دفعت الراغبين فى التحصيل الى التلمذة

(٢٧٢) ابن خلكان : وفیات الأعيان ج ٢ ص ١٢٥ .

(٢٧٣) د.حسين أمين (الفلاسفة المسلمون الأوائل وأثرهم فى التراث الفكرى) . مجلة الزورخ

العربى - بغداد العراق ع ٩ (١٩٧٨ م) ص ١٢ ، ١٣ .

(٢٧٤) قسدرى حافظ طوقان : تراء العرب للعلم فى الرياضيات والفلك ص ١٧٤ .

عليه والأخذ عنه ، كما رأى فيها أنها زانت دولة الخلافة في زمن المعتصم فقال ابن نباتة : « وكانت دولة المعتصم تتجمل « بالكندى » وبمصنفاته وهى كثيرة جدا » (٢٧٥) .

والكندى يعتبر رائد الحقيقة ، فقد كان يقسّد الحق والعلم والعناية بهما ويعتبرها من المميزات الأساسية للإسلام وللروح الإسلامية ، ويعبر الكندى في رسائله عن شكره لكل من جاء بشيء من الحق مهما كان يسيرا ، لأن معرفة الحقيقة ثمرة نضال الأجيال في عصور متطاولة ويذكر الأستاذ « ديسور » في كتابه تاريخ الفلسفة في الإسلام « كان الكندى واسع الاطلاع في جميع العلوم وقد تمثل كل ما كان في عصره من علم » (٢٧٦) . وجماع القول في مصنفات الكندى ومؤلفاته ورسائله ، أنها تدل على شمول عام بمبادئ المعرفة ، وعلى أنواع من الاهتمام بكل الاتجاهات والتيارات الفكرية في عصره لا تنهيا للعقول الكبيرة .

(٢٧٥) ابن نباتة المصرى : شرح العيون . ص ١٠٢ .

(٢٧٦) د. حسين أمين : الفلاسفة المسلمون الأوائل وأثرهم في التراث الفكرى ، مجلة المورخ

العربى ع ٩ ص ١٣ .

الفصل الرابع : المباحثة والمناظرة بين العلماء والخلفاء والوزراء في بيت الحكمة



- ١ - تشجيع الخلفاء للمباحثة والمناظرة في بيت الحكمة .
- ٢ - رغبة الخلفاء والوزراء في المباحثة والمناظرة داخل بيت الحكمة .
- ٣ - مشاركة العلماء والشعراء والأدباء في المناظرة والمباحثة في بيت الحكمة .

أولا - تشجيع الخلفاء للباحثة والمناظرة في بيت الحكمة :

انتشرت المجالس العلمية في بغداد التي تضم العلماء في الدور والقصور والمساجد ، ويتناظرون فيها في فروع العلم المختلفة . وقد حرص الخلفاء على عقد هذه المجالس ، ومما لا شك فيه أن هذه المناظرات أدت إلى رواج الحركة العلمية لأن المناظرة إذا كانت يتم أمام خليفة أو أحد كبار رجال الدولة ، فإن المشتركين فيها حريصون على إتقان مادتها العلمية حتى يدعم رأيه بالأسانيد المعقولة والمقبولة ، ويحظى بتقدير الحاضرين ، وكان للخلافات في الرأي التي تحدث بين رجال العلم أثر كبير في تقدم الحركة العلمية ، ذاك أنها شجعت العلماء على مواصلة البحث والدرس واعداد انفسهم حتى لا يخذلوا في مجلس المناظرة مما يسوء إلى سمعتهم ومكانتهم (٢٧٧) .

كان من عوامل انتعاش الحياة الفكرية في هذه الحقبة من التاريخ أن كانت هنالك ندوات يغشاها المتبحرون من أعلام اللغة والأدب من لهم بصر بالشعر ، وفوق في النقد ، ودراية بالمنحول أو المسروق ، وربما حضر تلك الندوات الخليفة على جلالة قدره وعظم منزلته ، وخطر جاهه ، وكان يشارك في الرأي ويدافع بالحجة ، ويرجع بعض الجوانب على الآخر بما عنده من علم ، وما لديه من تحصيل ولا يقتصر في ذلك كله على من واحد أو معرفة بعينها أو ثقافة خاصة ، ولكنه كان ملما بأكثر من ناحية ، وعالما بكثير من العلوم ، يخوض فيها خوض الحاذق ويحاول فيها جدل الباحث ، ويهدر فيها هدير الموج في البحر المتلاطم ، وقد عرفنا أن الذين اعتلوا عرش الخلافة منذ أبي العباس السفاح حتى أيام المتوكل كانوا هكذا يصيبنون للعلم ويشجعون الأدب بالتهدوات والمجالس ، فأبو جعفر المنصور يقول للإمام مالك وقد مر بدار الهجرة حالجا أن الناس يتخبطون في أحكام شريعتهم ، ويجادلون في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأنا أرجو أن تختار لهم من تلك الأحاديث ما يكون لهم بمثابة الاعلام التي يهتدون إليها أو المعالم التي يرسمون طريقها فلا يضلون في حكم ولا يختلفون على حق (٢٧٨) .

فيجمع مالك بن أنس كتائبه الموطأ مسترشدا برأيه معتادا على توجيهاته التي كانت له بمثابة الأستاذ المعلم والدليل الهادي ثم لا يفوته أن يعترف بذلك لبيدنا

(٢٧٧) ابن الجوزي : مناقب بغداد ص ٣٦ .

(٢٧٨) د . ابراهيم أبو خشب : (تاريخ الأدب المصري في العصر العباسي الأول) .

(دار الفكر العربي بالقاهرة - ١٩٧٤ م ، ط ١٩٧٥ م) ص ٢٢ .

بهذا على مقدار ما كان عليه المنصور من كفاية يستطيع بها ان يتصدر المجالس ويتزعم المحافل^(٢٧٩) وتروى لنا الأخبار أن المنصور كان وهو شاب جنادا في طلب العلم والأدب ، وكان يقصد مجالس الفقهاء والأدباء^(٢٨٠) .

والمعروف عن الخليفة المنصور بجولاته في البلدان في فترة شبابه وحضوره المناظرات والحلقات الفكرية والدينية في مساجد البصرة والكوفة والمدينة والاهواز والموصل وغيرها . ولعل ذلك ساعد على نوقسه وسعة وكثرة معرفته وولعه بالحديث والأخبار وفي رواية انه عاد مرة من البصرة الى دار والده في الشام وأخذ يتكلم في القدر والمسائل الكلامية وحين سمعه والده منعه من ذلك .

وقد كان المهدي يوجه المناظرات العلمية والأدبية ويجعل أيامه موزعة توزيعا عادلا على العلوم والفنون يستقبل العلماء في يوم ، والأدباء في يوم ، ورجال الفنون الأخرى في يوم آخر ، وكان كل جماعة من هؤلاء جميعا ، يعرضون عليه ما وصل اليه تحصيلهم او انتهى اليهم علمهم وكان يناقش في ذلك كله عن سعة علم ، ونضوج عقل وكثرة وعى ، وعمق تفكير ، وكان اذا شعر من أحد بفتور ، او تقصير حثه على الجِد ، ودفعه الى المزيد^(٢٨١) .

والواقع أن الخلفاء العباسيين لم يالوا جهدا في سبيل تشجيع الحركة العلمية فكان الرشيد من ابلغ الناس كلاما ، واحسنهم نطقا واكثرهم علما ونهما ، كتب الى ولاية الأمصار كلها والى أمراء الأجناد يطالبهم بتشجيع العلم وأهله فقال : فثانظروا من التزم الأذان عندكم فاكثبوه في ألف من العطاء ومن جمع القرآن واقبل على طلب العلم ، وعمر مجالس العلم ومقاعد الأدب ، فاكثبوه في ألف دينار من العطاء ، ومن جمع القرآن وروى الحديث وثفقه في العلم فاكثبوه في أربعة آلاف دينار من العطاء واسمعوا قول الفضلاء في عصركم وعلماء دهركم وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم وهم أهل العلم^(٢٨٢) .

وبلغ من تشجيع الرشيد للعلم والتعليم أن الفلام كان يحفظ القرآن الكريم

(٢٧٩) المرجع نفسه ، ص ٢٢٠ .

(٢٨٠) د صالح الحمارة : (عمرو بن عبيد وعلاقته بابي جعفر المنصور) مجلة المؤرخ العربي -

بغداد ع- ٢٢ (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٢ م) ص ٢٠٥ .

(٢٨١) د ابراهيم أبو الخشب : تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الاول ، ص ٢٢١ .

(٢٨٢) د عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٦ .

وهو ابن ثمان سنين ويتبحر في الفقه ويروى الحديث وينظر المعلمين وهو
ابن أحد عشر عاماً (٢٨٣) .

وكانت الحلقات العلمية في حضرة الخلفاء تجمع بين مختلف العلماء على اختلاف
أديانهم ومذاهبهم . كانت للمأمون حلقة علمية تجمع فيها علماء الديانات والمذاهب
كلها . وكان يقول لهم ابحثوا ما شئتم من العلم من غير أن يستدل كل واحد منكم
بكتابه الديني كيلا يثور بذلك مشاكل طائفية . ومثل ذلك كانت الحلقات العلمية
الشعبية . قال خلف بن المفنى لقد شهدنا عشرة في البصرة يجتمعون في مجلس
نُعرف مثلهم في الدنيا علماً ونباهة . وهم الخليل بن أحمد صاحب النحو (وهو
سنى) والحميرى الشاعر (وهو شيعى) وصالح بن عبد القدوس (وهو
زندىقى سنوى) وسفيان بن مجاشع (وهو خارجى صفوى) وبشار بن برد
أ وهو شعوبى خليع ماجن) وحمام عجرد (وهو زندىق شعوبى) وابن رأس
جالوت (وهو يهودى) وابن نظير المتكلم (وهو نصرانى) وعمر بن المؤيد
أ وهو مجوسى) وابن سنان الحرانى (وهو صابئى) كانوا يجتمعون ويتناقشون
الأشعار ويتناقشون الأخبار في جو من الود لا تكاد تعرف منهم أن بينهم هذا
الاختلاف الشديد في دياناتهم ومذاهبهم (٢٨٤) .

وتطورت بعد ذلك مجالس الخلفاء في العصر العباسى ، فكانت من أروع
المجالس في أثنائها وسعة رحابها ، وكثرة علمائها وأدبائها وتنوع أبحاثها وفنونها ،
عذا عدا مجالس الطرب التى كانت الصبغة الأدبية غالبية عليها بما يثار
فيها من حديث الشعر والشعراء وتفسير الكلمات التى يتغنى بها المغنون ومن
أشهر حلقات بنى العباس في فخامة مجالسهم وروعيتها الرشيد والمأمون . أما
الرشيد فقد كان يحشد في مجالسه أعلام العلماء من كل فن وعلم ، وحسبك أن
كان من رواد مجالسه من الشعراء أبو نواس وأبو العتاهية ودعبل ومسلم بن
الوليد والعباس بن الأخف ومن الفقهاء أبو يوسف والشافعى وأحمد بن الحسن
ومن اللغويين الأصمى والكسائى ومن المؤرخين الواقدى المؤرخ الشهير (٢٨٥) .

ومن المناظرات الفقهية التى وقعت في مجلسه أن محمد بن الحسن صاحب أبى
حنيفة وصف الكسائى بأنه لا يحسن ، وإنما يحسن شيئاً من كلام العرب ، فقال

(٢٨٣) ابن قتيبة : (الامامة والسياسة) . (القاهرة ١٣٢٢ هـ) ج ١ ص ٩٩ .

(٢٨٤) د: مصطفى السباعى : من روائع حضارتنا ص ٨٩ .

(٢٨٥) المرجع نفسه ، ص ١٦٤ .

الكسائي من تبحر في علم واحد اهتدى به الى سائر العلوم ، فقال له محمد
يختبره ، ما تقول فيمن سها في مجود السهو هل يسجد مرة اخرى ؟ قال الكسائي .
لا . قتل محمد لماذا ؟ فأجاب الكسائي : لأن النحاة تقول المصغر لا يصغر (٢٨٦) .
فالفقهاء والمتكلمون فحدث ما شئت عن شغفهم ببغداد وهيامهم فيها وعما كان
لهم من مجالس المناظرة والجدال .

فأما الحياة العلمية فقد كانت على شدة الاضطراب السياسي بغضة
نضرة . ، وربما امتاز عصر أبي العلاء بالمجامع العلمية ببغداد فقد كان للآباء
على اختلافهم مجمع زعيمه الشريف الرضى ومجمع آخر حول الوزير سابور بن
اردشير الذى خصص الثعالبى فى اليتيمة فضلا لمحسه ، وكان هناك مجامع فلسفية
وكلامية منها العامة التى يشهد بها الناس كافة كمجمع الشريف الرضى ومنها
الخاصة التى لم يشهد بها الا أفراد تأخوا واتفقوا على الا يحضر اجتماعهم الا من
نحنا نحوهم فى رأى المجمع الذى يلتئم يوم الجمعة من كل اسبوع فى بيت أبى
أحمد بن الحسن البصرى صاحب الصوت البعيد فى علم تقويم البلدان وكانت
المحاضرات تلقى على الناس من أئمة اللغة والفقه والكلام ، حسبك أن تعام أن أبا
حامد الأسفرايينى وهو من فقهاء الشافعية كان يحضر درسه ألف وسبعائة من
الطلبة منهم التلاميذ والمتعلمون والأساتذة المعلمون والرجوع الى ترجمته فى وفيات
الأعيان (٢٨٧) .

وواضح من هذين النصين كيف كان يلتقى أصحاب الملل والنحل والأهواء
المختلفة فى المجالس ، وكيف كانوا يشيرون كثيرا من المسائل التى تتصل بأهوائهم
ونحلهم ولهم ويتخاورون حوارا طويلا . وكانت هناك مجالس أخرى للمتفلسفة
والمتكلمين ، ويقال ان مجلس يوحنا بن ماسويه كان أعمر مجلس بمدينة بغداد
يحضره المتكلم أو المتكلم أو المتكلم ويجتمع فيه كل صنف من اصناف أهل الأدب
وكان تلاميذه يقرأون عليه كتب المنطق لأرسطوطاليس وكتب جالينوس فى الطب (٢٨٨) .

وكانت لأبى داوود المعتزلى مستشار المأمون والمعتصم والواثق ندوة كبيرة

(٢٨٦) المرجع نفسه ، ص ١٦٥ .

(٢٨٧) . طه حسين : (تجديد فكرى أبى العلاء المعرى) ، ط ٦ ، دار المعارف بمصر -

بدون) ص ١٣٢ .

(٢٨٨) ابن أبى أصيبعة - عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، ج ١ ص ١٢٤ .

يحضرها من كبار المترجمين والأطباء سلمويه وابن ماسويه وبختيشوع وابن جبريل (٢٨٩) .

ولقد كان للمرأة دور في المباحثة والمناظرة وهي ليست بأقل من الرجل فزبيدة أم جعفر زوجة الرشيد كانت تنظم الشعر وتناظر الرجل في شتى نواحي الثقافة والفكر (٢٩٠) .

وكانت عائشة بنت الرشيد من أفضل نساء عصرها تشجع الأدباء والشعراء وتجزل الصلوات لهم وكذلك عائشة بنت الرشيد كانت من الشعراء ومن ربات الرأي ، وعرف عنها الحزم ، وكذلك كان أبوها يعتمد عليها في مهام أموره ويفضئ إليها بأسراره (٢٩١) .

أما العباسية بنت المهدي فكانت سيدة أدبية فاضلة وكان الرشيد يشركها في مجالسه مع وزيره جعفر بن يحيى البرمكي حينما ينظر في الأمور الهامة لأنه يأنس براءها ، ويطنن إليها (٢٩٢) . ثم كانت تعقد مناظرات في قصور الخلفاء والأمراء ودور الولاة والعلماء ومن أكثر هذه المناظرات شهرة تلك التي كانت تعقد في عهد المأمون في قصره . ولم تكن تلك المناظرات أو المجالس دورا مخصصة للدرس والتدريس ولكنها كانت على كل حال مراكز علم (٢٩٣) كل ذلك ساعد على ظهور الحركة العلمية ونشاطها في بغداد مما جعل بيت الحكمة ذا مكانة مرموقة تمتلئ بالكتب المختلفة وتضاف إليها المصنفات العظيمة مما شجع أصحابها على التأليف والمباحثة والمناظرة حتى أن علان الشعوبي كان راوية عارفا بالانساب والمناظرات ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون (٢٩٤) .

وكان المأمون مثقفا ثقافا فارسية لأن أمه كانت فارسية وكان يميل إلى حرية الفكر والبحث ، مما دفعه إلى إيجاد « مجالس المناظرة » حتى يتمكن عن طريقها من إزالة الخلاف بين العلماء فيما يدلون به من آراء علمية ، فقلد روى عن

(٢٨٩) الجليظ : الحيوان ج ٤ ص ١٢٣ .

(٢٩٠) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٥١٥ .

(٢٩١) عمر رضا كحالة : (اعلام النساء في عالمي العرب والإسلام) . (المطبعة الهاشمية -

دمشق ١٣٧٩ م / ١٩٥٩ م) ج ٣ ص ٣٣ .

(٢٩٢) ابن الطقطقي : الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٩٠ .

(٢٩٣) د. أحمد فكري (أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة) . (دار الكتب المصرية

١٩٦٩ م) ص ١٨٧ .

Brown Edward G. : A Literary History of Persia. London (٢٩٤)

1909, p. 281.

القاضى يحيى بن أكرم انه قال : امرنى المأمون عند دخوله بغداد أن أجمع له وجوه الفقهلاء وأهل العلم من بغداد فاخترت له من أعلامهم أربعين رجلاً وأحضرتهم وجلس لهم المأمون . فسأل عن مسائل ، وأفاض في فنون الحديث والعلم . فلما انفض المجلس الذى جعلناه للنظر في أمر الدين قال المأمون يا أبا محمد ... انى لأرجو أن يكون مجلسنا هذا .. بتوفيق الله وتأييده ... سبباً لاجتماع هذه الطوائف على ما هو أرضى وأصلح للدين (٢٩٥) .

فكان المأمون يجلس كل أسبوع للمناظرة فقهاء الاسلام في زمانه وكانوا يلتقون حول مائدة ، ويستمعون بعضهم الى آراء بعض ، ويقبلون النظر في القضايا المطروحة وقد يتفقون من بعد خلاف فقد دخل الكندى الشاب المعتد بنفسه الى مكان الاجتماع ، فنظر حوله ، ثم تخطى القوم حتى يجلس قريباً من الخليفة وكان مجلس الرجل من الخليفة يحدد في العادة مكانه من الحاضرين وقد جاء مجلس الكندى فوق مجلس احد الفقهاء البارزين فغاضه ذلك وسأل الكندى كيف يتجرأ أن يتبوا مجلساً أفضل من مجلسه - فرد عليه الكندى : لأنى أعرف ما لا تعرف ، ولا تعرف ما أعرف (٢٩٦) .

وكان لهذه المجالس دور كبير في تشجيع الحركة العلمية وازدهارها لأن اشراف الخليفة المباشر عليها في جميع مجالاتها قد اعطاها أهمية كبيرة ولهذا انطلق في التعميق والبحث والمناقشة والمناظرة معتمدين في ذلك على تشجيع الدولة للعلم والعلماء وفي أخبار مجالسه ما يدل على أنه كان يمارس اكتساب المعرفة بطرق علمية تجريبية غير مكثف بما يقرأ وما سيسمع وغير قانع بما يحصل عليه بتلك الطرق (٢٩٧) .

وظلت حرية التفكير هي السنة المألوفة في بلاط الخليفة ويصف المسعودى مجلساً من المجالس العلمية التى كان يعقدها المأمون في آخر النهار . كان المأمون يجلس في كل يوم للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء ، فإذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات ادخلوهم حجرة مفروشة ، وقيل لهم : انزعوا اخفافكم ، ثم أحضرت الموائد وقيل لهم اصيبوا من الطعام والشراب ، وجددوا الوضوء فنادا

(٢٩٥) د. على ابراهيم حسن : (التاريخ الاسلامى العام) . (مكتبة النهضة المصرية - القاهرة

ط ٢ ١٩٧٢ م) ص ٤٠٧ .

(٢٩٦) جون. س. بانو وآخرون : عبقرية الحضارة العربية- ينبوع النهضة ص ٨٠ .

(٢٩٧) د. فاروق الزبيهان : مبادئ الثقافة الاسلامية ص ٢٩ ، ٣٠ .

نرغوا أتوا بالمجآمر فبخروا وطيبوا ثم أخرجوا فاستدناهم حتى يدنوا منه
ويناظرهم أحسن مناظرة وانصعها وأبعدها عن مناظرة المترمتين ، فلا يزالون كذلك
الى أن تزول الشمس ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون (٢٩٨) .

أما مجالس المناظرة ومكانتها السامية في العصر المأموني . فقد وقفت على
طرف عظيم منه : نقول أن المناقشات الحادة بين سيبويه والكسائي في شأن مسألة
نحوية ، وبين الشعراء والأدباء في تفضيل شاعر على شاعر وبين السنينيين
والمعتزلة في القول بخلق القرآن ، وإبهاء الأدب عند الأمين والمأمون وأنصارهما ،
وأمرأ العرب كأبي دلف وعبد الله بن طاهر وغيرهما لتدل أوضح الدلالة على ما كان
للمناظرة في هذا العصر من مكانة حتى أصبحت من أهم مميزاته وكبريات آثاره (٢٩٩) .

من جانب آخر نرى أن شخصية المأمون كان لها أكبر الأثر في أن يتم هذا
التطور الى غايته ، فقد كان في طبيعته رجلا رحب العقل حر النظر واسع الأفق ،
كما تشهد بذلك صور حياته ، وشجع على المناظرة وجعل مجالسه مجالس بحث
ونظر وحوار بين المذاهب المختلفة ، وأقبل على هذه المتعة العقلية يحيط
بها نفسه ويملاؤها حسنة فكان يميل الى المعتزلة لأن آراءهم تتفق مع العقل والمنطق .
نقد كان بلاط المأمون يموج بجمهرة غفيرة من رجال العلم والأدب والأطباء والفلاسفة
الذين شملهم جميعا برعايته (٣٠٠) .

وكان المأمون يشرف بنفسه ويشترك فيها بعلمه وثقافته الواسعة ولم
تكن مجالس المناظرة والمباحثة قاصرة على قصور الخلفاء وإنما تعدت ذلك الى
الجامعات ومعاهد العلم وبيوت العلماء وقد بلغ ولع علماء الاسلام بالمناظرة
والمباحثة اذ جعلوها من أنواع التسلية والترويح عن النفس والمتعة الأدبية ،
واستمرت المناظرة عاملا من عوامل النشاط والحياة للفكر الاسلامي . حتى أصابها
الضعف وانتابتها المزالق والافات ، فاهتم المتناظرون بالتوافقه من الأمور ووجهوا
همهم نحو مسائل وأمر غير واقعية (٣٠١) .

(٢٩٨) ول. ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ ص ٩٦ .

(٢٩٩) د. أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ص ٤٠٦ .

(٣٠٠) د. طه الحازمي : (الجاحظ حياته وآثاره) ، (دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م)
ص ٣١٢ ، ٢١٣ .

(٣٠١) د. عمر محمد التومي الشيباني : فلسفة التربية الاسلامية ص ٤١٦ ، ٤١٩ .

غير أننا لا نوافق الدكتور التومى الشيبانى فيما ذهب إليه لأن المناظرة والمباحثة في بيت الحكمة كانت على أشدها وتتم في جو علمي تسوده الحرية المطلقة والمباحثة في مختلف أنواع العلوم الفلسفية والطبية وغيرها .

وهكذا كان المأمون بحق نجم ولد العباس في العلوم التي أخذ منها بقسط وافر . حتى أن البرامكة مع علو كعبهم في العلوم . فانهم اعتبروا أشبه بالجهلة بالنسبة له (٢٠٢) . فكانت منازل الخلفاء والوزراء تثار فيها المسائل وتناقش فيها القضايا ، وقد ساعد على ذلك إطلاق الخلفاء العباسيين الحرية في التفكير والاعتقاد ما دام ذلك لا يمس الخلافة . ولا ينال من السلطان القائم .

وكانت بغداد في العصر العباسي الثاني كعبة يحج إليها العلماء ، كما كانت روميه في ايام التمدن الروماني حتى اذا تولى المعتصم واستكثر من الأتراك كان على مذهب أخيه المأمون في الاعتزال واکرام الشيعة . فظلت بغداد على نحو ما كانت عليه أيام المأمون (٢٠٣) .

وكان الواثق يتشبه بالمأمون في حركاته وسكناته . وكان يعقد المجالس مثله للمباحثة بين الفقهاء والمتكلمين في أنواع العلوم العقنبة والسمعية في جميع الفروع . وهم حتى في مجالس سمرهم ولجوهم كانوا علماء أدباء لا يفوتهم تحقيق مسألة أو كشف غامض أو تصحيح خطأ ، كما نلمس ذلك في الحادثة التاريخية التالية : في أحد مجالس الخليفة الواثق غنت جارية بين يديه :

اظلم أن مصابكم رجلا أهدي السلام تحية ظام

فرد عليها بعض الحاضرين نصيبها (رجلا ، ظانا أنه خبر) ان ففسوا به الرفع على زعمه . وما درى ان (رجلا) مفعول المصدر و (مصابكم) في معنى « أصابتكم » وخبر « ان » هو « ظلم » فانكرت انجاريه ما زعمها هذا الرجل وقالت : لا أقبل هذا ولا غيره . وقد قرأته هكذا على أعلم الناس بالبصرة أبى عثمان المازنى . فأمر الواثق بإحضاره من البصرة الى بغداد . قال المازنى : لما دخلت على الواثق قال : بناسمك ؟ يريد : ما اسمك لا قال المازنى : وكأنه أراد ان يعلمنى معرفة بإبدال الباء مكان الميم في هذه اللغة . فقلت له : بكر بن محمد

(٢٠٢) د . عبد المقصم حاجت المنصر العباسي الاول د ١ ص ٢٥٩ .

(٢٠٣) حرى ريدان : تاريخ اداب اللغة العربية د ٢ ص ٢٢ .

المازنى . قال مازن شيبان أم مازن تميم ؟ قلت : مازن شيبان ، فقال حدثنا ،
نقلت يا أير المؤمنين : هيبك تمنعنى من ذلك ، وقد ظال الراجز :

لا تَقْلُواها وادْلُواها دَلُوا أن مع اليوم أخاه غدوا

قال : فسرہ لنا ، قُلْتُ : لا تَقْلُواها : لا تعفأها في السير : يقتل : قتلوه :
إذا سرت سيرا عنيفا ، ودلوت : إذا سرت سيرا رقيقا (٣٠٤) .

هكذا كانت مجالس الخلفاء في العصر العباسي كخليفة النحل نفوس تشفى
وعقول تتغذى بجمال الفكر وروعته وما مجلس الخليفة الواثق الا خير شاهد
على ذلك .

ويروى الخطيب البغدادي (٣٠٥) أن ابن أبي دؤاد الذي ولد بالبصرة سنة
١٦٠ هـ قد اتصل بالمأمون عن طريق يحيى بن أكنم ، فكان يجلس مجالس
المأمون في الجدل والمناظرة ، فاعجب المأمون بعقله وحسن منطقته وقربه ،
وأصبح ذا نفوذ كبير في قصره وكان من وصية المأمون للمعتصم « أبو عبيد الله
ابن أحمد بن أبي دؤاد لا يفارقت التركة في المشورة في كل أمرك ، فانه موضع ذاك
ولا تتخزن بعدى وزيرا » .

فلما ولي المعتصم جعل ابن أبي دؤاد قاضي القضاة وكان يحيى بن أكنم
كذلك قاضي القضاة في أيام الواثق ويتولى المتوكل فاصيب بالفالج وأفل نجمه ،
وكانت مدة عظمتته ونفوذه وجاهه نحواً من ثمان وعشرين سنة ، ومن سنة
٢٠٤ هـ وهى السنة التى عرفه فيها المأمون الى سنة ٢٣٢ هـ وهى سنة خلافة
المتوكل ومات أحمد سنة ٢٤٠ هـ على ما حكى المسعودى والذهبى وابن خلكان .

وكان ابن أبي دؤاد عظيم الجاه ، قوى النفوذ ، وقد كسب نفوذه من
شخصيته ومكانته من الخلفاء مثل في دولة النفوذ الفارسي المروءة العربية ، فكان
واسع المروءة ، بعيد الهمة ، كان مظهر مروءته الكرم الوافر الذى يمتلكه بن قلوب
الناس وأعلى بكرمه شأن العرب كما أعلى البرامكة بكرمهم شأن الأفرس ، وكان
يقال : « أكرم من كان في دولة بنى العباس البرامكة ثم ابن أبي دؤاد » (٣٠٦) .

٣٠٤، د. مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا ص ١٦٨ .

٣٠٥) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج٤ ص ١٤٢ .

٣٠٦) ابن خلكان : وفیات الاعيان ج ١ ص ٢١ .

وعلى هذا التدهور السياسى صحبته نهضة علمية ، وضعف العاصمة واضمحلالها نشأ عنه عواصم كل منها مثلت دور بغداد بنجاح عظيم . يقول خودا بخش^(٣٠٧) : « وفى الممالك المستقلة أو شبه المستقلة التى انقسم لها العالم الاسلامى ، ظلمت اسر حاكمة ، وكانت هذه ينافس بعضها بعضا فى حماية العلم والمتعلمين ، فأصبحت القصور الجديدة فى العواصم المتعددة مراكز ثقافية خصبة » . وكانت تلك القصور وما فيها من مجالس فى ذلك العهد تقوم مقام الجامعات اليوم^(٣٠٨) .

ويقول النعنى^(٣٠٩) « وكان السلطان محمود يحب العلم والعلماء ويكرمهم ويجالسهم ويحسن اليهم وكانت تعقد مناظرات طويلة بين يديه » . وحين استولى السلاجقة على بغداد وعلى اغلب العالم الاسلامى ظهر اسم الوزير نظام الملك الذى كان السلطان الحقيقى لدولة السلاجقة الاولى وكان هو نفسه فقيها عالمسا^(٣١٠) .

فكانت تعقد المناظرات فى حضرته ، وقد خرج له الغزالي مرة وناظر الأئمة والعلماء فى مجلسه ، وقهر الخصوم ، وظهر كلامه على الجميع ... فولاه نظام الملك التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد^(٣١١) .

وطالما جرت مناظرات بين أبى اسحاق الشيرازى وإمام الحرمين أبى المعالى الجوينى بحضرة نظام الملك^(٣١٢) . واثواقع أن الخلفاء العباسيين لم يألوا جهدا فى تشجيع الحركة العلمية عن طريق المباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة التى لعبت دورا عظيما فى تنميتها وتجميع النهضة الفكرية واثراء تراثنا الثقافى فى جميع جوانبه الدينية والأدبية والفلسفية والعلمية . ويشيد بذلك جوستاف لوبون : أن حب العرب للعلم كان عظيما وأنهم بلغوا درجة رفيعة من الثقافة بعد أن أتموا فتوحاتهم بزمان قصير ، حتى استطاعوا أن يبدعوا حضارة انبعث فيها الآداب والعلوم والفنون وبلغت الذروة .

Khuda Bukhsh : Contribution to the History of Islamic
Civilization, p. 284.

(٨٠٤)

- (٣٠٨) أحمد أمين . ظهر الاسلام ج ٢ ص ٢٨٧ .
(٣٠٩) العيتى . بدر الدين محمود بن أحمد : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ج ١٢ مخطوطا بدار الكتب المصرى رقم ١٥٨٤ تاريخ .
(٣١٠) لايبكى : طبقات النخبة ج ٣ ص ١٣٥ . ١٤٥ .
(٣١١) الغزالي : احياء علوم الدين ج ١ ص ٣ .
(٣١٢) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٨١ .

ثانيا - رغبة الخلفاء والوزراء في المباحثة والمناظرة داخل بيت الحكمة :

ومما لا شك فيه أن المجتمع كان يرتبط حينئذ بالاسلام ارتباطا وثيقا في جميع شئونه الروحية والاجتماعية ولكن كأنهما أصبح سلطان العقل فوق سلطان الدين . وكل ذلك باعثه الحقيقي رقى الحياة العقلية في هذا العصر ، فإذا كل شيء يناقش في حرية ، وإذا كل شيء يعرض على بساط البحث والجدل فكان وراء هذا المجلس الكبير ومجلس يحيى بن خالد البرمكى مجالس صغرى ما يزال يجتمع فيها العلماء ويتجادلون ويتناظرون ، من ذلك مجلس أيوب بن جعفر ابن أبى جعفر أبى المنصور . وقد اجتمع فيه يوما النظام وأبو شمر المتكلم ، وكنت في أبى شمر رزاة تجعله لا يحرك يديه ولا منكبيه إذا جادل أو ناظر ، فضاطره النظام بما أورد عليه من البراهين في مسألة ناظره فيها أن يحرك يديه وأن يحبوا إليه خبوا يريد أن يسكنه بيده بعد أن أعجزه أن يسكنه بالأدلة العقلية^(٣١٣) .

فكانت الثقافة في هذا العصر شيئا طاعيا جارفا تنفعل به النفوس وتدور حوله احاديث المجالس ، كمجلس يحيى بن خالد البرمكى الذى أثرت إليه من قبل ، وتنعقد له حلقات الدرس في المساجد وفي دور العلماء^(٣١٤) .

ثم ان الأمراء والوزراء في الدولة الاسلامية^(٣١٥) كان لهم أيضا شغف بمجالس العلم ورعايتها ومن أشهر هذه المجالس مجلس الوزير ابن الفرات في عشرينات القرن الرابع الهجرى ، ومجلس أبى عبد الله الحسين في سبعينات القرن نفسه . ولعلنا ندرك أن هناك أرضا خصبة لاحتضان العلوم وازدهارها في هذا المجتمع العباسى الذى يحرص فيه الخلفاء والوزراء كل الحرص على رعاية العلم والعلماء ، وفي ظل تلك النظرة السامية للعلم والعلماء اتفقت نظرتهم ورغبتهم في المباحثة والمناظرة في بيت الحكمة .

وما يروى من مناظرة الكسائى وسيبويه بين يدى الرشيد أو بين يحيى بن خالد البرمكى^(٣١٦) ، وكانت مجالس البرامكة ندوات كبيرة للمتكلمين والفلاسفة من كل نحلة

(٣١٣) الجاحظ : البيان للنبين ج ١ ص ٩١

(٣١٤) د. محمد مصطفى هداره : (اتجاهات الشعر العربى في القرن الثانى الهجرى) ، دار

المعارف بمصر ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م (ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٣١٥) ابن الفطى : (أنباء الرواة علي أنباه النحاة) ، (طبعة مصر ١٣٦٩ هـ) ج ٢ ص ٢٧١ .

(٣١٦) السعوى - مروج الذهب ج ٣ ص ٢٨٦ .

يتجادلون فيها ويتحاورون في كل ما يعرض لهم من مسائل . وفي ذلك يقول المسعودي :
« كان يحيى بن خالد البرمكى اذا بحث ونظر ، وله مجلس يجتمع فيه اهل الاسلام
وغيرهم من اهل النحل ، فقال لهم يحيى وقد اجتمعوا عنده : قد أكثرتم الكلام
في الكون والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفي والحركة والسكون والمماسية
والمباينة والوجود والعدم والجوهر ، والطفرة والأجسام والاعراض
والتعديل والتحوير والكمية والكيف والمضاف والإضافة أنص هي اختيار سائر
ما ترونه من الكلام في الأصول والفروع فقالوا الآن في العشق على غير منازعة وليورد
كل منكم ما سنع له فيه وخطر بباله » (٣١٧) .

ويصور المسعودي ما عناد على الحركة العلمية من هذه الندوات التي غدت
كانها مجمع علمي كبير فيقول : « قرب المأمون اليه كثيرا من الجدلبيين والنظاريين
كأبي هذيل العلاف وأبي اسحاق بن سيار النظام (٣١٧) وغيرهما ممن وافقهما
وخالفهما (يريد المعتزلة وغيرهم) وألزم مجالسة الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء
وأقدمهم من الأمصار وأجرى عليهم الأرزاق (الرواتب) فرغب الناس في صناعة
النظر وتعلموا البحث والجدل ، ووضع كل فريق منهم كتابا ينصر فيها مذهبه
ويؤيد بهما قوله » .

وقد كفلت الحرية العقلية في هذا المجلس وهذا المجمع الى أبعد غاية
ممكنة بحيث كان كل رأى يعرض للمناقشة العقلية الخالصة حتى آراء الزنادقة (٣١٨) .
ويتحدث صاحب النجوم الزاهرة عن مجلس في البصرة فيقول : « كان يجتمع بالبصرة
عشرة من مجلس لا يعرف مثلهم : الخليل ابن أحمد صاحب العروض (سنى) ووليد
ابن محمد الحميرى الشاعر (رافضى) وصالح بن عبد القدوس (ثنى) وسفيان
ابن مجاشع (صفرى) وبشار بن برد خليف ماجن ، وحمام عجرد (زنديق) وابن
رأس الجالوت الشاعر اليهودى وابن نظير النصارى (متكلم) وعمرو بن أخت المؤيد
المجوسى وابن سنان الحرانى الشاعر فتناشد الجماعة أشعارا وأخبارا (٣١٩) كما
تروى لنا بعض كتب النحو مناظرات بعض العلماء في النحو والصرف واللغة ،
كالفضل القيم الذى عقده السيوطى في كتابه — الأشباه والنظائر في المناظرات

(٣١٧) المسعودي . هروج الذهب ج ١ ص ٢٤٥ .

(٣١٨) الجاحظ : الحيوان ج ٤ ص ٤٤٢ .

(٣١٩) ابن تغرى بردى ، أبو الحسن جمال الدين : (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) ،
(طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة . ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٢ م) ج ٢ ص ٢٩ .

والمجالسات والفتاوى والمكاتبات والمراسلات^(٣٢٢) وقد تناظر ثعلب مع البرد في حضرة محمد بن عبد الله بن طاهر في كلمة «لماذا» ومن قوله تعالى : « قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لماذا »^(٣٢٣) . ويروى أيضا أن محمد بن عبد الله بن طاهر كان رجلا لا يقبل من العلوم الا حقائقها وأنه كان يجمع بين البصريين والكونيين للمناظرة^(٣٢٤) . ويروى أن الكهيت شهد الجمعة بمسجد الجامع فأحاط به علماء الكوفة ورواتهم ، فيهم حماد والطرماح فجعلوا يسألونه حتى اذا فرغوا من سؤالهم اخذ هو يسألهم^(٣٢٥) .

وكانت مسألة خلق القرآن أهم موضوع جدلى اثير في عهد المأمون ، وقد اعتنق المأمون رأى المعتزلة فيه ، ولم يدع للناس حرية ما يعتقدون في هذه المسألة ، بل رأى أن من لم يقل بخلق القرآن فهو مطعون في دينه ، وكانت وسيلته الأولى الاقتناع والمناظرة ، ومن ثم حفلت المجالس بالقول والجدل في هذا الموضوع الخطير ، وقد دونت كتب الأدب والتاريخ صورا من هذه المناظرات^(٣٢٦) .

ولما كانت المناظرة والجدل من أهم ما كان يعتد عليه المعتزلة في نشر آرائهم فقد وضعوا أسسا تعتبر بحق قواعد علم للبحث والمناظرة فقد روى « أنه اجتمع متكلمان فقال أحدهما : هل لك في المناظرة ؟ فقال على شرائط : الا تغضب ولا تعجب ولا تشغب ، ولا تحكم ولا تقبل على غيرى وأنا اكلمك ، ولا تجعل الدعوى دليلا ولا تجز لنفسك تأويل آية على مذهبك الا جوزت لى تأويل مثلها على مذهبى وعلى أن تؤثر التصديق ، وتقصد للتعريف ، وعلى أن كلا منا يبنى مناظرته على أن الحق ضالته والرشيد غايته »^(٣٢٧) .

وكان عهد سلسلة انتصارات للمعتزلة في مجالس البحث والمناظرة الكثيرة التى عقدها مع الشيعة ، والملحدين من الدهرية والثنوية فقد ناظر ابو الهذيل

(٣٢٠) السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر : (الأشباه والنظائر) ، (حيدر آتاد - الدكن - الهند - الهند ١٣١٦ هـ) ج ٣ ص ١٥ .

(٣٢١) ابن خزابه : مجالس أبى مسلم - مخطوط ص ٦٠ دار الكتب المصرية ٧٧ ادب .

(٣٢٢) ابن طيفور ، أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر : (تاريخ بغداد) (طبعة ليبسك

١٩٠٨ م) ص ٦٨ .

(٣٢٣) المصدر نفسه ١١٨ .

(٣٢٤) السبكي : طبقات الشافعية ج ١ ص ٢٠٥ ، ٢١٥ .

(٣٢٥) الأصفهاني ، الحسين : (محاضرات الأحياء) ، (القاهرة - ١٢٨٧ هـ) ج ١ ص ٤٥ .

العلاف صالح بن عبد القدوس لما قال في العالم أنه من أصلين قديمين : نور وظلمة ، وكلنا متباينين فامتزجا فقال أبو الهذيل : فامتزاجها أموهما أم غيرها قال : بل أقول هوها : فالزمه أن يكونا ممتزجين متباينين إذ لم يكن هناك معنى غيرها ولم يرجع^(٣٣٦) ذلك اليهما فانقطع وأنشأ يقول :

الى الهذيل جزاك الله من رجل فأتت حقا لعبري مفصل جدل

ويعود انتصار المعتزلة على خصومهم في مجالس المباحثة والمناظرة الى اتصالهم بالفلسفة اليونانية وتزودهم بها حتى ضمنوا انتصارهم كما فعل أبو الهذيل العلاف وإبراهيم النظم^(٣٣٧) ودرسوا كذلك المذاهب الأخرى ليتعرفوا مواطن الضعف فيها وليعودوا أنفسهم للرد عليها .

على كل حال كانت هذه المجالس والمناظرات سببا كبيرا من أسباب الرقى العلمى ، فقد حفزت العلماء للبحث والنظر ، وحملتهم على الجدل فى تصفية المسائل حتى يظهروا فى هذه المجالس فظهر الثقة الدقيق النظر وحتى لا يفشلوا فيكون فى هذا الفشل القضاء عليهم . كان العلماء يطيلون النظر ويعمدون العدة الطويلة لمثل هذا الموقف^(٣٣٨) .

وكثيرا ما أخذ المأمون نفسه دورا رئيسيا فى المناظرات التى كانت تدور فى مجلسه حيث كان الحوار مذهبيا . فسأل المأمون عليا الرضى : بم تدعون هذا الأمر ؟ قال بقرابة على من النبى صلى الله عليه وسلم وبقرابة فاطمة رضى الله عنها . فقال المأمون : ان لم يكن هاهنا شيء الا القرابة ففى خلف رسول الله من اهل بيته من هو اقرب اليه من على ومن هو فى القرابة مثله ، وان كان بقرابة فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الحق بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعلى فى هذا الأمر حق وهما حيان ، واذا كان الأمر على ذلك فان عليا قد ابتزهما جميعا وهما حيان صحيحان واستولى على ما لا يجب له ، فما أحرار على ابن موسى نطقا^(٣٣٩) .

(٣٣٦) د. أحمد تسلبي : تاريخ التربية الاسلاميه ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٣٣٧) أحمد بن يحيى المرتضى : (التنية والأهل فى شرح المال والنحل) (حيدر اباد - الدكن

١٣١٦ هـ ، ص ٢٧ .

(٣٣٨) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٥٩ .

(٣٣٩) ابن قتيبة : عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٠ ، ١٤١ .

ولندع الآن عهد المأمون الزاخر بالعلم والمعرفة ، ولنسر الى العهود التالية له : في مجلس من مجالس الادب والمناظرة التي عقدت في عصر الواثق تلاهى مخارق وحسين بن انشحاك في أبى العتاهية وأبى نواس أيهما أشعر ، وكانت الملاحاة على مال ، فانفقنا على اختيار شعر من شعريهما يتناظران فيه ، فاختار الحسين بن انشحاك شيئاً من شعر أبى العتاهية ضعيفاً غزلاً لا لشيء عرفه فيه الا لأنه استملحه وغناه ، واختار الواثق أبى محم ليتحاكماً اليه بالشعرين فحكم أبو محم لحسين بن انشحاك . فقال مخارق لم أحسن الاختيار للشعر ، ولأبى العتاهية خير مما أخذت . وقد اختار حسين أجود ما قدر عليه لأبى نواس لأنه أعلم منى بالشعر ولكننا نتناظر بالشاعرين ففيهما وقع الجدل فحكم أبو محم لأبى نواس فقال : هو أشعر ، واذهب في فنون الشعر وأكثر احساناً في جميع تصرفه فأمر الواثق بدفع المال الى الحسين ابن انشحاك وانكسر مخارق(٣٣٠) .

وكان الوزراء والأمراء البويهيون يحبون أصحاب هذه المجالس يشجعونها مادياً ومعنوياً فكان عضد الدولة يمد يده بالمال الى أبى سليمان ويصله بانهبات والعطايا .

ومن المجالس العلمية المهمة الأخرى مجلس الشريف المرتضى على بن الحسين العلوى . وكان يملئ فيه ضروباً من المسائل وكتابه الذى سماه (الغرر والدرر) مجالس أعلاها في فنون معانى الأدب كالنحو واللغة وغيرها . وكان لأبى القاسم على بن المحسن التنوخى حلقة يحضرها طائفة من العلماء والأدباء(٣٣١) . ولأبى حامد الأسفرائينى مجلس يحضره ثلاثمائة فقيه وقد أشار ابن السبكي الى ما كان يقع بينه وبين غيره من المناظرات — وذكر شيئاً من المناظرات التى وقعت بين أبى اسحاق الشيرازى والدمغانى وبين أبى الطيب الطبرى وأبى عبد الله الصيمرى ، وبين أبى اسحاق وعبد الجبار المعتزلى وبين الطبرى وأبى الحسين الطلقانى وبين الطبرى والقدرى وغيرهما(٣٣٢) .

وكان الوزراء يهتمون بما يدور في تلك الاجتماعات من مناقشات وجدل

(٣٣٠) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ج ٦ ص ١٨٨ .

(٣٣١) ابن الفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨٥ .

(٣٣٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٤ .

فكان ابن ساعدان يسأل أبا حيان التوحيدى عن اخبار أبى سليمان وكيف يزوره
رسيل سجستان أيام الجمعة (٣٣٣) وكان يعطيه رقعة بخط يده ليبحث أبا سليمان بما
فيها من المسائل الفلسفية الخاصة بالنفس قائلًا أعرضها على أبى سليمان ولا تدع
عنده بل انسخ له وحصل ما يجيبك به ويصدق لك بحقيقته ولخصه ورفعته
بلغظك السهل وايضاحك اللين (٣٣٤) .

وقد نقل أبو حيان أهم ما كان يدور في مجلس أبى سليمان في كتابيه (المقابسات)
و (الامتاع والمؤانسة) في كل علم وفن من ادب وفلسفة ومجون وأخلاق وطبيعة
وبلاغة وتفسير وحديث وغناء ولغة وسياسة وتحليل شخصيات الفلاسفة في
عصره والأدباء والعلماء وتصوير العادات وأحاديث المجالس وغير ذلك مما
يطلو شرحه (٣٣٥) .

(٣٣٣) أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ج ١ ص ٧٢ .

(٣٣٤) المصدر نفسه ص ٨٣ .

(٣٣٥) المصدر نفسه ص ٢١٢ .

ثالثاً - مشاركة العلماء والشعراء والأدباء في المباحثة والمناظرة في بيت الحكمة :

كانت تعقد في قصور الخلفاء والأمراء حلقات العلم وفيها يتناظر العلماء في اللغة والأدب والشعر والفقه والحكمة والمنطق وعلم الكلام ، وكانت عناية العباسيين واضحة وأشهر من عقدت حلقات المناظرة في قصره من حلقاتهم هارون الرشيد الذي كان قصره كعبة العلماء والأدباء وكان يحضر مجلسه أبو نواس وأبو العتاهية ودعبل ومسلم بن الوليد والعباس بن الأخنف وإبراهيم الموصلي والأصمعي والكسائي والواقدي وغيرهم (٣٣٦) .

فقد كان هو نفسه أديباً عالماً قرب العلماء وشجعهم على البحث والمناظرة. وقد اعتنق المؤمنون مذهب المعتزلة الذين اعتمدوا على الجدل وقوة الحجج ولما ضعفت الخلافة العباسية في بغداد وانفصلت الأطراف وقامت بها دولة مستقلة تنافس سلاطين هذه الدول وأمرؤها في اجتذاب أشهر العلماء والأدباء إلى مراكز حكمهم وقصورهم وأصبحت القصور في العواصم المختلفة مراكز ثقافية (٣٣٧) .

نظهر في العراق دور العلم هي كما ترى أنها دور خاصة بالدرس والبحث ، ولعل من أشهرها بيت الحكمة ببغداد ، ودار العلم في الموصل ، وبيت الحكمة ، شبه ما يكون بأكاديمية مختصة بالدرس والبحث وترجمة الكتب العلمية والأدبية ، كما كانت تعقد فيها مجالس العلم للمناظرة من أجل التوصل إلى حقائق العلم ومن مشاهير من اشتغل في بيت الحكمة أبو سهل الفضل بن نوبخت وكان قد عهد إليه بترجمة كتب الحكمة من الفارسية إلى العربية (٣٣٨) يضاف إلى هذا كله انتشار مجالس المناظرة في الدور والقصور والمساجد بين العلماء وفي حضرة الخلفاء في الفقه والنحو والصرف واللغة والمسائل الدينية ، وكان يشد من أزر هذه المناظرات الشغف بالعلم وعطايا الخلفاء والأمراء وتيسر الحظوة عندهم . . وكان بعض الخلفاء والأمراء يحضرون هذه المناظرات ويشتركون في الرأي يؤيدون البعض ويفندون البعض . وكان العلماء يستعدون للمناظرة يتسلحون لها رغبة في الشهرة ، وذيوع الصيت ، وكانت تذكيتها المتنافسة الحادة بين الأمراء والخلفاء . وقد شهدت بغداد على نحو خاص مناظرات في النحو والصرف واللغة ، ومن أمثالها ما جرى

Nicholson : A Literary History of the Arabs. London (٣٣٦)

1923, p. 261.

Khuda Bakhsh : Contribution of the History of Islamic (٣٣٧)

Civilization, p. 184.

(٣٣٨) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٦ .

بين سيوييه والكسائي في مجلس يحيى البرمكي وما كان بين الكسائي واليزيدي في حضرة المهدي ثم الكسائي والأصمعي أمام الرشيد ، وما روى عن محاوراة بين أبي العباس أحمد بن يحيى مع ابن الأعرابي في مجلس الأمير أحمد بن سعيد ، كما تنافطر أبو العباس ثعلب مع البرد في حضرة محمد بن عبد الله بن طاهر . ومن أشهرها جميعا مناظرات المأمون الذي كان يرى أن تثار بين يديه المسائل الدينية المختلفة فيسمع من كل رأي وحجة ، ثم يفصل في أوجه الخلاف على ضوء هذه الحجج^(٣٣٩) .

ويشهد الحكام أنفسهم المجالس الأدبية والمناظرات الفلسفية فقد كان عصر ابن المقفع يزخر بهذه المجالس الثقافية حيث كان الخليفة يجمع حوله العلماء والأدباء والشعراء الذين يتسابقون لنيل نواله ويبدعون في صناعة القصائد وأنشاد الأثعار وحكاية الروايات والنواذر والأمثال وغير ذلك من فنون الأدب ، مما جعل هذه المجالس وما يدور فيها من مناقشات أدبية طريقة عاملا من عوامل انعاش الحركة الثقافية في البلاد الإسلامية فضلا عن أن هذه المجالس كانت تدور حول بعض المبادئ السياسية وأحقية العباسيين في الحكم على بنى أمية ، فكانت تراثا ذا طابع سياسي له قيمته وخطره وأثره في التوجيه الفكري في هذه الحقبة من التاريخ ، وكان الخلفاء العباسيون يجلون العلماء ، ويعنون بالشعر واللغة والأشعار ورواية الأخبار فكانوا يعتبرون عدم حفظ الأشعار العربية سبة ليس بعسرها سبة^(٣٤٠) .

وفي هذا العصر ظهر نوعان من العلماء : الأول هم الذين يغلب على ثقافتهم^(٣٤١) النقل والاستيعاب ويسمونه أهل العلم ، والثاني هم الذين تغلب على ثقافتهم الابتداع والاستنباط ويسمونه أهل العقل^(٣٤٢) .

وقد ذكر ابن خلكان^(٣٤٣) : أن الخليل بن أحمد اجتمع بابن المقفع وتحديا في شتى المسائل ، فلما افترقا قيل للخليل كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال : رأيت رجلا علمه أكثر من عقله ، وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل بن أحمد ؟ قال : رأيت عقله أكبر من علمه ، ، وليس من شك في أن ابن المقفع قد غلب على ثقافته النقل

(٣٣٩) د. حسن أحمد محمود وآخرون : العالم الإسلامي في العصر العباسي ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٣٤٠) محمد غفراني خراساني : عبد الله بن المقفع ص ٤٠ .

(٣٤١) د. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ج ٢ ص ٣٢٣ .

(٣٤٢) المرجع نفسه ص ٣٢٤ .

(٣٤٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧٣ .

والترجمة والتأثر بأراء غيره من العلماء ، على حين قد غلب على ثقافة الخليل الابتكار الذى يتجلى من هذه الحقيقة وهى أنه أول من فرع قواعد النحو ، وأول من صنف المعاجم ، وأول من تكلم فى علم العروض ، فالأول اذن ذو علم والثانى ذو عقل .

وقد امتدت المباحثة والمناظرة الى منازل العلماء حيث كان بعض العلماء يخصص فى بيته مكانا للمجالس العلمية التى يرتادها أهل العلم وغالبا ما تكون المجالس العلمية التى تعقد فى المنازل خاصة وطبقه من الناس يتنافسون فى المسائل العلمية الدقيقة ويتناظرون فى الأدلة والحجج^(٣٤٤) .

لقد كانت مجالس العلماء دورا لتلقى العلم والمعرفة يؤمها عدد كبير من مؤيدى العلم ينهلون من معينه وكانت تعقد هذه الندوات العلمية فى الليل ومن اشتهر هذه المنازل فى العصر البويهى منزل الرئيس ابن سينا^(٣٤٥) ، وقد ضمت هذه الدار نخبة عظيمة من العلماء .

ونذكر ابن القفطى^(٣٤٦) : أن الجوزجاني كان يجتمع كل ليلة فى دار ابن سينا طلبا للعلم وكنت أقرأ معه كتاب الشفاء ، وكان يقرأ من القانون وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار وخدمة الأمير شمس الدين ، وقضينا على ذلك زمنا .

ومن المنازل المهمة أيضا منزل أبو سليمان السجستاني (محمد بن طاهر بن بهرام) كان معيلا لأهل العلوم القديمة تصدى لقراءتها وقصده الرؤساء الاجلاء وانتهت اليه الصدارة فى الفلسفة بعد يحيى بن عدى الذى كان تلميذا وهو بلا شك من انبغ تلاميذه وكان فاضلا فى العلوم الحكيمة متقنا لها مطلعا على دقائقها واجتمع بيحيى بن عدى ببغداد^(٣٤٧) وأخذ عنه .

وكان لتشجيع الخليفة المأمون للأدباء والعلماء والشعراء حيث كان بيت الحكمة تزخر بمختلف الكتب والمصنفات العلمية والأدبية والفلسفية^(٣٤٨) ، مما

(٣٤٤) د . محمد فاروق النيهان : مبادئ الثقافة الاسلامية ص ٢٨ .

(٣٤٥) ابن النديم : الفهرست ص ٢٩٩ .

(٣٤٦) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨٥ .

(٣٤٧) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٣٢١ .

(٣٤٨) د . ابراهيم التريقى : (التاريخ الاسلامى فى خلال أربعة عشر قرنا) (القاهرة

١٩٧١ م) ص ١٢٨ .

جعل الحلقات تعقد وتدور المناقشات والمجادلات في القضاء والقدر وفيما اذا كان الانسان مسيرا ام مخيرا فلانقسموا الى فئتين كل فئسة تناصر احد الرايين ولذلك احتاجوا في العصر العباسي الى معرفة ما عند الأمم الأخرى مما يفيدهم في تلك المجادلات والمناظرات(٣٤٩) .

وقد اسهم بعض الخلفاء في تلك المناظرات ، فكان يجلس المأمون للمناظرة مع العلماء والأدباء والشعراء من أول النهار الى آخره يتناظرون بين يديه فيرشدهم ويمدهم بالأموال والكتب ويتفتدهم اذا غابوا عنهم ويزورهم في بيوتهم مع كثرة العطاء والرغبة في حسن الثناء(٣٥٠) .

فنفقت سوق العلم في زمانه ، وقامت دولة الحكمة في عصره وتنافس اولو النباهة في العلوم لما كانوا يرون من أخطائه لمفتطليها واختصاصه لتتسديها ، فكان يخلو بهم ويأنس بمناظرتهم ، ويلتذ بمذاكرتهم . فينالون عنده المفزلة الرفيعة والمراتب السنية ، وكذلك كانت سيرته مع سائر العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والنسب فأتقن جماعة من ذوى الفنون والتعليم في أيامه كثيرا من أجزاء الفلسفة وسنوا لمن بعدهم منهاج الطلاب فهدوا لأصول الأدب حتى كادت الدولة العباسية تضاهى الرومية أيام اكتمالها وزمان اجتماع شملها(٣٥١) .

ومن هنا كانت بيت الحكمة منارة يهتدى بها الخلفاء والشعراء والأدباء والعلماء فيتناقشون ويتناظرون من أجل الوصول الى الحق والحقيقة .

(٣٤٩) د. ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية ص ٤٢٠ .

(٣٥٠) ابن دحية ، عمر بن حسن بن علي الكلبى : (النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس)

صححه وعلق عليه عباس المزوى (مطبعة المعارف - بغداد - العراق ١٩٤٦ م) ص ٤٨ .

(٣٥١) صاعد الاندلسى : طبقات الامم ص ٧٥ ، ٧٦ .

الباب الثالث



ويشتمل على الفصول الآتية :

- الفصل الأول : بيت الحكمة في عهد المأمون
- الفصل الثاني : بيت الحكمة بعد عهد المأمون
- الفصل الثالث : تأثير بيت الحكمة كمؤسسة علمية وتعليمية على المدارس الإسلامية
- الفصل الرابع : بيت الحكمة كجامعة إسلامية عظيمة

الفصل الأول : بيت الحكمة في عهد المأمون



- ١ - حالة بيت الحكمة قبل عهد المأمون .
- ٢ - عناية واهتمام المأمون ببيت الحكمة .
- ٣ - صرف الأموال في سبيل ازدهار وارتقاء بيت الحكمة .

أولاً - حالة بيت الحكمة قبل عهد المأمون :

وشهدت بغداد في عهد منسئها أبي جعفر المنصور ، حركة تدوين العلوم وانتمى عن الأمم القديمة فترجمت الكتب عن الفارسية واليونانية الى العربية . وبذلك كانت بغداد منذ انشائها مسرحاً لنهضة علمية واسعة النطاق ، وساعد على ذلك ان المنصور نفسه كان راوية للحديث ، بارعاً في العلوم والفنون ولعا بالطب^(١) . وكان المنصور اديبا مصيبا في رايه سديدا وكان مقدما في علم الكلام ، مكثرا من كتابة الأخبار . ويعزز جانب الحكمة ويفدق بره ومعروفه لأهلها . وقد شهدت القرون الأولى من عهد العباسيين حركة ثقافية نشطة ذلك لأن الرفاه الاقتصادي أدى الى انشاء المدن حيث الحياة الحضرية المترفة والسكان ذوو الذوق انراقي والفراغ الكبير نسبيا وحب الاستطلاع^(٢) .

ولقد كان الخلفاء العباسيون اول من أدرك العناية بالعلم ، فكان حرصهم شديدا على ان يبذل العلماء كل ما يملكونه من جهد لنشر العلم بين الطوائف وافادة الأمة منه بقدر ما تستطيع من استفادة وكان أبو جعفر المنصور يجلب العلماء ويجعلهم في مكان الاعزاز والاحترام ، فلا يغلق بابهم دونهم ، ولا يشيح بوجهه عنهم ، ولكنه يقربهم ، ويفسح صدره لهم ، ويبالغ في رفع منازلهم ويطلب اليهم وضع الكتب القيمة ويشجعهم على ان يقدموا للناس عصارة ما علموه من الثقافات وخلاصة ما حصلوه من المعارف ، يرجو مالك بن أنس ان يؤلف له كتابه الموطأ ليكون عمدة تباحث ونبراس المتفقه وهداية الضال وفيصل المحتكم ، ويستجيب الامام رحمه الله لرجائه ويحقق عذته ، ويستقبل الناس ذلك الصنيع باغترباط ، وتلتف مجالسهم للدراسة فيه ، والفهم له والانتفاع به وكذلك يفعل ابن المقفع ليترجم عن الفارسية كلية ودمنة وغيره ، ويحزنو حزنو ابن المقفع كثير من محول العلم ، واساطين المعرفة ، ولا تنتهي خلافة المنصور حتى تعج الدولة بالكتب المؤلفة او المترجمة وتتحول البلاد الى دور للدراسة ، ومجالس للعلم ، ونواد للجدل والمناظرة ومعاهد للغة والفهم والثقافة والتهذيب^(٣) .

ثم يأتي المهدي بعد ذلك فيستن في هذا سنة حميدة ، ويسلك سلوكا

(١) د: زكي محمد حسن : (كنوز الفاطميين) * (القاهرة ١٩٣٧ م) ص ٨٢ ، ١٤٠ .

(٢) د: فاروق عمر : العباسيون الأوائل ج ٢ ص ٧٣ ، ٦٧ ، ٦٨ .

(٣) د: ابراهيم علي أبو خضيب : (تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الاول) * (دار الفكر

المعربي بالقاهرة ١٩٧٤ م) ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

مستقيماً ، ويولى العلم والتعليم جهداً مشكوراً واهتماماً المتفضل ، وعناية الراغب ، وتفكير الجاد ، ويتخذ لأهل العلم والأدب ، أياماً خاصة من فراغه ليعرضوا عليه أحسن بضاعتهم ، وأروع نتاجهم ، ولا يفوته أن يغمرهم بالجلود ، ويعيهم بالاحسان ، ويترك في نفوسهم الأثر الطيب من إقباله عليهم ، وتقديره لهم ، وتشجيعه إياهم ، ليزيدوا من احسانهم الى البلاد ، وجهودهم للدولة ورفعهم لراية الخلافة واعزازهم للوطن الذي اقلتهم أرضه وأظلتهم سماؤه^(٤) .

ويتولى الرشيد الخلافة فلا يشغله شغل ، ولا يلهيه عمل ولا يحول وجهه من العلم والعلماء ، وفتح آفاق المعرفة واتساع مجال الثقافة فكان شغوفاً بالفنون والعلوم ، وكان قصره الزاهى مركزاً لمختلف الثقافات ، وأما ولعه بالشعر فمضرب بالآداب ، واجازته الشعراء بسخاء فالحديث في ذلك طويل المفاحى^(٥) .

كما شهجت بغداد في عهد الرشيد نهضة أدبية وفكرية عظيمة لم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والفضلاء والكتّاب ما اجتمع على باب الرشيد^(٦) . ولم يكن دون سلفيه رغبة في العلم ، وحبا للعلماء ، لقد حكى عنه أنه كان يحفظ شعر ذي الرمة^(٧) .

فدولة الرشيد التي صورها جرجى زيدان وأمثاله دولة أبى نواس والجواري والمغنين ، ودولة الف ليلة وليلة هي : دولة أعلام العلم والاختراع والحصارة حقيقة وصداً ، فقد ضمت دولة الرشيد أعلام العلم الذين تفخر بهم البشرية جمعاء مثل : جابر بن حيان الكوفى ، والحسن بن الهيثم ، والبقائى أمثال العالم المسلم في أرقى مراتبه . فالعلماء الذين تعتز بهم الانسانية ، لأن نهضتها تدين لهم بالفضل منهم من عاش في كنف الرشيد ، ومنهم من هيا له الرشيد كنوز العلوم في « دار الحكمة » فنهلوا من مراجعها ومصادرها^(٨) . فدار الحكمة أو بيت الحكمة يرجح المؤرخون أن أول من أسس هذه الدار الجامعة لمختلف المؤلفات هو الخليفة هارون الرشيد ثم أبدا ابنه المأمون بعده بالمؤلفات الكثيرة والدواوين

(٤) المرجع نفسه ص ١٤٨ .

(٥) د. أحمد فريد رفلى : عصر المأمون ص ١١٩ .

(٦) د. سميرة مختار الليثى : (جهاد الشيعة في العصر العباسى الأول) (دار الجيل - بيروت -

لبنان ١٣٩٦/١٩٧٦) ص ٢٠٩ .

(٧) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ج ٧ ص ٣٩ .

(٨) سقوى خليل : (جرجى زيدان) . (دار الفكر - دمشق ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) ص ١٧٩ .

الضخمة حتى صارت هذه المكتبة من اكبر خزائن الكتب في العصر العباسي وظلت هذه الخزانة (٩) قائمة يستفيد منها الرواد والعلماء وطلاب العلم الى أن استولى عليها المغول (١٠) في بغداد سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

وعاش العلماء العرب عصرا ذهبيا انعكس على آلاف الكتب التي وضعوها في مختلف العلوم وشتى الموضوعات ، تضمنت نظريات جديدة ، وآراء مبتكرة ، وإبحاثا قيمة ، وأفكارا فريدة ، ولقى العلماء كل تكريم من الخلفاء والحكام ، ففتحوا لهم الأبواب ، وأغدقوا عليهم العطاء ، وذلوا لهم الصعاب وكانوا يجلسون اليهم دائما (١١) .

ويمكن أن يوصف بيت الحكمة ببغداد بأنه بناية كبيرة فيها عدد من القاعات والحجرات الواسعة موزعة في تقسام الدار ، تضم مجموعة من خزائن الكتب في كل خزانة مجموعة من الأسفار العلمية الخاصة التي تنسب في الغالب الى مؤسسها كخزانة الرشيد وخزانة المأمون (١٢) . ووصفت بأنها دار كبيرة مقسمة الى عدة أقسام خصص البعض منها لحفظ الكتب والأقسام الأخرى للترجمة والنسخ والتأليف والتجليد والمطالعة (١٣) . وقدر لهذه الخزانة أن تصبح أعظم بيوت الحكمة شانا عند المسلمين لما حوت من كتب نفيسة .

وهكذا كان للرشيد مكانته وقدره فقد ازدهرت فيه الحضارة الاسلامية ايما ازدهار وظهرت فيه آثار تحول المدنية في العصور التي سبقتها فقد كان قصره المثابة التي يهزغ اليها الحكماء والعلماء من أنحاء العالم وكانت سوق البلاغة والشعر والتاريخ والفقه والطب والموسيقى والفنون نافقة ، اذ يقابلها الخليفة مقابلة في سجيته النبيل والكرم ، كل ذلك مما أتى أكله وثمره الناضج في العصور الآتية . ولقد كان الرشيد يجيز العلماء في كل فن جائزات ملكية نبيلة على أن الشغراء كانوا موضع تكريم منه وخاصة مروان بن أبي حفصة الذي منحه الرشيد خمسة آلاف دينار

(٩) د. محمد عجاج الخطيب : لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص ٢٥ .

(١٠) القلقة شندى : صبح الأعشى ج ١ ص ٤٦٦ .

(١١) محمد ابراهيم الصيحي : (العلوم عند العرب) * (مكتبة نهضة مصر - القاهرة - بدون)

ص ٨ .

(١٢) د. ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية ص ٤٤١ .

(١٣) رشيد حميد حسن الجميلي : (اثر الترجمة في الحضارة الاسلامية في القرن الثاني الهجري) .

(أطروحة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة) ص ٢٠ .

وكساه خلعتة تشريفا له وأمر له بعشرة من رقيق الروم ، وحمله على برذون من خاص مراكبه^(١٥) . يقول ابراهيم الموصلي :

الم تر أن الشمس كانت سقيمة فلما ولي هارون اشرق نورها
يمن أمين الله هارون ذى الندى فهارون واليها ويحيى وزبرها

وأما العلم فإن بغداد صارت قبلة لطلاب العلم من جميع الأمصار الاسلامية ، يرحلون اليها ليقبوا ما بداوا فيه من العلوم والفنون فيها المدرسة العليا لطلاب الدينية والعربية على اختلافها فقد كان فيها كبار المحدثين والقراء والفقهاء وحفاظ اللغة وآداب العرب النحويون وكلهم قائمون بالدرس والامادة لتلاميذهم في المساجد الجامعة التي كانت تعتبر مدارس عليا لتلقى هذه العلوم وقلمها كان يتم الانسان وصنف عالم أو فقيه أو محدث أو كاتب الا اذا رحل الى بغداد وخذ من علمائها . وجميع هؤلاء العلماء كانوا يعيشون عيشا رغدا مما كان يفيضه عليهم الرشيد والبرامكة ومن دونهم من الخير الواسع والبر العميم . ولم تكن بغداد بالمقصرة في علوم الدنيا كالطب والحكمة وغيرها من سائر الصناعات فقد حشد اليها الأطباء والمهندسون وسائر الصناعات من الأقاليم المختلفة فاستفاد من العلوم ممن سبقهم من الأمم في المدنية كالفرس وأهل الهند وأهل الروم والصابئة وغيرهم ، وزادوا على تلك العلوم بما منحوا من المواهب العقلية^(١٦) .

ويؤكد ذلك ابن طباطبا^(١٧) في كتابه الفخرى في الآداب السلطانية : « ان الدولة العباسية ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك فكانت دولة كثيرة المحاسن جمة المكارم أسواق العلوم فيها قائمة وبضائع الآداب فيها تافقة وشعائر الدين فيها معظمة والحرمان مرعية » .

وفي بغداد التقى الطب اليوناني بالطب الهندي على صعيد واحد . فقد سبق لهارون الرشيد نفسه أن استدعى مرة الطبيب الهندي منكه الى بغداد ، وكما سبق للبرامكة أن أمروا بنقل بعض الكتب الطبية الهندية الى اللغة العربية^(١٨) .

(١٤) د. أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ص ١٣٣ ، ١٣٥ .

(١٥) الشيخ محمد الخضري : (مختصرات تاريخ الأمم الاسلامية ، الدولة العباسية) ، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة ١٩٧٠) ص ١٣٥ .

(١٦) ابن الطقطقي : الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٢٨ .

(١٧) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٠٢ .

وهكذا جمعت الكتب التى ترجمت فى الطب والنجوم والهندسة والكتب التى ألقت فى الحديث والتاريخ والأدب ووضعت فى خزانة^(١٨) بيت الحكمة .

ومن مميزات العصر العباسى اشتغال الخلفاء والأمراء بالعلم والأدب وأخبار المنصور والرشيد والمأمون وأقاربهم ووزرائهم وشعرائهم تملأ كتب الأدب والتاريخ العربى وكان من حياتهم أعظم دافع لاشتغال الرعية بطلب العلم والنبوغ فيه . وهن مفاخر هذا العهد اطلاق الفكر من قيود التقليد حتى تعددت البدع وتفرغت الفرق وكثرت النحل^(١٩) . .

(١٨) سعيد الديوه جى : (بيت الحكمة) . (مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر - جامعة الموصل ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ط ٢) ص ٣٣ .
(١٩) محمد لطفى جمعه : (تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق والمغرب) (ط ١ المكتبة العلمية - ليون - فرنسا ١٩٠٩ م) من المقدمة .

ثانياً — عناية واهتمام المأمون ببیت الحكمة :

والمأمون بعد تربيته على كرسى الخلافة ، وتقلده زمام الحكم أصبح اليد المشكورة على العلم والأدب والثقافة والمعرفة ، والفلسفة والحكمة ، حتى كأنه هو وحده باعث هذا العصر والنافع فيه من روحه وهو الذى حول بيت الحكمة الى ما يشبه الجامعة ، فصارت مثابة للعلم ومنازة للرشيد ، ومبوءة للمعرفة ، وأصبحت حضارة العصر كله مدينة لها بما أدت للانسانية من جهود مميونة مباركة^(٢٠) .

وفى خلافة المأمون لقيت الموسومة بيت الحكمة كنوز العلم الاسلامية الى كنوز العلم الأجنبية وأمر بأن تشتري المصنفات اليونانية من آسيا الصغرى فى عهده واستهل أبو يوسف يعقوب الكندى « فيلسوف العرب » واحد العقول الكبرى^(٢١) فى تاريخ العالم كما دعاه كاردافو Cardavo .

ويقول « هوجز » : « ان عصر المأمون أزهى فترة فى تاريخ النهضة بالعالم الاسلامى اذ كان الخليفة نفسه عالماً من أساطين العلماء ، واختار أصحابه ورجال الدولة من الصفوة الأمذاذ فى الشرق والغرب ، هذا ، الى جانب الأساتذة والمستشارين والمترجمين والمفكرين الذين حلّ بهم بلاطه وزين ملكه »^(٢٢) .

ويصف سيد أمير على^(٢٣) : « ان بلاط المأمون كان يموج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والأدب والشعراء والأطباء والفلاسفة الذين استدعاهم المأمون من جنات متعددة من العالم المتدين وشملهم بعنايته ، مهما اختلفت مشاربهم أو جنسياتهم ، وكثيراً ما أخذ المأمون نفسه دوراً رئيسياً فى المناظرات التى كانت تدور فى مجلسه » .

ان المأمون^(٢٤) كان أديباً عالماً أفانين القول ومناحيه ، وليس ذلك ببعيد على من تتلمذ على شيوخ الأدب كسيبويه واليزيدى ، ويحيى بن المبارك بن المغيرة ،

(٢٠) د. إبراهيم أبو خشب : تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول من ١٤٩ .

(٢١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٠٣ .

Hughos, Thomas Patrick : Dictionary of Islam, London 1885, (٢٢) p. 295 - 296.

Saed Ameer Ali : Short History of Saracens, p. 278. (٢٣)

(٢٤) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ص ٣٥٤ .

الذي اخذ العربية من امثال ابي عمرو بن العلاء وابن ابي اسحاق الجضرمي ،
واخذ اللغة والعروض عن الخليل بن احمد ، والذي الف كتابا في النحو لبعض
اولاد المأمون . فقد افاد المأمون من هؤلاء وامثالهم من رجال الأدب، والكفاية أيما
افادة . قال عمار بن عقيل : انشدت المأمون قصيدة مئة بيت فابتدى بصدر
البيت فيباري الى قافيته كما قفيته ، فقلت والله يا امير المؤمنين ، ما سمعها مني أحد
قط ! فقال هكذا ينبغي أن يكون . ثم قال لي : أما مبلغك أن عمر بن ابي ربيعة انشد
عبد الله بن عباس قصيدته التي يقول فيها : تشط غدا دار جيراننا . فقال ابن
عباس : ولدار بعد غد أبعد . حتى انشد القصيدة يقفها ابن عباس ثم قال :
انا ابن ذاك .

وهيما قرب المأمون الفلاسفة والمتكلمين كان فيه ميل الى العلم والثقافة
حيث جمع في بيت الحكمة امهات الكتب العربية وغير العربية مع مئات العلماء والمفكرين
والمترجمين . وجمع بلاطه فلاسفة وعلماء تدارسوا القرآن والحديث والفقه والمسائل
المتفرعة منها ولكن المأمون كان يميل الى آراء المعتزلة ويعجب بادلتهم العقلية
والنقلية ولذلك اصبح أحمد بن ابي داود المعتزلي ذا نفوذ كبير في دولة
المأمون (٢٥) .

كان المأمون وافر العلم غزير الاطلاع وليس ذلك بعزيز على خليفة ملا عصره
بانواع المعارف الانسانية ونفخ فيه من روحه القوي ، حتى استطاع الباحث أن
أن يسميه بسمته ، وأن يرجع فضل الحضارة العباسية اليه . ولكن المأمون في
علمه وثقافته لم يقف عند حد الثقافة الذاتية ، وانما وجه حريصه الى أن
يثير في نفوس أصحابه كوامن الرغبة الى التعمق في الدرس ، والشوق الى ادراك
حقائق الأشياء ، وكانت له في ذلك طريقة معروفة هي توجيه السمر والحديث الى
فنون العلم وضروب العرفان فكان حديث الليل وحديث المائدة يفتح لجلسائه
أبوابا من القبول لما كانت تخطر لهم ببال (٢٦) فان المأمون في علمه وعرفانه أهل
للاحتذاء والارتسام من أقرانه ، فحين بالتمثيل به والافتفاء ليكون زمانهم غرة في جبين
الدهر كزمانه ، وليكون نصيبهم نصيبه في مهابته ورفعته شأنه ، ورسيوخ عرشه
وقسوة بنيانه (٢٧) .

(٢٥) د. فاروق عمر فوزي : (العصر الذهبي عصر الازدهار الحضاري) مجلة المؤرخ العربي

- بغداد - العراق ع ١٥ (١٩٨٠ م) ص ١٤٢ .

(٢٦) د. أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٢٧) المرجع نفسه ص ٣٦٢ .

وفي غضون حكم المأمون^(١٨) (١٩٨ هـ / ٢٠١٨ م - ٨١٣ م / ٨٣٣ م) بوصولت الجهود الثقافية الجديدة الحد الأقصى . فقد أنشأ الخليفة في بغداد دارا رسمية للترجمة مجهزة بمكتبة وكان أحد مترجميها « حنين بن اسحاق » الفيلسوف العبقري العظيم المواهب والطبيب النطاسي الواسع الاطلاع والتشخصية الرئيسية في عصر المترجمين هذا .

واختار المأمون سهل بن هارون كاتباً على خزانة الحكمة التي ضمت آلاف المراجع في كل علم وفن ، وخصص مكان معين للمؤلفات اليونانية وعكف المترجمون على العمل في جدد ونشاط ظهر اثرهما واضحا في تقدم علوم الطب عند العرب^(١٩) .

ويقول العالم بلنتو : « ان اهتمام المسلمين بالمكتبات لا يوصف فهي مزودة بحجرات متعددة بها رفوف لوضع الكتب وبعضها مخصص للاطلاع وبعضها للنسخ وبعضها لحلقات الدراسة » . ولأهمية خزائن بيت الحكمة جعل سهل بن هارون كاتباً عليها وهي كتب الفلاسفة التي نقلت للمأمون من قبرص^(٢٠) .

ان بيت الحكمة هذا كان اكااديمية علمية بالمعنى الصحيح ، ولابد لنا ان نشيد بالجهود العلمية التي بذلتها هذه المؤسسة . ذلك ان النقل والتعريب كان آنذاك صعبا كل الصعوبة لأن النقلة كانوا يطرقون موضوعا جديدا كل الجودة عليهم ولا سيما اذا تذكرنا المصطلحات العلمية الكثيرة التي كان يجب عليهم ايجاد بديل لها باللغة العربية ، وقد تمكنوا في اغلب الاحيان من ايجاد البديل المناسب ونقولهم هذه بشكل عام جيدة ، وقسم كبير من التراث اليوناني لم تعرفه أوروبا الا عن طريق النقل العربية^(٢١) .

ان قيام بيت الحكمة البغدادي وازدهار حركة ترجمة الكتب الطبية والفلسفية والعلمية الأخرى من اليونانية الى السريانية والعربية ، ونبوغ حنين بن اسحاق ومدرسته وعلى رأس تلاميذها ابن اسحاق وابن أخيه حبيش بن الحسن الأعسم ، فكانت مدرسة كاملة للترجمة ذات نهج علمي ، وانتاج زلخر ، وعرف العالم العربي

(٢٨) توماس أرنولد وآخرون : (تراث الاسلام) . (ط ٣ دار الطليعة - بيروت - لبنان)

ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

(٢٩) محمد الحسيني عبد العزيز : الحياة العلمية في الدولة الاسلامية ص ٥٩ .

(٣٠) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٦٥ .

(٣١) ابن نيساتك المصري : سرح للعيون ص ١٣٢ .

أقوى حركة للترجمة بفضل بيت الحكمة على عهد المأمون والمتوكل وتكاثرت بيوت الحكمة والعلم في سائر أنحاء العالم الإسلامي ومنهم سلم الحراني الملقب بصاحب بيت الحكمة وهو معاصر للمأمون ، وقد لمع خاصة ثابت بن قرة الذي انتقل من حران الى بغداد(٣٢) .

قال جوستاف لوبون عن المأمون انه كان يخلو بالحكماء ويأتي بمنابرتهم ويلتذ بمذاكرتهم علما منه بأن أهل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده . فلهذا السبب كان أهل العلم مصاييح الدجى وسادة البشر وأوحشت الدنيا لفقدهم ، وكان أولئك يحيطون بخلفاء بغداد وكان يمكن لهؤلاء الخلفاء أن يعدوا قصورهم أول تصور العالم وأنضروها(٣٣) .

ويعتبر بيت الحكمة أول مكتبة علمية ذات شأن في العالم الإسلامي ، ولعله أول جمعية علمية يجتمع فيها العلماء للبحث والدراسة . وكان عصر المأمون أزهى عصور العلم ، وكان الخليفة نفسه مثال الخليفة العالم . . . يهب وقته ورعايته للعلماء ويمنحهم عطفه وتشجيعه . ونادى الخليفة بأن لا يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء فهياً للعلماء أرزاقا يتقاضون في أوقات ثابتة يفيض ريعها على التكاليف المطلوبة . وكان الخلفاء العباسيون يعدون أنفسهم حماة للعلم ويرون أن قصورهم لابد أن تكون مراكز ثقافية ومدارس يلتقى فيها العلماء والطلبة وخصص بعض الخلفاء في قصورهم دورا ومسكن ومقاصير يرتب في كل موضع منها رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعلمية(٣٤) .

فكان المأمون يجلب علماء اليهود والنصارى ، ويحتفى بهم في مجلسه لا لعلهم نحسب بل لثقافتهم في لغة العرب وحذقهم في معرفة لغة اليونان وآدابها ، ومن تشجيع الخلفاء لأهل العلم وإكرامهم لرجال الأدب ، ومن انصراف همهم أولى الفضل الى التأليف والترجمة أن السبيل التي سلكتها الآداب في صدر العصر العباسي قد بلغت غايتها في أيام المأمون ، فعصره اذن هو الثمرة الناضجة ، لتغير الآداب في العصر العباسي(٣٥) . ويعتبر العصر الذي بلغت فيه الآداب العربية الذروة من الكمال المقصور لهن(٣٦) .

(٣٢) الأب يوسف جبي : (يوحنا بن هيلان معلم الفارابي في الخلق) مجلة المؤرخ العربي

- بغداد - العراق - ٣ (١٩٧٥ م) ص ١٧٧ .

(٣٣) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ١٧٤ .

(٣٤) محمد الحسيني عبد العزيز : الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ص ٥٩ .

(٣٥) د. أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ص ٤٠١ ، ٤٠٢ .

(٣٦) المصدر نفسه ص ٤٠٢ .

كما اقتترن اسمه (المأمون) بتلك النهضة الفكرية التي ازدهرت في العصر العباسي الأول ، بوجه عام . وفي عصر المأمون بوجه خاص ذلك لأنه شارك فيها بنفسه حتى قيل أنه أعلم الخلفاء بالفقه وعلم الكلام وأنه فيلسوف الخلفاء وحكيم بني العباس . واهتم بالتراث القديم وجمعه وخاصة التراث اليوناني ، فأرسل بعثات من العلماء الى القسطنطينية وجزيرة قبرص للبحث عن نفائس الكتب اليونانية ونقلها الى بيت الحكمة في بغداد ، وكان هذا البيت بمثابة معهد علمي يضم مكتبة لنسخ الكتب ، ودارا لترجمتها الى العربية ، وكان له مدير ومساعدون ومترجمون ومجلدون للكتب وقد بلغ من شغفه بالثقافة الاغريقية أن زاد اهتمامه بهذا البيت وما حدث فيه (٣٧) .

ف عصر المأمون من العصور الاسلامية الزاهرة ، ولم تكن شخصيته سياسية بقدر ما هي شخصية أدبية ، فقد شجع النهضة العلمية وحرية الفكر ، ودفع حركة النقل والترجمة الى الامام (٣٨) فكان عصره من أزهى عصور العلم في الدولة العباسية لميله الى تحصيل العلوم والمعارف ونشر المعرفة بين افراد الأمة الاسلامية وقد تجلّى ذلك في امداد « بيت الحكمة » في بغداد الذي وضع أساسه الرشيد وضمت مختلف العلوم والفنون ، مما جلبه من بلاد الهند والروم والفرس وغيرها حتى أصبح أشبه بجامعة علمية تحوى دارا للكتب ، يجمع فيها العلماء للترجمة والتأليف والدرس وبه اماكن خاصة للنساخين لنسخ الكتب لأنفسهم ولغيرهم بأجور معينة ، وأشرف عليه موظف عرف باسم « صاحب بيت الحكمة » كان الخلفاء يختارونه ممن اتصف بسعة العقل والأمانة العلمية (٣٩) لو لم يكن المأمون خليفة ، لكان أحد العلماء البارزين في العصر العباسي ، نشأ نشأة علمية ، وعاش في وسط علمي ، ومال الى مذهب الاعتزال ، لأنه مذهب يعتد على العقل في محاكماته للأشياء ، فافاد المأمون من مركزه السياسي لتدعيم الحركة العلمية ، فأمر بنقل جميع ما يتقع عليه من كتب فلسفية ومنطقية لتأييد مذهب الاعتزال ، ولم يتعصب للفلسفة فقط بل عطف على جميع العلوم ، وأنفق في سبيلها بسخاء ، حتى أنه أعطى وزن مما يترجم ذهباً ، وكان يضع علامة على كل كتاب يترجم له ويشجع الناس على قراءة الكتب المترجمة ويرغبهم في تعلمها ، ويضع الجوائز الكبيرة في المنظرات التي كانت تجري تحت إشرافه أو تحت رعايته ، واقتدى المأمون أهل انوجهاته

(٣٧) د . أحمد مختار المبادئ : (في التاريخ العباسي والآنكلي) . (دار النهضة العربية

— بيروت — لبنان ١٩٧٢ م ط ٢) ص ١٠٨ .

(٣٨) د . علي إبراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ص ٣٩٧ .

(٣٩) المرجع نفسه ص ٤٠٧ .

والثروة متقاطر المترجمون والنساطرة واليعاقبة والضابطة والمخوس والرزوم والبراهمة وغيرهم غلى بغداد . وكثر الوراقئون وباعة الكتب وراجت صناعة العلم والآداب ، واغتنى محترفوها^(٤١) .

يقول خودا بخش^(٤٢) عن المأمون عند الحديث على النهضة الأدبية والنشاط العلمي في العالم الاسلامى : ييسدو عصر المأمون وهو ازهى العصور ومكانته القمة بالنسبة الى سواه ومن الحق أن يقال أن جميع الحركات الثقافية في الأقطار الاسلامية منذ عهد المأمون هى فروع للأصول التى غرسها وسقاها ذلك الخليفة العظيم . فهذا بيت الحكمة أول مؤسسة ثقافية عند المسلمين يدين للمأمون بها منحه له عن عنايته ، وما أضفى عليه من قوة ، وما أنفق من مال . وعن طريق هذا المعهد كسبت اللغة العربية كثيرا من الزاد والمعرفة بما جرى في بيت الحكمة من ترجمة إليها من اللغات الأجنبية وبواسطة بيت الحكمة حفظ للانسانية كثير من تراث الاغريق الذى ضاعت أصوله ، فلم يجد العالم غير الترجمات العربية وسيلة للوصول الى هذا التراث^(٤٣) .

وليس من شئت في أنه قدر للمأمون أن يخدم الثقافة الاسلامية خدمة جلى خلال العشرين سنة من مقامه في بغداد عن طريق اهتمامه الشخصى بعلوم اليونان^(٤٤) ، وذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة (جزيرة قبرص) أرسله اليه يطلب خزائنه من كتب اليونان وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليها أحد ، فجمع صاحب هذه الجزيرة بطائته ، ونوى الرأى عنده واستشارهم في حمل الخزائنة الى المأمون ، فكلهم أشاروا بعدم الموافقة الا مطرانا وحدا فانه قال : الرأى أن تعجل بانفاذها اليه مما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية الا انفسدتها وأوقعت بين علمائها ، فارسلها اليه واغتنب بها المأمون^(٤٥) .

غير أن نشاط بيت الحكمة وصل الى ذروته في عهد المأمون الذى كان واسع الثقافة حر الفكر ، وله شغف بالعلوم والآداب ، ومن أجل هذا أولى بيت الحكمة عناية خاصة كان من نتائجها تطور الثقافة عند المسلمين ، ودخول العلوم

(٤٠) انور الوفاى : الاسلام في حضارته ونظمه ص ٥٣٢ .

(٤١) Khuda Bukhsh : Islamic Civilization pp. 270-277.

(٤٢) د. أحمد شلبى : تاريخ للتربية الاسلامية ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٤٣) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٠١ .

(٤٤) ابن نباته المصرى : سرح الميرون ص ١٦٦ .

الأجنبية الذين اهتموا باختصاصهم لهذه العلوم . مما أدى الى حفظ ذلك التراث ونقله الى الاجيال التالية ، وكان على وشك ان يضيع . وقد ضم بيت الحكمة كتب وضعت في الأصل بلغات مختلفة ومن أهمها الكتب اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والآرامية ومن أجل هذا كان المترجمون كثيرون ينقل بعضهم من اللغة اليونانية ، وينقل آخرون من الفارسية ، وينقل فريق ثالث من الهندية^(٤٥) . وهكذا .

ومن أجل هذا نجد يحيى بن خالد البرمكي الذي يشرف على شئون الدولة بوجه عام وعلى النهضة الثقافية بوجه خاص يرسل في طلب بعض العلماء الهنود المتفوقين ويعين من يترجم عنهم كتبهم وأفكارهم الى اللغة العربية وبواسطة هؤلاء العلماء الهنود الذين استدعاهم يحيى نقلت فنون من الثروة العلمية من الهندية الى العربية^(٤٦) . ومن أبرز مترجمي المأمون من أهل الذمة يوحنا بن البطريق ، وكان أميناً على ترجمة الكتب العلمية حسن التأدية للمعاني وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب^(٤٧) .

مما تقدم نرى ان بيت الحكمة كانت تنال جل اهتمام المأمون وعنايته ، ومع ذلك بقيت بغداد على بعدلها — أستاذاً لأهل هذه الأقطار فاتخذوها قبلة لهم في تفكيرهم وسعوا اليها سعي الحاج الى بيت الله الحرام ، وتوافدوا عليها من فارس والحجاز ومصر والشام ومن المغرب والأندلس وتركزت فيها الحركات الأدبية^(٤٨) والعلمية زمناً طويلاً . كما كانت معينا فياضاً سائغاً ينهلون منه ويردون على الدوام حياضه ، ويقتفون أثره ويحملون رسالته ويتبنون أداها ، لبثت بغداد نفسها تجنى ثمار نهضتها العلمية الأولى . فزخرت بفحول العلماء ، وكبار المؤلفين وأساطين الأدباء وبلغاء الشعراء ، والمبتكرين من أهل الفلسفة والكلام وغيرهم ، وانضجت في رجالها روح التخصص في النواحي العلمية . كما ازدهرت التأليف الشائعة بها ويشهدون حلقات ودروس علمائها ومناظرات أدبياتها ومحاوالت ظرفائها ومسابقات شعرائها ، ومفاكهات أئمة المجالس فيها . وامتلات كذلك في خلال هذه المدة بشتى الكتب طارفتها وتليدها ، وتضخم دور كتبها فأصبحت تراثاً فكرياً ثميناً ، وذخيرة علمية

(٤٥) د . أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ص ١٨٢ .

Khuda Bukhsh : (Islamic Libraries The Nineteenth Century L11) P. 128. (٤٦)

(٤٧) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٣٦ ، ٣٣٩ .

(٤٨) محمود رزق سليم : (عصر سلاطين المماليك) . (مكتبة الآداب بالجاميز بالقاهرة)

١٩٤٩ م) ص ٦ .

ذنبية ورمزا انسانيا ساميا لمرحلة من مراحل العلم ، ودور من أدوار الحضارة والمدنية^(٢٩) . وبذلك كله ظلت بغداد زهاء خمسة قرون هي العاصمة الروحية الفكرية للمسلمين قاطبة وللناطقين بالعربية ، وظل بيت الحكمة منارة تهتدى به الشعوب الاسلامية والعربية في عز ازدهارها في عهد الخليفة المأمون .

(٢٩) المرجع نفسه ص ٧٠٦ .

ثالثا - صرف الأموال في سبيل ازدهار وارتقاء بيت الحكمة :

كانت رعاية المأمون لبيت الحكمة ، وما انفق عليه من مال وما جرى في عهده من ترجحات لتراث الاغريق مضرب الأمثال ، فهو أول من نادى بالألا يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والأمراء فهياً للعلماء أرزاقا سخية يتقاضونها في أوقات ثابتة ، يفيض ريعها عن التكاليف المطلوبة لهذه المؤسسة العظيمة . وكذلك جرى العمل من بعده على أن يكون معهدا أو مؤسسة لها وقف ثابت يفي بنفقاتها^(٥٠) .

وكان يتقاضى كل من حنين بن اسحاق ، وحبيش بن الحسن وثابت بن قرة وغيرهم في الشهر خمسمائة دينار للفعل والملازمة^(٥١) ، واتخذ العلماء والمدرسون لهم زيا خاصا ، وكان أبو يوسف أول من غير لبس العلماء واقترح لتميز هذه الطائفة عمامة سوداء أو طيلسانا لعله الروب الجامعي اليوم ، ومنذ ذلك الحين أصبح هذا الزي ضروريا للمدرسين^(٥٢) . وازدهرت بيت الحكمة وارتقت في عهد المأمون ليله الى الفلسفة والعلوم العقلية ، وأنفق أموالا طائلة في نقل الكتب الى بيت الحكمة من الدولة البيزنطية وغيرها .

وكان يعمل في بيت الحكمة علماء تنوعت ثقافتهم ومعارفهم ، فسهل بن هارون صاحب خزانة الحكمة للمأمون كان حكيما شاعرا ، وجدير بالذكر أنه فارسي شعوبى المذهب شديد العصبية على العرب ويصف انجاحه براعته وفصاحته في عدة كتب^(٥٣) .

وازداد النشاط الفكري والثقافي في بيت الحكمة بزيادة عدد الكتب في عهد الخليفة المأمون ، ولم تكن الكتب اليونانية هي التي حرص المأمون على نقلها الى بيت الحكمة بل نجده يطلب من يوحنا بن البطريق احضار كتب لاتينية الى بغداد ، وقد كان يوحنا يعرف اللغة اليونانية ، وضمت هذه الكتب الى بيت الحكمة وبذلك ضم بيت الحكمة كتباً في مختلف اللغات ومختلف العلوم^(٥٤) وكان العلماء في

(٥٠) د. عبد الطيم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب ص ٧٣ .

(٥١) محمد أسعد طلس : (عصر الازدهار وتاريخ الدولة العباسية) . (دار الاندلس - بيروت

- لبنان - بدون ط ١) ص ١٦٤ .

(٥٢) د. عبد الله عبد الدايم : القريبية عبر التاريخ ص ١٧٥ .

(٥٣) ابن النديم : الفهرست ص ١٧٤ .

(٥٤) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٨٠ .

الدولة الإسلامية يودعون نسخا من مؤلفاتهم في بيت الحكمة وهذا يدلنا على أهمية بيت الحكمة كمركز إشعاع فكري للإنسانية وهذا ما يحدث الآن بالنسبة لكل مؤلف عليه أن يودع نسخا من مؤلفاته أو مؤلفاتهم في دار الكتب المشهورة في بئده كدار الكتب المصرية في القاهرة أو غيرها من البلاد الإسلامية الأخرى .

فحينما نقول المأمون بإطلاقه فائما نعنى المأمون العباسى بن هارون الرشيد فكان الخليفة المأمون العباسى كوكبا لامعا في سماء الإسلام ، في السياسة ، وفي الفكر والفلسفة وفي العلم ، فهو نموذج للحكام المثوريين المستفيدين الذين نقيسهم به إذا قلنا (في التاريخ الحديث) : بطرس الأكبر (في روسيا) ولويس الرابع عشر (في فرنسا) وفردريك الكبير (في ألمانيا) وحينما نذكر عظماء الحكام في الإسلام من أولئك الذين تركوا جهودهم على الحضارة الإنسانية — فلا بد أن نذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والوليد بن عبد الملك ، والمأمون العباسى ، وعبد الرحمن الناصر ويوسف بن تاشفين وصلاح الدين الأيوبي والنصور الموحدي ، والظاهر بيبرس ، وفنرا كثيرا من ملوك المسلمين في العراق والشام ومصر والأندلس والهند وتركيا من المشرق والمغرب(*) .

كان المأمون يحض الناس على قراءة الكتب التي ترجمت في أيامه ويرغبهم في تعلمها ، ومن ثم تقدمت الحركة العلمية في عهده ، وتنافس أولو النباهة من العلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء والشعراء في تحسين انتاجهم فأجزل لهم العطاء ، شغل علماء بغداد وغيرها من الحواضر الإسلامية في القرنين الثاني والثالث للهجرة بنقل وترجمة العلوم الأجنبية الى العربية ، لكنهم في القرن الرابع انصرفوا الى الانتاج الشخصي ، وكانوا يعنون بالعلوم الدينية واللغوية أكثر من عنايتهم بالعلوم الرياضية والفلسفية ، ويرجع السبب في ذلك الى ما كان للعامل الديني من أثر في حملهم على الاشتغال بالعلوم الدينية وما ترتب على ذلك من حرصهم على دراسة العلوم اللغوية ، لأنها خير زاد لفهم الدين(*) .

وكان أكثر الخلفاء تسامحا في الدين المأمون الذي بلغ به تسامحه أن انتصر

(٥٥) د. عمر فروخ (المأمون ومكانته في السياسة والفكر والعلم) مجلة الأبحاث - بيروت - لبنان ع ٤ (السنة الرابعة - أبريل ١٩٨٢ م) ص ٩ .

(٥٦) د. محمد جمال الدين سرور : (تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق) ، (دار الفكر العربي - القاهرة) ص ٢٠٩ .

للمعتزلة في القول بخلق القرآن ، فكانت الأفكار من حيث الدين مطلقا الحرية لا يكره
الرجل على معتقد أو مذهب ، وقد اجتمع ستة أضواء لأبى جعد اثنان منها
يتسيعان ، واثنان مرجئان واثنان خارجيان وكلهم تحت سقف واحد (٥٧) .

ولقد تم هذا التزاوج في البيئات التي تعيق بالروح الهلينية بدافع من مساواة
الاسلام بين معتنقيه ، اذ لم يكن ثمة تعصب أو انحياز ، إنما كانت المساواة
وكان التسامح هما الأساس الذي بنى عليه الاسلام معاملته لأهل الأديان الأخرى ،
وقد كان لذلك أثره في استئثارهم همتهم ، وتحريك رغبتهم في المشاركة في السوان
النشاط المختلفة التي تدور حولهم (٥٨) .

يقول جوستاف جرونبيوم (٥٩) : « وكانت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في
بواكير صدر الاسلام مرضية مقبولة » .

ويقول ف. بارثولد (٦٠) : « وكان النصارى أحسن حالا تحت حكم المسلمين في
الآزمنة الأولى لحاجة الفاتحين الى هذا العنصر المسيحي المتفوق على العرب
حضارة » .

ولكن ولا شك ابدا في أن المأمون قد حفظ بعلمه جانباً كبيراً من نراث
الفكر الانساني ثم عمل على نشر ذخائر ذلك الفكر في العالم الاسلامي . ومن العالم
الاسلامي انتشر هذا النور الساطع في أرجاء العالم المتحضر كلها (٦١) .

والمأمون هو الذي أولى بيت الحكمة في بغداد جل اهتمامه وصرف الأموال
في سبيل ازدهارها وارتقاؤها ، وبعد أن كان نقل الكتب يقوم به الأفراد تطبوعاً
واتجاراً ، جعل المأمون هذا النقل لكتب العلم والفلسفة « ادارة رسمية » في
الدولة ، وجعل فيها الموظفين من كل طبقة ونوع ، وكانت الكتب تنسخ له (إى يشير

(٥٧) محمد لطفي جمعة : تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب - القحمة .

(٥٨) د. التسحات السيد زغلول : الديان والحضارة الاسلامية ص ١٢٨ .

(٥٩) جوستاف جرونبيوم : حضارة الاسلام ص ٢٢٣ .

(٦٠) ف. بارثولد : (تاريخ الحضارة الاسلامية) ترجمة حمزة طاهر (دار المعارف بمصر

١٩٤٢ م ط ٣) ص ٥١ .

(٦١) د. عمر فروخ : المأمون ومكانته في السياسة والفكر والعلم ، مجلة الباحة ع ٢٢

(١٩٨٢ م) ص ١٥ ، ١٧ .

هو بنسخها من أصول عربية أو ينقلها عن أصول غير عربية وتفسر له (إذا كانت موضوعاتها تحتاج الى مثل هذا التفسير^(٦٢) .

وقد كان في خزائنه هذه كتب بخطوط مختلفة^(٦٣) ، كما كان قد أخذ (الطالب) أصحابه وكتابه بتجويد خطوطهم .

فقد كان للمأمون ولعه الشخصي بالأمور العلمية والفلسفية . فكان يعتقد مجالس المناظرة في حضرته ويبحث في طلب العلماء والاعلام لحضورها من بيزنطه . وكان يتصيد الكتب النادرة ، ويدفع فيها المبالغ الطائلة ، ويجعل بعنفسها شرطاً من شروط الهدنة مع الروم ، كما أقام (بيت الحكمة) فجمع فيه مكتبة ضخمة هائلة وجهازاً كبيراً للترجمة من مختلف اللغات الى اللغة العربية حشد له سبعين مترجماً . ولقد أدى هذا العمل الى ظهور عصر الترجمة الثاني في تاريخ الفكر الاسلامي ، الى التعجيل في ظهوره عنى الأقل كما مزج الثقافات المختلفة مزجاً قوياً واعتنى باللغة العربية بقراءات فكرى واسع وعجل في ظهور ما نسميه بالثقافة الاسلامية^(٦٤) .

ولم تكن العناية بالترجمة مقصورة على الخلفاء العباسيين ، بل اهتم جماعة من الأثرياء في عهد المأمون بنقل كثير من الكتب الى العربية . ومن هؤلاء بنو شاذان المنجم الذين عهدوا الى حنين بن اسحاق بالذهاب الى بلاد الروم ، فأحضر اليهم كثيراً من طرائف الكتب والمصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب^(٦٥) . ومن الكتب التي ترجمت في عهده الحكم المذهبية لفيثاغورس ، وبعض مصنفات لابوقراط وجالينوس ، وكتاب السياسة المدنية لأفلاطون ، وكتاب المقولات والطبيعيات لأرسطو^(٦٦) . وكان عهد المأمون أرقى عهود العلم في العصر العباسي وذلك لأمرين . الأول : أن المأمون نفسه قد اشتغل بالعلم وأمن فيه فبينما كان يبرو فقد جالس كثيراً من العلماء وأخذ عنهم جملة صالحة من العلوم الدينية كالحديث والتفسير والفقه واللغة العربية فكان لذلك محباً للعلم ولازدياد نشره . والثاني : ما كان نفسها اذ ذاك حيث وجد فيها شوقاً الى العلم والبحث وكثرة العلماء

(٦٢) ابن النديم : الفهرست ص ١٠ ، ٥ .

(٦٣) المصدر نفسه ص ١٧ ، ١٩ .

(٦٤) د. شاذان مصطفى : (دولة بني العباس) . (وكالة المطبوعات - الكويت ١ ، ١٩٧٢ م) .

ج ١ ص ١ .

(٦٥) ابن النديم : الفهرست ص ٣٤٠ .

(٦٦) أحمد أمين : فتح الاسلام ج ١ ص ٣٧٨ .

في كل مصر من امصار المسلمين فتوافق رأى الامام واستعداد الأمة فكان من وراء ذلك ما نقصه من تقدم حركة العلم ورقعة بغداد (٦٧) .

فليس غريبا على الخليفة المأمون ان يعرف عهده بالعصر الذهبي فقد قام بتوسيع (بيت الحكمة) التى أسسها والده الرشيد فكان بلاطه مزدهرا بمشاهير الأساتذة والشعراء والأطباء والفلاسفة الذين قدّموا من جميع انحاء العالم ، ومن مختلف المعتقدات والجنسيات . وقد أغدق عليهم دونما تمييز في الجنس والرعاية الواسعة كما أغدق الأموال الطائلة على المؤرخين والفلاسفة والنحويين وجامعى الحديث الذين تجمعوا في عاصمة ملكه . ولقد قام المأمون باكتساز سجلات أيام الجاهلية عند العرب وأغنى بيت الحكمة فيها بالاضافة الى جمعه شعر العرب القدامى والرسائل والوثائق الأرشيفية (٦٨) .

ان ضخامة مكتبة المأمون والعدد الهائل من الكتب التى احتسوتها يمكن تصورهما بسهولة في حقيقة كون مدينة بغداد رغم تعرضها للنسب والتهب مرات عديدة وسرقت منها الكتب الأدبية ولكنها رغم كل ذلك غان عدد الكتب التى بقيت سالمة حتى القرن السابع الهجرى كان هائلا جدا (٦٩) .

ومن حسن الحظ فان أبى اصبعة قد حصل على هذه الكتب وفكرها في ترجمة حنين بن اسحاق . ومنذ عمر المأمون فان ممارسة جمع وحفظ الكتب قد أصبحت سمة عامة في أرجاء بغداد طولا وعرضا ، وان معظم الوزراء وأفراد الحاشية الملكية وكبار رجال الجيش يملكون مكتباتهم الخاصة بهم وصرفوا المزيد من المال من أجل جمعها وتخزينها (٧٠) .

وفي خلال العصر العباسى أدخل المسلمون تحسينات كبيرة في حقل النشاط الفكرى فتم تشييد المكتبات الكبيرة وأدخلوا علوما جديدة في حقل العلم والانسانيات كما أدخلوا في معارفهم المكتشفات المهمة مثل الجغرافيا والكيمياء والطب ... الخ .

(٦٧) الشيخ محمد الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ، الدولة العباسية ، ص ٢٠٦ .

(٦٨) محمد رستم ديوان : المكتبات في العالمين العربى والاسلامى في العصر الوسيط ، عن مجلة

المورد ع ٤ ص ٢٨٥ - بغداد .

(٦٩) مقالات الشبللى - المجلد السادس ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، - غوام كاره - البند .

(٧٠) محمد ديوان رستم : المكتبات في العالمين العربى والاسلامى في العصر الوسيط - ع ٤ مجلد

٩ ص ٨٦ : ١٩٨١ م - بغداد .

وكما اشرنا كان الخليفة المأمون هو السباق الى هذا فكان من كبار رعاية العلم والعلماء (٧١) . فترجبت المؤلفات العلمية والأدبية من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية وذلك في عام ٢١٥ هـ وقد اثار ابن النديم الى ذلك في كتابه الفهرست .

وكان الأساتذة الهندوس يتدفقون من الهند ابوابا الى بلاط الخليفة العباسي في بغداد حيث كان موضع ترحيب الخلفاء الذين كلفوهم بترجمة بضعة كتب من السنسكريتية الى العربية وقد تم تعيين بعض الأساتذة الهندوس في بعض المناصب المهمة في بلاط الخليفة (٧٢) .

هذا هو المأمون بن الرشيد الذي ازدهرت وارتقت بيت الحكمة في عهده كما بلغت حركة الترجمة أيضا في عهده شأنا كبيرا ، وفتح آفاق العلم والمعرفة بصورة لم يسبق لها مثيل كما شجع العلماء والأدباء والمفكرين ، فكان من أهم من تعهدوا برعاية البقور التي غرسها من قبل الراشدون والأمويون في هستان الحضارة الاسلامية . وحتى أينعت وعبقت بأريجها الدنيا . هذا هو المأمون . يسمع عن عالم شهير في الرياضيات في القسطنطينية . هو « ليسو » فيكتب اليه رسالة جاء فيها : « اننا نعرف الشجرة من ثمارها .. وتعرف الأستاذ من تلميذه لهذا فلفك با من زودت العلم الكثير من الأمور أنت بين مواطنك مجهول بسبب فضيلتك .. وغزارة علمك ... أنت لم تجن ثمار علمك وحكمك .. ولتم تثل من مواطنك اي تشريف لو تكريم .. ولا يتردد اذن في القدوم الينا ، ولسوف نعرف لك نحن قدرك .. ونقدر فيك علمك . فاذا فعلت هذا وجئت فان العرب سوف يحتفون بك . ويمنحونك شرفا عظيما واموالا كثيرة لم ينلها من البشر أحد » (٧٣) .

هكذا كان خلق الخليفة المأمون العربي العالم الذي يعلن استعدادده للذهاب بنفسه الى بلاط خصمه لاستحضار أحد العلماء حتى لو افترضنا ان هذه كانت صورة مبالغة من جانب المأمون فان مجرد التفكير فيها والافصاح عنها دليل صدق على حضارة العالم العربي آنذاك وعلى رقى مؤسساته العلمية وخاصة بيت الحكمة .

(٧١) مقابلات الشبلي - المجلد السادس ص ٤ ، ٧ - غرام . كاره - الهند .

(٧٢) مقالات الشبلي ، المجلد السادس ص ٤ ، ٧ - غرام . كاره - الهند .

(٧٣) د . رافت عبد الحميد : (السلوك الحضاري والعسكرية العربية » تقديم العرب للمسلم

والعلماء ») ، مجلة درع الوطن - أبو ظبي - الامارات العربية المتحدة - ب ع ١٥٨ (١٤٠١ هـ / ١٩٨٤ م) ص ٥٧ .

الفصل الثاني : بيت الحكمة بعد عهد المأمون



- ١ - بيت الحكمة تستمر في رحلتها العلمية والأدبية +
- ٢ - عناية الخلفاء والوزراء ببيت الحكمة بعد المأمون +
- ٣ - الحركة العلمية ونشاطها في بيت الحكمة بعد عهد المأمون +

اولا - بيت الحكمة تستمر في رحلتها العلمية والأدبية :

سجل التاريخ نهضة للثقافة العربية الاسلامية في العصر العباسي في شتى مراحله ، وازدهرت الترجمة التي نقلت للمحيط العربى ثقافة الفرس ، والهند واليونان وفلسفتهم . وكان الخلفاء العباسيون الأولون مشاعل للعلم والمعرفة بما أنشئوه من المعاهد والمدارس ، وبما أقاموه من الأندية والمجالس وبما بذلوه من المكافآت للأدباء والعلماء والمؤيدين والولاة^(٧٤) .

واذا كان العصر العباسي هو دون شك فترة الأوج في العطاء فانه كان ايضا على المستوى نفسه في الخصب السياسى ، يصف صاحب الفخرى دولتهم بأنها « كانت دولة كثيرة الحاسن جمة الكارم ، أسواق العلوم فيها قائمة ، وبضائع الآداب فيها نفاقسة وشعائر الدين فيها معظمة والخيرات فيها دارة ، والدنيا عامرة والحرمان مرعية ، والثغور محصنة ، وما زالت على ذلك حتى كانت أواخرها فانتشر الجبر واضطرب الأمر وانفلتت الدولة »^(٧٥) .

ان استقرار حركة النقل بعد المأمون كانت ديدنا لكثير من الناس ، واستمر العقل والتصحيح والتحقيق في التراجم السابقة ، وشاعت اللغات الأعجمية بين الناس حتى أصبحت الهندية واليونانية والفارسية لغات شائعة عند الطبقات المتأدبة التي لم تصل الى رتبة العلماء . وأهم ما ترجم في هذا الدور كتاب الفلاحة النبطية نقله الى العربية أحمد بن على بن المختار النبطى المعروف بابن وحشية^(٧٦) سنة ٢٩١ هـ .

نقول بالرغم من هذا كان هذا العصر بحق أزهى العصور الاسلامية على الإطلاق وأن خلفاءه كانوا من أقوى الشخصيات ، فقد عرف أبو العباس السفاح بجبروته وقوة شخصيته واشتهر أبو جعفر المنصور بالحزم واليقظة وشدة البأس ، وكان المهدي يجلس للمظالم بنفسه والهادي يخوض المعارك متقدما الصفوف والرشيد الذى تحدث بأقاصيصه الركبان والمنامون الذى يمثل عصره

(٧٤) د. محمد كاتل النقى : (الادب في العصر الماوي) ، (البيئة المصرية العامة للكتاب -

التابعة ١٩٧٦ م) ص ١٥ .

(٧٥) ابن الطقطقى : الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٢٧ .

(٧٦) أنور الرفاعي : الاسلام في حضارته ونظمه ص ٥٣٣ .

عصر الاسلام الذهبي والمعتصم الذي اشتهر بشجاعته والواق المحب للعلم والعلماء^(٧٧) .

وقد اشتهر بعد المأمون امراء شغفوا بحبهم للكتب وجمعهم اياها وتأسيسهم للمكتبات الفخمة ، وانفاقهم على النقل كمحمد بن عبد الملك الزيات الذي نقلت باسمه عدة كتب والتف حوله فريق من اكابر الاطباء والفلاسفة مثل يوحنا ابن ماسويه وجبرائيل بن بختيشوع وبختيشوع وابنه داوود وابن سراييون واليسع واسرائيل بن زكريا بن انطيفوزي وحبيش بن الحسن^(٧٨) .

وقد ذكرناه سابقا ابناء شالكر محمد وأحمد والحسن وانقطاعهم للعمل ببيت الحكمة ويظهر انهم بعد وفاة المأمون بدأوا يعملون لحسابهم الخاص وجمعوا حولهم النقلة والبحانة وخاصة حنين بن اسحاق الذي عاد يلزم بنى موسى (هم انفسهم ابناء شالكر) بن شالكر رغبوا في النقل اليوناني الى العربي وعرفوا على ذلك الجمل العظيمة^(٧٩) .

وقد دخل في خدمتهم أيضا حبيش بن الحسن وثابت بن قرّة وغيرهما . وأولاد موسى هؤلاء كانوا مهندسين وفلكيين ولهم استنباطات لم يسبقهم اليها احد وبرهنوا للمأمون أن محيط الأرض ٢٤٠٠٠ ميل برهانا محسوسا فضلا عن مهارتهم بالرصد وغيره^(٨٠) .

يقول القلقشندي في كتابه صبح الأعشى عند كلامه على خزائن الكتب الشهيرة في الاسلام : « فقد كان لنخلفاء والملوك في القديم مزيد اهتمام وكمال اعتناء حتى حصلوا على العدد الضخم ، وحصلوا على الخزائن الجليلة ويقال ان أعظم خزائن الكتب في الاسلام ثلاث خزائن : احداها خزانة الخلفاء العباسيين فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة ولا يقوم عليه نفاسة ، ولم يزل على ذلك الى أن دهمت بفساد من القتر وقتل ملكهم هولاكو المستعصم آخر خلفائهم ببغداد فذهبت خزائن الكتب فيها ذهب وذهبت معالمها وأعفيت آثارها »^(٨١) .

(٧٧) د. زاهية تحوره ، التعويبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الاسلامية في العصر العباسي ص ٢٢٧ .

(٧٨) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الاطباء ج ٢ ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٧٩) المصدر نفسه ص ١٧٣ .

(٨٠) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ، ج ٥ ص ١٤٨ .

(٨١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١ ص ٤٦٦ .

وواضح أن القلقشندي يعنى بخزانة الخلفاء العباسيين بيت الحكمة هذه وقد استمرت حركة النقل بعد المأمون نشيطة مدى قرن آخر من الزمان . وليس معنى هذا أن بيت الحكمة قد اختفى أو اندثر ، فلقد ظل يغالب الأحداث ، ويجاهد في سبيل البقاء ولكنه بقاء المكوم الهزيل ، وفيها يلى نصوص ثلاثة عن حياته بعد المأمون : ذكر ابن أبى أصيبعة^(٨٢) : أن يوحنا بن ماسويه تقلد ترجمة الكتب اليونانية في بيت الحكمة وخدم هارون والأمين والمأمون وبقي على ذلك الى أيام المتوكل .

ذكر ابن النديم في كتابه الفهرست^(٨٣) — أنه (في النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى) نقل نموذجاً لكل من الخط الحميرى والحشى من هذه الخزانة .

وفكر القلقشندي^(٨٤) : أن هذه الخزانة ظلت حتى دهم القتر ببغداد وقتل ملكهم هولاء المستعصم آخر خلفاء العباسيين ، فذهبت خزانة الكتب فيها ذهب ، وذهبت معالمها ، وأعفيت آثارها . أن ما اشتهر به خلفاء بنى العباس من أمثال المنصور والرشيد والمأمون والمتوكل من حيث جمعهم للمخطوطات الكبيرة التى خلفتها الحضارات الهندية والفارسية والسريانية واليونانية وحفظها في مكتبة بيت الحكمة لهو دليل على عظمتها واستمرارها لرحلة العلم وجوانبه الفكرية رغم أنها كانت مصدراً من مصادر الثقافة العربية الإسلامية في الطب والفلسفة والفلك فتأثرت بذلك المدن الإسلامية الأخرى من أمثال البصرة والكوفة ودمشق^(٨٥) ، وغيرها .

وبعد انتهاء حكم المأمون تزعزع مركز بيت الحكمة في بغداد لحدوث بعض الاضطرابات السياسية التى استمرت حوالى ستة عشر عاماً الى أن بويع جعفر بن محمد (المتوكل على الله) والذي استمر حكمه أربعة عشر عاماً (٢٣٢ هـ — ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ م — ٨٦١ م) فاتبع سياسة المأمون من مساعدة العلماء وتشجيعهم على استئناف بحوثهم وبذلك عادت الحركة العلمية الى ازدهارها وانقشعت سحابة الصيف لتكشف مرة أخرى عن غيوم لمعت وظهرت مواهبها في مختلف ميادين العلم^(٨٦) .

(٨٢) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٧٥ .

(٨٣) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٨٤) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١ ص ٤٦٦ .

(٨٥) د. على عبد الله الدفاع : موجز في التراث العلمى والعربى الإسلامى ص ٢٧ .

(٨٦) د. امام إبراهيم أحمد : (تاريخ الفلك عند العرب) . (الهيئة المصرية العامة للكتاب -

القاهرة ١٩٧٥ م) ص ٣٣ .

وإذا كانت الدولة العباسية في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري حيث عاش المسعودي ، وقد تميزت بمظاهر الضعف والاضطرابات السياسية ، إلا أنها شهدت نهضة علمية ثقافية كبرى . . فهذه الولايات الإسلامية وإن كانت قد استقلت عن الدولة العباسية إدارياً وعسكرياً ومالياً إلا أنها ساهمت مساهمة كبيرة في النهضة الثقافية^(٨٧) والفكرية .

وبعد ، فنقول إن هذا الاضطراب السياسي والانقسام السياسي لم يؤثر في الحضارة الإسلامية ذلك أن هذا العصر الذي حفل بالحروب والفواجع والكوارث والذي انقسمت فيه دار الخلافة إلى عدد كبير^(٨٨) جداً من الدويلات الهزيلة والذي سيطر فيه الأعاجم الجهلة وبعضهم كان لا يعرف كلمة واحدة من العربية والذي حفل بالمبادئ المنحرفة عن الإسلام كالباطنية الذين استشرى شرهم وعظم خطبهم وكانوا أشد على المسلمين من أي عدو لهم ، أقول إنه في هذا العصر وصلت الحضارة الإسلامية إلى أوجها وازدهرت وتطورت^(٨٩) .

ونبغ العظماء في كل حق ولسنأ بصدد تعليل هذه الظاهرة ولكننا نريد أن نقول إن بذور النواة الأولى غرسها الإسلام في أرض خصبة وسقتها الرعاية والعناية بمزيد من الاهتمام والاحتياط ، ولذلك أنبتت هذه البذور الطيبة ثماراً يانعة على الرغم من كل ما حدث من تمزق وانقسام . ولا تنس كذلك ظهور مشاغل أضاعت الطريق المظلم وأعنى بذلك الحكام المتورين أمثال عضد الدولة ونظام الملك وغيرهما . كما أن تعدد المراكز الحضارية وتنافس الحكام على اجتذاب العلماء والدارسين كل ذلك مع غيره من العوامل أدى إلى حدوث هذه الظاهرة بلوغ الحضارة الإسلامية أوجها في عصر الاضطراب السياسي والضعف والتمزق والفتن^(٩٠) . هذا كله يقودنا إلى أن حيوية الإسلام وحضارته وتوجيهه نحو النور أقوى بكثير من عوامل الهدم والتجزئة والفرقة والحصام .

(٨٧) د. علي حسني الخربوطلي : (المسعودي ، من نوابغ الفكر العربي) ، (دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م) ص ١٧ .

(٨٨) د. محمد ماهر حمادة : (الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية المتعاقبة) مؤسسة الرسالة - بيروت ط ١ ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ص ٢٠ .

(٨٩) المرجع نفسه ص ٢١ .

(٩٠) المرجع نفسه ص ٢١ .

ثانياً — عناية الخلفاء والوزراء ببيت الحكمة بعد المأمون :

كان الخلفاء العباسيون يعدون أنفسهم حماة للعلم ويرون أن تصورهم يجب أن تكون مركزاً تشع منه الثقافة والعرفان ، ومثابة يلتقى فيها العلماء والادباء^(٩١) .

ولا سيما العصر العباسي الأول — ادباء يتذوقون الادب الرفيع البعيد عن التكلف ويقيمون الندوات لتتلفس الادباء . ثم ان الدولة كانت مشغولة بامور جسام لاتساع رقعتها وكثرة مناوئتها وسريان انتشار الحضارى والانشغال بعلوم كثيرة فى الثقافة الاسلامية وما ترجم عن الثقافة الفارسية والهندية واليونانية ، كل ذلك شغل الادباء شعراء وكتبا عن الجرى وراء انحرص على المحسنات اللفظية ، كما تعد هناك معاهد للعلم التى كانت ببغداد مجالس للمناظرات بين المعتزلة واهل السنة والمنطقة^(٩٢) .

وشهد العراق فى مطلع القرن الرابع ونهاية القرن الخامس الهجري نهضة علمية كبيرة فضجت فيها العلوم على اختلاف انواعها ونمت وازدهرت وصارت بغداد عاصمة الخلافة العباسية قبل العلم والمعرفة على الرغم من تدهور الحالة السياسية وضعف الخلافة وفقدان السيطرة على الاقاليم والولايات . واستبد الأمراء والولاة بالسلطة وانفصلهم عن الخلافة فى أغلب الأحيان . وظلت بغداد كمبة العلماء يقصدونها من كل حذب وصرب حتى سقطها ٦٥٦ هـ على يد المفل^(٩٣) .

وقد زار المقدسى هذه البلاد وملخص ما قاله من الناحية العلمية : « ان اقليم العراق لقليم الظرفاء ، ومنبع العلماء ، ولطيف المساء ، عجيب الهواء ، مختار الخلفاء ، أخرج بها حنيفة فقيه الفقهاء ، وسفيان سيد القراء ومنه كان أبو حبيدة الفراء ، وحجة والكسائى وكل فقيه ومقرئ وسرى وأديب وحكيم ، وداع وزاهد ونجيب ، وظريف ولبيب ، اليس به البصرة التى قبولت بئلدنيا ، وبغداد المدوحة فى الورى والكوفة الجذيلة وساراء »^(٩٤) .

(٩١) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور الخلفاء فى تقدمه ص ٥١ .

(٩٢) د. سعد الدين الجيزاوى : دراسات فى الأدب العربى ص ٩٦ ، ١٠٠ .

(٩٣) د. محمد حسين الزبيدى : المراكز الثقافية فى العراق فى القرنين الرابع والخامس

الهجريين ، مجلة المؤرخ العربى — بغداد — العراق ع ١٥ ، ١٩٨٠ م ص ٢٠٢ .

(٩٤) المقدسى : أحسن التقاسم فى معرفة الأقاليم ص ١١٣ .

وكان عهد المأمون هو أزهى عصور بيت الحكمة ، ولم يجد هذا المعهد بعد المأمون من يمنحه عناية المأمون ورعايته ، وكان قول من قلل من شأنه ان يتولى المعتصم الخلافة بعده (المأمون) والمعتصم قليل المعرفة بالثقافة لا يجد لذة ولا يتذوق لها حلاوة فلم يرع بيت الحكمة كما كان يجب - وانما اتجه الى جلب الماليك وتدريبهم والسرور ببطولتهم ، ثم هجر بسببهم بغداد الى سامراء (المدينة الجديدة) فأصيب بيت الحكمة بصدمة أخرى نتيجة انتقال الخلفاء من بغداد وعدم رعايتهم لها في العاصمة الأولى من منشآت ثم تراحمت الأحداث على بغداد وما فيها من مؤسسات ، وكثرت الحروب والفتن وكلها تنقص من هذا المعهد وتقلل من شأنه ، وتخفت من صوته (٩٥) .

ثم جلاء الخليفة الواثق فاقتفى أثر المأمون وسار على نهجه واستن سفته ، فكان الواثق يعطف على اهل بيته ، ويتفقد احوال الرعية ، أفرد في قصره مكانا للمناظرة والجدل ، ولذا اطلق عليه « المأمون الأصغر » وشغف بالوقوف على آراء العلماء ، حتى انه طلب من حنين بن اسحاق كتابا يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء ، فأتمه وسماه « كتاب المسائل الطبيعية » وعاش في أيامه الشاعر أبو تمام صاحب ديوان الحماسة الذي أجزل الواثق له العطاء وكثير غيره من الشعراء الذين زخر بهم عصره ، فقد كان الواثق نفسه شاعرا يقول الشعر ، ونبغ في عهده الكندي فيلسوف العرب وحنين بن اسحاق في الطب واليعقوبى والبلاذرى وأبو حنيفة الدينورى وهم من فطاحل المؤرخين (٩٦) .

وكان للخليفة المتوكل (٩٧) نشاط ملموس حيث جدد مدرسة المترجمين ومكتبة في بغداد وألقى عبء ادارتها على عاتق حنين بن اسحاق واختاره رئيسا لها ومهد الخليفة ورجال دولته لتلاميذ النصارى سبل البحث العلمى وقدموا لهم جميع التسهيلات للسفر والتفتيح عن المخطوطات اليونانية وحملها الى بغداد لترجمتها وانما لنجد (حنينا) يتحدث عن كتاب الآن مفقود في ذلك الزمن نادر ، فيقول : « اننى بحثت عنه بحثا دقيقا وجبت في طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر الى أن وصلت الى الاسكندرية لكنى لم أظفر الا بما يقرب من نصفه في دمشق » .

(٩٥) ابن قتيبة : المعارف ص ١٠ .

(٩٦) د . على ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى العام ص ٤٢٣ .

(٩٧) توماس أرنولد وآخرون : تراث الاسلام ص ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

واستطاع المتوكل في الحقيقة أن يعيد الحياة الى بيت الحكمة حينما اختار رئيسا لها حنين بن اسحاق العبادي من قبيلة عباد بالحيرة وهو أحد مشاهير الأطباء الذين تلقوا العلم على يدى ابن ماسويه وكانت طريقته في الترجمة : تحويل النص الاغريقي الى السريانية ثم يترك لمساعديه ترجمة هذه الى اللغة العربية . واخيرا يقرن هو بين النصوص الثلاثة كي يتأكد من دقة نقلها من لغة الى أخرى بل بلغ من حرصه وامانته في هذا العمل أن نقد ترجمات قلم بها بنفسه في مستهل حياته^(٩٨) .

فالعراق من عهد المتوكل الى آخر الدولة البويهية لم تزل لها الصدارة في العلم والادب والفلسفة ، ويدل ما ذكره الخطيب البغدادي من تراجم على ثروة واسعة في العلم والعلماء ، من جميع الفروع كالتفسير والحديث والفقه والشعر والادب . نعم ان المتوكل نصر اهل الحديث على المعتزلة واضطهدهم وكان في هذا خسارة كبيرة على الحركة الفكرية ، ولكن مع ذلك ظل علم الكلام قويا^(٩٩) . والعام والادب عادة في أشد الحاجة الى هدوء بال ، وطمانينة نفس وراحة في الرزق ، فما لم توجد هذه الثلاثة لا يستوى لها طريق ، ولا يؤمل لهما نجاح شأنهما شأن الزهرة النامية ، اذا عصفت بها العواصف ، ولم ترد في أوقاتها ذبلت أضعفت^(١٠٠) .

وكان الخليفة العباسي المعتضد بالله يكثر من مجالسة العلماء وأصحاب المواهب والكفائات ويشارك مشاركة فعلية في حل مشكلاتهم وكان يسهر الليالي الطوال مستمعاً الى مناقشتهم حول ما يبتدعون من مستحدثات العلم ، وكان يقدم اليهم كثيراً من الهدايا والمنح ، فكان للعلماء في عهد المعتضد بالله مكانة اجتماعية خاصة يتمتعون بها ، وكان المعتضد بالله يحترم ثابت بن قرة فيكنيه « بأبي الحسن » مع أنه ليس بين أبنائه من اسمه حسن^(١٠١) كما كان عصر المستنجد^(١٠٢) (٥٥٥ هـ — ٥٦٦ هـ / ١١٦٠ م — ١١٧٠ م) عصر ازدهار الترجمة عن الفرس واليونان

(٩٨) د . امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٣٤ .

(٩٩) أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ٢ ص ٢٢١ .

(١٠٠) المصدر نفسه ص ٢٦٤ .

(١٠١) د . على عبد الله الدفاع : موجز في التراث العلمي العربي والاسلامي ص ١٠٢ .

(١٠٢) البلاذري ، أحمد بن محيى جابر : (فتوح البلدان) نشره ووضع ملاحظته ونهأرسه

صلاح الدين المتجد (مطبعة لجنة البيان العربي - القاهرة ١٣١٨ هـ) ج ١ ص ٨ .

التي انعشت التراث الاسلامى كما يعتبر عصر التراث الذى اتضح فى قصور المعتصم ومن جاء بعده من خلفاء العصر العباسى الثانى .

وقد اخرج هذا العصر كثيرا من الامراء والوزراء الذين شجعوا الحركة العلمية ، اما لرغبتهم العلمية ، واما لتزيين مجالسهم بالعلماء ، كما تزين بالتحف الطريفة ، ذلك أنهم فهدوا مضى من العصور العباسية كانت بغداد وحدها هى مقصد العلماء والشعراء والأنباء لأنها عاصمة المملكة الاسلامية كلها . فلم ينبغ واحد منهم فى أى قطر ، ويحب أن يشتور الا ويقصد بغداد لينال الشهرة^(١٠٢) .

وقد عانت عوامل عديدة على ازدهار بغداد علميا وأدبيا منها :

- ١ — تشجيع الخلفاء والأمراء للعلم والعلماء .
- ٢ — حاجة الوزراء الى اساطين البيان والشعراء لأنهم وجدوا فيهم سبيلا الى ابلاغ الرغائب ولسانا به يتحدثون .
- ٣ — المجالس التى كان يعقدها العلماء فى بيوتهم .

حظيت الحركة العلمية والأدبية فى العهدين البويهى والسلجوقى بقدر كبير من اهتمام المؤرخين ، فتضمنت كتب التاريخ والأدب والتراجم معلومات مفصلة ، بحيث أصبح لدينا صورة واضحة كل الموضوع عن عناية الوزراء بالعلم والأدب عن طريق تشجيع العلماء والأدباء واغداق الأموال عليهم لدفعهم إلى الانتاج ، حتى أصبحت مجالس بعض وزراء ما بين العهدين مقصدا فى ازدهار الحركة العلمية والأدبية وكانت مجالسهم تضم كبار العلماء والأدباء فيحيطونهم بالرعاية مما يشجعهم على تأليف الكتب ونظم الأشعار فى مدحهم والاشادة بفضلهم^(١٠٤) .

كن عصر نفوذ الأتراك الذى سبق العهد البويهى يسوده الاضطراب كما بلغت فيه الدولة حدا كبيرا من الضعف والتفكك بسبب تسلط الأتراك وانشغال الناس بالمنازعات الطائفية والمذهبية مما ساعد على تقدم الحركة العلمية ، فلما دخل البويهيون بغداد وقبضوا فى أول عهدهم على أزمة الأمور اندفع بعض أمراء البويهيين ووزرائهم فى تشجيع الأدب العربى مع أنهم من أصل فارسى^(١٠٥) .

(١٠٣) أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ٢ ص ٢٦٥ .

(١٠٤) د. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٢١٨ .

(١٠٥) د. محمد مسفر الزهرانى : (نظام الوزارة فى الدولة العباسية فى العهدين البويهى

والسلجوقى) ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) ص ١٨٤ .

منبغ في عهدهم كثير من العلماء والأدباء والفلاسفة ، فكانت الري وأصفهان من مراكز الثقافة والعلم في مشرق الدولة الإسلامية وبخاصة في عهد البويهيين ، وقد تقدمت الحركة العلمية (١٠٦) في الري بعد أن استقر فيها الوزير البويهى أبو الفضل العميد الذى تشبه بالبرامكة ففتح بابا للعلماء والأدباء والشعراء ، حتى أنه كان يقضى جزءا من يومه مشغولا بهم (١٠٧) ، وكان هذا الوزير أدبيا عالما يضرب به المثل في البلاغة حتى قيل أن الكتابة بدئت بعبد الحميد وختمت بابن العميد (١٠٨) . وسمى (بالجاحظ الثانى) لمكانته الأدبية الرفيعة ، وكان متبحرا في علوم الهندسة ، والمنطق والفلسفة ومن مؤلفاته كتاب « المذهب فى البلاغات » وكتاب « يضم ديوان رسائله » (١٠٩) وبلغ من اهتمام أبى الفضل ابن العميد بالكتب أنه أنشأ مكتبة عظيمة وعين احد العلماء خازنا لها وهو مسكويه (١١٠) .

عنى البويهيون بإنشاء المكتبات العامة في العراق ، وبذلوا لها المال فرتبوا لها المشرفين ، والمؤرخين والعمال لإدارة شئونها وقد سميت هذه المكتبات « بدور العلم » وبدل مجرد اسم هذه المكتبات على الفرق بينها وبين دور الكتب القديمة . فكانت دار الكتب قديما تسمى خزانة الحكمة وهى خزانة كتب ليس غير . أما المكتبات الجديدة فتسمى « دار العلم » وخزانة الكتب جزء منه وعلى هذا فان دور العلم عبارة عن دار كتب عامة تقام فيها الندوات العلمية وتجمع طوائف عديدة من العلماء يجتمعون فيها للمناظرة والدرس ومن أشهر دور العلم : بيت الحكمة ، وقد ورث البويهيون هذه الدار عندما استولوا على بغداد وقد ذكر ابن النديم (١١١) وجود بيت الحكمة في النصف الاخير من القرن السابع الهجرى بقوله انه (نقل نهونجا لكل من الخط الحميرى الحبشى من هذه الخزانة) وقد ظلت هذه المكتبة تؤدى رسالتها العلمية بكل همة ونشاط بفضل جهود الخلفاء والوزراء ولم تكن المكتبات في شرق الدولة الإسلامية ومغربها مقصورة على أولى الأمر من الخلفاء والوزراء ، بل اهتم العلماء وطلاب العلم بالكتب وبتأسيس المكتبات اهتماما

(١٠٦) د. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص ٢١٩ .

(١٠٧) ابن مسكويه ، أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب : (تجارب الأمم) . (طبع مكتبة

الخطى - بغداد العراق) ج ٢ ص ٢٧٨ ، ٢٨١ .

(١٠٨) الثعالبي : (نتيجة الدهر) . (القاهرة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م) ج ٣ ص ٤ .

(١٠٩) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٥ ص ١٠٤ .

(١١٠) د. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص ٢١٩ .

(١١١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩ .

منقطع النظر ، وقد وقف كثير من العلماء كتبهم على طلاب العلم حتى أن الامام الحافظ أبا حاتم محمد بن حبان البستي سنة ٣٥٤ هـ وضع مؤلفاته الكثيرة في دار خاصة في بلدة (بست) وجعلها وقفا على أهل العلم^(١١٢) .

ولم يقتصر النشاط العلمي واقتناء الكتب ، وإنشاء المكتبات على الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء وطلاب العلم ، بل تعداهم الى غيرهم . اذ كانت حياة نسخة من مؤلف بخط مصنفه أو نسخه من كتاب نادر مجالا كبيرا للتفاخر والاعتزاز^(١١٣) .

فكان الفتح بن خاقان وزير المتوكل قد بنى مكتبة ضخمة وعين يحيى بن النجم مشرفا على بيت الحكمة وكانت تلك المكتبة تعتبر فريدة من نوعها في تلك الأيام . وكان محمد بن عبد الملك الزيات وزير السواثق^(١١٤) يصرف عشرة آلاف روبية^(١١٥) في الشهر الواحد لترجمة واستنساخ الكتب وكان المؤرخ العربي^(١١٦) (عمر الواقدي) (٣٣٦ م / ٨١١ م) يملك في مكتبته ما حمولته من الكتب تعادل حمولة ١٢٠ جملا ويملك في مكتبته ٦٠٠ رف صفت عليها أنواع الكتب وقبل بضع سنين من وفاته باع جزءا من هذه الكتب بسعر ألفي قطعة من الذهب .

وتعتبر (دار العلم) في الموصل من المكتبات التي أسسها أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصل^(١١٧) . وكان متحمسا للمعرفة وحب العلم وكان ثمة حشد كبير من الشعراء والأساتذة في بلاطه . وكان صفى الدين مولعا بالانشاطات ميلا لجمع الكتب لمكتبته وكذلك كان شأن أخيه ، وكلا الأخوين من الشعراء المجيدين في تلك العصر وعين أحد الأساتذة قتيما على مكتبته^(١١٨) .

(١١٢) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٢٥ .

(١١٣) ابن النديم : الفهرست ص ٢٤٥ .

(١١٤) محمد رستم ديوان : المكتبات في العالمين العربى والاسلامى في العصر الوسيط ص ٢٨٦ .

(١١٥) للروبية : عملة هندية أدخلها الانجليز عند احتلالهم شبه الاشارة الهندية ، والروبية تساوى ٧٥ فلسا ولا تزال هذه العملة قيد التداول في كل من الهند وباكستان وبنغلاديش . عن مجلة المورد ، م ٩ ، ع ٤ ، ص ٢٨٦ .

(١١٦) جى دبليو - تومسون : تاريخ المكتبات في العصر الوسيط ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

(١١٧) ١٠٠ س . قاسمى : (المكتبات في العالم الإسلامى) ، صحيفة جامعة بيشاور - الباكستان

(يناير ١٩٥٨ م) .

(١١٨) سيد امير على : روح الاسلام ص ٣٧٣ ؛

أما في العراق فكان للوزراء أبي محمد المهلبى وأبى المنصور بن صالحان وأبى سوران وسابور بن أردشير أثر كبير في النهوض بالحركة العلمية والأدبية فكانت مجالسهم تترجر بالعلماء والأدباء^(١١٩) . وكان الوزير المهلبى^(١٢٠) أدبياً بارزاً وشاعراً بليغاً ، وله ثلاثة مؤلفات تتضمن رسائله وتوقيعاته ودبوان شعره . وكتاب عن البلاد والممالك والطرق والمسالك يسميه ياقوت ، كتاب العزیزی^(١٢١) . وكان هذا الوزير محباً لرجال الأدب^(١٢٢) . ومن الأدباء الذين حظوا بقدر كبير من عطفه ورعايته أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني مؤلف كتاب الأغاني^(١٢٣) ، ويصف مسكويه دور هذا الوزير في انعاش الحركة العلمية والأدبية : « وتوفر مع ذلك على أهل الأدب والعلوم ناحيا ما كان درس ومات من نكرهم ، ونوه بهم ، ورغب الناس بذلك في معاودة ما أهمل منها »^(١٢٤) . كذلك عنى أبو منصور بن صالحان عناية كبيرة بالعلم والعلماء ، وكان له مجلس خاص يقصده أهل العلم^(١٢٥) . وقد عرف بسخائه في اغداق الأموال على العلماء .

وكان الوزير الحسين بن أحمد بن سعدان واسع الاطلاع لما بكثير من العلوم والآداب ، وقد ضم مجلسه عددا كبيرا من أبرز رجال العلم والأدب في أواخر القرن الرابع الهجري مثل مسكويه (أبو حيان التوحيدى) الذى ألف له كتابا عن الصداقة والأصدقاء^(١٢٦) . كما أن كتاب الامتاع والمؤانسة ما هو الا تسجيل للمحاورات والمناقشات الأدبية والعلمية التى كانت تجرى في مجلس ابن سعدان بينه وبين أبى حيان التوحيدى^(١٢٧) ولم يأل الوزير ابن سعدان جهدا في أن يجعل مجلسه حافلا بجلة العلماء والأدباء وكان يباهى مجلسه من أمثال أبى حيان وأبى زرعه وابن مسكويه وأبى الوفاء ثم مجلس سيف الدولة^(١٢٨) . الذى استطاع أن

(١١٩) أحمد أمين : ظهر الإسلام ج ١ ص ٢٥٥ .

(١٢٠) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٢ ص ٥٨ .

(١٢١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ١ ص ١١ .

(١٢٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٢٤ .

(١٢٣) ابن تبرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥٠ .

(١٢٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ١٢٥ .

(١٢٥) ابن كثير ، أبو الفداء الخافض اسماعيل بن عمر الدمشقى : (البداية والنهاية) (طبع

مكتبة المعارف - بيروت ومكتبة النصر الرياض ١٩٦٦ م) ج ١٢ ص ١٩ .

(١٢٦) أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ج ٢ ص ٢٦ .

(١٢٧) المصدر نفسه ، المقصحة .

(١٢٨) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ص ٥٢ .

يجذب نحوه ذوى الرياسة من ادباء العصر وعلمائه ، فاحاطوا اسمه باطار من السمعة الخالدة ومجلس آخر كان يزدان بأمثال : البيرونى والعنبى والفردوسى . يقول العربى : وكان السلطان محمود الغزنوى يحب العلم والعلماء ويكرمهم يجالسهم . ويحسن اليهم ، وكانت تعقد مناظرات طويلة بين يديه(١٢٩) .

وازاء هذا الانحطاط السياسى كنت تجد رقىا فى الحياة العقلية فكان العلوم والفنون لا ترقى الا فى عصور الفوضى والاضطراب(١٣٠) . فقد نتج عن تفكك الدولة العباسية ان عهد امراء الدول الصغيرة سواء لأسباب سياسية او بدافع حب الظهور او الإبقاء على تقاليد بغداد أبان مجدها ، الى تشجيع العلماء وتقريب الفئة الممتازة من الادباء والشعراء وانعطف عليهم(١٣١) .

وبعد ان كان نصر العلم الخليفة ووزيره أو بعض عمائه فى بلد واحد ، اصبح نصرائه فى هذا العصر عدة ملوك وامراء ووزراء من اشتهر فى العلم الاسلامى(١٣٢) . فغدا كل قطر من أقطار المملكة مركزا هائلا من مراكز الثقافة العربية واستمرت الحركة العلمية التى ظهرت زمن المأمون فى سيرها المطرده . وعدت تلك القصور الجديدة فى العواصم المتعددة مراكز خضبة ، وكانت تلك القصور ، وما فيها من مجالس فى ذلك العهد فى مقام الجامعات وأنجديات العلمية اليوم . ولم يأل الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة جهدا فى نشر العلم والمعرفة ، وكان يقرب اهل العلم ويحضر مجلسه الفقهاء والادباء ورجال الحديث ويناقش كل عالم فى تخصصه(١٣٣) . تعميقا وانكاء لروح البحث والمناظرة كما عنى بإقامة دور العلم بجنبى مدرسة بغداد ورتب لها المعلمين .

وهكذا كان للوزراء فى الدولة الاسلامية شغف بمجالس العلم ورعايتها ومن أشهرها مجلس الوزير ابن الفرات فى القرن الرابع الهجرى ، ومجلس عبد الله بن الحسين ولعلنا نتساءل بعد كل هذا هل كان يمكن أن تكون هناك أرض أكثر

(١٢٩) العنبى ، بدر الدين محمود بن أحمد : عقد الجمان ، القسم الأول ج ١٩ ص ١٥١ .

(١٣٠) د. طه حسين : تحف ذكري أبى العلاء المردى ص ٤٥ .

(١٣١) د. ابراهيم الكيلانى : (أبو حيان التوحيدي) من نواحي الفكر العربى ع ٢١ (دار

المعارف بمصر ١٩٥٧ م) ص ٨ .

(١٣٢) جرجى زيدان : (نواحي آداب اللغة العربية) (طبع بمصر ١٩١٣ م) ج ٣ ص ٣٢٣ .

(١٣٣) ابن اللببى ، جمال الدين الواسطى : ذيل على ذيل تاريخ بغداد مخطوط بدار الكتب

المصرية رقم ٣٩٥٠ تاريخ ج ١ ف ٢ رقم ١٤٥ .

ثالثا - الحركة العلمية ونشاطها في بيت الحكمة بعد عهد المأمون :

لو اردنا تفصيل هذه الحركة العلمية المباركة وما قام به العرب والمسلمون ، لاحتاج الأمر الى بحث طويل . وان في مؤلفات : ابن النديم والقفطي وابن جليل ، وصاعد الأندلسي ، وابن أبي أصيبعة ، وحاجي خليفة ، تطلع المرء الى الجهود الكبيرة التي بذلها في ترجمة الكتب المختلفة ، واقتبالهم الشديد على دراساتها وتدبرها ، والتأليف بها . كان هذا الزمن لم تبلغه أمة غيرها في عدة قرون ، فاجتمع في خزائنها ثقافة الشرق والغرب بأقل من قرنين . فكانت بغداد مركز العلم والأدب والفن (١٣٦) .

وكان أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي الفيلسوف العربي المتوفى (٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م) في طليعة العلماء واحد الأقطاب في هذه الحركة العلمية المباركة ، ويعتد من الرعيل الأول بين العلماء الذين تناولوا مختلف العلوم وشتى المواضيع : في الكيمياء والطب والموسيقى والفلك والمنطق والرياضيات والطبيعية واللاهيات ، وكان له اليد الطولى في توجيه الثقافة ، وتذليل عويصها في القرن الثالث للهجرة . - التاسع الميلادي . ويمتاز الكندي باطلاعه الواسع على اللغات الأخرى التي ترجم عنها ، وتمكنه من ابداء المعنى بدقة وامعان . واتحف المكتبة العربية بكتب عديدة بين مترجم ومنقح ومهذب ومؤلف فهو من علماء العرب والمسلمين الذين سلكوا طرق العلم وحلوا ما أشكل منه (١٤٠) . وقد وصفه ابن جليل بقوله : « انه ترجم من كتب الفلسفة الكثير وأوضح منها المشكل ، ولخص المستصعب ، وبسط العويص » وهكذا كن الكندي من مفكرى العرب الذين يسروا العلوم لمن أتى بعدهم (١٤١) وكان الخلفاء ومحبو العلم يقبلون عليهم (الترجمة) يجزلون لهم العطاء ، ويرغبونهم بشتى الطرق لكي يستفيدوا منهم في الترجمة ، وشرح الكتب العلمية التي يترجمونها ، ولم يكن اهتمام الخلفاء مقصورا على الحكمة والفلسفة والعلوم العقلية فقط ، بل كانوا يهتمون بالآداب والتاريخ والفقه والكلام وإياد العرب وأخبارها وكانوا يعقدون المجالس العلمية ويشاركون فيها يدور بها من العلوم والآداب والمعارف . وقد شهدت كثير من قصور الخلفاء والوزراء مجالس علمية يشارك فيها أجمل العلماء ويحضرها الخلفاء أنفسهم (١٤٢) .

(١٣٩) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٢١ .

(١٤٠) المرجع نفسه ص ٢٤ ، ٢٥ .

(١٤١) ابن جليل : طبقات الأطباء ص ٧٣ ، ٧٤ .

(١٤٢) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٢٦ .

خصباً لاحتضان العلوم وازدهارها من مثل هذا المجتمع الذي يحرص ولاه الأبرار فيه كل هذا الحرص على رعاية العلم والعلماء (١٣٤) .

كما أسهم وزراء هذين العهدين البويهى والسلجوقى بالحركة العلمية والأدبية ، فشجعوا العلماء والأدباء وعقدوا المجالس الأدبية والعلمية وأنشأوا المكتبات وزودوها بالكتب وأسسوا المدارس والعاملين بها وأعدوا لها النفقات اللازمة ، هذا فضلاً عن كثير تقلصوا الوزارة في تلك الاثناء كانوا من العلماء والأدباء الذين أسهموا بمصنفاتهم في دفع عجلة التقدم العلمى والأدبى (١٣٥) ثم ان عضد الدولة خلا له الأمر وطابت له بغداد فقتل ابن عمه عز الدولة ونفذ الى الطائع وبذل له كل ما يريده وصالحه وأعادته الى دار الخلافة . واشتمل ملك عضد الدولة على فارس وكرمان وخوزستان والعراق وديار ربيعة والشام ويحمل اليه الخراج من الروم واجتمع على بابيه من العلماء والشعراء والأدباء ما لم يجتمع على باب ملك قبله (١٣٦) .

وكان عضد الدولة الى جانب ذلك كاتباً حاسباً مهندساً نحوباً لغوياً ، كريم الطباع ذا هممة عالية ، مكرماً للعلماء محباً لأهل التخصص حتى أنه كان يقدم مقتل أبى على الفارسي ويحمل له السنية الى بيت المال بنفسه ومات رحمه الله سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة في خلافة الطائع ، ودفن بقرية أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضوان الله عليه بوصية منه (١٣٧) .

وكان للخليفة الناصر لدين الله سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م مكتبة كبيرة جداً ، كما كان للخليفة المستعصم بالله سنة ٦٥٦ هـ مكتبة ضخمة في داره فيها نفائس الكتب في مختلف العلوم (١٣٨) . فلا عجب أن نرى الأمم العريقة تحفو بعظمائها وتحرص على تراثها فبقيت بيت الحكمة تكابد الزمن في زمن الخلفاء والوزراء ورجال العام والآدب منارة لهم ولغيرهم يقوى نورها حيناً ويخبو أحياناً وتلك هى حالها بعد المأمون رغم عناية الخلفاء والوزراء بها من بعده .

(١٣٤) د. موسى محمد عرب : (التراث الطبى العربى بين الاصالة والتجديد) مجلة المورخ

العربى - بغداد - العراق ع ٩ (١٩٧٨ م) ص ٩٩ .

(١٣٥) د. محمد مسفر الزهرانى : نظام الوزارة في الدولة العباسية ص ٨ .

(١٣٦) محمد بن على بن محمد المعروف بالعدوانى : (الانباء في تاريخ الخلفاء) تحقيق د. قاسم

السامرائى (طبعة ليدن) ١٩٧٣ م ص ١٨١ .

(١٣٧) المصدر نفسه ص ١٨١ .

(١٣٨) د. محمد عجاج الخطيب : لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص ٣٩ .

وبيت الحكمة الذى أسسه العباسيون ببغداد ، هو أول بيت عرف عند المسلمين ، كما كان أعظمها شأنًا ، لما يحتويه من الكتب النفيسة فى شتى العلوم والمعارف بمختلف اللغات . وكان حنين بن اسحاق وهو أحد تلاميذ الخليل بن أحمد الفراهيدى على جانب من العلم اشتهل فى بيت الحكمة مترجم هو ومن كان يعمل بين يديه كتبًا عديدة كانت على غاية الأهمية العلمية فى الطب والفلسفة والمنطق وكانت دائرته التى يربسها فى بيت الحكمة لا تقل أهمية عن دائرة أبناء موسى الذين كانوا من انشط العناصر اثنى كننت فى بيت الحكمة بما اضافوه اليه من الكتب كان هذا زمن الخليفة المتوكل العباسي^(١٢٣) فاجتمع فى بيت الحكمة نخبة مختارة من العلماء ، والأطباء والفلكيين وأصحاب الصناعات والأحيل ، وبلغت بيت الحكمة منتهى التقدم فى عهد المأمون وواكبت نشاطها العلمى فى عهد الخلفاء الذين جاءوا بعده فكان يحوى بيت الحكمة كل نادر وغريب يقصده المؤلفون ويجدون فيه خير معين لما يرغبون به من العلوم المختلفة^(١٢٤) .

ومما شجع على الحركة العلمية^(١٢٥) ونشاطها فى بيت الحكمة أن الخلفاء ذلوا للناس سبيل المطالعة والدرس فيها ، الذى انشئ لئلا تفسد العلوم والمعارف المنقولة من الأمم الأخرى ، والتى رغب الخلفاء فى تيسيرها للناس ، ليقفوا على حقائق الأمور ، وتراث الأمم التى تقدمتهم فى شتى النواحي الفكرية والعلمية ، ففتحو الأبواب لكل قاصد وشوقوا الناس الى للتعليم والاقبال عليه ، ويسروا لهم المطالعة والدرس والاستنساخ ، كما كان الناس يحضرون المناظرات العلمية اثنى تجرى بين العلماء فى هذه الدار ، وفى مختلف العلوم والفنون وابداء الآراء وغير ذلك .

ومما اذكى نشاط الحركة العلمية فى بيت الحكمة الحرية التامة والتسامح فلا نجد أثرا للتعصب الذمى بل تجد فيه أصحاب العلم والفلسفة يتناظرون بكل حرية وصراحة ، ويتكلم أهل الملل والنحل بما يبدو لهم وبما يعتقدونه ويرونه أقرب الى العقل والمنطق^(١٢٦) .

(١٢٣) ابن المقفى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٤٧ ، ٥٧ .

(١٢٤) ابن النديم : الفهرست ص ٣٢ .

(١٢٥) سعيد اللحيوى جى : بيت الحكمة ص ٣٨ .

(١٢٦) فيليب دى طرازى : حرائر الكتب القديمة ج ١ ص ٥٤ .

ومما يؤيد لنا هذا : أنه كان بين الذين تولوا أمر بيت الحكمة وأشرفوا على حركة الترجمة فيه هم من السريان واليهود والمجوس وغيرهم ولهم منزلة رفيعة عند الخلفاء يعمل برأيهم ويأخذ عنهم علماء المسلمين أقوالهم وآراءهم .

لم يكن لبيت الحكمة الذي أسسه العباسيون ببغداد صبغة مذهبية ولم يدعوا فيه لمناصرة مذهب على آخر ، ولا تجد فيه أثرا لتقييد الحرية الفكرية ، وتسوده روح العلم ، والكثرة كثرته كانت في علوم الحكمة : من طب وفنسة ومنطق وموسيقى ورياضيات وفلك ونجوم ، وتولاه علماء أعلام من الأطباء والفلاسفة والفلكيين وغيرهم من أصحاب العلوم العقلية ، وفيه من السريان والنصارى ومن الفرس والشعوبيين ، ومن الصابئة ومن اليهود والمجوس وغيرهم من أصحاب الملل والنحل المختلفة ، فالحرية الفكرية مطلقة ولكل منهم حق الكلام والمناظرة والتأليف بما يبدو له ، حتى ولو كان الأمر ضد العرب والمسلمين^(١٤٧) .

والعباسيون لم يقيّدوا الأفكار ولم يفرضوا مذهبهم على الناس ، بل لكل دينه ومذهبه ورأيه ، وكان الخلفاء يشاركون في المناظرات العلمية والدينية ويبدون آراءهم كأحد الحاضرين وتكون عرضة للنقد والرد عليها . هذه الصبغة السياسية لا نجدها في بيت الحكمة ببغداد فهي مؤسسة ثقافية عالية ، تهدف إلى نشر الحكمة والأدب^(١٤٨) .

ولع الخلفاء الفاطميون بتشجيع المشتغلين في دار الحكمة بنشر المذهب الشيعي حيث كانت المنافسة بينهم وبين العباسيين في السياسة والعلم والأدب . وفي القرن الرابع الهجري أسس الفاطميون دار الحكمة سنة ٣٩٥ هـ / ١٠١٥ م . نشأ الحاكم بأمر الله جمعية علمية « أكاديمية » على مثال « الأكاديميات » الموجودة في بغداد وغيرها من البلاد ، وأطلق عليها دار الحكمة^(١٤٩) .

فالتحق بها عدد من القراء والفقهاء والمنجمين والنحاة واللغويين والأطباء والحق بدار الحكمة مكتبة أطلق عليها دار العلم ، حوت ما لم يجتمع مثله في مكتبة من المكاتب . وأجرى هذا الخليفة ومن جاء بعده من الخلفاء على خدامها

(١٤٧) سعيد الديوه جي : بيت الحكمة ص ٥٠ .

(١٤٨) المرجع نفسه ص ٥١ ، ٥٣ .

(١٤٩) د. حسن إبراهيم حسن : (تاريخ الدولة الفاطمية) (مكتبة النهضة المصرية - القاهرة

١٩٥٨ م ط ٢) ص ٤٣٥ .

ومن بها من الفقهاء الأرزاق السنية ، وجعل فيها ما يحتاج اليه المطالعون والنساخ من الحبر والاقلام والمحابر والورق^(١٥٠) . وكان الحاكم بأمر الله يشرف بنفسه على الحركة العلمية التي كانت في دار الحكمة ، وتجسرى بحضرته المناظرات والمجالس الدينية والعلمية .

يذكر السيد أمير علي^(١٥١) : ان النفقة عليها (دار الحكمة) بلغت ٤٣ مليون درهم سنويا . بينما يذكر المقرئى : النفقة السنوية عليها كانت ٢٥٧ ديناراً في السنة . ولعل ما ذكره المقرئى هو ما كان يصرف عليها في اواخر ايامها .

والسبب الذى حمل الخلفاء الفاطميين على ان يضاعفوا النفقة على دار الحكمة وان يصرفوا عليها بجود وسخاء ، أنهم اتخذوها مركزاً مقامياً لنشر دعوتهم ، ومبادئ مذهبهم الذى يؤيد حقهم فى الخلافة وخاصة أن النزاع بينهم وبين العباسيين كان موقوفاً على الخلافة . فالحرية الفكرية مقيدة واهميتهم بكتب الفقه ومجالس الدعوة أكثر من غيرها ، فكانت كتب فقهه فى دار الحكمة مما يؤيد مذهبهم ، ويعزز خلافاتهم ، والدار نفسها مركز دعوة واسعة للمذهب الاسماعيلى ، ولا تجد فى الدار انكتب التى تعارض مذهبهم أو تطعن بدعوتهم^(١٥٢) .

وان المجالس التى كانت تلتقى فيها مقيدة غاية التقيد ، فكان ينظمها فقهاء الدولة ، مع فقهاء دار الحكمة ، ويكون هذا تحت اشراف الادعى ، ثم الخليفة نفسه ، ثم بعد هذا التحفظ تذاع على السامعين . فإلدار دار دعوة منظمة للمذهب الاسماعيلى ، تحت ستار من العلم ، ومناهج الدار تتبع السياسة العليا للدولة ، فهي دار دعوة ثم هى دار علم وحوكمة . وعلى هذا فان الدار مرت بأدوار مختلفة تتبين بذلك سياسة الخليفة التى يرمى الى تحقيقها . حيث قتل الحاكم بأمر الله أبنا بكر الانتاكي وهكذا نجد أن الصبغة السياسية لدار الحكمة فوق كل اعتبار ، فهي مركز سياسى يدعو الى تثبيت دعائم المذهب الاسماعيلى — المستقلة منهم — ولكنها كانت تسير تحت ستار من العلم والحكمة^(١٥٣) . وهذا عكس بيت الحكمة التى انشأها الخلفاء العباسيون .

(١٥٠) المقرئى : الخط ج ١ ص ٤٥٨ ، ج ٢ ص ٣٤٢ .

(١٥١) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ص ٥١٠ .

(١٥٢) المقرئى : (تعامل الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين المخلفا) تحقيق د. محمد حلمى أحمد (لجنة احياء التراث الاسلامى ، المجلس الأعلى للثئون الاسلامية — القاهرة ١٣٩٠ م / ١٩٧١ م) ج ٢ ص ٥١ .

ولا يعزب عن البال ، ولا يغيب عن الذهن ما اشتهرت به بغداد من علو
كعبها في العلم ، فكانت القبلة التي توجه اليها رواد العلم من كل حدب وفي الدولة
الاسلامية والتي تحدثت بذكرها الركبان واسمعت بشهرتها الأمم ، وطرقت اسماع
القاصي والداني الا وهي « بيت الحكمة » التي كانت تضم في اركانها كل ما وصلت
اليه الأمة الاسلامية من تفوق حضارى وتقدم علمى وازدهار ثقافى^(١٥٤) .

وبهذا نشطت الحركة العلمية في بيت الحكمة بتشجيع الخلفاء والوزراء بما
قاموا به من ترجمة الكتب الأجنبية وارسال الوفود الى الدول الأخرى لجلبها لبيت
الحكمة كما كان الشعراء والأدباء والعلماء يفتشون ببيت الحكمة التي كانت أشبه
بخلية نحل يعمدون منها وهم يحملون الشهد الذي يبرئ القلوب والعقول
بالفكر والثقافة .

(١٥٤) د. محمود أحمد القيسية : (الامام بن الجوزى وكتابه الموضوع) (أبو ظبى -
الامارات العربية المتحدة ط ١ ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٣ م) ص ٥٠ .

الفصل الثالث : تأثير بيت الحكمة كمؤسسة علمية وتعليمية على المدارس الإسلامية



- ١ - بيت الحكمة نموذج رائع للمدارس الإسلامية في النواحي العلمية والتطبيقات .
- ٢ - المدارس الإسلامية تتأثر بالعلوم التي تدرس في بيت الحكمة مثل : الفلسفة والمنطق والطب والفلك والرياضيات .
- ٣ - موقف المدارس الإسلامية من بيت الحكمة ومدى تأثيرها بها .

اولا - بيت الحكمة نموذج رائع للمدارس الاسلامية في النواحي العلمية والتعليمية :

المساجد دين وخلق وهدى ونور وصومعة الناسك ومدرسة الدارس ودين قسوة ودرك للعزة في الأولى والفوز العظيم في الآخرة^(١٥٥) لذا فان فكرة الدراسة للعلوم المختلفة في خارج الجامع كانت من الأمور التي تراود اذهان الخلفاء العباسيين في بغداد في زمن مبكر من تاريخ دولتهم ، فاجتهدوا من أجل ذلك دور العلم وبيوت الحكمة للدراسة وترجمة علوم الأقدمين وكانت بغداد في عصر الازدهار العباسي كعبة العلماء والأطباء من كل الملل^(١٥٦) ويعتد بيت الحكمة من اعظم المعاهد الثقافية حيث التعليم العالي فيها فكانت بيت الحكمة أول دار للدراسة العالية في الاسلام فهو علوة على كونه دار ترجمة كان معهدا للعلم ، دار كتب عامة ، وله مرصد ملحق به^(١٥٧) .

ويقول د. خليل طوطح في كتابه « التربية عند العرب » : قد لا نكون مباينين اذا قلنا أن بيت الحكمة كان من اقدم الكليات الجامعية التي أسست في ألتاريخ فيمكن اعطاء بيت الحكمة الأسبقية على سائر كليات العلم وجامعاته ويضيف طوطح الى ذلك : اذ اصبحت تسمية بيت الحكمة بكلية او جامعة كان له السبق على الأزهر ايضا - علما بأن الأزهر - كان أول جامعة لأمة أسس قبل جامعات أوروبا^(١٥٨) .

بدأ بيت الحكم اول ما بدأ بوظيفة مكتبة عامة فأصبح لهذه المكتبة شأن في العالم الاسلامي^(١٥٩) . ثم تطور وأصبح أول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ولجأ اليها الطلاب وكانت تجري فيها الأبحاث والدراسات العليا فأصبحت مؤسسة علمية للثقافة العالية نكثرت فيه في الفلسفة والمنطق والطب والنجوم والرياضيات وغيرها من الكتب العلمية المختلفة . ثم ارتقت دار الحكمة من مجرد مكتبة الى دار للترجمة والانتاج الفكري وكثر المترجمون في هذه الدار في عصر المأمون ، وكانوا يقومون بواجبهم العلمي ويتبادلون وجوه الرأي ، وكان

(١٥٥) د. سعاد ماهر : (أثر المواردي في الفن السلجوقي) مجلة المؤرخ العربي - بغداد - العراق ع ١٠ (١٩٧٩ م) ص ٤٩ .

(١٥٦) د. رمزية محمد الاطرجي : (بيت الحكمة البغدادي وأثره في الحركة العلمية) مجلة المؤرخ العربي - بغداد - العراق ع ١٤ (١٩٨٠ م) ص ٣١٧ .

(١٥٨) د. خليل طوطح : التربية عند العرب ص ١٧ .

(١٥٨) د. خليل طوطح : التربية عند العرب ص ١٧ .

(١٥٩) د. عبد الله عبد الدايم : التربية عبر التاريخ ص ١٥٨ .

هذا تطورا هاما في حياة المكتبة ، وتحولت من « خزانة » الى مجمع أو أكاديمية للبحث العلمي تعمل على خدمة العلم وترجمة ثمار المفكرين^(١٦٠) . والحقيقة أن بيت الحكمة كان مدرسة عالية للبحث انتجيريى المستند الى الملاحظة ، ومكتب ترجمة كانت تتم فيه عملية التعريب للكتب الأجنبية بلغاتها المختلفة الى العربية ولكن من دراسة النصوص التاريخية المتعلقة بهذه الحركة العلمية .

وقال (سيديو) : « ان أهم ما اتصفت به مدرسة بغداد في البداية هو روحها العلمية الصحيحة التى كانت سائدة لأعمالها ، وكان استخراج المجهول من المعلوم والتدقيق فى الحوادث تدقيقا مؤديا الى استنباط العال من العلوات ، وعدم التسليم بما لا تثبته التجربة ، مبادئ قالى بها أساتذة من العرب وهذه هى الأصول التى لقنها العلماء ، ولقد كان العرب فى القرن التاسع متمكنين من هذه الطريقة الخصبة التى صارت عند المحدثين أداة استعمالها للوصول بؤا الى اروع الاكتشافات »^(١٦١) .

ان هذا البيت لم يكن مقتصرا على الترجمة وانما كانت هناك اعمال أخرى ، منها تجليد الكتب التى تتم عملية تعريبها أو عملية نسخها بأكثر من نسخة لتوزيعها على المكتبات المعروفة آنذاك^(١٦٢) خارج بغداد ، أو بيت الحكمة التونسى فى رقادة ، أو دار الحكمة بالقاهرة وغيرها . كما كانت الكتب المترجمة والمؤلفة يقتنيها الأغنياء والمؤسسات العلمية الأخرى^(١٦٣) . والاحتفاظ بالنسخة الأصلية فى بيت الحكمة .

وللوصول الى دقة الكتب المترجمة كانت تراجع الترجمات التى كان يقوم بها النقلة فى دار الحكمة من قبل خبراء ، وكان (ثابت بن قرة الحرانى) فى دولة المعتضد من الذين راجعوا أو صححوا الترجمات العربية فى المؤلفات الرياضية والفلكية والمنطق . وكان يجيد الاغريقية والسريانية والعربية^(١٦٤) . كذلك فعل (اسحق بن حنين) فقد جعل له المتوكل كتابا نحارير عالين بالترجمة كانوا يترجمون ويراجع ويتصفح ما ترجموه^(١٦٥) .

(١٦٠) احمد فريد رفاعى : عصر المأمون ج ١ ص ٣٧٧ .

(١٦١) ل . ا . سيدير : تاريخ العرب للامام ص ١١٣ ، ١١٤ .

(١٦٢) رشيد حميد الجميلى : اثر الترجمة فى الحضارة الاسلامية (اطروحة ماجستير) ص ٢٠ .

(١٦٣) د . ناجى معروف : اصالة الحضارة العربية ص ٤٢٩ .

(١٦٤) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٥ .

(١٦٥) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٠٣ .

وهناك اشارات في كتب التاريخ توضح أن عددا كبيرا من الأدباء والعلماء في شتى التخصصات اجتمعوا في بيت الحكمة ببغداد ، وكانت نتاجاتهم كثيرة وعالية ، ساعدت على تطوير عملية البحث العلمى وتنشيطها ، ومن ثم ازدهار الآداب والعلوم ، ومما يجدر الإشارة اليه أن بيت الحكمة ببغداد كان يضم العلماء المسلمين والمسيحيين والمجوس . وحتى من الشعوبيين المغالين في بغض العرب من أمثال علان الشعوبى الذى ينسخ في بيت الحكمة للرشييد والمأمون والبرامكة وصنف كتاب الميدان في المثالب الذى هتك فيه العرب وأظهر مثالبها^(١٦٦) ابتداء من بنى هاشم قبيلة بعد قبيلة على الترتيب الى آخر قبائل اليمن على ترتيب كتاب ابن الكلبي .

وهذا أن دل انما يدل على انسانية العلم والتعليم في بغداد حاضرة الخلافة العباسية مركز الاشعاع الفكرى الانسانى في القرون الوسطى حيث تدفقت عليها الأموال ، ورعى خلفاؤها حرية العلم والفن والثقافة .

وقال وليم جيمس : يرتقى العلم بالأصالة ويعمق التفكير الفريد البعيد عن التقليد فترسخ قدمه ويزيد قدمه وأعنى بالأصالة هنا العبقرية التى تجلت في التفكير العلمى العربى أو هى موهبة الادراك بطريقة غير مألوفة^(١٦٧) . وهو القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) الذى ازدهر فيه العلم والمعرفة ازدهارا في ظل عاصمة الدولة العربية الاسلامية ببغداد عاصمة الخلافة العباسية فكان لبغداد الريادة في العلم والمعرفة والثقافة^(١٦٨) .

(١٦٦) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ٥ ص ٦٦ .

(١٦٧) د. سينوت حليم درس : (الأصالة العربية في التراث العربى) مجلة المؤرخ العربى - بغداد - العراق ع ٢٢ (١٤٠٢ م / ١٩٨٢ م) ص ٣١ .

(١٦٨) عبد الرحمن حسين المزاوى : (أبى اسحاق ابراهيم بن هلال الصابى مؤرخا) مجلة المؤرخ العربى - بغداد - العراق ع ٢٤ (١٩٨٤ م) ص ١٧٩ .

ثانيا - المدارس الاسلامية تتأثر بالعلوم التي تدرس في بيت الحكمة :

يعتبر عهد الرشيد من عهد المأمون العصر الذهبي في التاريخ الاسلامي ، والواقع انه اجتمعت في عصر الرشيد أشياء كثيرة جعلت عصره يبدو بهذه الصورة . فقد اثمرت البذور والفراش التي غرسها من أتى قبله واثرت كلها آنذاك ، كما حفل عصره بعدد من الشخصيات الالامة العظيمة - سواء في عالم السياسة أو عالم الأدب ، وخيم السلم على البلاد - باستثناء بعض الحركات البسيطة التي لم تعق التطور العلم . وبدت الدولة العباسية اقوى دول الأرض ولقد كان لشخصية الرشيد وولده المأمون أثر في هذا التطور والازدهار (١٦٩) .

ويفيدنا المؤرخون المسلمون أنه في مقدمة العلوم التي ركز عليها العرب في صدر الاسلام ثم في عهد الدولة العباسية ، وفي عهد المأمون خاصة علم الطب وبجانبه من علوم الفلسفة ، وعلم المنطق ، وعلم النجوم والفلك ثم الرياضيات وغيرها . وقد اقتبسوا هذه العلوم من اليونان بواسطة نقول متعددة قام بها الناطقون بالسريانية خاصة ، ثم طوروا هذه العلوم ونهضوا بصرح الحضارة الاسلامية خير نهوض (١٧٠) .

ونعل أعمال حنين بن اسحاق في الترجمة والتي استمرت حتى وفاته فضلا عن الترجمات التي قام بها هو ومدرسته والتي كانت السبب في تنجر الثقافة العربية ، فان له بضع مؤلفات في الطب والفلك ومن بين هذه الأخيرة كتاباته المد والجزر والشهب وقوس قزح وغيرها . ولا يسعنا في صدد الكلام عن الترجمة الا أن نشير الى احدى دعائمها القوية في ذلك العهد وخاصة في ناحية المراجع الرياضية والفلكية وهذا العالم الكبير هو أبو الحسن ثابت بن قرة الحراني ، نبغ في الطب والرياضة والفلك وكان أحد الضالعين من رجال الترجمة من الاغريقية والسريانية الى العربية ، وتولى زعامة مدرسة المترجمين بعد حنين بن اسحاق وضم اليه في أعمالها الكثير من اقاربه ، ومن أهم أعماله في تلك المدرسة اصلاحه لترجمات كتاب المجسطي مع تغييرات لما تضمنه ذلك المرجع الفلكي (١٧١) .

(١٦٩) د. محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية والادارية للعائدة للمصر العباسي الأول من ٤٦ .

(١٧٠) د. الأب يوسف حبي : يوحنا بن هيلان معلم الفارابي في المنطق مجلة المؤرخ العربي - بغداد

- العراق ع- ٣ ، ١٩٧٥ م ص ١٩٥ .

(١٧١) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب من ٣٤ ، ٣٥ .

كان العصر العباسي هو العصر الذهبي للطب العربي : اذ نبغ فيه عدد كبير من الأطباء كان من بينهم ابن بختيشوع الذى خدم هارون الرشيد والامين والمأمون والمعتمد والواثق وكان موثوقا به عالج الخلفاء وأولادهم وزوجاتهم ، وكان ماهرا فى مهنته ، عالما فى فنه ، خلف عددا من الكتب الهامة منها ، المسائل فى الطب للمتعلمين ، علاج العين ، — علاج اللثة « الأسنان » ، معرفة أوجاع المعدة وعلاجها ، المولود دون الثمانية أشهر ، الأغذية ، اللبن — فكانت فى جملتها موسوعة طبية هامة . وإلى جانب هؤلاء نذكر « ابن ماسويه » الذى كان يعالج العقم أحيانا . وقد اظهر فى كتابه « الملكى » تصحيحا لأخطاء كان قد وقع فيها « أبو قراط » و « جالينوس » و « أبو عبد الله التميمي » وموسى أبو الحسن على بن رضوان وأبو يعقوب اسحاق بن حنين وغيرهم . فكان للأطباء العرب دائسا منزلتهم المرموقة فى الدولة . ومركزهم الاجتماعى والعلمى الملحوظ كان عددهم يتزايد دائما بسبب اقبال الكثير على مهنة الطب يتلقونها على أساتذتهم أما بالدروس والتلقيب فى الكتب أو بالملاحظة والتجريب والمران فى المستشفيات على غرار ما هو واقع فى كليات الطب فى جامعاتنا فى العهد الحاضر (١٧٢) .

أما آل بختيشوع فكانوا فى عهود الدولة العباسية ، واشتهر منهم جبريل بن بختيشوع فانه تبحر فى جميع العلوم الداخلة فى علم الطب وكتب فى حياة الحيوان رسائل تدل على سعة اطلاعه ، فقربه الرشيد ، واتخذته فى دور الخلافة ، واخذ الناس يرجعون اليه فى ما يشير به من العلم فحملهم على الابتعاد عن الدجالين (١٧٣) .

ومن أشهر علماء الرياضيات العرب محمد بن موسى الخوارزمى الذى ظهر فى عهد المأمون فى أوائل القرن التاسع الميلادى ، ووضع كتابا هامة ترجمت الى اللاتينية فكانت مصدرا هاما للجامعات الأوروبية وغيرها من كتب بقية الرياضيين العرب ، وعنها أخذوا المبادئ الأولى لعلم الجبر (١٧٤) .

وقد تبين لعلماء العرب علاقة القوية بين علوم الرياضيات والفلك فدعاهم هذا الى التوسع فى دراسة الفلك التى كانت تستهويهم وتخلب الباطن وبدأت

(١٧٢) محمد ابراهيم الصبحى : (العلوم عند العرب) « مكتبة نهضة مصر - القاهرة - بدون)

ص ٤٦ ، ٤٧ .

(١٧٣) جميل نخلة المدرر : (حفاوة الاسلام فى دار السلام) (مطبعة الاعتماد - مصر

١٩٣٢ م) ص ٢٠٥ .

(١٧٤) محمد ابراهيم الصبحى : العزيم عند العرب ص ٥٦ .

دراساتهم الجدية المنظمة في هذا العلم في عهد المنصور العباسي بوجه خاص في القرن الثامن الميلادي عندما ترجم محمد بن ابراهيم الفزاري كتاب « سند هند » وهو موسوعة هامة تبحث في أمور الفلك واعتمد عليه الفلكيون العرب أول الأمر^(١٧٥) . كما افادوا من كتاب المجستى لبطليموس الذي ترجم في القرن التاسع الميلادي كما تمكن ابو الوفا العالم العربي الذي عاش في بغداد في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي بفضل آلاته التي ابتكرها من مشاهدة انحراف الشمس بربع دائرة نصف قطرها ٢١ قدما . وقد كانت هذه المراصد العربية هي العون للفلكيين العرب في دراساتهم وابحاثهم . فقد قام الخفاء الذين كانوا يحتضنون هذه النهضة العلمية للمراصد في كل مكان ، في بغداد ، وفي دمشق وفي القاهرة وفي قرطبة وفي طليطلة كذلك فتحت^(١٧٦) .

أما فيلسوف العرب والاسلام الكندي العربي الأصل المتوفى حوالي منتصف القرن الثالث فهو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق يتصل نسبه للملك العرب والأقدمين من كندة^(١٧٧) . وقيل من ولد الأشعث بن قيس كان أبوه الصباح من ولاة الأعمال بالكوفة وغيرها ، في أيام المهدي والرشد ، ويقول ابن جطل : ان جده ولي الولايات لبني هاشم^(١٧٨) انتقل يعقوب الى بغداد واشتغل بعلم الأدب ثم بعلم الطب والفجوم والفلسفة والحساب والمنطق وله كتب عدة كثيرة ، وأنزله المأمون منزلته عظيمة .

وكانت دولة المعتصم تتحمل به وببصفاته^(١٧٩) . وحاول الكندي في مذهبه الفلسفي أن يجمع آراء افلاطون وأرسطو واعتبر الرياضيات والفيثاغورية أساس العلم كله . لقد كان أساتذة الفلسفة الاسلامية العظام يدركون جيدا أهمية التراث الفلسفي اليوناني . وكذلك راحوا يسعون منذ البداية أن يترجموا بكل حماس مؤلفات الفلاسفة اليونانيين في كل وقت وكانوا يطلعون فيه على النصوص الأصلية لتلك المؤلفات . ان تاريخ هذا النشاط في ميدان الترجمة لم يدون بعد^(١٨٠) .

• المرجع نفسه ص ٦٩

• المرجع نفسه ص ٧١

• ابن جطل : طبقات الأطباء ص ٧٣

• المصدر نفسه

• ابن الجبلى : تاريخ مختصر للدول ص ١٤٧

(١٨٠) سليم طه البكريتي (بيت الحكمة في بغداد وازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي)

مجلة المورد - بغداد ، العراق ع ٨ (١٩٧٩ م) ص ٤٥٩

أما مدرسة حران التي قامت في عهد الخليفة المتوكل فقد كانت مركزا هاما للثقافة اليونانية في المنطقة التي تكلم أهلها اللغة السريانية كما كانت مركزا للاتصال الثقافي وظلت تقوم بعملها مدة أربعين عاما حتى تركها علماءها الى بغداد في خلافة المعتضد . وأنجبت هذه المدرسة طبقات متعاقبة من أفذاذ العلماء والفلاسفة في طبيعتهم أولئك الذين جاءوا من حران أمثال ثابت بن قرة الذي أوصله محمد بن موسى بن شاعر المعتضد^(١٨١) وأدخله في جملة المنجمين وسنان بن ثابت الذي كان طبيبا للمقتدر وبلغ من علو منزلته أن وكل اليه المقتدر أمر امتحان الأطباء وأجازتهم . وقد أظهر الحرانيون الأثر الأكبر في الرياضيات وخاصة الهيئة ولعل ما في ديانتهم من تعظيم للكواكب وإقامة الهياكل لها كان باعثا على نبوغهم في العلوم الرياضية والفلكية^(١٨٢) . ولقد تفوق الحرانيون على الآخرين بمعرفتهم للغة العربية ولذا كانت ترجماتهم أكثر دقة^(١٨٣) .

فقد شاعت بينهم بعض الأفكار الأرسطية المشهورة فذكر الفهرست أبو روح الصابئي على أنه مترجم لكتاب الطبيعة كما لخص ثابت بن قرة كتاب التاسوعات وشرح جزءا من كتاب الطبيعة مع بعض التعليقات لفورغوريوس^(١٨٤) ، فلم تكن بيت الحكمة بمعلوماتها المختلفة بمنأى عن التأثير في المدارس الإسلامية الأخرى التي ظهرت في تلك الفترة وما بعدها فنرى أنها قد أثرت وتأثرت بها .

يقول نالينيو : « ان وحدة الدين استوجبت أيضا وحدة اللسان والحضارة والعمران ، فصار الفرس وأهل العراق والشام ومصر يدخلون علومهم القديمة في التمدن الإسلامي »^(١٨٥) . كما أن اختلاط المسلمين بالمسيحيين وتلقيهم العلم عنهم في المدارس كان له عظيم الأثر ، ولم يكن ما يستفاد من مطالعة الكتب في الشرق في تلك الأيام بالشئ الكثير ، بل كان الناس يأخفون عن أساتذتهم شفاها أكثر مما يتعلمون من الكتب^(١٨٦) .

(١٨١) أبين القفطي . اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٨١ .

(١٨٢) أحمد أمين . ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٥٩ .

(١٨٣) خدابخش : الحضارة الإسلامية ص ١٥٨ .

(١٨٤) J. Windrow Sweetman : Islam and Christian Theology. (١٨٤)
London 1945, vol. I, II, p. 85.

(١٨٥) نالينيو : تاريخ علم الفلك عند العرب ص ١٤١ .

(١٨٦) دي ديور : (تاريخ الفلسفة في الاسلام) ترجمة د. محيّد عبد الهادي أبو ريّيد (لجنة

التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٣٨ م) ص ٤٨ ، ٤٩ .

كذلك شجع على الاشتغال بالترجمة ميل أفراد من الخلفاء في العصر العباسي إلى العلوم الفلسفية « والخلفاء عادة اتسدر على الترغيب فيها أحبوه ، والناس أسرع ما يكون إلى تحقيق أغراضهم والولوع بما أولعوا به » (١٨٧) .

ويصف صاعد الأندلسي ثابت بن قرّة فيقول أنه « فيلسوف متوسع في العلوم متفنن في ضروب الحكم متقلد لجوامع الفلسفة ، له تأليف حسنة في المنطق ، والعدد والهندسة والنجوم وغير ذلك » (١٨٨) . فظهر أثر مدرسة حران في الرياضيات ، وقد تميز الحرانيون بمعرفتهم اللغة العربية ولذلك جاءت ترجماتهم دقيقة . ولعل ذلك يعود إلى اهتمام الخلفاء بالعلوم مما دفع كثيرا من الناس إلى التشبه بهم فوجد العلماء والمترجمون من يرعاهم ويجزل لهم العطاء من أثرياء المسلمين وهذا كله يعود إلى بيت الحكمة بما كانت تزخر به من العلوم الإسلامية كالفلسفة والمنطق والطب والفلك والرياضيات .

(١٨٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٩ .

(١٨٨) ابن صاعد الأندلسي : طبقات الأئمة ص ٤١ .

ثالثا - موقف المدارس الإسلامية من بيت الحكمة ومدى تأثيرها بها :

وفي القرن الثاني الهجري اشتهرت مدينة بغداد بالدراسات الفلسفية نتيجة لتشجيع الخلفاء لهذا النوع من الدراسات ورعايتهم للترجمة والمشتغلين بها كالرشيد والمأمون . بينما اشتهرت جامعة الفسطاط في ذلك العهد بالدراسات انفقهيّة الشافعية لاقامة الشافعي بها ووجود تلاميذه فيها ، حتى أصبحت مقصدا للطلاب الراغبين في الفقه الشافعي . وكانت مصر في منتصف القرن الثاني الهجري تقريبا مركزا هاما من مراكز الفقه المالكي لوجود بعض أصحاب مالك بها مثل عثمان ابن الحكم ورشيد بن سعد (ت ١٦٣ هـ) وكان طلاب هذا المذهب يقصدون مصر لتلقيه عن أساتذتها ، ومن هؤلاء سحنون أمام أفريقيا فيما بعد الذي تلقاه عن أبي القاسم من أصحاب مالك ونشره في أفريقيا . واشتهرت جامعات المغرب بالعناية بالحديث والفقه وتقصيرها في العلوم النظرية من الفلسفة وغروعا (١٨٩) .

وهكذا لو تتبعنا بقية الجامعات الإسلامية القديمة لوجدنا أن درجة تركيزها على مختلف العلوم تختلف من جامعات قطر الى آخر . وأحيانا من جامعة الى أخرى حتى في القطر الواحد . ولكن الذي لا مرية فيه أن جميع العلوم النافعة كان لها وجود في الجامعات الإسلامية اذا أخذت ككل . وكنت هذه الجامعات يتخلل بعضها بعضا ، والطلاب الذي لا يجد علما في أحداها يمكنه أن يذهب الى أخرى ليدرس فيها العلم الذي ينقصه . وكان مما يساعد على ذلك انفتاح أجزاء الوطن الإسلامي بعضها على بعض ، والاعتراف بالهجرة في سبيل العلم والرحلات العلمية كوسيلتين رئيسيتين من وسائل طلب العلم وحصول التعلم على المعارف والخبرات التي لا توجد في بلاده في الجامعات المجاورة له (١٩٠) .

وكان لطلاب العلم في الوطن الإسلامي شغف كبير بطلب العلم يطلبونه لنيل رضا الله ولتنويع مداركهم وزيادة اطلاعهم على الحقائق المتصلة بطبيعة الكون والانسان والحياة التي حولهم وقد أدى هذا الشغف بالعلم ، واخلاص النية في تحصيله واحتمال المشقات في سبيله ، الى أن زخرت البلاد الإسلامية ما بين غانة وفرغانة الى ما بين الصين والهند والباكستان والمحيط الأطلسي بالعلوم الشرعية والنغوبة والعقلية على اختلاف أنواعها وأقسامها (١٩١) .

(١٨٩) محمد عبد الرحيم غنيم : تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ص ١٦١ ، ص ١٧٥ .

(١٩٠) د. عمر محمد التومي الشيباني : فلسفة التربية الإسلامية ص ٣٩٤ .

(١٩١) المرجع نفسه ص ٣٩٥ .

فأنشأ المسلمون علوما ، وأخذوا عن غيرهم علوما ، نقلوا الى لغة القرآن لغة العلم في تلك العصور ، ثم تعمقوا في درستها ، ونقدوها ، وصححوها وشرحوها ، وزادوا عليها ، وقرنوا العلم بالعمل ، فكتشفوا ما كشفوا في العلوم الفلكية والرياضية وفي الكيمياء والطبيعة . ولا احسب التاريخ يعنى تعاون الامم على العلم والتعلم ، والتحصيل والتحقيق ، كما تعاونت الامم الذى جمعتها أخوة الاسلام ، ولفت بينها عقائده وشرائعه وعدالته ورحمته ودعوته الى العلم والعمل هل يعرف التاريخ امة او ائمة اودعته ما اودعته الامة الاسلامية . من بين العلماء والأدباء وتراجيعهم اننى تزخر بها كتب الطبقات : طبقات الفقهاء على اختلاف المذاهب ، وطبقات النحويين واللغويين والأدباء والأطباء والحكماء ؟ ، وهل يعرف التاريخ كتباً في تاريخ البلدان تتضمن (١٩٢) من أعداد العلماء ومناقبتهم وسيرهم الحسنة ما نجد في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وفي الخزيرة لابن بسام والاحاطة في اخبار غرناطة لالسان الدين ابن الخطيب ، ونفح الطيب للمدري ، وفي تواريخ اذرى للقاهرة ونيسابور وبيهق واصفهان وغيرها من مدن الاسلام .

وحسبنا أن نعلم أن تاريخ الخطيب البغدادي ، حوى زهاء ثمانية آلاف ترجمة للعلماء الذين عاشوا في بغداد او وفدوا اليها ، والخطيب من علماء القرن الرابع الهجري ، فما ظنك بعلماء بغداد من بعد القرن الرابع ؟ وما ظنك بعلماء المدن الأخرى في أرجاء العالم الإسلامى على اختلاف الاجيال والقرون ؟

وقتصاري القول : ان العسالم لم يشهد قبيل المسلمين امة مثلهم اخلصت في طلب العلم وجهدت فيه ، وبذلت الجهد والوقت والمال ، وبلغت فيه الغايات التى بلغوها ، وكشفت الحقائق التى كشفوها (١٩٣) ولقد كان لهذا التأثير في العالم الاسلامى آثار طيبة كثيرة ، وكانت منبعاً غنياً بالخير والنشاط الدائم ، وسبيلاً نافعا الى تحقيق التبادل الفكري والتعاون الفكري بين جامعات الاسلام وادائه (١٩٤) وقد بين العلامة المؤرخ ابن خلدون مزاياها وفضلها على العلم والتعليم بقوله : « ان الرحلة في طاب العلوم ولقاء المشخة مزيد كمال في التعليم والسبب في ذلك ان البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم ، وما ينتحلون من المذاهب والفضائل ، تارة علماً

(١٩٢) الرحيم نفسه ص ٣٩٥ .

(١٩٣) د. عبد الوهاب عزلم : (الاسلام والعلم في الاسلام : لليوم وغدا) تأليف مجموعة من

العلماء (دار احياء الكتب العربية لعيسى الابيبى للطبى وشركاء - القاهرة - بدين) ص ١٢٩ . ١٥٩ .

(١٩٤) محمد عبد الرحيم غفيمية : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ص ٢٠٨ ، ص ٢١٧ .

ونعلينا والقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة . الا ان حصول الملكات عن المباشرة والتلقين اشد استحكاها وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها (الى ان قال) : فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرجال ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » (١٦٥) .

ونحن نقول انه لجدير بالاعجاب والاكبار تلك الثمرات الباهرات العلمية والعملية التي انتجها المسلمون في العصور الذهبية الراقية ، وانفتاح الحدود الفكرية لديهم لتقبل الحق من أى مصدر ظهر وللشفغ بامتصاص العلوم والمعارف من أى منابع تدفقت . وللسعى الحثيث لاكتساب الكمالات الانسانية في كل مجال من مجالات الحياة . وفي كل ميدان من ميادين العمل ، وهو الأمر الذي املته عليهم اسس الاسلام الحضارية .

ولو ان حدودهم الفكرية كانت مغلقة ، وعقولهم كانت منطوية على نفسها لا تتقبل الحقائق العلمية التي تأتيها من الأمم والشعوب الأخرى ، غابرة كانت أو حاضرة لما بلغوا من مجد عظيم ، في أقصر حقبة عرفها تاريخ الحضارات الانسانية . وكم حرمت امم نفسها من التقدم والارتقاء بدافع الانانية الذاتية ، والعصبية القومية المقيتة وبسبب عزوفها عن اقتباس معارف الآخرين وعلومهم الصحيحة (١٦٦) .

ولقد هيا للمسلمين الأولين هذا الانفتاح الفكرى لتلقف المعارف الحديثة واقتباسها واكتساب الكمالات الانسانية سبقا حضاريا فذا ، لم يضارعه تقدم حضارى لأية أمة من الأمم (١٦٧) . ويدهش المؤرخ الفرنسى العلامة جوستاف لوبون فيقول : « ان حماسة المسلمين في دراسة المدنية اليونانية واللاتينية مدهشة حقيقة .. والانسان يقضى العجب من الهمة التي أقدموا بها على البحث ، وإذا كانت هناك امم تعد تساوت هي والعرب في ذلك فانك لا تجد أمة فاقت العرب على ما يحتمل .. » (١٦٨) .

(١٦٥) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ج ٤ ص ١٣٦٠ .

(١٦٦) عبد الرحمن حسن حنكة الميذاني : (اسس الحضارة الاسلامية ووسائلها) (دار القلم

- دمشق . بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) ص ١٢٤ .

(١٦٧) المرجع نفسه ص ١٢٥ .

(١٦٨) جوستاف لوبون : حضارة العرب ، ترجمة اكرم زعيتر ص ٥٥٥ ، ص ٥٥٧ .

الفصل الرابع : بيت الحكمة بجامعة إسلامية عظيمة



- ١ - هل كانت بيت الحكمة جامعة يدرس فيها الطب أيضا ؟
- ٢ - هل كانت جامعة بيت الحكمة دار اقامة للطلاب والاساتذة ؟
- ٣ - هل كانت هناك علاقة بين الرصد المأموني في دمشق وفي بغداد ؟

أولا — هل كانت بيت الحكمة جامعة يدرس بها الطب أيضا ؟

لما جاء العصر العباسي كان المسلمون قد اتمعنوا في التمدن وراوا ان حياة الحضارة ، لابد ان تستند الى العلم ، فمالية الدولة تحتاج الى حساب دقيق ، وعيشة الحضارة المركبة تحتاج الى ادوية مركبة وعلاج مركب^(١٩٩) . وكانت جنديسابور حتى ذلك الحين ما زالت مركزا للثقافة ومصدرا للاشعاع العلمى ، كما كانت تموج بالعلماء ، وتزخر بالأطباء ، فأخذت الأنظار تتجه اليها تسائلها الثعون ، وتناشدها المساعدة . وكان المنصور قد أدركه ضعف في معدته وأصابه سوء استقراء ، وعجز معالجوه عن مداواته ، فجمع الأطباء وقال لهم : « أريد من الأطباء في سائر المدن طبيبا ماهرا » ، فقالوا : « ما في عصرنا أفضل من جورجيس بن بختيشوع رئيس الأطباء بجنديسابور ، فانه ماهر في الطب ، وله مصنفات جليلة ، فتقدم المنصور باحضاره فأنفذه العامل بجنديسابور الى حضرة الخلافة بعد ما امتنع عن الخروج . . . ولم يزل جورجيس يتلطف له في تدبيره حتى برىء المنصور ، وعاد الى الصحة ، وفرح به فرحا شديدا ، وأمر ان يجاب الى كل ما يسأل »^(٢٠٠) .

وقد ظل جورجيس في خدمة المنصور حتى تقدمت به السن^(٢٠١) وبنى له مستشفى^(٢٠٢) على طريقة آل بختيشوع بجنديسابور^(٢٠٣) وعندما جاء المهدي استقدم بختيشوع^(٢٠٤) من جنديسابور ليعالج ابنه الهادي ، ولكن الخيزران عز عليها ان يستدعيه المهدي ، ولا يستطب ابا قريش طبيبها الذي كان يعرف بعيسى

(١٩٩) أحمد أمين : فصحى الاسلام ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٢٠٠) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٢٣ .

(٢٠١) كان جورجيس من السريانيين الذين بنفثون الى طائفة النساطرة . انظر : اسرائيل

ولفنسون : (اللغات السريانية) ص ١٤٦ .

(٢٠٢) عيسى الملوفا : (تاريخ الطب عند العرب) (بيروت لبنان ، المطبعة الادبية ١٩٣٥ م)

ص ١٨ .

(٢٠٣) آل بختيشوع أسرة نسطورية اسم جدّها هذا سرياني بمعنى حظ يسوع ويدعى ان لها بقية في بغداد وهم بنو غنيمية ، وفي الصالحية « آل الحكيم » وفي دمشق آل لطنى وآل منعم . عيسى الملوفا : (الاسر العربية المشهورة بالطب) ص ٦ - يرى ابن أبى أصيبعة ان معنى بختيشوع المسيح لأن اللغة السريانية للبخت العبد ، وعنده ان البخت لفظة مارسية معناها الحظ والسعد ، تعقيب ابن المبرى في كتابه مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦ .

(٢٠٤) انظر ترجمة بختيشوع عند القفطى : اخبار الملوك بأخبار الحكماء ص ٧١ .

الصيدلاني^(٢٠٩) ، فكان ذلك سرا في أن يعيده المهدي الى جنديسابور . وفي أيام الرشيد أصابه صداع شديد ، وعجز أطباؤه عن مداواته فاستخدم بختيشوع لذلك الأمر قال « بختيشوع يكون رئيس الأطباء كلهم وله يسمعون ويطيعون »^(٢١٠) .

وقد ذكر صاعد الأندلسي أن « بختيشوع له تآليف في الطب معروفة ، منها كتاب التفكير وقد علمه لابنه جبريل »^(٢١١) . الذي قام بعلاج جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي كما برئت جارية للرشيد بحيلة^(٢١٢) ، لطيفة استعان بها ، كما شفى الرشيد على يديه من مرض ألم به مما دفعه الى أن يقربه منه ، ويرفع مكانته لديه . ولقد كان للنجاح الذي أحرزه هؤلاء الأطباء أثره في المكانة التي وصلوا اليها ، ذلك لأن الخلفاء ورجال الدولة ، كانوا يعظمونهم لقدر علمهم لا لدينهم^(٢١٣) .

وقد ذكر القفطي أن « يحيى بن خالد البرمكي أحب جبريل عندما عالجه مثل نفسه ، وكان لا يصبر عنه ساعة ، ومعه يأكل ويشرب »^(٢١٤) . كذلك ذكر بن أبي أصيبعة أن الرشيد عندما شفى قرب جبريل منه ورفع مكانته لديه حتى أنه قال لأصحابه : كل من كانت له الى حاجة فيخاطب بها جبريل لأنى أفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني^(٢١٥) . وقد ظل جبريل على هذه المكانة العالية في عهد المسامون ، فكان كل من تقلد عملا لا يخرج الى عمله الا بعد أن يلقي جبريل ويكرمه .

يقول حاجي خليفة : ان أول من عنى من العباسيين بالعلوم الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور^(٢١٦) . وكان ممن قدموا من جنديسابور يوحنا بن ماسويه^(٢١٧) (ت ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م) ومن هذا الوقت تقريبا بدأت مدرسة الطب فيها تفقد أهميتها لأن كبار الأطباء والأساتذة قد ذهبوا الى قصور الخلفاء في بغداد أو سر من رأى^(٢١٨) .

(٢٠٥) راجع أخبار عيسى الصيدلاني : ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٠ .

(٢٠٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢٠٧) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٤٠ .

(٢٠٨) ابن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٩٤ .

(٢٠٩) عيسى الملووف : تاريخ الطب عند العرب ص ١٣ .

(٢١٠) ابن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٩٣ .

(٢١١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٢٧ ، ١٢٩ .

(٢١٢) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ص ٣٤ .

(٢١٣) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٥ .

(٢١٤) ماكس مايرهوف : هن الاسكندرية الى بغداد ص ٥٦ .

وقد عين يوحنا بن ماسويه رئيساً لمدرسة الطب في بغداد وكان من أطباء هارون الرشيد^(٢١٥) . وكان الخليفة هارون الرشيد أول من أنشأ مستشفى عاماً في العالم بأسره وقسمه الى قسمين قسم للعلاج - وقسم للتدريب ، وتخرج الأطباء وكانت أول كلية طب في الدنيا بأسرها^(٢١٦) تقام بجامعة بيت الحكمة ببغداد .

وقد أقام يوحنا بن ماسويه في بغداد مستشفى ، كذلك جعله الخليفة المأمون في سنة ٢١٥ هـ / ٣٨٠ م رئيساً لبيت الحكمة . وقد ألف يوحنا كتباً كثيرة بلغت ثمانية وعشرين كتاباً^(٢١٧) منها كتاب البرهان وكتاب دغل العين ، وعربية هذا الكتاب رقيقة مع استعمال اصطلاحات اغريقية وسريانية وفارسية^(٢١٨) . وكان سنان بن ثابت بن قرة مقدماً كائيه ، وقد وكل اليه المقنن امتحان أطباء بغداد سنة ٣١٩ هـ .

ويقول ابن النديم في كتابه الفهرست : (وكان منكه الهندي طبيب الخليفة هارون الرشيد ، ونقل عدة كتب تبحث في الطب على مذهب أهل الهند ، ونقل ابن دهن الذي كان يشرف على بيمارستان البرامكة عدة كتب في الطب^(٢١٩)) .

واشتهر عدد من الأطباء بترجمة كتب الطب ، وخدموا المكتبة العربية أجل خدمة بما ترجموه والفوه من الكتب الطبية منهم : يوحنا بن ماسويه ، وآل بختيشوع ، وعيسى بن الحكم ، وزكريا الطيفوري ، وحبيش بن الحسن الأعسم ، وصالح بن بهلة الهندي^(٢٢٠) وغيرهم .

حقاً كان بيت الحكمة أول مكتبة عامة ذات شأن في العالم الاسلامي ، بل انه كان أول جامعة اسلامية يدرس بها الطب فاجتمع فيها العلماء والباحثون الذين يمثلون ثقافة مختلفة الاتجاه تشمل علوم الطب والفلسفة والحكمة وغيرها .

(٢١٥) محمد عبد الحميد البوسى : (الاسلام والطب) (دار القلم ، الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة ١٩٦٥ م) ص ١٥٢ .

(٢١٦) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٤١٥ .

(٢١٧) ابن القفطى : اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٢٤٩ .

(٢١٨) أوليرى : مسالك للثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٦ .

(٢١٩) ابن النديم : الفهرست ص ٣٤٢ .

(٢٢٠) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ٢ ص ٣٣ .

ولعمل الشواهد السابقة تدل على اهتمام الخلفاء بالطب والأطباء سواء
بالمعالجة أو انشاء الكليات الطبية فان ذلك يجعلنا نقول بان جامعة بيت الحكمة
كان يدرس بها الطب بل وانها من أشهر الكليات الطبية حتى ان أهل جنديسابور
احتجوا على ذلك لأن أكثر أطبائهم قد ذهبوا الى الخلفاء العباسيين سواء منهم
ال خليفة هارون الرشيد أو المأمون وعملوا تحت رعايتهم من أمثال جورجيس بن
بختيشوع ويوحنا بن ماسويه .

ثانياً — هل كانت جامعة بيت الحكمة دار إقامة للطلاب والأساتذة ؟

وكان الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ هـ / ١٩٣ هـ — ٧٨٦ م / ٨٠٨ م) كثير الاهتمام بعلوم الحكمة ، فصار في بيت الحكمة دوائر علمية متنوعة ، لكل منها علماءها وتراجمتها ومشرفون يقولون أموراً المختلفة (٢٢١) .

كان يوحنا بن ماسويه يتولى الكتب التي أمر الرشيد بنقلها من عمورية وأنقرة عندما غزا بلاد الروم وجعله الرشيد أميناً على الترجمة — وأكثرها كانت من كتب الطب ، وعين له الرشيد كتاباً حذاقاً يعملون بين يديه ، ويساعدونه في عمله . وخدم بمدة الأمين والمأمون وبقي إلى أيام المتوكل (٢٢٢) .

ف نجد مما تقدم : أن يوحنا كان على جانب من العلوم المختلفة ، عالماً بالعلوم التي يقوم بترجمتها لذا عينه المأمون رئيساً لبيت الحكمة كما كان يعتقد مجلساً للنظر ، ويعمر ذلك المجلس بعلم هذا الشأن أتم عمارة ، ويجرى فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة واجتمع أهل العلوم والآداب ، وكان يجتمع إليه تلاميذ كثيرون (٢٢٣) . وكان يحاضر بهذه العلوم ، ويجتمع إليه تلاميذ كثيرون يأخذون عنه ويدرس عليه بعضهم ما يرغب به من العلوم فكان بيت الحكمة يحوى كل نادر وغريب يقصده المؤلفون ويجدون فيه خير معين لما يرغبون به من العلوم المختلفة . أن نشاط بيت الحكمة وصل إلى ذروته في عهد المأمون الذي كان واسع الثقافة ، حر الفكر له شغف بالعلوم والآداب ، ومن أجل هذا أولى بيت الحكمة عناية خاصة كان من نتائجها تطور الثقافة عند المسلمين ، ودخول العلوم الأجنبية اليهم واحتضانهم لهذه العلوم ، مما أدى إلى حفظ التراث ونقله إلى الأجيال التالية ، وكان على وشك أن يضيع (٢٢٤) .

وقد ضم بيت الحكمة كتباً في الأصل بلغات مختلفة ، ومن أهمها الكتب اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والآرامية ، ومن أجل هذا كان المترجمون كثيرون ينقل بعضهم من اللغة اليونانية وينقل آخرون من الفارسية ، وينقل فريق

(٢٢١) فيليب دي طرازي : خزائن الكتب القديمة في الخاقين ج ١ ص ٩٩ .

(٢٢٢) ابن القطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤٩ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء

في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٧٥ .

(٢٢٣) ابن الجوزي : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٧ .

(٢٢٤) د. أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ص ١٨٢ .

ثالث من الهندية وهكذا . وكان بنو موسى بن شاكر من أنشط العناصر التي كانت في بيت الحكمة وهم ثلاثة أخوة : محمد وأحمد والحسن وعرف أبناءهم فيها بمسند بنى موسى المنجم . كما كان حنين بن اسحاق على جانب من العلم حيث اشتغل في بيت الحكمة فترجم هو ومن كان يعمل بين يديه كتباً عديدة كانت على غاية الأهمية العلمية في الطب والفلسفة والمنطق وكانت دائرته التي يرأسها في بيت الحكمة لا تقل أهمية عن دائرة أبناء موسى الذين تقدم ذكرهم (٢٢٥) .

وهكذا اجتمع في بيت الحكمة نخبة ممتازة من العلماء والأطباء والفلكيين وأصحاب الصناعات ، وترجموا مختلف الكتب التي تبحث في شتى العلوم والفنون والمعارف وبلغ بيت الحكمة منتهى التقدم على عهد المأمون (٢٢٦) .

وقد صنفت الكتب والمؤلفات التي أحضرت من مختلف الأقطار بحسب موضوعاتها في بيت الحكمة واختير لها المترجمون ممن لهم خبرة علمية بالموضوعات التي يترجمون منه ، بالإضافة إلى سيطرتهم على اللغتين اليونانية والعربية ومن أشهر الذين اشتغلوا بترجمة هذه الكتب يوحنا بن ماسويه ، وحنين بن اسحاق ، ومحمد بن موسى الخوارزمي وسعيد بن هارون وثابت بن قرة وعمر بن الفرخان . فلا غرو أن بيت الحكمة كان أول جامعة إسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون والمترجمون فهي أكاديمية من الأكاديميات العلمية التي كانت تزخر بها بغداد آنذاك .

وكان التلاميذ يتلقون العلم بالمجان ، كما كانوا يحصلون على الطعام والعناية الطبية ويتناول كل منهم ديناراً من الذهب كل شهر لمصروفاته الأخرى ، وكانت تشتمل على مستشفى وحمام ومكتبة مفتوحة للطلبة وهيئة التدريس على السواء (٢٢٧) .

وجامعة بيت الحكمة لجأ إليها الطلاب فكانت بذلك أول مركز علمي يحقق للطلاب زادا علمياً وفيراً ويخرج لهم من جهد القائمين عليه ثقافة مختلفة الاتجاه تشمل علوم الطب والفلسفة والحكمة (٢٢٨) وغيرها . وحقا أن ما حظيت به جامعة بيت الحكمة في عهدي الرشيد والمأمون مما جعلها دار إقامة للطلاب والأساتذة وتوفر كل ما يلزم للباحثين والعلماء والمترجمين ، وهذا ما أوضاعه في حديثنا السابق .

(٢٢٥) ابن القطر : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٤٧ ، ٥٧ .

(٢٢٦) فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ص ١١٧ ، ١٢٠ .

(٢٢٧) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٤ ص ٣١٩ .

(٢٢٨) د. أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ص ١٨٤ .

ثالثا - هل هناك علاقة بين المرصد المأموني في دمشق وفي بغداد ؟

- كان قيام الدولة العباسية فاتحة عهد جديد في تاريخ الاسلام يختلف عن العهد الأموي فقد نقلت العاصمة من دمشق الى بغداد التي بناها أبو جعفر المنصور وصارت ولاية الشام تحتل مرتبة من الدرجة الثانية في الدولة وكان هذا الانتقال بذاته يعتبر تغييرا شاملا في سياسة الدولة الاسلامية . فقد زاد اهتمامها بولاياتها الشرقية وقل اهتمامها بالولايات الغربية ، وأولها الشام ومصر والمغرب والأندلس (٢٢٩) .

لا شك ان العرب لم يصلوا بعلم الفلك الى ما وصلوا اليه الا بفضل المراصد ، فقد كانت هذه نادرة جدا قبل النهضة العباسية ، وقد يكون اليونان اول من رصد الكواكب بالآلات وقد يكون مرصد الاسكندرية الذي أنشئ في القرن الثالث عشر الميلادي ، هو اول مرصد كتب عنه ويقال ان الأمويين ابتنوا مرصدا في دمشق (٣٣٠) . ولكن الثابت ان الخليفة المأمون اول من أشار باستعمال الآلات في الرصد ، وقد ابتنى مرصدا على « جبل قاسيون » (٣٣١) في دمشق وفي « الشماسية في بغداد » وبعد وفاته أنشئت عدة مراصد في أنحاء مختلفة من البلاد الاسلامية وقد تبع اشتغال العرب في أوج ازدهار حضارتهم والنهضة التي شملت البلاد العربية الاسلامية على تأسيس العديد من المراصد وتجهيزها بأحسن الأجهزة ، مما دفع الخلفاء والحكام انفسهم الى تمويل هذه المؤسسات ، وان كانت قد جرت العنادة على ان الأعيان والأغنياء هم الذين يتبنون مثل هذه المراصد ، ينفقون عليها من مالهم الخاص ويقدمونها هدية لأصدقائهم من العلماء (٣٣٢) . وتقول زيفريد هونكه في كتابها : « شمس العرب تسطع على الغرب » : بنى العرب المراصد الجوية وأشهرها مرصد المأمون في بغداد ودمشق (٣٣٣) .

اننا نرى ان النزعة العلمية في الفلك قد لازمت العرب منذ انتشار الاسلام ثم كانت تلك النزعة تقوى مع الأيام ولقد أهاب جرداق حين قال : « والعرب

(٢٢٩) د. حسين مؤنس : (تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصور الوسطى) (الكويت

١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ط ٥) ص ١٩٦ .

(٢٣٠) رياض باشا : (علم الفلك عند العرب) مجلة المقتطف - بيروت - لبنان مجلد ٣٩

(١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م) ص ١٤٦ .

(٢٣١) جبل مشرف على غوطة دمشق شمالا يقرب علومه على ١٢٠٠ م .

(٢٣٢) محمد رجب السامرائي : علم الفلك عند العرب ص ٨٢ .

(٢٣٣) زيفريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٣١ .

المسلمون اول من قال باباطال-التنجيم المبني على الوهم ومالوا لعلم النجوم نحو الحقائق المبنية على الرصد والمشاهدة والاختبار» (٣٤٤) .

وقد انشأ المأمون مرصدا في الشماسية ببغداد وكان أساس تقدم العرب في النجوم يرجع الى المراصد التي اقاموها والأجهزة التي ابتكروها ، على ان معظم المعدات الفلكية التي استخدموها مثل الأسطرلاب (٣٤٥) كانت في الغالب مبنية على النماذج اليونانية ، وأجريت حسابات دقيقة في الفلك ، وعلى فروض تفرض لتقليل ما يرى من الظواهر الفلكية (٣٤٦) .

كان سند بن علي يهوديا واسلم على يد المأمون ، وهو منجم فاضل عالم بتفسير النجوم وعمل آلات الارصاد والأسطرلاب وندبه المأمون الى اصلاح آلات الرصد ، وأن يرصد بالشماسية ببغداد (٣٤٧) .

ومن النتائج أن العرب اخذوا يقرنون العلم بالعمل فتقدم عملوا آلات الرصد ، وانشأوا المراصد في كثير من البلدان اقدمها المرصدان اللذان أمر المأمون بانشائهما ، كان احدهما في الشماسية ببغداد والثاني على جبل قاسيون بدمشق وجهاز المرصدان اللذان صنعها الفلكيون واخذوا يرصدون الكواكب ودونوا ملاحظاتهم ومشاهداتهم فكانت دقيقة الى حد ما (٣٤٨) .

واقام المأمون مرصدا لرصد الكواكب في بغداد وعين نور الدين الطوسي مديرا للمرصد الذي يشرف على متابعة حركات الأقمار والكواكب وزوده بالآلات الرصد التي يحتاج اليها ، وكان هذا أول اهتمام العرب بعلم الفلك وبإقامة مرصد بغداد ، بدأ سير العرب في الطريق الايجابي نحو نهضة علم الفلك ،

(٢٣٤) المرجع نفسه ص ١٩٥ .

(٢٣٥) الأسطرلاب : هي كلمة يونانية (الأسطرلابون) و « أسطر » هو للنجم . و « لابون » من المرأة ، ومن ذلك قيل لعلم النجوم « أسطرونوميا » ومنها (Astronomy) . واطلقت هذه الكلمة « أسطرلاب » على عدة آلات فلكية تنحصر في ثلاثة أنواع رئيسية : بحسب ما اذا كانت تمثل مسقط الكرة السماوية على سطح مستو أو مسقط هذا المسقط على خط مستقيم أو الكرة بذاتها بلا أي مسقط ما . (دائرة المعارف الاسلامية) محمد ثابت الفندي وزملاؤه ، الترجمة العربية ، مجلد ٢ سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م ، ص ١١٤ .

(٢٣٦) د . عبد الحليم مفتاح : تاريخ العلم عند العرب ص ١٠٨ .

(٢٣٧) د . أحمد فؤاد الأهراني : الكندي فيلسوف العرب ص ٤٨ .

(٢٣٨) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٦ .

فاجتمع في ذلك المرصد حشد من كبار العلماء ، دأبوا على تسجيل أرصاد لمختلف الظواهر الفلكية بصفة مستمرة . وذلك لأول مرة في تاريخ علم الفلك وكانت تلك الأرصاد تؤخذ بطريقة جماعية حتى أصبح من أشق الأمور علينا بالمقارنة بين هذا وذاك إلا بالمؤلفات الخاصة لكل منهم أو بالمنصب الذي كان يتولاه . ومن بين فلكيي المأمون أبو الطيب سند بن علي الذي أشرف على بناء المرصد ثم جعله الخليفة رئيسا لفلكيين الذين يقومون بأرصادهم تحت ملاحظته . ولما أمر المأمون بقياس محيط الأرض سار على رأس مجموعته إلى صحراء سنجار بالعراق حيث عاثوا مشاق السير على اقتدامهم أكثر من ستين ميلا لتحقيق ذلك الغرض العلمي ، وينسب المؤرخون إلى سند بن علي الجداول الفلكية ، وإن كان المرجح أنها من حساب نخبة الفلكيين في ذلك المرصد^(٢٣٩) .

وقد جمع الخليفة المأمون ببغداد علماء الفلك وعقد لهم مجالس علمية . وعمل في دار الرصد للمأمون بالشمسية عدة فلكيين منهم : « سند بن علي المنجم للمأمون » وقد امتحن مواقع الكواكب ، ولسند زيج مشهور ظل المنجمون يعملون به إلى القرن السابع الهجري . واشتغل أيضا به « العباس بن سميذ الجوهري » منجم . وحقق مواضع بعض الكواكب السيارة . أما « يحيى ابن أبي المنصور المنجم » فقد عمل بالرصد وإصلاح آلاته ، وله تصانيف كتاب «الزيج الممتحن» . كما عمل به « أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني » وله كتاب « المدخل إلى علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم » . ثم اشتغل أبناء موسى بن شاكر الثلاثة في هذا المرصد^(٢٤٠) .

وأبناء موسى بن شاكر الذين عاشوا في القرن التاسع من الميلاد هم من علماء الفلك أيضا ، فقد عنوا بضبط لم يكن معروفا قبلهم هو مبادرة الاعتدالين ، ووضعوا التقاويم لأمكنة النجوم السيارة ، قاسوا عرض بغداد سنة ٩٥٩ م وقيده ٣٣ درجة و ٢٠ دقيقة أي برقم يصح بعشر^(٢٤١) ، وفي « باب الطاق » على نهر دجلة في بغداد أقيم مرصد مارس فيه أبناء موسى أعمالهم النافعة والكشف عن مكونات المعلوم .

كما اهتم الخليفة المأمون برعاية العلماء فتمهد أبناء العالم موسى بن شاكر

(٢٣٩) د . امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٨ .

(٢٤٠) ابن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٢٨ ، ٢٣٠ .

(٢٤١) جوستاف لويون : حضارة العرب ص ٤٥٧ .

وأولاده فكان موسى بن شاكر عالم الفلك العربى المبدع بدار السلام « بغداد » فى عهد الخليفة العباسى المأمون وكان فى قصره مقربا ومكرما وصديقا حميما له ، بل ومن اقرب المقربين اليه ، ورغم مكوثه بقصر الخليفة ، وهو الذى كان من احسن علماء الفلك آنذاك قد امضى حياته بالبحث والدرس وعندما حضرت وفاة موسى ابن شاكر ، كان قد خلف من بعده ثلاثة من اولاده^(٢٤٢) .

ونشا الاولاد الثلاثة فى بيت كله علم وجو مشبع بالمناقشات الكثيرة بين العلماء ، وكان يحيى بن أبى منصور يدير « بيت الحكمة » فى بغداد ، وترعرع الأبناء الثلاثة فى هذا الوسط العلمى ، فنبغوا نبوغا ملحوظا^(٢٤٣) .

وقد عظم شأن محمد بن موسى الذى ما كاد ينهى دراسته حتى امره الخليفة ان يساهم فى قياس حجم الكرة الأرضية فتنقل فى شمال العراق ليقوم بما كلف به ونجح فى مهمته واصبح أشهر رجال عصره فى دقة أبحاثه الفلكية وقام بحساب شروق وغروب الكواكب حسب الأيام والسنين ، كما تعاون مع أخيه أحمد فى صناعة الآلات الفلكية التى استخدمها لقياس الأجرام السماوية فكانت الآلة التى ابتكرها عبارة عن كرة تتحرك بفعل ما ، ورسمت على الكرة الأجرام والكواكب ، واذا اختفى نجم من النجوم فى السماء يختفى فى الوقت نفسه النجم المرسوم على الكرة عن طريق خط يمثل الأفلاك وعندما يعود النجم فى السماء يظهر النجم على الكرة فوق خط الأفق المرسوم^(٢٤٤) .

ومع ذلك فان للبيرونى فضلا كبيرا فى بناء المراصد العلمية فى بعض المدن الاسلامية التى ساعدت على أن تكون المراصد أمثلة للتحقيق العلمى والوصول الى معلومات فلكية . كما عمل البيرونى على اعادة قياس خط العرض فى عدة مدن من اقليم خوارزم باستعمال أجهزة مختلفة الحجم^(٢٤٥) .

وقد اعترف الأفرنج بأن العرب ، اتقنوا صناعة هذه الآلات^(٢٤٦) وجاء فى

(٢٤٢) محمد رجب الساهراوى : علم الفلك عند العرب ص ٩٥ .

(٢٤٣) د. عمر فروخ : (تاريخ العلوم عند العرب) . (دار العلم للملايين - بيروت - لبنان

١٩٧٧ م) ص ٥٨ .

(٢٤٤) محمد الحسينى عبد العزيز : الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ص ٥٨ ، ٦٠ .

(٢٤٥) د. حسين أمين : (البيرونى عالم ساهم فى تقدم العلوم) مجلة المؤرخ العربى - بغداد -

العراق ع ١ (١٩٧٥ م) ص ١٥ .

(٢٤٦) ارنولد توماس وآخرون : تراث الاسلام ، ترجمة جرجيس فتح الله ص ٣٩٥ .

كتب العرب : « ابا اسحاق ابراهيم بن حبيب الفزارى » من فلكى المنصور اول من عمل اسطرلابا واول من ألف فيه كتابا سماه « العمل بالاسطرلاب السطح » ويقال ان « ما شاء الله » ألف كتابا في ذلك وفي ذات الحلق .

وجماع القول ان للعرب فضلا كبيرا على الفلك فهم : اولا : نقلوا العلوم الفلكية عند اليونان والفرس والكلدان والسريان وصححوا بعض اغلاطها وتوسعوا فيها ، وهذا عمل جليل جدا اذا عرفنا ان اصول تلك الكتب ضاعت ولم يبق منها غير ترجماتها في العربية . وهذا طبعا ما جعل الأوروبيين يأخذون هذا العلم عن العرب — أساتذة العلم فيه — . ثانيا : في اضافاتهم الهامة واكتشافاتهم الجليلة التى تقدمت بالفلك شوطا بعيدا . ثالثا : في جعلهم علم الفلك استقرايا وفى عدم وقوفهم عند حد النظريات كما فعل اليونان . رابعا : في تطهير علم الفلك من أدران التنجيم^(٢٤٧) .

وقد أخذ خلفاء بنى العباس منذ اتخاذهم مدينة بغداد التى اقيمت سنة ٧٦٢ م عاصمة لدولتهم ، يحثون على دراسة علم الفلك والرياضيات وعلى ترجمة ما ألفه أقليدس وأرشميدس وبطليموس وترجمة كتب اليونان فى تلك العلوم ويستدعون العلماء الذين كانوا على شىء من الشهرة فى بلادهم . وخاصة محبى العلم ان يجمعوا هذه الكتب فى أماكن خاصة سميت « بيت الحكمة » أو دار الحكمة أو خزانة الحكمة^(٢٤٨) .

وأدت مدرسة بغداد الفلكية فى زمن هارون الرشيد وفى زمن ابنه الخليفة المأمون على الخصوص أعمالا مهمة وأدمجت مجموعة الأرصاد التى اشتمل أمرها فى المراصد ببغداد فى كتاب « الزيج المصحح » الذى نأسف على ضياعه^(٢٤٩) . وبقيت مدرسة بغداد الفلكية مزدهرة لمدة (سبعة قرون) كما أدت أعمالا جليلة مهمة وأدمجت مجموعة الأرصاد التى تم أمرها فى المراصد ببغداد ودمشق فى كتاب « الزيج المصحح » وقد عين العرب فيه مدة السنة بالضبط .

ووضع فلكيو هذه المدرسة ، عددا من التقاويم لأمكنة الكواكب السيارة ،

(٢٤٧) تدرى حافظ طوقان : فرائد العرب العلمى فى الرياضيات والفلك من ١٢٨ .

(٢٤٨) د . نافع توفيق عبود : (فى تاريخ الترجمة عند العرب) مجلة المؤرخ العربى ع ١٠

(١٩٧٩ م) ص ٢٣ .

(٢٤٩) جوستاف لوبيون : حضارة العرب من ٤٥٦ .

وتعيينهم بالضبط مبادرة الاعتدالين . ففاسوا (خط نصف النهار) الذى لم يوفق اليه الأوروبيون الا بعد « الف سنة » !! وهكذا ظلت هذه المدرسة منارة للدارسين ومنهلا عذبا للطلابين من بعد سنين ، وظلت كتب التراث هذه المدرسة البغدادية . ويجب ان نذكر ان مدرسة القاهرة الفلكية قد نافست مدرسة بغداد من حيث العناية بالفلك ، وانشاء المراصد ، وقد عول العالم ابن يونس المصرى فى ارساده على ارساد (بنى موسى بن شاكر البغداديين) (٢٥٠) .

ومن هنا نجد ان العلاقة قوية بين الرصد المأمونى فى دمشق وفى بغداد ، حرص الخلفاء فى الدولة العباسية (٢٥١) بأن دولتهم دولة اسلامية مهمتها الأولى هى المحافظة على الاسلام والدعوة له والحرص الشديد على القضاء على كل حركة تمس العقيدة الاسلامية ويفتحون أبوابهم للمسلمين من كل جنس . فأضفى الازدهار العلمى على عهد الرشيد حالة من المجد حتى اعتبره الناس من ازهى العصور ، وتوج ابنه المأمون تشجيعه للفكر برعايته « دار الحكمة » كجامعة اسلامية عظيمة عمل فيها المترجمون على نقل ثمار الفكر الى العربية . وقد وصف أحد المؤرخين هذا الازدهار بقوله : « كانت أيام الرشيد كلها كأنها من حسناتها أعراس » .

(٢٥٠) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٨٩ .

(٢٥١) د. حسين مؤنس : تاريخ الدولة العربية الاسلامية فى العصور الوسطى ص ١١٧ ، ١٢٧ .

الباب الرابع



الفصل الأول : بيت الحكمة كمؤسسة علمية وحركة الترجمة
فيها *

الفصل الثاني : الحياة العلمية ونشاط الترجمة في بيت الحكمة *

الفصل الثالث : العلاقة بين مؤسسة بيت الحكمة والحكومة
والعلماء الذين عملوا فيها *

الفصل الأول : بيت الحكمة كمؤسسة علمية وحركة الترجمة فيها.



أولا :

١ - العلوم الإسلامية في بيت الحكمة ، مثل :

- علم الكلام •
- علم الفلسفة •
- علم الطب •
- علم الكيمياء •
- علم المنطق •
- علم الرياضيات •
- علم الفلك والتنجيم •

أولا - العلوم الإسلامية في بيت الحكمة :

أولا - علم الكلام :

ومن العلوم التي ازدهرت في بغداد في العصر العباسي الأول علم الكلام وهو يتضمن الحجاج من العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعين والمنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة . وأساس هذه العقائد الإيمانية تكمن في التوحيد ، ويقدم في برهان عقلي^(١) .

وكان أهل الحديث يرون أن مناقشات المتكلمين وآراءهم بدعة لأن الإيمان عندهم هو الطاعة ، وقد غلا خصوم المتكلمين ، فرمواهم بالزندقة ، وقالوا : علماء الكلام زنادقة ، والحق أن مناقشات المتكلمين انعشت الحياة الثقافية في بغداد ، ولكن ظهرت مشكلة كما سنرى - أثارت جدلا كثيرا بين المتكلمين وأهل الحديث وهي مسألة القول بخلق القرآن ، هل هو مخلوق أم قديم ؟ ولذلك كانت أهمية المتكلمين في الرد على أهل البدع والضلالات ، فدوّنوا الأدلة العقلية دفاعا عن الدين^(٢) .

لاقى المتكلمون - وقواهم المعتزلة - معارضة شديدة في بغداد لأنهم آمنوا بسلطان العقل وتحكيمه في كل الأمور ، وقد استخدموا ما توصلوا إليه من تقدم علمي خصوصا في الفلسفة والمنطق في آرائهم الدينية ، وهاجموا أهل السنة بشدة وضراوة - وأثاروا مسائل كثيرة في الإلهيات والطبيعات والسياسيات ، وكان لهم مقدره كبيرة على الجدل والافتناع والحوار بمهارة فائقة^(٣) .

وأضعف من شأن المتكلمين في العصر العباسي الأول في بغداد معارضة الخلفاء العباسيين الأوائل للاعتزال ، فكان عمرو بن عبيد من أبرز المعتزلة في عصر المنصور ، يتجنب المنصور ، لأنه يدرك مدى معارضته المعتزلة^(٤) .

كذلك كره الرشيد المعتزلة فلما أدرك أن الشاعر العتابي من المعتزلة عظم عليه ذلك وأنكره ، ولما أدرك أن الرشيد يعتزم التنكيل به غادر بغداد ، ولم

NLCHOLSON : Alitrary History of Persia, p. 337.

(١)

(٢) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ٨٩ ، ٩٠ .

(٣) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الإسلامية الكبرى ص ٢٦١ .

(٤) ابن قتيبة : عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٧ .

يكن للمتكلمين الحرية في عهد الرشيد في ابداء آرائهم فقد نهى عن الجدل في الدين وزج من خلف ذلك في السجن^(٥) .

واستمرت فكرة الاعتزال تلقى التأييد السياسى من الخلفاء العباسيين وخاصة المأمون ، فالمعتزلة قد ارتفع شأنهم وانتعشوا في عهده لأنه أيد المعتزلة واعتنق مبادئهم وسار المعتمد على نهجه كما أن الواثق كان يؤمن بآراء المعتزلة . ويجمع المؤرخون على أن بشر بن المعتز مؤسس الاعتزال في بغداد غضب الرشيد منه فقال : بلغنى أن بشرا يقول : القرآن مخلوق ، والله إن أظفرنى الله به لأقتلنه ، فقام بشر متواريا أيام الرشيد^(٦) .

وقد تتلمذ عليه كثيرون مثل أبى موسى الردار وثامة بن الأثرس وأحمد بن أبى داود وكانت له صلات قوية بالمأمون^(٧) . وأما أبو موسى فيرجع اليه الفضل في انتشار الاعتزال في بغداد ، ومن أشهر المتكلمين في بغداد أبو الهذيل العلاف ، يرجع اليه الفضل في اخال الفلسفة على مبادئ المتكلمين ، كان واسع الاطلاع فصيح القول قوى البيان ، يستشهد بالشعر العربى في مناظراته ، درس الفلسفة اليونانية واستفاد منها في مناقشاته وابداء آرائه وقد جادل الزنادقة والمجوس وضعاف العقيدة وبلغ من قوة اقناعه وتأثيره أن أسلم على يديه ثلاثة آلاف رجل^(٨) .

كما أن أحمد بن يحيى الراوندى ، كان من الفضلاء في عصره ، وله عدة كتب في علم الكلام تزيد على المائة ، وقد انفرد بآراء نقلها عنه أهل الكلام في كتبهم^(٩) .

وكان النظام واسع الأفق ، متعدد الثقافات قوى الحجة ، مقنعا قوى التأثير ، تتلمذ على أبى هذيل العلاف الذى لعب دورا كبيرا في مناهضة البدع والخرافات التى تفشت بين الناس في بغداد ، اتبع الأسلوب العلمى في اثبات صحة آرائه ، ودافع عن الاسلام بالمنطق والبرهان القاطع وأظهر للملحدين والخارجين

(٥) الجهمياري ، محمد بن عبدوس : (ألوزراء والكتاب) . (مطبعة البابى الحلبي - مصر

١٩٣٨ م) ص ٢٩٠

(٦) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٧) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٧٧ .

(٨) ديبور : تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٥٧ .

(٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٧٨ .

على الدين خطأ اتجاهاتهم بالأدلة المقنعة . فالنظام استاذ الجاحظ وقد شابه استاذ في اعتماده على النقل وسعة اطلاعه ودراسته للفكر اليونانى وسعة ثقافته^(١٠) .

وكان علم الكلام هذا ارهاصا للفلسفة ، وأهم فرق بين علم الكلام والفلسفة ان المتكلم يؤمن أولا بدينه ثم يتلمس الدلائل والبراهين الفلسفية لتقويته والدفاع عنه ، والرد على مخالفيه ، أما الفيلسوف : فيدخل في هذه المسائل مجردا عن كل اعتبار وهو طوع الدليل حيثما يكن ، وكان طبيعيا ايضا ان تكون الكراهية سائدة بين المتكلمين والفلاسفة كما فعل الجاحظ مع الكندى الفيلسوف^(١١) .

وكان المعتزلة من أشد الطوائف الاسلامية دفاعا عن الدين وتحمساً له ، لذلك فانهم لما وجدوا اليهود والنصارى يدمجون الدين والفلسفة ويتخذون منها سلاحا قويا للدفاع عن ديانتهم ووجدوا أنهم لا يستطيعون مجاراتهم في ذلك المضار الا اذا تسلحوا بسلاحهم ، فأقبلوا على درس الفلسفة^(١٢) وتعمقها حتى يتوفر لهم ذلك السلاح الذى يستطيعون به دعم آرائهم وتجلية افكارهم . يقول المقرئى : ان المأمون قد بعث الى بلاد الروم من عرب له كتب الفلاسفة فتلقاها المعتزلة واقبلوا على تصفحها والنظر فيها فاشتد ساعدهم بها^(١٣) .

ومن هنا ايضا كان المعتزلة هم أول مدرسة فكرية في الاسلام وضحت في آرائهم ومناهج تفكيرهم الملامح الأصلية للفلسفة اليونانية^(١٤) . فقد جاء في تاريخ بغداد : أن بشر المريسى ، وهو أحد كبار المعتزلة الداعين الى القول بخلق القرآن كان يهوديا صباغا في الكوفة^(١٥) . ولكن لم يكد المأمون يلى الخلافة حتى كادوا « المعتزلة » يستأثرون دونه بالسلطان ، فلقد أحبهم المأمون حبا عميقا ووثق في آرائهم ومبادئهم ثقة جعلته يستن القوانين ضد من لا يؤمن بها فلقد أنشأ مجلسا قضائيا لكى يحصل على موافقة رجال الدين والقضاء وأئمة القانون على القول بخلق القرآن ومن كان يعارض ذلك يجلد ويهدد بالسيف^(١٦) .

(١٠) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(١١) أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ٢ ص ١٢٩ ، ١٣٠ .
(١٢) CIBB, H. (Muhammedanism) p. 29 (Oxford, 1949).

(١٣) المقرئى : الخطط ج ٤ ص ١٨٣ .

(١٤) د. عبد الحكيم بليغ : أدب المعتزلة في القرن الرابع الهجرى ص ١٠٣ .

(١٥) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٧ ص ٦١ .
(١٦) NILCHOLSON : A literary History of the Arabs.

لقد انتصر المأمون لآراء المعتزلة أيما انتصار ، وتشدد في التمسك بها وحمل الناس عليهم الى حد التعسف والاضطهاد والتهديد بالسيف كما سبق . وقد أثبت الطبري كتابا وجهه المأمون الى رئيس شرطته ببغداد يأمره بأن يمتحن الفقهاء ، وأهل الحديث في خلق القرآن . وقد تضمن هذا الكتاب دفاع المأمون عن هذه القضية ، وإن الخليفة وحده له حق الاجتهاد في اقامة دين الله وإن العامة والرعية أهل جهالة وعى عن حقيقة الدين^(١٧) .

ولقد كان المأمون محبا للحكمة شغفوا بالعلم والفلسفة فرعى دار الحكمة كمؤسسة علمية وحشد اليها الكثير من مختلف الكتب في الفلسفة والمنطق والطب وغيرها^(١٨) .

وشجع حركات الترجمة تشجيعا جعل عصره ازهى عصورها لذلك لم يكن غريبا أن يقبل المأمون على تعاليم المعتزلة ، وأن يروج لها ويدعو اليها وهو الذى شغف بالعلم ومجد حرية العقل^(١٩) .

وعلى هذا النحو أصبح العقل العربى في العصر العباسى الأول عقلا متقلسا كما أصبح عقلا علميا . لا من حيث فهمه وفقهه علوم الأوائل بل أيضا من حيث اسهامه فيها باضافاته الجديدة حتى ليضيف علوما لأول مرة في تاريخ الحضارة الانسانية على نحو ما اضاف الخوارزمى علم الجبر وكان هذا العقل قد أظهر نضجه العلمى وأحكامه لوضع العلوم منذ القرن الثانى للهجرة^(٢٠) ، ولعل علما لم يزدهر في هذا العصر كعلم الكلام .

ويراد بالكلام الجدل الدينى فى الأصول العقيدية لا عند المسلمين وحدهم ، بل عند جميع الملل والنحل ، ومن أجل ذلك نرى الوصف بالمتكلم يضاف الى بعض الرافضة مثل هشام بن الحكم وشيطان الطاق^(٢١) . بل نراهم يضيفونه الى أهل

(١٧) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير : (تاريخ الرسل والملوك) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م ، ١٩٦٣ م ، وطبعة الصينية - القاهرة ١٣٢٦ هـ) ج ١٠ ص ٢٨٢ .

(١٨) المقريزى : الخطط ج ٤ ص ١٨٣ .

(١٩) د. عبد الحكيم بليغ : أدب المعتزلة ص ١٥٤ .

(٢٠) د. شوقي ضيف : العصر العباسى الأول ص ١٣٢ .

(٢١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٠ .

الحجاج من المسلمين^(٢٢) . بل لقد اضافوه الى اهل الجدل من المنائية والثنوية والقاتلين بالهوى والنور والظلمة الذين يحامون ويناضلون عن عقيدتهم الفاسدة^(٢٣) .

وقد مضى كل متكلم مدافع عن عقيدة هذا العصر يتسلح في دفاعه بالفلسفة اليونانية وما يتصل بها من منطق وغير منطق حتى ليقول الجاحظ « ولا يكون المتكلم جامعاً لأفكار الكلام متمكناً في الصناعة حتى يكون الذى يحسن من الكلام الدين في وزن الذى يحسن من كلام الفلسفة »^(٢٤) .

وكانت هناك قضايا عدة اختلفت فيها آراء علماء الكلام ، ومن أهم هذه القضايا ، قدم العالم وحده ، وذات الله وصفاته ، ورؤية الله يوم القيامة ، والجبر والقدر ، وخلق القرآن ، وتعتبر قضية خلق القرآن من أعقد القضايا التى أثارت نقاشاً عنيفاً بين علماء الكلام ، واضطهد بسببها عدد من أهل السنة من أمثال الامام « أحمد بن حنبل » الذى رفض أن يقول بخلق القرآن^(٢٥) ، ودخل السجن بسبب ذلك .

وصفوة القول : ان مدرسة المعتزلة تمثل في الفكر الاسلامى الطبقة المثقفة الواعية المدافعة عن الاسلام ، فقد كان منها علماء الكلام المتبحرون وأدباء نبهاء وائمة في النحو وأعلام في التفسير ويهمننا هنا بخاصة مفسرو المعتزلة الذين أسهموا في خدمة القرآن والذين تشير مؤلفاتهم الى الثروة الفكرية الضخمة الضائعة على هذا النشاط العقلى الذى أوتيته مدرسة الاعتزال فواصل بن عطاء له من التصانيف معانى القرآن^(٢٦) .

ولا شك أن حركة المعتزلة الفكرية أحدثت أثراً كبيراً في التفكير الاسلامى بخاصة وفي الفكر الانسانى بعمامة لما أثبت به من أفكار وآراء تستند الى العقل وتفسر الحوادث والظواهر والأفعال الانسانية بالروح العلمية وبالأسلوب المنطقى

(٢٢) الجاحظ : (ثلاث رسائل) وتسمى (رسائل الجاحظ) . (باعثناء فنكل ، القسامة

١٣٤٤ م) ص ٥٠ .

(٢٣) لبن النعيم : الفهرست ص ٣٣٨ .

(٢٤) الجاحظ : الحيوان ج ١ ص ١٣٤ .

(٢٥) د . عمر فروخ : (تاريخ الفكر العربى الى أيام ابن خلدون) ، (المكتب التجارى ، بيروت

— لبنان ط ٢ ١٩٦٢ م) ص ٢٠٢ .

(٢٦) ياقوت الحموى : معجم الأديباء ج ١٩ ص ٢٤٧ .

المعتمد على قوة الحجة والاقناع وكان ذلك عاملا مهما في نشر الأفكار الحرة^(٢٧) وعملت على ازدهار الحركة العلمية .

كما تعد حركة المعتزلة من أهم الحركات الدينية التي ظهرت في العصور الإسلامية ، وقد ازدهرت هذه الحركة في عصر المأمون العباسي الذي واصل المعتزلة في القول بخلق القرآن ، واستخدم نفوذه في إقرار هذه العقيدة في أذهان الناس^(٢٨) وهي مشكلة خلق القرآن ، تلك المشكلة التي شغلت المأمون أكثر مما شغلت المتكلمين وعنى بها المأمون نفسه كما عنى بها المسلمون ووقف يناصب العداء كل من خالفه ويسومه سوء المذاب^(٢٩) .

وعلى الرغم من الفتن والثورات التي ملأت عهد المأمون فإن عصره يعتبر من ازهى عصور الدولة العباسية من الناحية العلمية فقد اهتم بالمسائل العلمية والفلسفية ، وشجع النهضة الفكرية ونشر العلوم ، فزود دار الحكمة بمختلف أنواع الكتب من الهند وبلاد الروم والفرس حتى أصبحت بيت الحكمة أشبه بجامعة علمية تضم دارا للكتب يجتمع فيها شيوخ العصر للترجمة والتأليف والتحصيل ، كما خصص فيها مواضع للنساخين^(٣٠) . فأصبحت بيت الحكمة مؤسسة علمية وحركة الترجمة فيها تسير على قدم وساق ، كما كان علم الكلام أحد العلوم الإسلامية فيها .

(٢٧) د. حسين أمين : (كتاب المستنصرية) مجلة المؤرخ العربي - بغداد - العراق ع ٤

(١٩٧٧ م) ص ١١ .

(٢٨) د. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص ٢١٣ .

(٢٩) الشيخ محمد الخضرى : تاريخ الأمم الإسلامية - الدولة العباسية : ص ٢١٠ ، ٢١٥ .

(٣٠) د. عبد العزيز سالم : (دراسات في تاريخ العرب - العصر العباسي الأول) (مؤسسة

الشباب - جامعة الاسكندرية ، بدون) ج ٣ ص ٩٠ .

ثانيا - علم المنطق :

المنطق مشتق من المنطق ، وهذه اللفظة تعال عند القدماء على ثلاثة معان : أحدها القول الخارج للصوت والثاني القول المركوز في النفس والثالث القوة النفسانية في الإنسان التي بها يميز التمييز الخاص بالإنسان دون سواه من الحيوان وهي التي بها يحصل للإنسان بالمعتقدات^(٣١) . وأن المنطق يعطى قوانين في المنطق بأنواعه الثلاثة المذكورة .

يقول ابن خلدون^(٣٢) : العلوم الطبيعية لازمة للإنسان من حيث أنه ذو فكر ، هذه العلوم عند العرب علوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على أربعة علوم : الأول علم المنطق ، وهو علم يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة بالمعلومات وفائدته تمييز الخطأ من الصواب فيما يلتبس الناظر في الموجودات ليقف على تحقيق الحق في الكائنات بفكره الحر ، ثم الناظر بعد ذلك أما في المحسوسات من الأجسام العنصرية المكونة منها من المعدن والنبات والحيوان والأجسام الفلكية والحركات الطبيعية والنفس التي انبعثت عنها الحركات ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي ، والعلم الإلهي هو علم ما وراء الطبيعة ، والعلم الرابع هو الناظر في المقابر ، ويشتمل على علم الهندسة وعلم الموسيقى وعلم الهيئة .

وللرازي كتب أخرى في المنطق والفلك والرياضيات نذكر بعضها من التي وردت في كتاب طبقات الأطباء وغيره من كتب التاريخ . وكتاب المدخل في المنطق^(٣٣) . وهكذا انبثقت العلوم اليونانية ، ولا سيما منطق أرسطو وانتشرت في بلدان الشرق الأدنى والأوسط على يد السريان سواء في ديارهم أو حواضرهم ، فازدهرت انطاكية ومن بعدها حران . وكانت حران حسب رأى مايرهوف « مركزا مهما للثقافة اليونانية في المناطق التي يتكلم أهلها الآرامية الشرقية . وكانت إلى جانب هذا نقطة مهمة للتبادل والاقتصاد — حتى أن آخر الخلفاء الأمويين مروان الثاني نقل الخلافة وأحيانا في أثناء خلافته إلى هذه المدينة »^(٣٤) .

(٣١) أبو نصر الفارابي : (إحصاء العلوم) تحقيق د. عثمان أمين (القاهرة ١٩٤٩ م) ص ٦٢ .

(٣٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٦٦ .

(٣٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٩٢ .

(٣٤) ماكس مايرهوف : (التراث اليوناني في الحضرة الإسلامية) ترجمة د. عبد الرحمن

بدوي ، (مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٤٠ م) ص ٧٠ .

وكان لمدرسة جنديسابور القريبة من البصرة أهمية كبيرة ، إذ كانت تدرس فيها الثقافة اليونانية الى جانب الثقافات الفارسية والسريانية والهندية . وقد استردت في هذه الحقبة شهرتها القديمة بفضل نشاط أسرة بختيشوع^(٣٥) .

وفي أوائل القرن الثالث — عندما انتقل الجاحظ من البصرة الى بغداد — نرى يوحنا بن ماسويه يهاجر من جنديسابور الى بغداد ، حيث جعله المأمون رئيسا لبيت الحكمة وقد تقلد عليه حنين بن اسحاق^(٣٦) .

ونستطيع أن نقصور قليلا كيف وصلت العلوم اليونانية ، ولا سيما المنطق منها الى الأوساط الاسلامية في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي أى الفترة التى نشأ فيها علم الكلام بمعناه الدقيق على يد المعتزلة . فكان هناك طريقان : الطريق الرئيسى يمر بجنوب فارس وأما الثانى الذى يمر بدمشق والكوفة وربما بالبصرة أيضا فلا نعرف عنه الا اشارات طفيفة^(٣٧) .

وفي العصر العباسي رأينا مظهرا آخر — رأينا العلوم الدينية تفيض فيضاً في المملكة الاسلامية فتترجم الفلسفة اليونانية بجميع فروعها من طب ومنطق وطبيعة وكيمياء ونجوم ورياضة ، وتترجم الرياضة الهندية ، والتنجيم الهندي ، ويترجم تاريخ الأمم من فرس ورومان ويونان وغيرهم^(٣٨) .

فتحولت الدعوة الدينية الى علم الكلام ، وتأثر تفسير القرآن وتفسير الحديث والتشريع بهذا الأثر الفلسفي ، ورأينا العلماء يجتهدون في شرح كل ما يعرض لهم من ذلك بعلل عقلية وعبارات منطقية ، وإذا كان هذا في العلوم الدينية فالأمر في العلوم الأخرى أشد وضوحاً ، فالطب والرياضة والهيئة وغيرها اعتمدت كل الاعتماد على التجارب وأقوال العلماء وبراهين المنطق وهذه على العموم ظاهرة جديدة في العصر العباسي وان كانت النتيجة طبيعية لحياة الناس وسيرهم العقلي . فقد ميزت العلوم في هذا العصر وجمعت مسائل كل علم على حدة ، بل وضعت المسائل المتشابهة تحت باب واحد^(٣٩) .

(٣٥) الأب فكتور شلخت اليسوعي : (النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ) (دار المعارف بمصر

١٩٦٤ م) ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٣٦) المرجع نفسه ص ٥٧ .

(٣٧) اميرموف : التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ص ٦١ .

(٣٨) أحمد أمين : ضحى الاسلام : ج ٢ ص ٨ .

(٣٩) المصدر نفسه ص ٩ .

اهتم المأمون بالأدب والفلسفة والعلوم وحقق ما قيل من أن كل الحركات العقلية التي قامت في الأمصار الإسلامية يمكن أن ننسبها إلى عصر المأمون . ولما كانت أم المأمون فارسية ، فقد كان المأمون ميالا بالطبع إلى الثقافة والحضارة الفارسية وظهر هذا الميل بوضوح خلال إقامته في مرو في الفترة الأولى من خلافته^(٤٠) . فقد عمل على حفظ تراث الثقافة والحضارة الفارسية .

وقد أدت الاكتشافات العلمية والآراء الفلسفية إلى حرية الرأي والفكر إلى جانب تشجيع الخلفاء ، ولكن هذه الآراء الفلسفية جعلت علماء الدين من أجل أن يسايروا حاجات العصر يصفلون أسلحتهم ، فيحدثنا ابن خلدون أن الغزالي وفخر الدين الرازي كانا أول من استخدم المنطق في المناقشات الدينية . ورغم أنه درس كتب ابن سينا إلا أن شهرته فاقت شهرة استاذه ويعتبر كتاب (أحياء علوم الدين) أعظم كتبه قيمة ، وهو يشبه ديكارت في منهج الدراسة^(٤١) .

ولا شك أن المأمون بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة وإيمانه بحرية الفكر ، وميله إلى مذهب المعتزلة كان وراء ترجمة الفلسفة والمنطق وهذا راجع إلى إجلاله للحكام ورغبته في الاطلاع على آثارهم وقد سلك الأثرياء مسلك المأمون ، فاقبلوا على طلب الكتب وترجمتها ومن هؤلاء بنو موسى بن شاذان^(٤٢) .

يقول ابن صاعد : أن أول علم اعتنى به من علوم الفلسفة : المنطق والنجوم فأما المنطق فأول من اشتهر به عبد الله بن المقفع الخطيب الفارسي فإنه ترجم كتب أرسطوطاليس المنطقية الثلاثة التي في صورة المنطق ، وهي كتاب فاطاغورياس وكتاب « باري أرمنيانس » وكتاب « تولوطيكا » وذكر أنه لم يترجم منه إلى وقتنا إلا الكتاب الأول وترجم ذلك المدخل إلى كتاب المنطق المعروف « بابساجوجي » « لفرفوريوس الصوري » . وتميز عما ترجم من ذلك بعبارة سهلة قريبة المأخذ وترجم مع ذلك الكتاب الهندي المعروف « كيلة ودمنة » وهو أول ما ترجم من الفارسية إلى العربية^(٤٣) .

(٤٠) المسعودي : مروج الذهب ج ٨ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(٤١) صلاح الدين خردابخش : حضارة الإسلام ص ١٣٧ .

(٤٢) د. التسحات السيد زغلول : (الاتجاهات الفكرية في القصور) (الهيئة المصرية للعلم)

للكتاب - فرع الاسكندرية ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٤٣) ابن صاعد الأنطلي : طبقات الأمم ص ٥١ .

ان حركة النقل والترجمة هى تلك الحركة التى حببت الى المأمون الفلسفة
ووجهت عنايته الى المنطق وبعثت فى نفسه حب أرسطاطاليس حتى أصبح موضع
تفكيره فى يقظته ونومه^(٤٤) . وهكذا كان المنطق من العلوم الإسلامية التى كان لها
مكانتها فى بيت الحكمة .

(٤٤) د . أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ص ٣٩٨ .

ثالثا - علم الفلسفة :

لم تكن الثورة العباسية ثورة سياسية غيرت مفاهيم الحكم ووسائله فحسب بل كانت ثورة اجتماعية وفكرية أيضا لما أعقبها من تغيرات جذرية في المفاهيم الاجتماعية ونشاط حركة الترجمة والتأليف والابداع الفكرى فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى . ومن نتائج حركة النشاط العقلى هذه تبلورت المذاهب الفكرية الفلسفية السياسية وغير السياسية . فكان هناك من الصف الأول أهل السنة واصحاب الحديث والشيعة العلوية والخوارج ، ومن الصف الثانى المعقولة والمرجئة والشيعوية والدهرية والزنادقة وغيرهم . فكانت حلقات المناظرة والمجالس الكلامية والمناقشات فى المسجد والبيت والحلقة هى الظواهر البارزة فى تلك الفترة التى ولسع بها العامة من الناس قبل الخاصة وجدوا الى الاستمتاع بما يدور فيها من حوار عقلى وأدبى^(٢٥) .

لقد ساد العصر العباسى عقلية جديدة متفتحة جعلته من أخصب العصور الفكرية فى تاريخ الحضارة الانسانية ولعل مرجع هذه الحياة العقلية النشيطة يعود الى حقيقة كون الدولة الجديدة العباسية نتاج اقليمين من اخصب اقاليم الدولة العباسية حضارة هما خراسان والعراق حيث التقت حضارات قديمة وحديثة مختلفة وتفاعلت فانتهجت صراعا فكريا حادا كان لسه اكبر الأثر فى تكوين العقلية الحضارية المرننة^(٢٦) .

وكان للفلسفة شأن عظيم فى العصر العباسى ، فاشتغل بها أكثر الذين عنوا بعلوم القدماء ولا سيما الأطباء منهم . وكان الفلاسفة فى هذا العصر متهمين بالالحاد والتعطيل فكان الانتساب الى الفلسفة مرادفا للانتساب الى الكفر ، وشاعت النقمة على الخليفة المأمون ، لأنه كان السبب فى نقل الفلسفة الى اللغة العربية ، حتى قال فيه ابن تيمية : « ما أظن الله بغافل عن المأمون ، ولا بد ان يعاقبه على ما أدخله على هذه الأمة » .

ان الثورة العباسية التى جاءت بهذه التغيرات الجذرية كانت قبل كل شيء نصرا للإسلام والداعين الى الإصلاح الدينى . ومن هنا نشأت العلوم الاسلامية فى هذه الفترة جنبا الى جنت مع العلوم الأجنبية . فالعلماء العباسيون هم الذين

(٢٥) د. فاروق عمر : العباسيون الأوائل ج ٢ ص ١٣٣ .

(٢٦) المرجع نفسه ص ١٣٣ .

وضعوا المصادر الأساسية والمؤلفات المتنازعة في الدراسات القرآنية والفقه وعلم الكلام وقواعد اللغة والمعاجم والبلاغة والأدب من جهة ، وفي الفلسفة والعلوم والطب والجغرافيا ، وعلم الفلك والموسيقى من جهة أخرى (١٢٧) . فكان لانفتاح أبواب العلم الاسلامي على الفلسفة وقع بعيد المدى على حياته الفكرية والثقافية في القرن الثالث الهجري فهو اولا قد ولد حافزا الى تأنييس المفاهيم الاسلامية والعربية للانسان ، وعلاقته بالخالق والكون عن طريق التوفيق بين مفاهيم الخير والشر في الاسلام .

فالحياة الثقافية وليدة وعى ويقظة ، وثمره انطلاق وحرية ، ان الاسلام بعث في العالم العربي وعيا يقظا خلاقا واسبع عليه نعمة شاملة وحرية كاملة ، فتفجرت فيه عبقریات واستطاعت أن تقيم حضارة لها شأنها بين الحضارات الانسانية الكبرى ، يتنافس العرب والمسلمون جبيما في ميدان الثقافة ، فأنجزوا وانتجوا نواحي شتى في الأدب والفن ، وفي العمران والحضارة ، وفي العلم والفلسفة واسترعى انتباههم الأنظار وبهروا أوروبا في العصور الوسطى وأخذت تنهل من حياضه ومجاليه . ولم يبق اليوم شك في ان العلم والفلسفة لدى اللاتين مدينان للعلم والفلسفة عند العرب (٤٨) .

وكان يميز الحياة الفكرية في القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه المتنبي شيوع الفلسفة وازدهارها ، فاتبعت الفلسفة وأكثر العلوم العقلية منذ هذا العصر منهجا علميا وصار لها أسلوب مذهبى خاص وقد مشى معها علم الكلام ، وأقبل عليها المتأدبون (٤٩) .

ونحن نعلم أن فلسفة المسلمين انما نبعت من فلسفة الاغريق وخاصة المنطق بما نقل الى العربية منذ عصر المأمون من آثار اليونان ، ففهم علماء الاسلام هذه الفلسفة حتى عرّفوها واتقنوها فأخذوا يعلقون عليها ويحققون فيها وينشئون لهم فلسفة خاصة تتفق مع المنقول الاسلامي من آثار السلف وأعمال الخلف بها يسائر المعقول الجديد (٥٠) .

(٤٧) جون س . بادو وآخرون : عبقرية الحضارة العربية ينبوع النهضة ص ٢٨ ، ٦٩ .

(٤٨) المرجع السابق ص ٢٢٧ .

(٤٩) د . زكى المحاسنى : (المتنبي ، من نوابغ الفكر العربي) (دار المعارف بمصر ١٩٧١ م)

ط ٢ ص ١٧ .

(٥٠) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ١٦٠ .

وان تأثر الاعترال بالفلسفة اليونانية كان اظهر فى مدرسة بغداد من مدرسة البصرة لقوة حركة الترجمة فى بغداد ، لأن بلاط الخلفاء كان ملتقى رؤساء المسلمين برؤساء المفكرين من أهل الديانات الأخرى فنرى ثمانية بن الأشرس يقرر أن العالم نشأ عن طبيعة الله وقد كانت الحياة العلمية فى هذا العصر العباسى الثانى مزدهرة نامية اذ كانت الامارات الاسلامية تتبارى فى تجميل مواطنها بالعلماء والأدباء وتتفاخر بهم^(٥١) .

فكان العقليون يعظون فى المساجد ويحاضرون فى الكليات والمدارس ويقومون على تربية الشباب وتهذيبه كما كانوا أكبر مستشارى الخلفاء ولا ينكر أنهم نصحوا بحكمة وعملوا على رفع شأن الأمة العربية بوصفهم أساتذة ووعاظا وعلماء وأطباء ووزراء وولاة^(٥٢) .

نفى عهد المأمون بدا أبو يوسف يعقوب الكندى ، فيلسوف العرب نشاطه الفكرى ولم يقف عند التعريف بالفلسفة الأرسطوطاليسية والأفلاطونية عن طريق الترجمة والاقتباس ، بل عدا ذلك الى دراسات فى التاريخ الطبيعى وعلم الظواهر الجوية^(٥٣) .

وذاع صيته فى عهد المأمون والمعتصم ، لتعدد مواهبه وسعة علمه ، اذ الف فى الفلسفة والرياضيات والفلك والطب والسياسة والموسيقى ... الخ وكان ملما بلغة اليونان والفارس والهنود متبحرا فى العلوم والفلسفة واختاره المأمون لترجمة كتب أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان^(٥٤) .

فالكندى أول من احتذى حذو « أرسطوطاليس » كان ملما بحكمة الهنود فسر كثيرا من كتب الفلسفة ووضع بعض النظريات الفلسفية فى قالب مفهوم ، حتى أن كتبه فى المنطق وغيره لقيت اقبالا عظيما . « وله رسائل ومؤلفات فى علوم شتى نفقت عند الناس نفقا عجا ، وأقبلوا عليها اقبالا مدهشنا »^(٥٥) .

(٥١) أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ٢ ص ٢ .

(٥٢) سيد أمير على : روح الاسلام ج ٢ ص ٣١ .

(٥٣) ابن قتيبة : المسارف ص ١٠ .

(٥٤) سيد أمير على : روح الاسلام ج ٢ ص ٣١٣ .

(٥٥) أبو حيان التوحيدى : (القابسات) ، تحقيق ونشر حسن السقوبى « من مقسمة »

(القاهرة - المكتبة التجارية ١٩٢٩ م) ص ٥٨ .

واشتغل الكندي في « الفلسفة » وله فيها تصانيف ومؤلفات جعلته من المقدمين ويعتبرها المؤرخون نقطة تحول في تاريخ العرب العلمى والفلسفى ، اذ كانت في عهده وقفا على غير المسلمين والعرب ويعترف الأقدمون بأثره في الفلسفة وفضله عليها(٥٦) .

وقد حاول الكندي التوفيق بين الفلسفة والدين ، وقال ان الفلسفة علم الحق والدين ، وفي رايه أن الذى ينتكر للفلسفة انما ينتكر للحقيقة وهو من ثم كافر . ورايه فى حدوث العالم يختلف عن رأى أرسطو وهو فى ذلك يتبع تعاليم الدين الاسلامى ويجارى آراء المتكلمين فى عصره ، وبرهان الكندي قائم على معنى الزمان والحركة فهو يثبت أن كل ما فى العالم متحرك والحركة هى تبدل الأحوال .

وان كان الكندي قد أثر تأثيرا كبيرا فى الحياة العقلية الاسلامية ، فقد كان هذا العالم معلما ومؤلفا بلغ من الشهرة حدا بعيدا . وكان تأثيره الكبير عن طريق مؤلفاته القيمة فى علوم الرياضيات واحكام النجوم والجغرافيا والطب . وكان من أنبغ طلابه بن محمد الطيب السرخسى (ت ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م) وقد نبغ السرخسى فى الكيمياء واجتهد فى حكمة الخالق وقدرته فى عجائب مخلوقاته واشتغل بدراسة التاريخ والجغرافيا(٥٧) .

والكندى عقل من العقلات الاسلامية الفذة التى عملت على تحفيز المسلمين للأخذ بعلوم الأوائل والتعرف على افكارهم وآرائهم وقد قام بتقديم آرائه وافكاره الفلسفية التى بنى عليها أساس علمى ومنطقى وخلف تراثا حيا تفخر به المكتبة العربية كما تظهر بوضوح نضوج العقلية العربية والاسلامية(٥٨) .

ويتضح هذا بمقارنة العصر العباسى الأول بالثانى ففى الأول كان الفكر نشيطا يوم كانت الحرية مكفولة ، وفى الثانى مال الى الركود بعد أن اشتدت السلفية على أهل العلم ومنعوا من الاشتغال بالعلوم العقلية والفلسفة(٥٩) .

(٥٦) قحورى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الفلك والرياضيات ص ١٩٧٠ .

(٥٧) د. حسين أمين : الفلاسفة المسلمون الأوائل وآثارهم فى التراث الفكرى مجلة المؤرخ العربى - بغداد - العراق ع ٩ ص ١٤ .

(٥٨) د. محمد الهاشمى : (الفكر العربى وجذوره وثماره) ، (مكتبة الفلاح - الكويت - ١٩٧٨ م) ص ١٢٩ .

(٥٩) المرجع نفسه ص ١٢٩ .

وهنا يعلل الأستاذ المؤلف لماذا توفرت الحرية في العصر العباسي الأول ولم تتوفر في العصر العباسي الثاني منه ؟ ويعلل ذلك بأن المجتمع العربي آنذاك كان يعتمد في داخله تياران رئيسيان متباينان أو كما سماهما الدكتور محمد الهاشمي في كتابه « الفكر العربي جذوره وثماره » فريقين « فريق انحدر من بيئة صحراوية قاسية تميزت بشح الموارد وصعوبة العيش الى حد يعجز معه الفرد مهما بذل من جهد في تأمين حاجاته الضرورية » (٦٠) . وبذلك استولى عليه اليأس وفقد ثقته بنفسه واستسلم للقضاء والقدر ، وعاش عيشة راكدة ، محافظا « بأبى التطور والتحرر » ، ويرى فيها بدعة وضلالة « وفريق آخر له جذور عريقة في الحضارة عانس في بيئة غنية بالموارد لعمل وانتج وأفاد من عمله ونتاجه .. وبذلك نشأ نشأة مستقلة يعتمد على ذاته ويثق بقدراته وعقله الخلاق ويرى فيها مادة الحياة والوسيلة المؤدية الى التغيير والتطوير .. ، هذان الفريقان اللذان كانا القوة الدافعة في ذلك العصر كانا في صراع دائم (٦١) .

يقول الفارابي الفيلسوف : « ان أخص الخبرات بالانسان هو عقل الانسان ، اذ بالعقل صار الانسان انسانا (٦٢) . كما يحثنا على التعرف بوعى على تراثنا المجيد فان « المعرفة » هي أثمن شيء يملكه الانسان في هذه الحياة » (٦٣) .

وكان من أشهر المشتغلين بالفلسفة في بغداد يحيى بن عدى النصراني ، وكان رئيس المنطقة في زمانه أخذ العلم عن بشر بن متى وعن الفارابي ، وكان كثير الانتاج بما ينقل من السريانية الى العربية وبما يؤلف وبما ينسخ ، وقد مر احدى وثمانين سنة كان فيها حركة دائية ألف مقالات كثيرة في المنطق وفي الالهيات ومات ببغداد سنة ٣٦٤ هـ . ومن اشتهر بالفلسفة أيضا أبو على بن زرعه النصراني اشتهر بالمنطق وعلوم الفلسفة والنقل الى العربية ، اختصر كتاب أرسطو في المعبر من الأرض ، وألف كتاب أغراض كتب أرسطو المنطقية ، ومقالة في العقل ... الخ . مات ببغداد سنة ٣٩٨ هـ . وقد فضله أبو حيان على يحيى بن عدى فقال : « وأنه كان حسن الترجمة صحيح النقل كثير الرجوع الى الكتب — محمود النقل الى العربية » (٦٤) .

(٦٠) المرجع نفسه ص ٢٦٠ .

(٦١) المرجع نفسه ص ١٣٩ .

(٦٢) الفارابي : (التنبيه على سبيل الاسعاده) (طبعة الهند ١٣٤٦ هـ) ص ٢٢ .

(٦٣) د. محمد الهاشمي : الفكر العربي جذوره وثماره ص ١٠ .

(٦٤) أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

كما كان على رأس الفلاسفة أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (نسبة الى الري) مولده ومنشأه بالري وكذلك عسدفاه منها وان تنقل في بلاد كثيرة . وهو من اكبر فلاسفة المسلمين ومتفوقهم في الطب النظري والعمل والالهيات في الكيمياء والأخلاق . وقد ألف في كل ذلك كتباً كثيرة أوصلها بعضهم الى ما يقرب من مائتين^(٦٥) .

كما اشتهر من الفلاسفة في هذه البلاد أبو الخير الحسن بن موار المعروف بابن الخمار كان نصرانياً . وقد نقل كتباً كثيرة من السريانية الى العربية واشتهر بالطب ، كما ألف في المنطق والطب والالهيات . ثم الفيلسوف الأديب أبو الفرج على ابن الحسين بن هندو ، كان من تلاميذ ابن الخمار ألف في الطب وألف المدخل في علم الفلسفة . ووصل إلينا من كتبه «الكلم الروحانية» وهي مجموعة لطيفة من الحكم اليونانية كما كان شاعراً معدوداً من رجال البلاغة الممتازين^(٦٦) .

ولقد كان المؤمن محبا للحكمة شغوفا بالعلم والفلسفة في بيت الحكمة — وحشد إليها الكثير من مختلف الكتب في الفلسفة^(٦٧) والمنطق والطب وغيرها . وشجع حركات الترجمة تشجيعاً جعل عصره ازهى عصورها ، لذلك لم يكن غريباً أن يقبل المؤمن على تعاليم المعتزلة ، وأن يروج لها ويدعو إليها وهو الذي شغف بالعلم ومجد حرية العقل فنالت الفلسفة حظوة عنده^(٦٨) .

(٦٥) أحمد أمين : ظهور الاسلام ج ١ ص ٢٥٠ .

(٦٦) المرجع نفسه ص ٢٥١ .

(٦٧) المقرئى : الخط ج ٤ ص ٨٣ .

N.cholson : Literary History of the Arabs p. 308.

(٦٨)

رابعا - علم الرياضيات :

وقد برع العرب في العلوم الرياضية ، وأجادوا فيها وأضافوا إليها إضافات هامة أثارت الإعجاب والدهشة لدى علماء الغرب ، فاعترفوا بفضل العرب وأثروهم الكبير في تقدم العلم وال عمران . لقد اطلع العرب على حساب الهنود ، فأخذوا عنهم نظام الترقيم ، اذ رأوا أنه من النظام الشائع بينهم^(٦٦) . كما أن العلوم التي تفوق فيها الهنود وكانت لهم فيها قدم راسخة ومعروفة واسعة كالرياضة والتنجيم والفلك والطب والحساب ، وقد أخذ المسلمون من هذه العلوم وأفادوا منها قبل أن يتصلوا بالعلم اليوناني^(٦٧) .

وربما كانت الرياضة والفلك هي المادة الأولى التي سبق التأثير الهندي فيها التأثير اليوناني ، وإن كان من المحتمل أن يكون الهنود قد نقلوا هذه المادة ابتداء عن أصول^(٦٨) يونانية ، إلا أن المصادر تشير أن تأثير المسلمين بهذه العلوم قد جاء عن الهند بطريقة مباشرة ، فيقر « بروكلمان » أن الطب الهندي والطب اليوناني قد التقيا في بغداد على صعيد واحد . وإن هارون الرشيد قد استدعى إلى بغداد طبيباً هندياً اسمه « منكه » وإن البرامكة كانوا قد أمروا بنقل بعض كتب الطب الهندي إلى العربية^(٦٩) .

وقد قرر « ديبور » أن كتاب « السند هند » الذي ترجمه الفزارى إلى اللغة العربية قد عرف قبل أن يعرف كتاب الماجيستي لبطليموس^(٧٠) وقد سجل البيروني في كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة » أن العلم الهندي وبخاصة الطب والرياضة والفلك ، كان له الفضل في توجيه المسلمين إلى هذه المجالات .

وعندما رمى الخليفة المأمون « بيت الحكمة » عين محمد بن موسى الخوارزمي رئيساً لها وكتبه عن الجبر عنوانه « الجبر والمقابلة » (الحساب بالرموز) ومن الكلمة الأولى في هذا العنوان جاءت كلمة ALGEBRA (علم الجبر) ، ومن تصحيف اسم المؤلف الخوارزمي جاءت كلمة « لوغاريتم » وقد كتب جيرارد الكريمو

(٦٦) تدمرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٤٧ .

(٧٠) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٣ ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٧١) أولمى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٣٦ .

(٧٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ٣٩ .

(٧٣) ميبور : تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١٤ .

في ترجمة لهذا الكتاب : « بعد أن ظل حجر الزاوية في التعليم الرياضى الذى بنياه العرب الذين جاءوا بعده . نبه معاصريهم من الغربيين الأوائل الى روعة الحسابات الجبرية وفي نفس الوقت نبههم الى حساب الكسور العشرية » (٧٤) . ويقول الدكتور حسن الباشا : أبرز شخصية عربية في تاريخ الرياضيات محمد بن موسى الخوارزمى — ١٦٣ هـ / ٢٣٥ هـ — ٧٨٠ م / ٨٥٠ م وقد استخدم الخوارزمى في مؤلفاته الأرقام الهندية — العربية وبفضل هذه المؤلفات اخذ الأوروبيون نظام الأرقام التى يستعملونها الان حيث سميت باسمه في أول الأمر (Alcorisms) وكان الأوروبيون يستعملون قبل ذلك الأرقام اللاتينية التى لا تساعد على اجراء العمليات الحسابية المعقدة ومن ثم لم يتح لهم التقدم في الرياضيات الا بعد استخدامهم للأرقام التى يسميها العرب بالأرقام الهندية اعتقادا بأنهم نقلوها عن الهنود (٧٥) .

امتازت خلافة المأمون بالتقدم في الرياضة ، ولعل أبقى وأهم ما أسهم به العرب في العلم الغربى كان ادخال الأرقام والأعداد الأفرنجية الشائعة الآن ، فحتى القرن الثالث عشر الميلادى ، كان علماء الرياضيات في أوروبا ما يزالون يستخدمون الأرقام الرومانية القديمة المعقدة ، ولكن بمجرد ادخال الأرقام الأفرنجية حدث التقدم في العلم الرياضى (٧٦) .

وأول من أطلق لفظة جبر على العلم المعروف الآن بهذا الاسم وعنهم اخذ الأفرنج هذه اللفظة ALGEBRA وكذلك أول من ألف فيه بصورة علمية منظمة ، وأول من ألف فيه محمد بن موسى الخوارزمى في زمن المأمون فخلق كتاب الخوارزمى « في الجبر والمقابلة » منهلا نهل منه علماء العرب وأوروبا على السواء واعتمدوا عليه في بحوثهم واخذوا عنه كثيرا من النظريات — وقد أحدث أكبر الأثر في تقدم علم الجبر كما أحدث كتابه في الحساب بحيث يصح القول بأن الخوارزمى وضع علم الجبر وعلمه — وعلم الحساب للناس أجمعين (٧٧)

(٧٤) حيدر باهات : (اسهام المسلمين في الحضارة الانسانية) (دار المعرفة الجامعية — الأزاريطة الاسكندرية — بعون) ص ١٠٤ ، ترجمة د. ماهر عبد القادر محلة على ، وبعد القادر الجبواوى .

(٧٥) د. حسن الباشا : دراسات في الحضارة الاسلامية ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٧٦) أنطونى ناتنج : (العرب انتصاراتهم وامجاد الاسلام) ترجمة د. راشد البراوى (القاهرة — ١٩٤٧ م) ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٧٧) الخوارزمى ، محمد بن موسى : (مقحمة كتاب الجبر والمقابلة) مخطوط قمحه وعلق عليه الأستاذان مشرفه ومحمد مرسى (القاهرة ١٩٣٧ م) .

وُلِدَ كان من حسن نهضتنا العلمية الحديثة أن قبض الله الأستاذ د. على مصطفى مشرفة و د. محمد مرسى أحمد فنشرا سنة ١٩٣٧ م كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي عن مخطوط في مكتبة بودلين باكسفورد ، وهذا المخطوط كتب في القاهرة بعد موت الخوارزمي بنحو ٥٠٠ سنة . وقد عكفا عليه وأوضحا ما استغلخ من بحوثه وموضوعاته ، ولقد نشر الدكتوران الأصل العربي لكتاب الجبر والمقابلة لأول مرة ، وشروحا معنقا عليه في اللغة العربية فأسديا بذلك خدمة جليلة للتراث العربي وتاريخ العلم .

ومهما يكن من شيء فإن العمليات الحسابية لم تتطور تطورا كبيرا الا بعد استخدام العرب لهذه الأرقام ومن المعروف أن لفظة زيرو (Zero) في اللغة الانجليزية . ولفظة (Cipher) التي عرفت عند الانجليز قبلها بمائتي عام هي تحريف للفظـة « صفر العربية » ، وكان استخدام الصفر في الأرقام العربية مساعدا على التقدم في علوم الحساب والرياضيات . ومن أشهر أعمال الخوارزمي :

١ — الزيج المشهور الذي سبقت الإشارة اليه .

٢ — كتاب في الحساب ويعتبر من أقدم الكتب في علم الحساب ، ولم يصلنا الا نسخة مترجمة .

٣ — حساب الجبر والمقابلة وهو أقدم كتاب في الجبر ولا يزال الأصل العربي مفقودا . وقد نقل الى اللاتينية في القرن السادس الهجري وظل الكتاب المعتمد في الجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر الميلادي وبواسطته عرفت أوروبا علم الجبر وكذلك اللفظة نفسها (٧٨) .

يقول المستشرق الألماني جورج يعقوب : « هبة أخرى من هبات العقل الشرقي لا تقل أهمية عن اختراع الأبجدية وصلت أوروبا في العصور الوسطى وهي (نظام العدد العربي) الذي هو عبارة عن آخر بقايا الكتابة الفكرية في كتاباتنا الحالية . فالثابت أن الغرب لم يعرف الصفر قبل القرن الثاني عشر الميلادي ، بينما تحدثنا المصادر العربية أن المسلمين كانوا يعرفونه وكانوا يرسمونه حلقة والتعبير عن الصفر موجود في مصادر أخرى كثيرة منها كتاب النقط « لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني » (٧٩) .

(٧٨) د. حسن الباشا : دراسات في الحضارة الإسلامية ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٧٩) جورج يعقوب : (أثر الشرق في الغرب) ترجمة فؤاد حسنين على (القساعة ١٩٤٦ م)

وقد حاول نفر من العلماء أرجاع هذه الأعداد الى أصل غريب الا أن التوفيق خان أولئك الباحثين كما خان تلك الفئة التي عارضت الأبجدية^(٨٠) وهنسا نشير الى ما اثبتته المستشرق « نو » نقلا عن مخطوط باريس السرياني رقم ٣٤٦ مؤلفه « ساوير اساخت » في قوله : « ان العرب لم ينقلوا الأرقام الهندية من بلادها راسا وانما اخذوها عن السريان كما توصلوا الى علوم اليونان بواسطتهم »^(٨١) أيضا :

ويبلغ من اهتمام العرب بعلم الجبر أن الخليفة المأمون قد كلف محمد بن موسى الخوارزمي بوضع كتاب في هذا العلم وهذا الكتاب الذي نقله الى اللاتينية « روبرت الشيس تري » سنة ١١٤٥ م - وبذلك قدم العرب علما جديدا الى أوروبا - وظل هذا الكتاب مستعملا في المدارس والجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر^(٨٢) .

وهذا العلم اخترعه العرب في عصر الخلافة العباسية واستعمله بعض الأفرنج بلغظه ذكروا أن الخوارزمي أول من وضعه بشكل علمي ، وأول من ألف فيه آخر عصر العباسيين وبعده أبو كامل شجاع بن أسلم ، ثم جاء الناس على أثره وكتبوا فيه ، وكتبه في مسائله الست من أحسن الكتب الموضوعة^(٨٣) فيه .

ومن حق الخوارزمي أن يوصف بأنه أبو علم الجبر : إذ أن العلماء الرياضيين الذين سبقوه لم تكن لديهم فكرة عن الجبر وكانت كل محاولاتهم منصرفة الى علم الأعداد وحده . ولهذا يحق القول بأن الخوارزمي وضع علم الجبر على أسسه الصحيحة ، ولعل خير دليل على أهمية التراث العلمى الرياضى عند المسلمين هو ابتداء الخوارزمي بمؤلفه المشهور حساب الجبر والمقابلة ، فقد امتاز عنوان كتابه بأشهر عمليتين من عمليات الجبر في حل المعادلات هما الجبر والمقابلة^(٨٤) .

ومن القرن الثانى الهجرى حتى القرن السابع الهجرى (الثامن الميلادى حتى السادس عشر الميلادى) كانت بلاد المسلمين مركزا للنشاط العلمى . وفى ذلك

(٨٠) حسنى أحمد حماد : (الحضارة العربية نشأتها تطورها آثارها) (وزارة الثقافة - مؤسسة التأليف والنشر - القاهرة ١٩٦٧ م) ص ٦٤ .

(٨١) زكريا ماشم زكريا : فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم ص ٣٤٧٠ .

(٨٢) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : (فضل العرب على الحضارة الأوروبية) مكتبة الأنجلو

المصرية - القاهرة ١٩٧٥ م ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٨٣) عبد الله بن العباس الجزارى : تقدم العرب في العلوم والصناعات واستأذيتهم لأوروبا ص ٥٠ .

(٨٤) المرجع نفسه ص ٦٥ .

الوقت كانت أهم وجوه النشاط العلمى فى العالم تجرى فى « بيت الحكمة » الذى رعاه الخليفة المأمون فى بغداد . . وفى بيت الحكمة هذه كان تأثير الخوارزمى على الفكر الرياضى أكبر من تأثير أى رياضى فى العصور الوسطى ، إذ أنه اكتشف سنة ٢١٠ هـ الموافق ٨٢٥ م طرقا هندسية وجبرية لحل معادلات الدرجة الأولى والثانية ما كان منها ذا مجهول أو مجهولين^(٨٥) .

ومن علماء العرب أيضا الذين لهم فضل على الغرب فى علم الجبر « أبو بكر محمد بن حسن الكرخى » وقد ألف كتابين « الفخرى فى الجبر والمقابلة » وكتاب « الكافى فى الحساب » أما فى الهندسة وعلم المثلثات فقد ترجم العرب كتاب أقليدس فى الهندسة ، هذه الترجمة العربية هى التى نقلها الأوروبيون الى اللاتينية فى القرن الثانى عشر كما أن العرب هم الذين أدخلوا المماس الى علم حساب المثلثات^(٨٦) . كذلك أقام العرب الجيوب مقام الأوتار وحلوا المعادلات المكعبة ، وتعمقوا فى أبحاث المخروطات . كذلك اهتم العرب بعلم الميكانيكا حتى أننا نجد الطوسى المتوفى سنة ١٢٧١ م يترجم « الكرة » المتحركة « لأوطالوقلس » وقد تعمق العرب فى هذه المعلومات حتى يرى بعض العلماء الأوروبيين أنهم اخترعوا رقاص الساعة واستعملوا البندول فى قياس الوقت^(٨٧) .

وكان نصر الدين الطوسى أول من شك فى قياس هندسة أقليدس ويجب أن يعتبر الرائد القليم للوبتشفسكى دريمان فى الهندسة اللاقليدية^(٨٨) . ويعترف ابن القفطى بفضل ابن الهيثم فى الهندسة ، فيقول : « أنه صاحب التصانيف والتأليف فى علم الهندسة كان عالما بهذا الشأن ، مقتنئا له ، مقتنئا فيه قويا بغوامضه ومعانيه ، مشاركا فى علوم الأوائل أخذ عنه الناس واستفادوا »^(٨٩) .

ومن علماء العرب من وضع مصنفاً فى الرياضيات ولا سيما فى الهندسة تدل على استقلال فى التفكير على أنهم سلكوا طرقا لم يسلكها المتقدمون فقد وضع « ابن الهيثم » كتاب الجامع فى أصول الحساب ويقول عنه بلفظه : « واستخرجت أصوله بجميع أنواع الحساب من أوضاع « أقليدس » فى أصول الهندسة والعدد ،

(٨٥) المرجع نفسه ص ٦٣ .

(٨٦) د. سعيد عبد الفتاح عاشور : فضل العرب على الحضارة الأوروبية ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٨٧) المرجع نفسه ص ٣٦ ، ٣٨ .

(٨٨) حيدر بلامت : إسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٥ .

(٨٩) ابن القفطى : أخبار الطماء بأخبار الحكماء ص ١١٤ .

وجعلت السلوك في استخراج المسائل الحسابية بجهتي التحليل الهندسي والتقدير العددي ، وعذلت فيه عن أوضاع الجبريين والفاظهم ، (٩٠) .

والف محمد البغدادي رسالة موضوعها تقسيم المستقيم الى أجزاء متقاربة مع أعداد مفروضة برسم مستقيم ، وهي اثنتان وعشرون قضية سبع في المثلث ، وتسع في المربع ، وست في الخمس . ولقد طبق العرب الهندسة على المنطق ، وألف و « أبو لونيوس » ، ونوعت فيه الأطوال وقسمتها وبرهنت عليها ببراهين نظمها من الأمور التعليمية والمنطقية (٩١) .

وعلى وجه العموم يمكننا في شيء من الاطمئنان أن نعزو تقدم العلوم الرياضية في العصر العباسي للأسباب التالية :

١ - انتشار المذهب الشيعي الذي احتضنه الإيرانيون لكي تبرز الشخصية الإيرانية على مسرح الحضارة الإسلامية ، بفضل قوة تقاليدها التي تتصف بصفة الاستمرار والاتصال بكبرياء الماضي حيث عصر الأكمينين ثم عصر السامانيين ، ثم جاء الفردوسي الشاعر العظيم فأحيا في الشاهنامه أجداد إيران الغابرة ، مما مهد للحركة الشعبية المناهضة للعرب وكان من أنصارها ابن المقفع .

٢ - ظهور دويلات حربية يقودها عسكريون أميون من أصل تركي قبل في الأطراف الشمالية الشرقية من إيران والزم ما يلزم لهؤلاء الأمراء في الفلك والرياضيات والتنجيم وحكماء في الطب يستعينون بهم في فتوحاتهم تماما مثل ما في حملة الساريشال مونججرى عند الهجوم على العلماء في الحرب العالمية الثانية حيث استعان بأكبر علماء الرياضيات الانجليز لكي يحسبوا له خطوات الاحتمالات المختلفة (٩٢) .

وقد تمكن المسلمون من تطوير مهارات كثيرة خاصة بهم في حقل الرياضيات وغيرها . وكانت لهم فتوحات علمية رفعت العلوم الى مستوى يعلو بكثير عن المستوى الذي رفعها اليه الاغريق . . فكان هذا على وجهه الخصوص في علمي الجبر

(٩٠) تدمري حافظ طوقان : تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ص ٨٩ .

(٩١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ٢ ص ٩٣ .

(٩٢) أبو الريحان البيروني : (استخراج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحنى فيها) مخطوط ، تحقيق أحمد سعيد الدمرداش في الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة ١٩٦٥ م ص ١٥ ، ١٦ .

وحساب المثلثات اللذين كانا من ابتكارهم ولم تقتصر مآثر المسلمين على الرياضيات بل تجاوزتها الى غيرها مثل الطب والجغرافيا والكيمياء والفيزياء والصيدلة والزراعة^(٩٣) .

ولا ادل على اثر العرب في الرياضيات من ان البابا كان يحسب بالعربية حيث تقول المستشرقة الألمانية زغريد هونكه : « عندما ارتقى جربيرت كرسى البابوية ليصبح البابا سلفستروس الثانى ، كسب ذلك الرجل — دون معاصريه — عن العرب شيئا مهما ، لقد كان جربيرت يحسب الأرقام التسعة التى تعلمها عن العرب على الحدود الأسبانية . فكان بذلك اول رجل فى الغرب تعلم تلك الأرقام واستخدمها »^(٩٤) .

وتقول هونكه أيضا : « ان علم الجبر لا يزال حتى اليوم يحتفظ بطابع عربى ، ويعتبر العرب المؤسسين الحقيقيين لعلم المثلثات وهذا ميدان لم يخضه الاغريق البتة ، ولم يعرفوا عنه شيئا ، ولقد تابع الأوروبيون تطويرهم لهذا العلم على أساس ما ورثوه عن العرب أكثر مما ورثوه عن ديكلارت ذاته . كذلك فان الغرب أخذ عن العرب فن الحساب فى السدس وأعشاره وتقسيم الدائرة الى ستين جزءا »^(٩٥) .

والحقيقة التى لا مرية فيها أن العرب قبل غيرهم من العلماء بمئات السنين وعلى وجه التحديد بسبعمئة سنة ، وقبل أن يوجد انجليزى أو المهنى حسابهما الغربى ، قد وفقوا الى القيام بسلسلة من التحقيقات الكبيرة الهامة فى العلوم والرياضيات . وأنه ليس من المستبعد جدا أن تكون نظرية الفارابى ونظرية ابن سينا فى الأحجام المتناهية الصغيرة هى التى أمدت العلماء الغربيين فيها بعدد وعبر القرون بنظرياتهم فى النرة^(٩٦) .

كما ان العالم مدين بعلم الجبر للمأمون فى مقدمة « كتاب الجبر والمقابلة » للخوارزمى .

ان المأمون هو الذى اقترح عليه ايجاد وسيلة يسيرة يستعين بها التجار

(٩٣) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٢١

(٩٤) زغريد هونكه : اثر الحضارة العربية فى أوروبا ص ٨١ .

(٩٥) المرجع نفسه ص ١٥٩ ، ١٦١ .

(٩٦) المرجع نفسه ص ١٦٣ .

على اعداد قوائم بضائعهم واستخراج اثمانها وارياحها . ويبدو أن الخوارزمي لما فعل ما اقترحه المأمون عليه . وجد أن يبسط الطريقة المنطقية التي وصل بها الى الوسيلة العبلية لخدمة التجار . وفضل المأمون في حث الخوارزمي على وضع كتابه الجبر والمقابلة^(٩٧) .

قال فيليب حتى : « كان الخوارزمي من أفضل العقول العبلية من المسلمين ، وهو بلا شك الرجل الذي أثر أبلغ التأثير في الفكر الرياضي طيلة العصور الوسطى »^(٩٨) . فإن المسلمين لم يقتصرُوا على اتباع الجبر ، وهو الأداة الأساسية للتحليل العلمي بل وضعوا كذلك قواعد للطرق المطبقة والأبحاث التجريبية الحديثة باستخدام نماذج رياضية . . . وكما كان أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي مؤسساً لدرسة الرياضيات في بغداد فإن بحوث الرياضيات العربية وبحوث العصور الوسطى المبكرة اعتمدت الى حد كبير على رسالته في علم الجبر^(٩٩) .

ومن أبرز علماء الرياضة في بغداد أبناء موسى بن شاكر ، وقد شجعهم المأمون وقربهم اليه ، ولهم أبحاث في الميكانيكا ، كما ألفوا في مراكز النقل وكتبوا في الآلات^(١٠٠) .

يقول د. حسن الأشموني في كتابه : (أثر الترجمة في حضارة العرب) ما يلي : « نشأ بفضل العلوم المنقولة طائفة من الأطباء والفلكيين والرياضيين استفادوا بحوثهم فوصلوا الى مرتبة النبوغ في علوم شتى منهم بنو موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن أشهر رياضيي هذا العصر ، وأول من ألف في علم الحيل والآلات والميكانيكا من المسلمين »^(١٠١) .

أما الأخ الثالث الحسن ، كما روى أحدهم ، فقد كان بارعاً في علم الهندسة موهوباً تربيع دهره ، يشهد بذلك جميع الذين عرفوه ، فلمسوا فيه نبوغاً خارقاً ، وألفوا عنده ذاكرة فائدة ومضيلة قوية كانت تمكنه دوماً من حل المسائل

(٩٧) د. عمر غرّوخ : المأمون ومكانته في السياسة والفكر والعلم - مجلة الباحث - بيروت - لبنان - ع ٢٢ ، ١٩٨٢ م ص ٢٠ .

(٩٨) فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ج ٢ ص ٤٦٣ .

(٩٩) د. علي عبد الله الدفّاع : الموجز في التراث العلمي العربي الاسلامي ص ٦٨ .

(١٠٠) ابن خلكان : رفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٤٨ .

(١٠١) زغريد هوفكه : أثر الحضارة العربية في أوروبا « شمس العرب تسطع في الغرب » ص ١٨٧ .

المستعمية التي لم يتمكن من حلها القدامى ، لقد وصف نفسه قائلا : « وكلما كنت أغوص باحثا عن حل لمعضلة تشغل بالي كنت أحس كأن العالم في وجهي وأصابني شعور بالاغماء ، أو كأنى مستغرق في حلم » (١٠١) .

ومن الأعمال التي حققتها الحسن بنفسه ، دون الاشتراك مع أخويه كتاب في تطبع المستديرات وهو أيضا موحّد الشكل البيضوى « الاهليلجى » في هندسة الحدائق (١٠٢) . فقد كان ثابت بن قرة من الذين تعددت نواحي عبقرتهم ، فنبغ في الطب والرياضيات والفلك والفلسفة ووضع في هذه كلها وغيرها مؤلفات جليلة ودرس العلم للعلم ، وشعر باللذة العقلية ، فراح يطلبها في الرياضيات والفلك فقطع فيها شوطا بعيدا وأضاف إليها ، ومهد إلى إيجاد فرع من فروع الرياضيات « التكامل والتفاضل » (١٠٣) *calculus* واشتهر ثابت بن قرة كأستاذ للفلسفة والرياضيات ونجح في تطبيق النظريات الجبرية للهندسة . ولذا سُمى أبا الهندسة التحليلية كما اعتبر مؤسسها وأعظم عالم هندسى في القرون الوسطى ، كما توصل ثابت بن قرة إلى حجم الجسم المكافئ ومن هنا يعدّه كثير من الرياضيين مبتكر علم التفاضل والتكامل (١٠٤) .

كتب البروفيسر ديفيد سميث في كتابه « تاريخ الرياضيات » المجلد الثانى « ان ثابت بن قرة صاحب الفضل في اكتشاف علم التفاضل والتكامل حيث أوجد حجم الجسم المكافئ وذلك في عام ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م — » ومن المعروف أن علم التفاضل والتكامل أعان على حل عدد كبير من المسائل الصعبة والعمليات الملتوية — كما أضاف الأستاذ « موسى بول » في كتابه « ملخص تاريخ الرياضيات » : « في تقديرى ان ثابت بن قرة مناط العبقرية فلم يترك علما من العلوم الا ترجمه — وكتب كتباً عديدة ، ولكنها للأسف فقدت كلها ما عدا جزءا من الجبر ناقش فيه معادلات الدرجة الثالثة (١٠٥) .

وهكذا توارث آل قرة العلم عن ثابت وكان منهم ابنه : أبو سعيد بن سنان ، وكان منهم حفدته : ابراهيم بن ثابت وأبو الحسن بن ثابت بن اسحاق أبو الفرج وهؤلاء

(١٠٢) المرجع نفسه ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(١٠٣) المرجع نفسه ص ١٢٤ .

(١٠٤) تـجـدى حـافـظ طـوقـان : تـراـث العـرب العـلمى فى الرـيـاضـيـات والفـلك ص ١٩٥ .

(١٠٥) د. على عبد الله الدفعاى : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٦٤ .

(١٠٦) المرجع نفسه ص ٦٥ .

نبغوا في الرياضيات والفلك والطب ، فقد كان منهم الطبيب والعالم والفيلسوف والمهندس — سلك مسلك جده في الطب والهندسة وجميع الصناعات الرياضية للقدماء — وله تصنيف في التاريخ^(١٠٧) .

كما كان أبو يعقوب بن اسحاق الكندي قد نبغ في المرتبة الأولى في الرياضيات والفلسفة والطبيعية ويرى أن الإنسان لا يكون فيلسوفا إلا إذا درس الرياضيات المركبة وللكندي نظريات فلسفية تتعلق بالله والنفس والعقل والعالم . يرى أن كل ما يقع في الكون يرتبط ببعضه ببعض ارتباط علة بمعلول وإلى العقل مرد كل شيء والمادة تتخذ الصورة التي يشاء العقل أفاضتها عليها^(١٠٨) ولقد كان للكندي الكثير من التلاميذ الذين استفادوا من مصنّفاته في الرياضيات وأحكام النجوم والجغرافيا والطب .

وهناك في القرن الثالث الهجري ولسد « الدينوري » هو أحمد أبو حنيفة بن داود من أهل الدينور^(١٠٩) وقد توفي حوالي سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م كان الدينوري من النابغين الذين اشتهروا في الهندسة والحساب والأدب والفلك والنبات . أما أبو عبد الله البتاني فهو من علماء القرن العاشر للميلاد وأحد الذين اشتغلوا بالفلك والرياضيات ، وقد أسدى أجل الخدمات ، ويعدم الكثيرون من عباقرة العالم من الذين وضعوا نظريات هامة ، وأضافوا بحسونا مبتكرة في الفلك والجبر والمثلثات ، ونظرة إلى مؤلفاته وأزياجه تبين خصب القريحة ، وترسم لك صورة عن عقلية الجبارة^(١١٠) .

وسماه بعض الباحثين « بطليموس العرب » وقال عنه « سارطون » : « أنه من أعظم علماء عصره » ، وأنبغ علماء العرب في الفلك والرياضيات « وهو الذي اهتدى إلى فكرة من استبدال أوتار الأقواس التي استخدمها اليونانيون في حسابات مثلثاتهم ، بنصف وتر ضعف القوس أى بجيب الزاوية . ويقول م. تشارلس : « أن البتاني كان أول من استخدم في مؤلفاته جيب « وجيب تمام » واستعمله في حسابات المزولة وأسماء « الظل الممتد » وهو ما نسميه في حساب المثلثات الحديث « بالظل »^(١١١) .

(١٠٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٠١ .

(١٠٨) دى ديور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ١٤٢ .

(١٠٩) ابن الفديم : الفهرست ص ١١٦ .

(١١٠) تدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ص ٢٤١ .

(١١١) حيدر بامات : اسهام المسلمين في الحضارة الانسانية ص ١٠٥ .

وكان البوزجاني من علماء القرن العاشر للميلاد ومن أعظم علماء الرياضة عند العرب ومن الذين لهم فضل كبير في تقدم العلوم الرياضية وهو محمد بن محمد ابن يحيى بن اسماعيل بن العباس ابو الوفا البوزجاني (الحاسب) . ولد في « بوزجان » وهي بلدة صغيرة واقعة بين « هراة » و « نيسابور » (١١٦) . وقرأ على عمه المعروف بأبي عمر المغازلي وخاله المعروف بأبي عبد الله محمد بن عبده ، وقرأ ابو عمرو الهندسة على « ابي يحيى المساروني » وابي العلاء ابن كرنيب (١١٧) . ولما بلغ من العمر العشرين انتقل الى بغداد حيث فاضت قريحته ولع اسمه ، وظهر للفلاس إنتاجه في كتبه ورسائله ، وشروحه لمؤلفات « أقليدس » و « ديوفانتس » والخوارزمي .

ويذكر القفطي (١١٤) : « انه لم يزل مقيما في بغداد حتى توفي سنة ٣٨٨ هـ فكان ابو الوفا احد الأئمة المصنوعين في علمي الفلك والرياضيات وله فيهما مؤلفات قيمة ، وقد اعترف علماء الغرب بأنه من أشهر الذين برعوا في الهندسة ، وله فيه — أى في علم الهندسة — استخرجات غريبة لم يسبق اليها ، وكذلك استخراج الأوتار تصنيف جيد نافع » اما ابو القاسم على بن أحمد المجتبى الأنطاكي من مشاهير مهندسي القرن الرابع للهجرة ورياضيهم فقد ولد في أنطاكية وتوطن بغداد (١١٨) كان من المتقدمين لدى عضد الدولة بن بويه اشتهر بفصاحة اللسان وعذوبة البيان وإذا سئل أبان وأتى بالمعاني الحسان (١١٦) ، هذا الى توقد ذهن وحضور بديهة ، مما جعل الرؤساء والحكام يجلونه ويكثر دعوتهم اياه الى مجالسهم الخاصة .

وهناك أبو النصر الكلوازي هو « محمد بن عبد الله » من « كلواز » قرب « مدينة السلام » ويسمى « بالبغدادى » لأنه عاش أكثر حياته في بغداد من رياضي القرن الرابع للهجرة ومشاهير محاسبيه . وكان أبو الرشيد الرازي هو معشر بن أحمد بن على بن عمرو بن أحمد بن الرشيد الحاسب الملقب بالبرهان رازي الأصل ببغدادى المولد والدار ، اشتغل بالرياضيات وبرع فيها . ولا سيما في الحساب ، وخواص الأعداد والجبر والمقابلة ، وقسمة التركات ، عدا الماه بسائر فروع

(١١٢) ياتوت الحموى : (معجم البلدان) (مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٣٢ - ١٩٠٦ م)

ج ١ ص ٣٠٢ .

(١١٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٤ .

(١١٤) ابن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨٩ .

(١١٥) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٥ .

(١١٦) ابن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٥٧ .

المعرفة . قرا عليه كثيرون وأخذوا عنه . وتهمز في أيام الخليفة الفاضل لدين الله أبو العباس أحمد « وقرب منه واعتمد في اختيار الكتب التي وصفها فاته أدخله الى خزائن الكتب بالدار الخليفة (١١٧) وتوفي سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م .

وكان كمال الدين بن يونس متبحرا في الرياضيات والفقه عالما بأجزاء الحكمة الأخرى قد استغرق حب الكيمياء عقله ووقته . يقول ابن أبي أصيبعة : « كان كمال الدين علامة زمانه وأوحد أوانه وقدوة العلماء وسيد الحكماء ، وقد اتقن الحكمة وتميز في سائر زمانه » (١١٨) .

برع في الحساب ونظرية الأعداد والجبر والكيمياء والصرف والمنطق وله مؤلفات في علم الهيئة والأسطرلاب ورسائل نفيسة في الحكمة والمنطق والطبيعات . ويمكن القول انه كان لبحوث كمال الدين قيمة كبرى عند علماء عصره وأثره في تقدم العلوم .

ومن المؤسف انه لم يصلنا من نتاج كمال الدين الا القليل ، فقد ضاع اكثره اثناء الانقلابات والفتن التي حدثت في العراق . ومن هذه المؤلفات التي تتعلق بالفقه والمنطق والنجوم وهي : « كتاب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في القرآن » وشرح كتاب التنبيه في الفقه بمجلدين . كتاب مفردات ألفاظ القانون . كتاب في الأصول ، كتاب عيون المنطق — كتاب لغز في الحكمة . كتاب الأسرار السلطانية في النجوم . وخلف كمال الدين أولادا اتقنوا الفقه وسائر العلوم وهم من سادات المدرسين وأفاضل المصنفين (١١٩) .

لقد اعترف له الأقدمون من العلماء والباحثين بالفضل والنبوغ في فنون الرياضة وأنواع الحساب والجبر والمقابلة والمساحة معرفة لا يشتركه فيها غيره (١٢٠) .

(١١٧) المصدر نفسه ص ١٧٧ .

(١١٨) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٣٠٦ .

(١١٩) قدرى حافظ طوفان : تراث العرب العظمى في الرياضيات والفلك ص ٣٩٩ .

(١٢٠) المرجع نفسه ص ٣٩٦ .

خامسا - علم الطب :

اعتمد العباسيون على أطباء جنديسابور في العلاج ، فلما مرض الخليفة المنصور ، بعث في طلب جورجيس بن جبرائيل ، وله خبرة في الطب ، ومعرفة بأنواع العلاج ، وقد قدره المنصور لأنه أحسن علاجه ، ووجد راحة عظيمة في جسمه ، وتخلص من الأمراض ، وجدير بالذكر أن جورجيس نهى المنصور عن الاسراف بالطعام ، وطلب منه تخفيف الغذاء ، وترجم هذا الطبيب للمنصور بعض الكتب الطبية ، واعتمد على أطباء غيره من السريان^(١٢١) .

ونبغ في بغداد أطباء من أصل سرياني نخص بالذكر منهم يوحنا بن ماسويه ، ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة ، وله تصانيف قيمة ، وكان يجتمع اليه تلاميذ كثيرون^(١٢٢) . ومن أطباء بغداد سهل بن سابور وجبرائيل الكحال^(١٢٣) .

وحيث دخل الطب العربي مرحلة جديدة من التقدم في عهد الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور فقد أخذ أطباء جنديسابور ورعاهم رعاية مكنتهم من ادخال الترجمة اليونانية الأمر الذي جعل من بغداد قبلة أنظار أساتذة الطب من جنديسابور وغيرها . وكان أول هؤلاء الطبيب جورجيس رئيس أطباء جنديسابور الذي استقدمه المنصور لمعالجته^(١٢٤) . حيث أنزله منزلة كبيرة وأكرمه وأمر بأن يجاب الى كل ما يطلب وما يطلب ، وبفضل ذلك استطاع جورجيس أن يشكل مع الواقفين من الأطباء الى بغداد نواة علم الطب العربي حيث انتقل العلم من جنديسابور الى بغداد . وعندما تولى الهادي الحكم جلب جورجيس ابنه جبرائيل بن بختيشوع^(١٢٥) .

على أن أسرة بختيشوع قد نبغ أفرادها في علم الطب ، واعتمدت عليهم بغداد اعتمادا كبيرا لسعة ثقافتهم فلما مرض الخليفة الهادي أرسل الى جنديسابور باستدعاء بختيشوع ، لكن الهادي توفي قبل مقدم هذا الطبيب ، على أنه عالج

(١٢١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٢٤ .

(١٢٢) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦ .

(١٢٣) المصدر نفسه ص ٢٤٣ .

(١٢٤) هاشم لاراي : (تاريخ الطب في العراق) ، مجلة المؤرخ المصري - بغداد - العراق

ص ٦ (١٩٨ م) ص ٣٧ .

(١٢٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٣٣ .

الرشيذ ولاحظ دقته وبراعته ، وخلق عليه خلعة حسنة جليلة ، ووهب له مالا وأفرا وعين بختيشوع رئيسا للأطباء ، وله كتب منها « التذكرة » (١٣٦) . أما جبرائيل ابن بختيشوع فكان مشهورا بالفضل جيد المداواة ، عالى الهمة حظيا لدى الخلفاء حصل من الخلفاء من الأموال ما لم يحصله غيره من الأطباء وجعله الرشيذ رئيسا للأطباء فى بغداد .

وبلغ من تقديره له أن قال : كل من كانت له حاجة فليخاطب بها جبرائيل لأنى أعمل كل ما يشاء ، وكان رجال الدولة يقتصدونه فى كل أمورهم (١٣٧) . لأنه أحسن علاج الرشيذ ووزرائه وخاصته ، وكان الأمين لا يأكل ولا يشرب الا باذنه ، وأجزل له علاجه ، ولما سمح لجبرائيل بعلاج المأمون شخص مرضه ، ووصف له دواء شفى به ورد إليه الأموال التى صادرها منه ، وبالح فى أكرامه ، ولما مرض جبرائيل طلب منه المأمون أن ينفذ إليه ابنه بختيشوع لعلاجه ، ولما قدم على المأمون والتمس فيه سعة العلم بالح فى أكرامه ورفع منزلته (١٣٨) .

والخلاصة أن آل جورجيس من الأطباء أجمل أهل زمانهم بمسا خصهم الله من ترف النفوس وبذل الهمم ومن البر والمعروف والأفضال والصدقات وتفقد المرضى من الفقراء والمساكين والأخذ بيد المنكوبين .

ومن أبرز المهن التى عمل بها أهل الذمة فى بغداد — لا سيما النصارى — مهنة الطب ، فقد برعوا فى تشخيص الأمراض ووصف العلاج الناجع لها ونقلوا الكتب الطبية من اللغة اليونانية الى العربية ، وانكبوا على دراستها وإضافة الجديد لها مما يتمشى مع خلاصة تجاربهم وقراءاتهم ، ومن أشهرهم جورجيس بن بختيشوع (١٣٩) .

ودخل ابنه جبرائيل فى خدمة البرامكة ، ومما يجدر ذكره أن جبرائيل هذا عالج الأمين والمأمون ، وكانت رواتبه سبعمائة ألف وأربعة وثلاثين درهما سنويا وأخص ما ربحه من الرشيذ فكان ثلاثمائة ألف وثمانين مليوناً من الدراهم (١٤٠) .

(١٣٦) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٢٤ .

(١٣٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٢٦ .

(١٣٨) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢١٣ .

Hitti : History of the Arabs, p. 360.

(١٣٩)

(١٤٠) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٦ .

مما أدى الى تنافس بعض الأطباء على الامتيازات والتقرب من رجال الحكم واستأثرت أسرة بختيشوع بخيرات الخلفاء . وكان منهم يوحنا بن ماسويه الذي ترعرع في كنف الرشيد ونبغ في الترجمة حيث ولاه الخليفة امانة الترجمة (١٣١) . وامتدت خدماته الى خلافة الأمين والمأمون وكانت الامتيازات التي حصل عليها سببا في اغساد ذمته فأخذ يتدخل في الأمور السياسية الى حد أن تواطأ مع المعتصم (١٣٢) .

ومن اساتذة الطب في عهد الرشيد يوحنا بن ماسويه النصراني السرياني ، كان موضع تقدير الناس في بغداد ، وله مصنفات قيمة ، وكان يعقد مجالس علمية يتناول فيها خلاصة معرفته ، وقد وفد اليه طلاب العلم للاستفادة من علمه والاستزادة من معرفته (١٣٣) . كما عالج بختيشوع بن جبرائيل المأمون والمعتصم والوائقي (١٣٤) ، وجالسهم وندمهم ونال منهم العطايا السنوية وصنف كتباً في الطب . ومن أبرز الأطباء النصاري في بغداد سهل بن سبور ، ومن أطباء المأمون جبريل الكحال ، فكان يتقاضى مرتباً شهرياً قدره ألفا درهم . وكان أول من يدخل اليه في كل يوم (١٣٥) ، وكان سلمويه عالماً بصناعة الطب وعالج المعتصم في مرضه .

أما خلفاء العباسيين فقد كرموا أطباء أسرة بختيشوع الفارسية الأصل ، كما اشتهر منهم أيضاً كثير من الأطباء غير المسلمين : أمثال حنين بن اسحاق ، ويوحنا ابن ماسويه ، وقد عرف العرب نظاماً للمؤتمرات الطبية حيث كانت تعقد الاجتماعات في بيت الحكمة ببغداد وهي التي رعاها المأمون أو دار الحكمة في القاهرة التي أنشأها الحاكم بأمر الله وكان على الطلبة والعلماء أن يحضروا الى تلك الدور من شتى بقاع الأرض لحضور تلك الاجتماعات في مجال انتاليف العلمى والتزم أغلب الأطباء العرب منهجية في كتاباتهم بالحرص على ذكر مصادر من سبقوهم (١٣٦) .

(١٣١) د. خالد ناجي : (الطب عند الرازي) مجلة المؤرخ العربى - بغداد - العراق ع ٦ (١٩٨١ م) ص ٣٨ .

(١٣٢) ابن أبى اسبيعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٢ .

(١٣٣) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٧١ ، ٧٢ .

(١٣٤) المصدر نفسه ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(١٣٥) ابن المبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٩ .

(١٣٦) د. مرسى محمد عرب : (التراث الطبى العربى بين الأصالة والتجديد) مجلة المؤرخ العربى - بغداد - العراق ع ٩ (١٩٧٨ م) ص ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

اقام يوحنا بن ماسويه مستشفى في بغداد كذلك جعله الخليفة المأمون رئيسا لبيت الحكمة (١٣٧) ، وقد تمكن من تحقيق مآربه عندما أصيب المأمون في رقبته وهو في طرطوس فقد أمر يوحنا تلاميذته أن يفتح الخراج في رقبته قبل نضوجها ، ورغم تمنع التلميذ قال له : امض وافتحها كما أقول ولا تراجعي وهكذا أدت العملية بهذا الشكل الى وفاة المأمون (١٣٨) .

ان المال والحظوة مسخا ابن ماسويه وجعلاه منه انسانا عديم الدين فقد خان الأمانة ولم يدانيه بذلك عاقل أو يركن اليه حازم . حتى أن الناس أخذت تقول أن هؤلاء القوم من جنديسابور أخذوا يعتقدون أنهم وحدهم أهل لهذا العلم ، ويعملون على أن لا يتسرب الى غير أبنائهم وذويهم وقد تعصبوا كثيرا لأبناء جنسهم (١٣٩) .

حتى أنه عندما قدم حنين بن اسحاق من الحيرة لدراسة الطب في بغداد ، سعى يوحنا الى مضايقته واغلاق أبواب التحصيل بوجهه وحدث أن سأل حنين يوحنا عن بعض ما يقرأ وكان حنين شديد الانتباه كثير المطالعة فشعر يوحنا ببعض الاحراج فأمر بإخراجه ومنعه من حضور مجلسه وهو يقول : « ما لأهل الحيرة من دراية بأمور الطب وصناعته فخرج حنين مكروبا ورحل بعدها الى بلاد الروم لطلب العلم » (١٤٠) .

ان صيرورة الطب عند حنين بن اسحاق الذي ولد في الحيرة من قبيلة عباد العربية النصرانية ، اشتهر بنقل الكتب اليونانية الى السريانية والعربية ومن مؤلفاته : « المدخل في الطب » وغيره مما ترجمه عن أفلاطون وأرسطو وأبو قراط وجالينوس .

لكن الطب اذا ما أصبح نوعا من التجارة وخضع للأهواء السياسية ، فقد اثار بلبلة واسعة في هذا الوسط حيث تصدى للمعالجة والتحصيل والترجمة أشخاص ليسوا مؤهلين وهم أقرب الى الاحتراف منهم الى العلم ولم تكن للطب

(١٣٧) د. التستحات زغلول : السريان والحضارة الاسلامية ص ١٨٦ .

(١٣٨) ابن اللقطة : اخبار للعلماء ياخبار الحكماء ص ١٨٢ .

(١٤٩) المصدر نفسه ص ١٥٨ ، ١٩١ .

(١٤٠) براون ، اولرد جورج : (الطب العربي) ترجمة د. داوود سليمان علي (مطبعة العاني

- بغداد - العراق ١٩٦٤ م) ص ٣٨ .

تواعد معينة تحكم تحصيله وممارسته ولم يكن هناك امتحان للأطباء يجيز لهم ممارسة المهنة زمن الخليفة المقتدر^(١٤١) .

لذلك عمل الخليفة المأمون الذي أراد أن يجعل الطب عربيا أصيلا على أن يكون من بين العرب مترجمون ينقلون الطب والعلم والفلسفة من اليونانية الى العربية مباشرة . وكان على رأس هؤلاء جميعا شيخ ترجمة العصر العباسي بل ومترجم العرب الأكبر حنين بن اسحاق الذي قام مع غيره من الترجمة كطابت بن قرّة وابنه سنان بترجمة كتب الطب اليونانية الى اللغة العربية ترجمة متقنة دقيقة^(١٤٢) .

هذا . وقد كان لحنين مؤلفات طبية أشهرها عشر مقالات في طب العيون — كما كتب غيره من أولئك الترجمة كتباً طبية أخرى ، غير أنهم جميعاً قلما اتوا بجديد في الكتابات اذ أنهم قد اقتبسوا عن اليونان أكثر ما كتبوا فيها . وفيه استقر علم الطب في اذهان العرب وازدهر ازدهارا بالغا ونبغ فيه الكثيرون^(١٤٣) .

ووجد الخليفة المأمون مدرسة للحكام في بغداد حيث ظلت ترجمة الآثار اليونانية ودراساتها متواصلة باشد ما يمكن من النشاط والعزم ولعب الطبيب النسطوري حنين بن اسحاق العبادي في ميدان الترجمة دورا هاما وأسرته ، ولم يشتغل في بغداد وحدها بل سار الى سوريا وفلسطين وهو في طريقه الى الاسكندرية ليقف على كل وعى العالم القديم من الطب ويوسع معارفه العلمية بالإنغة اليونانية^(١٤٤) .

ويقول كارل بروكلمان : « وفي بغداد التقى الطب اليوناني بالطب الهندي على سعيد واحد ، فقد سبق لهارون الرشيد نفسه أن استدعى الطبيب الهندي « منكه » الى بغداد ، كما سبق للبرامكة أن أمروا بنقل بعض كتب الطب الهندية الى اللغة العربية^(١٤٥) .

(١٤١) اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح : (كتاب البلدان) • تحقيق دى غوية (لندن ، بريل ١٨٩٢ م) • ص ٤٦ .

(١٤٢) د. حسن أحمد ابراهيم : (العرب واثرها الحضارات الطبية) • مجلة المؤرخ العربي - بغداد - العراق (١٩٨١ م) ص ١٤٥ .

(١٤٣) المرجع نفسه ص ١٤٦ .

(١٤٤) أرنولد ، سيوتوماس وآخرون : تراث الاسلام ج ٣ ص ٣٦٥ .

(١٤٥) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ٣٩ .

ويقول القفطى فى أخبار الحكماء : « والهند هم الأمة الأولى كثيرة العدد فحمة الممالك قد اعترف لها بالحكمة وأقر بالتبريز فى فنون المعرفة — كل الملل السالفة — وكان الصين يسمون ملك الهند ملك الحكمة لفرط عنايتهم بالعلوم — فكان الهند عند جميع الأمم معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة (١٤٦) » .

لم يكن الدور الذى قامت به الثقافة الهندية فى تغذية العقلية العربية وبناء الفكر الإسلامى بأقل خطرا من الدور الذى قامت به الثقافة الفارسية ، فقد كان للهنود من قديم الزمان علم وحكمة وفلسفة ومعرفة واسعة بالحساب والرياضة والفلك والتنجيم والطب كما كان لهم آداب وقصص وفنون مختلفة وحرف كثيرة ، وقد عرف المؤرخون فى الشرق والغرب هذه الثقافة الواسعة التى اشتهر بها الهنود فاشادوا وتحديثوا عنها ، فيقول « ديبور » : « الهند تعد بلاد الحكمة على الحقيقة — وكثيرا ما يقول العرب فى كتبهم أنها مهد الفلسفة » (١٤٧) .

نخلص من ذلك الى أن بغداد أصبح لدى علمائها مادة غزيرة فى الطب ، وقد شجع الخلفاء العباسيون الأطباء على تأدية رسالتهم الانسانية فمنحوهم الرواتب الكثيرة وكافوهم أحسن مكافأة كما شجعوهم على الترجمة والتصنيف وأسسوا المدارس الطبية والبيمارستانات من بينها بيمارستان لعلاج مكفوفى البصر ، ومصحة للمصابين بأدراض عقلية وكان بيت الحكمة مزودا بالكتب الطبية القيمة (١٤٨) .

كما جمعت المخطوطات الكثيرة التى خلفتها الحضارات الهندية والفارسية والسريانية واليونانية وحفظت فى مكتبة بيت الحكمة كمؤسسة علمية وجامعة اسلامية (١٤٩) .

قام العرب أيضا بإنشاء المستوصفات المثقلة المحملة بين القرى والى جانبها مستوصفات خاصة بالسجون ، وفى عام ٩٢٣ م أقام الوزير ابن الفرات فى بغداد عيادة جامعة على نفقته الخاصة وخصصها للموظفين العاملين تحت امرته ، ولم يكن تأسيس المستشفيات وقتنا على الخلفاء والسلاطين أو الرجال الأغنياء ، وإنما دأب

(١٤٦) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء : ص ٢٦٦ .

(١٤٧) ديبور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ١٢ .

(١٤٨) د- عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٩١ .

(١٤٩) د- على عبد الله الحفاح : الموجز فى التراث العلمى العربى الإسلامى ص ٢٧ .

ايضا على تأسيسها الأطباء أمثال سنان بن ثابت وثابت بن سنان بن ثابت بن قرة وحفيده^(١٥١) .

ومما يذكر ان المستشفيات عند العرب كانت من نوعين أحدهما : خاص ببعض الأمراض المعدية وهو النوع المتنقل حسب ظروف الأمراض والأوبئة وانتشارها . وثانيهما : المستشفى العام لجميع الأمراض وكلا النوعين مقسم الى قسمين رئيسيين : واحد للرجال والآخر للنساء^(١٥٢) .

لقد برع أطباء العرب المسلمين في علم الطب حتى ظلت مؤلفاتهم تستعمل في جامعات العالم قرونا عديدة ، وتقسموا على من سبقهم من الأمم في كل علم من علم الجراحة وطب الأطفال وأنشأوا المستشفيات وقننوا نظمها .

تقول زغريد هونكه في كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » فبل ٦٠٠ عام كان كلية الطب الفارسية أصغر مكتبة في العالم فلا تحتوى الا على مؤلف واحد ، وهذا المؤلف كان لعربي كبير (أبى بكر الرازى) وكان هذا الأثر العظيم ذا قيمة كبيرة بدليل ان ملك المسيحية لويس الحادى عشر اضطر الى دفع اثنى عشر ماركا من الفضة ومائة تالر من الذهب الخالص لقاء استعارة هذا الكنز الغالى رغبة منه في أن يفسخ له أطباؤه نسخة منه يرجعون اليها اذا ما هده مرض أو دواء صحته وصحة عائلته^(١٥٣) .

بقول ف. بارثولد : « كان للمسلمين طريق آخر غير بيزنطة لتلقى العلوم اليونانية ، وهو مدرسة الطب التى بجنديسابور التى بقيت قرونا عدة بعد فتح المسلمين^(١٥٤) .

ويقول خودابخش : « رغم سقوط الدولة الفارسية ، فقد استمرت الاكاديمية في نشاطها طوال ثلاثة قرون انقضت على نهاية الساسانيين^(١٥٥) . ولم يكن

(١٥٠) هل ، يوسف : (الحضارة العربية) ترجمة د. ابراهيم أحمد السدوى (مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٥٦ م) ص ٩٨ .

(١٥١) د. على عبد الله النفاع : الموجز في التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٢٨ .

(١٥٢) زغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٥٧ .

(١٥٣) ف. بارثولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٥٣ ترجمة حمزة طاهر .

(١٥٤) خودابخش : للحضارة الاسلامية ص ١٥٧ .

الخليفة الوائق أقبل اهتماما من أسلافه بعلم الطب — بل كان يكرم أهل العلم عموما ، وكان يعقد مجالس مناظراته في فروع العلم المختلفة ومن بينها الطب . ومن مناظراته لأطبائه يتضح لنا ان الأطباء في بغداد كانوا يعتمدون على التجربة^(١٥٥) .

كذلك حذق الأطباء في بغداد في طب الأسنان . فقسّموا الأسنان الى ٣٢ سنا منها في اللحي الأعلى ستة عشر سنا وفي اللحي الأسفل كذلك . وتوجد قواطع أربع في كل واحد من اللحيين عراض محددة الأطراف . وعن جنبي هذه الأربع في كل واحد من اللحيين سنان رعويسها حادة واصولها عريضة وهي الأنياب ، وبها كسر كل ما يحتاج الى تكسيره من الأشياء الصلبة مما يؤكل . وعن جانبي النابين في كل واحد من اللحيين خمس أسنان ، وهي الأضراس ، وتسمى الطواحين لأنها تطحن كل ما يؤكل . وكان في بغداد أطباء للعيون^(١٥٦) نذكر منهم : على بن عيسى ولد في القرن الخامس الهجري وهو أشهر أطباء العيون وله ٣٢ كتابا في علم الرمد افضلها تذكرة الكحالين وقد وصف فيها ١٣٠ مرضا من أمراض العيون ، ونقلت الى العبرية مرة والى اللاتينية مرتين^(١٥٧) .

كذلك برع أهل بغداد في علم الصيدلة ، ومن أبرز علماء الصيدلة كوهين العطار اليهودي الذي وضع كثيرا من المؤلفات منها كتاب الصيدلة ، شرح فيه العقاقير شرحا وافيا وأوضح طريقة عمل المشروبات والجربات والمساحيق والحبوب وغيرها^(١٥٨) .

ومن أعظم أطباء العرب محمد بن زكريا الرازي (٢٥١ هـ / ٣١٠ هـ — ٨٦٥ م / ٩٢٥ م) وينسب الى مسقط رأسه^(١٥٩) فهو كطبيب معالج يتمتع بخصائص ممتازة أظهرها استقائه أعراض المرض ، فهو يغضب غضبا شديدا عندما يخطئ ويكون خطئه راجعا الى نقص في سؤال المريض ، كما كانت له عناية خاصة بالتشخيص

(١٥٥) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الإسلامية الكبرى ص ٢٩٤ .

(١٥٦) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٣٨٦ .

(١٥٧) د. حسن الشيبان : دراسات في الحضارة الإسلامية ص ٩٣ .

(١٥٨) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الإسلامية الكبرى ص ٢٩٥ .

(١٥٩) ولد في الري من أعمال فارس جنوبي طهران ، توفي ٣١٠ هـ / ٩٢٥ م تدرى حافظ طرقيان .

تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ص ٢١٦ .

المقارن . وله قول جيد في أمراض الجهاز البولي . وهو أول من فرق بين الحصاة والجدرى (١٦٠) .

وللطبيب الرازي العربي الرائد كلمات ماثورة في العلاج أضاعت ولا تزال تضيء الطريق أمام الأطباء في مشارق الأرض ومغاربها فحكته الخالدة تقول : « مهما قدرت أن تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية ، ومهما قدرت أن تعالج بدواء منفرد فلا تعالج بدواء مركب » ، وحكمة أخرى أطلقتها ذلك العالم الجليل : « إذا كان الطبيب عالما والمريض مطيعا فما اقل لبث العلة » . ومن مآثره أيضا : « ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبدا بالصحة ويوحيه بها وإن كان غير واثق بذلك فمزاج الأخلاق النفسى » . وقوله الخلاق : « ينبغي للطبيب أن لا يدع مسألة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علة » وأخيرا : « وأن من العلل ما تجتمع في الأيام وتبرا (١٦١) » .

واختتم الكلام عن الرازي بالقول الشائع المعروف : « كان الطب معروفا فأنياه جالينوس » ، وكان الطب متفرقا فجعبه « الرازي » والرازي في الواقع لم يقف عند الجمع بل أضاف إضافات مهمة دفعت بالبحوث الطبية والكيميائية خطوات الى الأمام وله مؤلفات غير التي ذكرت في الطب والكيمياء والميدلة (١٦٢) .

ومن أطباء بغداد أيضا ابن جزله الذي اعتنق الاسلام سنة ١٠٧٤ م وتوفي ١١٠٠ م وله « تقويم الأبدان في تدبير الانسان » رتب فيه أسماء الأمراض بجداول . و « منهج البيان فيما يستعمله الانسان من العقاقير » (١٦٣) . ونقل الى اللاتينية في ستراسبورغ سنة ١٩٣٢ م .

أما قسطا بن لوقا البعلبكي توفي حوالى سنة ٩١٢ م : اشتهر بصناعة الطب وبرع في علوم أخرى ، كالفلسفة والهندسة والأعداد والموسيقى ، عدا اجادته اللغسة اليونانية ، وقد ترجم منها كثيرا (١٦٤) .

(١٦٠) حسن أحمد ابراهيم : العرب واثراء الدراسات الطبية مجلة المؤرخ العربى - بغداد - العراق ع ١٧ ص ١٤٥ .

(١٦١) المرجع نفسه ص ١٥٢ .

(١٦٢) قدردى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢٢١ .

(١٦٣) زغريد هونكة : شمس العرب تصطب على الغرب ص ٣٤٧ .

(١٦٤) ابن النديم : الفهرست ص ٤١١ .

وابن التلميذ : عميد الأطباء في بغداد أهم كتبه كتاب « الأقربانيين الكبير »
استعمل في العالم العربي لعدة قرون ككتاب للتعليم . أما كتابه « الأقربانيين
الصغير » فقد استخدم في المستشفيات ، وله ١٨ مؤلفا آخر كما اهتم بالشعر
والأدب (١٦٥) .

أما سنان بن ثابت فكان طبيبا للمقتدر وقد بلغ من علو منزلته أن وكل اليه
المقتدر أمر امتحان الأطباء واجازاتهم ولقد أشار سنان بفتح البيمارستان المقتدرى ،
وانفق عليه من ماله ، كما فتح بيمارستان السيدة دريت المتطبين به ، ولقد « نقل
الى العربى نواميس هرمس والصلوات التى يصلى بها الصابئين ومن تصانيفه (١٦٦) .
رسالة في تاريخ ملوك السريان ورسالة في شرح مذهب الصابئين .

كما كان هلال بن ابراهيم طبيبا حاذقا تقدم عند أجلاء بغداد وخالطهم
بصناعته ، وكذلك ثابت بن ابراهيم فكان كذلك طبيبا حاذقا ببغداد (١٦٧) . وهناك
على بن العباس الذى نذكر من تأليفه الكتاب المكي الذى وضعه لعهد الدولة (١٦٨) .

أما ابن بطلان هو الحكيم : أبو الحسن الطبيب البغدادي المعروف بابن
بطلان طبيب منطقي نصراني من أهل بغداد وفضل في علم الأوائل يرتزق بصناعة
الطب وخرج عن بغداد الى الجزيرة والموصل ودخل حلب واقام بها لكنه سنم
الأسفار وانقطع للعبادة ، الى أن توفي سنة ٤٤٤ هـ ، ومن مؤلفاته (دعوة
الأطباء) (١٦٩) .

(١٦٥) زغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٤٨ .

(١٦٦) ابن المقفى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٣٣ .

(١٦٧) المصدر نفسه ص ٧٨ .

(١٦٨) د. حسن الشيبلى : دراسات في الحضارة الإسلامية ص ٩٣ .

(١٦٩) زغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٤٨ .

سادسا - علم الفلك والتنجيم :

مما لا شك فيه أن علم الفلك تقدم تقدما كبيرا كبيرا في العصر العباسي كغيره من فروع المعرفة ، وكانت بعض مسائله مما يطالب المسلم بمعرفتها ، كأوقات الصلاة التي تختلف بحسب المواقع من يوم الى يوم ، ولا يخفى أن حسابها يقتضى معرفة عرض الموقع الجغرافى وحركة الشمس في البروج ، وأحوال الشفق الأساسية ، وفوق ذلك : فاتجاه المسلمين الى الكعبة في صلواتهم يستلزم معرفتهم اتجاه القبلة أى حل مسألة من مسائل علم الهيئة الكبرى ، مبنية على حساب المثلثات (١٧٠) .

وهناك صلاة الكسوف أو الخسوف التي تقتضى معرفتها ، معرفة حساب النيرين واستعمال الازياج الدقيقة . وهناك أيضا هلال رمضان ، واحكام الشريعة والصوم ، حملت الملكيين على البحث عن المسائل العويصة المتصلة بشروط رؤية الهلال ، وأحوال الشفق ، فبرزوا في ذلك واخترعوا حسابات وطرقا بديعة ، لم يسبقهم اليها أحد من الهنود والفرس (١٧١) .

أضف الى هذا كله شغف الناس بالتنجيم ، كل هذه العوامل ساعدت على الاهتمام بالفلك والتعمق فيه تعمقا أدى الى الجمع بين مذاهب اليونان والكلدان والهنود والسران والفرس والى اضافات لولاها لما أصبح علم الفلك على ما عليه الآن .

قد يستغرب القارئ اذا علم أن أول كتاب في الفلك والنجوم ترجم عن اليونانية الى العربية لم يكن في العهد العباسي ، بل في زمن الأمويين قبل انقراض دولتهم في دمشق بسبع سنين . ويرجح الباحثون أن الكتاب هو ترجمة « كتاب عرض مفتاح النجوم » الى « هرمس الحكيم » والكتاب المذكور : موضوع على تحليل سنى العالم وما فيها من الأحكام النجومية (١٧٢) .

فعلم الفلك هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة أو المتحركة ويستدل من تلك الحركات على اشكال واوضاع للأفلاك لزمت عنها الحركات المحسوسة بطرق هندسية ، وكان اليونانيون يعنون بالرصد كثيرا ، ويتخذون له الآلات التي توضع

(١٧٠) فاللنيو (كلو) : علم الفلك وتاريخه عند العرب في القرون الوسطى ص ٢٣٠ .

(١٧١) المرجع نفسه ص ٢٣١ .

(١٧٢) المرجع نفسه ص ٢٤١ .

نيرصد بها حركة الكواكب المعينة ، بقصد معرفة عملها والبرهنة على مطابقة حركتها بحركة الفلك (١٧٣) .

يقول الجاحظ : « اشتهر الهند بالحساب وعلم النجوم ، والأسرار والتصاوير والصناعات الكثيرة العجيبة » (١٧٤) . ويقول الأصفهاني : « ان الهند لهم معرفة بالحساب والحظ الهندي وأسرار الطب وعلاج فاحش الأدوية والرقى وعلم الأوهام وخرط التماثيل ونحت الصور وطبع السيوف والشطرنج » (١٧٥) . فالمسعودي في « مروج الذهب » والبيروني في « تحقيق ما للهند من مقولة » وناليني في كتابه « علم الفلك » يتحدثان عن مدى ثقافة الهند وحكمتهم وفلسفتهم واحاطتهم بعلم الفلك والطب والتنجيم (١٧٦) .

وقد اتصل العرب بهذه الثقافات وأفادوا منذ أن كانت لهم صلة بالهند ، أيام السلم عن طريق التجارة أو أيام الحرب في عهد الفتوحات (١٧٧) وقد فتح العرب السند وكابل وكشمير (١٧٨) .

أصبحت هذه البلاد خاضعة للدولة الإسلامية ، فأتاح ذلك للعرب أن يتصلوا بالهنود ، وللهنود أن يندمجوا في الحياة الإسلامية ، ويتنقلوا في ربوعها من بلد الى آخر — وحينئذ تم اللقاح الثقافي بين العرب والهند . وقد كان بين الهنود الذين أسروا في الحرب من برز في العلم والأدب والشعر كابن الأعرابي وأبي معشر نجيب السندي وأبي عطاء السندي (١٧٩) ، وغيرهم .

انن لقد كان للثقافة الهندية في مختلف مناحيها دور هام في ايضاح الفكر الاسلامي ويقرر ديبور أن كتاب « السند هند » الذي ترجمه الفزارى الى اللغة العربية قد عرف قبل أن يعرف كتاب الماجستى لبطليموس (١٨٠) .

(١٧٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٥٥٤ .

(١٧٤) الجاحظ : رسائل الجاحظ ص ٧٣ .

(١٧٥) الأصفهاني ، حسين : محاضرات الأدياء ج ١ ص ٩٣ .

(١٧٦) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٤٤ .

(١٧٧) ديبور : تاريخ الفللفة في الاسلام ص ١٢ .

(١٧٨) ابن خرداذبة ، عبيد الله : (المسلك والممالك) * (طبعة لندن - ١٨٨٩ م) ص ٦٢ .

(١٧٩) د. عبد الحكيم بلبح : ادب المعتزلة ص ١٨٩ .

(١٨٠) ديبور : تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ١٤ .

يحيى نالليو : « أن وفندا من الهند وفد على أبى جعفر المنصور سنة ١٥١ هـ وفيهم رجل ماهر في معرفة حركات الكواكب وحسابها ، وسائر أعمال الفلك على مذهب علماء أمته . وخصوصا على مذهب كتاب باللغة السنسكريتية اسمه « براهميسيهطسد هانت » ألفه سنة ٦٣٨ م أو ٧٠٦ م الفلكى الرياضى « برهيكبت » فكلف المنصور ذلك الهندى بإملاء مختصر الكتاب ثم أمر بترجمته الى اللغة العربية ، وباستخراج كتاب منه تتخذ العرب أصلا في حساب حركات الكواكب وما يتعلق به من الاعمال فتولى ذلك الفزارى وعمل منه زيجا اشتهر به بين علماء العرب ، حتى انهم لم يعملوا الا به الى أيام المأمون حيث ابتداء مذهب بطليموس في الحساب والجدول الفلكية » (١٨١) . هذا الكتاب الذى ألفه « برهيكبت » هو الذى اشتهر بين المسلمين بعد اختصاره باسم « السند هند » .

ثم يقول نالليو : « ... فانتضج مما بينته ان تأثير علماء الهند والفرس في نشأة ميل العرب الى ذلك العلم الجليل سبق تأثير اليونان ولو بزمان قليل » (١٨٢) . يؤخذ من هذا كله ومن التقارير الكثيرة التى سجلها البيرونى في كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة » ان العلم الهندى وبخاصة الطب والرياضة والفلك كان له الفضل في توجيه المسلمين الى هذه المجالات .

فعلم الفلك هو أول ما اعتنى العرب به في بغداد ، حيث كانت بغداد مركزا مهما لمباحث علم الفلك ، ولكنها لم تكن المركز الوحيد لهذه المباحث ، فالمراسد كانت قائمة في البلاد الممتدة من آسيا الوسطى الى سواحل المحيط الأطلسى ولا سيما في دمشق وسمرقند والقاهرة وفاس وطليلطة وقرطبة (١٨٣) . وقد اشتهر عند العرب في علم الفلك كتاب المجستى وهو تأليف العالم بطليموس الذى عاش في القرن الثانى بعد الميلاد ونقل العرب كتابه في عصر الترجمة وقد أخذت أوروبا اللاتينية اسم الكتاب عن العربية مما يدل على ارتفاع شأن العرب في الحضارة (١٨٤) . والفلك من أحب الدراسات الى العرب بعد الرياضيات فلك لأن النجوم منذ الأيام القديمة كانت هى هادى العرب في الصحراء ، وقد عرف العرب أن ضوء القمر مستمد من الشمس ولكن أخطأوا في أن الأرض مركز الكون ،

(١٨١) نالليو : علم الفلك وتاريخه عند العرب في العصور الوسطى ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

(١٨٢) المرجع نفسه ص ٢١٤ .

(١٨٣) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٤٨١ .

(١٨٤) د. أحمد نوّاد الأهواني : (الفلسفة الإسلامية) (دار التلم بعصر - القاهرة

١٩٦٥ م) ص ٤٤ ، ٤٥ .

وكان معلم أوروبا في هذا الميدان لثنين من أقدم الفلكيين المسلمين وهما (الفرغاني والبتاني) اللذين تمتعا بشهرة دائعة تحت اسمي الفراجانوس والبايتجنوس^(١٨٥) .

مما يدل على أن الغرب مدين لما قام به المسلمون من دراسات فلكية في العصور الوسطى تلك المصطلحات الفلكية العديدة ذات الأصل العربي مثل سمت الرأس وسمت السماوات وسمت العدم وغير ذلك^(١٨٦) . عنى العباسيون^(١٨٧) في بغداد برصد الكواكب ، والخليفة المنصور أول خليفة قرب المنجمين ، وعمل بأحكام النجوم وبلغ من شغفه بالمشغولين بالفلك درجة جعلته يصطحب معه دائما من منجميه نوبخت الذي أسلم على يديه ، وإبراهيم الفزارى صاحب القصيدة في النجوم نقتطف منها الجزء المتعلق بحساب الوقت :

فإن أردت ما مضى وما بقى من النهار بالحساب الإوفسقى

فأعمل هداك الله بالترفق

عودا وقدره لحسن القدر ستأر وستار استعن بالصبر

وطوله قدرا كقدر الشبر

فانصبه نصبا في مكان مستو ثم انظر الظل الى ما يفتهى

فقدره بالعود (هنا نقص في الأصل)^(١٨٨)

كما كان هناك من علماء الفلك على بن عيسى الأسطرلابى المنجم وبلغ من شغف المنصور بعلم الفلك أن عهد الى علماء الفلك بترجمة أعمال الإغريق والفرس والهنود ، فترجم له كتاب « السند هند الكبير » وظل هذا الكتاب في بغداد أهم مرجع في هذا العلم حتى عهد المأمون ، فاختصره الخوارزمي وأضاف اليه اضافات من مراجع فارسية ويونانية ، وضم اليه أبوابا مفيدة ، واعتمد العرب على زيجه^(١٨٩) واخذوا منه في وضع أزياجهم ، وألف في الفلك^(١٩٠) ، كما نقل يحيى بن البطريق في عهد المنصور كتاب الأربع مقالات لبطليموس في أحكام النجوم^(١٩١) .

(١٨٥) حسنى أحمد حماد : الحضارة العربية نشأتها وتطورها ص ٥٨ .

(١٨٦) هل ، يوسف : الحضارة العربية ص ١١٠ .

(١٨٧) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٥٥٥ .

(١٨٨) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٧٠ ، ٧١ .

(١٨٩) زيچ : جدول فلكى .

(١٩٠) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٠ .

(١٩١) المصدر نفسه ص ٢٢٣ .

كان اهتمام المهدي بالنجوم لا يقلل عن اهتمام أبيه المنصور فكان تيوفل ابن توما رئيس منجميه عالما بالنجوم ، وصنف فيها كتابا ، وترجم كتابا في الفلك من اليونانية الى السريانية وفي عهده تم تصحيح بعض اخطاء كتاب المجستى لبطليموس (١٩٢) .

وفي عصر الخليفة هارون الرشيد وابنه المأمون صاغ العرب كل أسماء النجوم والكواكب لدى ترجمتهم لأعمال الفلكي الأكبر البرخس HIPPARCH ودليله المفتاح بقلم بطليموس PTOLEMAIS مع عدم اغفال أسمائها القديمة التقليدية الأمر الذي جعل لمعظم أسماء الكواكب الثابتة فيما بعد ، أسماء ذات مصدر عربي كالفول ALGOL والكور ALKOR والطير ALLTALR والذنب DENALS وفم الحوت FAMALHOUT وغيرها . ولم ينحصر الأمر بأسماء النجوم فحسب بل تعداها الى الرموز الفلكية ASTRONC MISCHE واشكالها التي يعرفها الكل ، كالسمت ZENITH وسموت الشمس AZIMUT والنظر NADIR والمقنطرات ALMUONTARAT والعضاده ALHIDADE والبتودوليت THEODOLIT وبتشجيع من علم الفلك الهندي في كتاب « سند هند » SIDHANTA لبراهما غويتا BRAHMAGOPLA وعلم الفلك في كتاب المجستى ALMAGEST لبطليموس . وانصرف العرب الى الاهتمام بهذا العلم وأصبحوا في قصور خلفاء المنصور والرشيد والمأمون خاصة يراقبون السماء وما دار في فلكها من نجوم مراقبة دقيقة علمية منطلقين به من مفهومه البدوي المحدود الى آفاق واسعة جعلت من ذلك العلم القائد في العالم نقرون عديدة (١٩٣) .

كما كان الفضل بن سهل وزير المأمون حجة في علم الفلك ويقال أن النجوم دلته على أن الأمر سيصير للمأمون لذلك تقرب اليه ، وأخلص له ، ولما ولي المأمون الخلافة قدر جهود الحسن بن سهل في بلوغه الخلافة فاستوزره ، وكان الحسن بن سهل أيضا على علم بالنجوم ، وقد علم بمؤامرة لاغتيال أخيه الفضل في خلال بالنجوم . ولا يمكن قبول الروايات التي ترددت عن أن النجوم أنبأت المسلمين بها عن الحوادث المستقبلية ، ولكن الناس كانوا في ذلك العصر شغوفين باستطلاع الأخبار عن طريق النجوم (١٩٤) .

(١٩٢) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٢١ ، ٢٢٣ .

(١٩٣) زغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١١٤ ، ١١٥ .

(١٩٤) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الإسلامية الكبرى ص ٢٨٥ .

مهما يكن من أمر فقد انتقلت علوم الاغريق في النجوم الى العرب وخاصة ما كتبه بطليموس عن طريق الأرض والكواكب والشمس ، وقد نقلوا — كما قلنا كتاب المجسطي^(١٩٥) — وزادوا عليه ، ووافقوه في بعض آرائه . وخالفوه في بعضها ، قالوا : ان الأرض مركز للكون وأنها قائمة في الفضاء ، وقالوا بدوران الشمس والقمر والنجوم حول الأرض ، وان القمر أقرب الأجرام السماوية الى الأرض يليه الكواكب الأخرى ، وأنها جميعا تدور حول الأرض دورة كاملة كل يوم ، كما قاسوا أجرام الشمس والقمر والنجوم بطرق هندسية حسابية بما يقرب من الحقيقة . وقاسوا أبعادها عن الأرض ، وقد أنشأ المأمون مرصدا في الشامية في بغداد وكان أساس تقدم العرب في النجوم يرجع الى المراصد التي أقاموها ، والأجهزة التي ابتكروها . على أن معظم الممعدات الفلكية التي استخدموها مثل الأسطرلاب كانت في الغالب مبنية على النماذج اليونانية وأجريت حسابات دقيقة في الفلك ، وعلى غروض تفرض لتعليل ما يرى من الظواهر الفلكية^(١٩٦) .

وجدير بالذكر أن المراصد تضمنت آلات الأسطرلاب الذي يقيس ارتفاعات الكواكب من الأفق ، وتعيين الزمن ، وحل كثير من المسائل الفلكية كما وضعوا الأرياح ، وهي جداول فلكية تتضمن قوانين رياضية فيما يختص بكل كوكب عن طريق حركته مثل زيح البلخي وزيح الخوارزمي^(١٩٧) كذلك اهتم جابر بن حيان بدراسة علم الفلك ، وتوصل الى أن الكواكب السبعة تختلف في مقدار الحرارة التي تستمدّها من الشمس باختلاف قربها منها أو بعدها عنها فالشمس هي التي تسمد الكواكب كلها بالحرارة والنور ، والشمس وسط بين الكواكب فتصل حرارتها الى الكواكب كلها . وعلى قدر القرب أو البعد من الشمس تكون حرارة الكواكب ، ودرس كوكبا من حيث ظواهره الطبيعية وخصائصه كما درس خصائص البروج^(١٩٨) .

(١٩٥) لا شك أن المجسطي من أهم ما نقل من التراث اليوناني الى العربية ، ومن أكثر المؤلفات التي ساعدت على تقدم الفلك عند العرب ، وقد وصفه « بطليموس العلوي » ويقول عنه القفطي : « امام في الرياضة كامل فاضل من علماء اليونان » كان في أيام آنطونيوس وفي أيام نظيموس من ملوك الروم وبعد « أبرخس » بمائتين وثمانين سنة ٠٠ والى بطليموس هذا انتهى علم حركات النجوم ومعرفة أسرار الفلك وعنده اجتمع متفرقا من هذه الصناعة بايدي اليونانيين والروم وغيرهم من ساكني الشرق الغربي من الأرض وبه انتظم شمسها وتجلي غامضها : ابن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٦٧ . ٦٩ .

- (١٩٦) د عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم عند العرب ص ١٠٨ .
 (١٩٧) د عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية ص ٢٨٩ .
 (١٩٨) المرجع نفسه ص ٢٨٨ .

من أبرز من تصدى لعلم الفلك في بغداد جعفر بن محمد بن محمد بن عمرو البلخي فكان امام وقته في فنه وله التصانيف المفيدة في علم الفلك . ولم يكن الخوارزمي عالما في الرياضيات فقط بل كان من المهتمين بعلم الفلك وكان أحد منجى المأمون ولعله اشترك في حساب ميل الشمس في عهده ، وجرى على العكوف في مكتبة المأمون للاطلاع وكان من المنجمين الذين استدعاهم الواثق في مرضه الأخير لينبئوه بما يكون من أمره ، وقد انصرف الى دراسة الجغرافيا والتاريخ بالاضافة الى الفلك ، ولف كتاب التاريخ الذي اعتمد عليه المسعودي في دراساته ، أما المصادر اليونانية فكانت تأتي في المرتبة الثانية من مصادر وقد ألف كتابين في الأسطرلاب ، وتناول فيه مسائل في التنجيم من الناحية العلمية وأعد مجموعة من صور السماوات والعالم نزولا على طلب المأمون^(١٩) . ومن هذه الصور كتاب « صورة الأرض » .

ان الانسان ليصل عن طريق علم النجوم الى برهان وحدة الله ومعرفته عظمتها الهائلة ، وحكمته السامية ، وقوته الكبرى ، وكمال خلقه^(٢٠) . قال البتاني ايضا « وهو أحد كبار فلكي العرب » فان : « علم النجوم هو علم يتوجب على كل امرئ أن يعلمه ، كما يجب على المؤمن أن يلم بأمور الدين وقوانينه لأن علم الفلك يوصل الى برهان وحدة الله ومعرفته وعظمتها وحكمته وكمال خلقه^(٢١) » ولد البتاني^(٢٢) في بتان من نواحي حران ، وجاء في دائرة المعارف لفريد وجدي أن البتاني ولد سنة ٢٤٠ هـ ويقول بول في كتابه « مختصر تاريخ الرياضيات » انه ولد سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م .

بينما المصادر العربية كالفهرست وبعض المصادر الأفرنجية لا تذكر بهذا الشأن ، أما كتاب آثار باقية فيقول « أن تاريخ ولادة البتاني غير معروف الا ان هناك ما يجعلنا أنه ولد بعد عام ٢٣٥ هـ وكانت وفاته سنة ٣٢٧ هـ في طريقه « بقصر الجص » عند رجوعه من بغداد حيث كان مع بنى الزيات من أهل الرقة

HITTI : History of the Arabs, p. 379.

(١٩٩)

(٢٠٠) زفرید هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١١١ .

(٢٠١) المرجع نفسه ص ١٣٠ .

(٢٠٢) تقول المصادر ان البتاني ابتداء الرصد سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م يفكرون « بول » قد خلط بين

تاريخ الولادة وابتداء الرصد : طوقان : تراث العرب العلمى ص ٢٤٢ .

في ظلالها لهم^(٢٠٢) . وقصر الجص هو قصر عظيم بناه المعتصم قرب
« سامراء »^(٢٠٤) .

البتاني^(٢٠٥) معروف عند الأفرنج باسم (البتاني ALBATEG) . وعند
آخرين باسم (الباتاغنيوس ALBATAGNIEIS) . وقد اشتهر برصد الكواكب
ويقال انه ابتداء الرصد سنة ٢٦٤ هـ والى ٣٠٦ هـ . وأمضى ذلك العهد في الرقعة
على الفرات وفي أنطاكية بسوريا . وكان البتاني أوجد عصره في فنه وأعماله
تدل على غزارة فضله وسعة علمه^(٢٠٦) .

رأى البتاني أن شروط التقدم في علم الفلك ، والتبحر في نظرياته ونقدها ،
والمنارة على الأرصاد والعمل على اتقانها ذلك : « لأن الحركات السماوية لا بحاط
بها معرفة مستقاة حقيقة الا بتمادي العصور أو التدقيق في الرصد »^(٢٠٧) جاء في
زيجه : « وان الذي يكون فيها من تقصير الانسان في طبيعته عن بلوغ حقائق
الأشياء كما يبلغها في القوة ، يكون يسيرا غير محسوس عند الاجتهاد والتحرز ،
ولا سيما في المدد الطوال . وقد يعين الطبع وتسعد الهمة وصدق النظر وأعمال
الفكر والصبر على الأشياء ، وان عسر ادراكها وقد يعوق عن كثير من ذلك قلة
الصبر ، ومحبة الفخر والحظوة ، عند ملوك الناس ، بادراك ما لا يمكن
ادراكه على الحقيقة في سرعة أو ادراك ما ليس في طبيعته ان
يدركه الناس^(٢٠٨) . أما عالم الفلك موسى بن شاكر وأولاده الثلاثة ، فكان في قصر
ال خليفة المأمون العظيم رجل يدعى موسى بن شاكر صرف معظم سنى عمره فيه ،
فأصاب مكانة عجز عن نيلها أحد من علماء الفلك والرياضيات . ولا عجب في ذلك .
فقد كان صديق الخليفة الحميم وأقرب المقربين اليه وعلى الرغم من هذا ،
فقد كان هذا الرجل وهو موثق بقيود القصر الذهبية ورغم مكانته الخاصة
في قلب أمير المؤمنين . وكانوا بنو موسى بن شاكر ، من أنشط العناصر التي كانت
في بيت الحكمة وهم ثلاثة اخوة محمد وأحمد والحسن ، وعرف أبناؤهم فيما
بعد — ببني موسى المنجم^(٢٠٩) .

(٢٠٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٠ .

(٢٠٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٧ ص ١٠٠ .

(٢٠٥) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٩ .

(٢٠٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٨٠ .

(٢٠٧) نالنديو : علم الفلك وتاريخه عند العرب في العصور الوسطى ص ٢١٤ .

(٢٠٨) قزويني حافظ طوقان : تاريخ العرب العلمي في الرياضيات والفلك ص ٢٤٢ .

(٢٠٩) ابن النديم : الفهرست ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

كان أبوهم قد خدم المأمون ، وتوفى وهم صغار ، فأوصى المأمون بهم اسحاق بن ابراهيم المصعبى ، أن يثبتهم مع يحيى بن أبى منصور المنجم ، فى بيت الحكمة ، فلأزموا التعلم بها ، فشبوا مولعين بعلوم الحكمة والهندسة والفلك ، والحيل والحركات الفلسفية ، ولما علا شأنهم أثبتوا فى بيت الحكمة مع العلماء والمترجمين ، فكانوا يتولون دائرة العلوم الرياضية والهيئة والهندسة والنجوم والحيل والموسيقى ، واشتهر أكبرهم أبو جعفر محمد بن موسى « المتوفى سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م » فكان يشرف على ما يترجم من كتب الجبر والمقابلة لبيت الحكمة ، وله كتاب يعملون بين يديه ، وتراجمة يترجمون الكتب التى يختارها وكان ممن يساعده فى عمله هذا يحيى بن أبى منصور الموصلى المنجم وكان أحد خزنة بيت الحكمة وأحد الرصناد^(٢١١) .

من هؤلاء الذين ألفوا فى الفلك وعملوا أرصادا وأزياجا جليلة أدت الى تقدم علم الفلك أمثال :

أحمد بن عبد الله حبش الحاسب الروزى ، ظهر فى عصر المأمون ولم تكتب عنه المصادر شيئا جديرا بالاعتبار ويقول ابن النديم : أنه جاوز سنه المائة^(٢١١) . قضى معظم أوقاته فى المطالعة والبحث فى كتب الأقدمين فى مختلف الفروع وهو من الذين كتبوا كثيرا فى الفلك وآلات الرصد^(٢١٢) . ويقال : أنه عمل أول جدول للظل ، ويوجد هذا الجدول فى إحدى المخطوطات فى برلين^(٢١٣) . ويظهر أن « حبشا الحاسب » استعمل القاطع أيضا . وله عدة تأليف منها : ثلاثة أزياج أولها : المؤلف على مذهب « السند هند » خالف فيه الفزارى والخوارزمى فى عامة الأعمال واستعمله الحركة واقتبال البروج وإدباره على رأى « ثادن الاسكندرى » واتضح له بها مواضع الكواكب فى الطول^(٢١٤) . ثانيها : الزيج المتحن وهو أشهر ما له ألفه بعد أن رجع الى معاناة الرصد ، وضمه حركات الكواكب على ما يوجبه الامتحان فى زمانه^(٢١٥) .

ومما يدل على منزلة هذا الزيج وفضل مؤلفه « كون أبو الريحان البيرونى »

(٢١٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٨٧ .

(٢١١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٤ .

(٢١٢) سميث : (تاريخ الرياضيات) مجلد ١ ص ١٧٤ .

(٢١٣) المرجع نفسه مجلد ٢ ص ٦٢ .

(٢١٤) صاعد الأنطلى : طبقات الأمم ص ٨٦ .

(٢١٥) المصدر نفسه ص ٨٦ .

دافع عن الزيج المتحن في كتابين من كتبه^(٢١٦) . ولقد لقب « حبش الكاتب الحاسب » بالحكيم حبش وفي كتاب « الآثار الباقية عن القرون الخالية »^(٢١٧) . وثالثها : الزيج الصغير المعروف بالشاه وله أيضا كتاب الأبعاد والأجرام « كتاب عمل الأسطرلاب » ، كتاب الرخائم والمقاييس ، كتاب الدوائر الثلاث المماسية^(٢١٨) . وكيفية الأوصال بكتاب عمل السطوح المبسوطة والقائمة والمائلة والمنحرفة . وقد لاحظت أن حبش له أيضا زيجين آخرين غير الثلاثة المذكورة ، الزيج الدمشقي ، والزيج المأموني وهذان الزيجان مذكوران في تاريخ الحكماء والفهرست .

سند أبى على أبى الطيب « ظهر حوالى ٨٥٠ م » كان سند يهوديا وقد أسلم على يد المأمون وكان من جملة منجميه ، وعمل في جملة الراصدين ، بل كان على الأرصاد كلها^(٢١٩) . اشتهر بعمل آلات الرصد والأسطرلاب ، وقد ندبه المأمون الى اصلاح آلات الرصد « بالشمسية » في بغداد ، وقد امتحن موضع الكواكب وله زيج مشهور عمل به المنجمون في زمانه^(٢٢٠) ، وفيما بعد ، له مؤلفات في العلوم الرياضية منها كتاب المنفصلات والمتوسطات ، كتاب القواطع ، كتاب الحساب الهندى ، كتاب الجمع والتفريغ ، كتاب الجبر والمقابلة^(٢٢١) ويقال انه كتب في المثلثات .

اما العباس بن سعيد الجوهري فقد ظهر حوالى ٨٣٠ م كان من أوائل الذين رصدوا في الاسلام ، خبيرا بصناعة التيسير وحساب الفلك ومن الذين ندبهم المأمون للرصد « بالشمسية » في بغداد ، وكذلك أجرى بعض الأرصاد « في دمشق . ألف في مواضع بعض الكواكب للسيارة والنيرين زيجا مشهورا^(٢٢٢) . كما كان هناك أيضا أبو حامد بن محمد الصاغاني^(٢٢٣) . اشتهر « الصاغاني » في صناعة الأسطرلاب والالات الرصدية وابقائها كما اشتهر في الهندسة وعلم الهيئة وهو من الذين عهد اليهم في الرصد وتوفى في بغداد حوالى سنة ٩٨٩ م .

(٢١٦) صالح زكى : (آثار باقية) . (اسطنبول ١٣٢٩ م مجلد ١) ص ١٥٧ .

(٢١٧) البيروني : محمد بن أحمد الخوارزمي : (الآثار الباقية عن القرون الخالية) . (لا يبيج

١٩٢٣ م) ص ١٩٨ .

(٢١٨) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٨٦ .

(٢١٩) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٣ .

(٢٢٠) ابن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٢٢١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٤ .

(٢٢٢) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى في الرياضيات والفلك ص ٢١٣ .

(٢٢٣) المرجع نفسه ص ٢٦١ .

وابو اسحاق ابراهيم بن سنان ثابت بن قره ولد سنة ٩٠٨ م وتوفى ٩٤٦ م هو حفيد ثابت بن قره ، اشتهر بالذكاء والعلم واشتغل بالهندسة والفلك وأنواع الحكمة ، وله في ذلك مؤلفات وقد عمل في الهندسة ثلاثة عشر مقالا ، منها أحد عشر في الدوائر المتماسية بين فيها على أى وجه تتماس الدوائر والخطوط التى تجوز على النقط (٢١٤) وغير ذلك .

وقد انتشرت المراصد في البلاد العربية فبنى المأمون مرصدا في الشماسية في بغداد وآخر في جبل قاسيون في دمشق . وبنى الحاكم بأمر الله الفاطمي على جبل المقطم بالقاهرة ، فكان هناك مرصد للدينوري في أصفهان ، ومرصد الرقعة ومرصد ائتاكية اللذان عمل فيهما البتاني ومرصد ابن الشاطر في الشام ومرصد مراغة الذى اشرف على بنائه نصر الدين الطوسي ومرصد أولخ بك في سمرقند (٢٢٥) .

وكان من أساطين علم الفلك في أيام المأمون أبو العباس أحمد بن محمد ابن كثير الفرغاني — الذى ذاع صيته لتعدد الدراسات الفلكية التى قام بها والمؤلفات التى وضعها في هذا الشأن والتى على رأسها كتاب المحركات السماوية ، وجوامع علم النجوم ، وهو مخطوط قيم ترجم مرتين الى اللاتينية في القرن الثانى عشر الميلادى . ثم طبعت هذه الترجمات في أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر (٢٢٦) . ثم صار أحد المراجع الهامة التى اعتمدت عليها دراسات الفلك في أوروبا في ذلك الوقت وقام الفرغاني بحساب أبعاد الكواكب وأحجامها كما أن له مؤلفات أخرى في علم الفلك مثل « ملخص الهيئة » وكتاب عن المزاويل — وفي أواخر حياته رحل الى مصر حيث اشرف على اقامة مقياس النيل عند الفسطاط .

أما العباس بن سعيد الجوهري : فقد اشترك في أرصاد بغداد مع سند بن على ويحيى بن أبى منصور وفي دمشق مع سند بن على ، وعلى بن عيسى الأسطرابي المنجم وكان الخليفة المنصور قد أمر بنقل كتاب النجوم مع تعليل معموله على كروجات (أى حساب جيوب القوس واثباتها في الجداول) محسوبة لنصف درجة مع ضروب من أعمال الفلك من الكوفيين ومطالع البروج وغير ذلك .

(٢٢٤) المرجع نفسه ص ٢٥٣ .

(٢٢٥) د. على عبد الله الخفاج : الموجز في التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٢٢٦) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٩ ، ٣٠ .

وهذا الكتاب عرضه عليه رجل قدم سنة ١٥٦ هـ من الهند قيم في حساب السند هنتا . وقد كلف المنصور محمد بن ابراهيم الفزارى ترجمته وعمل كتابا في العربية يتخذ العرب أصلا في حركات الكواكب ، وقد سماه المنجمون كتاب السند هند وبقي الى أيام المأمون (٢٣٧) . وقد اختصره « الخوارزمي » وصنع منه زيجه الذي اشتهر في كل البلاد الاسلامية (٢٣٨) وعول فيه على أوسط السند هند وخالفه في التعاديل والميل ، فجعل تعاديله على مذهب الفرس ، وميل الشمس فيه على مذهب « بطليموس » واخترع فيه من أنواع التقريب أبوابا حسنة ، استحسنه أهل ذلك الزمان وطاروا به في الآفاق (٢٣٩) .

وأبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي شهرته مدوية في الشرق والغرب على السواء سمع عنها كل من له صلة بالتنجيم . ولا يفوتنا أن نذكر العالم الجليل أبا عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي الذي يعتبر من أئبغ علماء العرب وهو وإن كان معروفا بكتابه الرياضية إلا أننا نضعه في مصاف الفلكيين لاشتراكه معهم في بعض أعمالهم من جهة وللعلاقة الوثيقة بين الرياضة والفلك من جهة أخرى (٢٤٠) .

وابن أعلم الشريف البغدادي قال عنه البيهقي : « هو بغدادي المنشأ والمولد صنف الزيج المنسوب اليه ، وكان عالما بالهندسة وأجزائها عارفا بالقانون الفيثاغوري من الموسيقى » (٢٤١) .

وقال القفطي (٢٤٢) : « هو على بن الحسن أبو القاسم العلوي صاحب الزيج ، رجل شريف عالم بعلم الهيئة وصناعة التيسير ، مذكور مشهور في وقته ، وكان قد تقدم عند عضد الدولة يقف الملك عند اشاراته في اختبارات ويرجع الى قوله في أنواع التيسيرات وعمل زيجه المشهور الذي عمل به أهل زمانه في وقته وبعد زمانه الى أوائنا وتوفي سنة ٣٧٥ هـ » .

(٢٢٧) ابن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٧٧ .

(٢٢٨) رياض بانسا : (علم الفلك عند العرب) مجلة المقتطف - بيروت - لبنان مجلد ٣٩

(١٣٢٩ م / ١٩١١ م) ص ١٤٦ .

(٢٢٩) ابن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٧٨ .

(٢٣٠) د . امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٣٢ .

(٢٣١) البيهقي : (تاريخ حكماء الاسلام) (مطبعة الترقى - دمشق) ومطبوع تنمة صوان

الحكمة تحقيق محمد شفيق لاهور ١٣٥٠ هـ ص ٩٠ .

(٢٣٢) ابن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٥٧ .

أما البديع الأسطرلابي : فهو أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف الأسطرلابي المعروف بالبديع الأسطرلابي ، انه من الحكماء الفضلاء والأدباء النبلاء طبيب عالم وفيلسوف متكلم غلبت عليه الحكمة وعلم الكلام الرياضي . وكان مقتنسا لعلم النجوم والرصد . . . (٣٣٢) . عرف العرب علم الفلك معرفة عملية لم تتجاوز سد الحاجة الى الاهتداء بالنجوم ليلا ، والعلم بعدد السنين والشهور ، فعرفوا عددا من الكواكب الثابتة مع مواضع مطالعها ومغاريها ، ولكنهم ذهبوا في جعلها اشكالا وصورا مذهبيا يختلف عن غيرهم من الأمم الأخرى ، وعرفوا كذلك منازل القمر وانفردوا عن سائر الشعوب في استعمال تلك المنازل وأخذوا انواءها . ولم يتوصلوا الى تعيين السنين بحساب دقيق لجهلهم بعلم الهيئة واقتصارهم على المعرفة العلمية بالنجوم (٣٣٣) .

ويرجع المعهد بمدرسة بغداد للفلك الى عصر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين الذي كان هو نفسه فلكيا ، وقد صدر عن هذه المدرسة في عهد خلفائه هارون الرشيد والمأمون بعض المؤلفات الهامة فروجعت النظريات القديمة وصوب العديد من أخطاء بطليموس وصححت جداول اليونان . والى مدرسة بغداد يرجع الفضل في اكتشاف حركة نقطة الأوج في مدار الشمس وتقدير انحراف المسدار البيضاوي ونقصانه المتوالي والدراسة التفصيلية لتقدير مدة السنة (٣٣٥) . وقد لاحظ علماء بغداد عدم انتظام اقصى ارتفاع للقمر واكتشفوا التباين القمري الثالث ويعرف باسم « التغيير » وراقبوا الكلف « البقوع » الشمسي ودرسوا الكسوف والخسوف ، وظهور المذنبات وغيرها من الظواهر الفلكية وشكوا في ثبات الأرض فكانوا السباقين الأوائل لكبرنيقوس وكبلر (٣٣٦) .

كما سجلت نتائج هذه المراقبات التي قامت بها مدرسة بغداد ، في الجداول ومن أشهر علماء هذه المدرسة البتاني الذي يعتبره لالاند واحدا من أشهر عشرين فلكيا في العالم وأبو الوفا الذي يرتبط اسمه بأحد أساسيات علم الفلك وهو التباين القمري الثالث (٣٣٧) .

(٣٣٣) خير الدين الزركلي : (الأعلام) . (ط ٤ بيروت - لبنان - دار العلم للمسلمين ١٩٧٩ م) ج ٩ ص ٥٨ .

- (٣٣٤) د . أحمد فؤاد الأهواني - الكندي فيلسوف العرب ص ١٨٩ .
- (٣٣٥) حيدر بامات : اسهام المسلمين في الحضارة الانسانية ص ٩٩ .
- (٣٣٦) المرجع نفسه ص ١٠٠ .
- (٣٣٧) المرجع نفسه ص ١٠٠ .

أما التنجيم : فهو ضرب من التخمينات على غير أساس مقنع ، فكان من أبرز رجاله أبو معشر جعفر بن محمد البلخي المتوفى سنة ٣٧٢ هـ / ٨٨٦ م اذ كان من أوغر المنجمين الأوائل حظا من الاحترام واقواهم تأثيرا على معرفة واسعة بالتراث القديم وقد وضع نظرية تقول : « بأن الصور النجمية تقراءى في السماء مع حلول العصور اى عقود الشهور الست والثلاثين التى يشكل كل منها ثلث برج في الأبراج الاثنى عشر . . . » (٣٣٨) . كان مولد البلخي في بلخ واقام في بغداد واثبتته المراجع الأوروبية في العصور الوسطى حجة وصور كقديس او نبي ونقل أربعة من كتبه الى اللاتينية في القرن الثانى عشر الميلادى . وقد اكتشف حقائق علمية تتعلق بنظم المد والجزر وعلاقتها بطلوع القمر وغياحه (٣٣٩) .

قال صلى الله عليه وسلم : « تعلم السحر ولا تعمل به » وعلى هذا فان دراسة علم التنجيم صارت حاجة ضرورية بعهد الاسلام لأن الله تعالى هو الذى أوصى الأنام بمقابل السماء . فباسمه درست حركات النجوم والأفلاك وباسمه ايضا كانت ناتحة المخطوطات العلمية جيمما وهذا لعمري ما تمتع به العربى دون غيره .

قال تعالى في سورة يس : « والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون » (٢٤٠) .

جاء في سورة يونس : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون . ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض آيات لقوم يتقون » (٢٤١) .

وقد كانت ثقافتهم العلمية الوافرة سببا من الأسباب التى حفظتهم من الوقوع في مستنقع الشعوذات الباطلة لهذا كله فانه لم يكن لعلم التنجيم ASTROLOGIIE عند العربى الواقعى النزعة اى معنى سحرى خطير ، كما ان هذا العلم ما كان ليمنح العرب قسوى سحرية خارقة على حد زعم الأوروبيين الذين كانوا ينسبون

(٢٣٨) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢٣٩) د. حسن الشيبان : دراسات في الحضارة الاسلامية ص ٩٦ .

(٢٤٠) سورة يس ، الآيات ٣٦ - ٣٨ .

(٢٤١) سورة يونس ، الآيتان ٥ ، ٦ .

— خطأ — الى مخطوطاتهم ما ليس فيها . وقد ركبهم الذعر . واعتصم الخوف في قلوبهم .

والواقع ان علم التنجيم العربى هو فى حد ذاته — واكثر من اى ميدان آخر من ميادين الثقافة الاسلامية — علم فارسى صرف ، أدخل الى العالم الاسلامى من اعطاء النجوم معانى ورموزا وتصويرا لطواهر الطبيعة الخارقة ، على لأنها قوى شر أو خير تسعى الى مكافأة الانسان والى انزال العقاب به^(٢٤٢) .

كان استاذ ابناء موسى « يحيى بن أبى منصور » وهو فارسى الأصل ايضا منجما بارعا فى هذا العلم ، كغيره من مواطنيه ، وقد كان أخرى بتلاميذه — ابناء موسى الثلاثة — ان يأخذوا عنه هذه الهواية وان يبرعوا فيها كأستاذهم ببيد أنهم لم يعقلوا شيئا من هذا ، لأنهم كانوا رجال علم صحيح ورواة حقائق مندفعين فى سبيلها كل الانتفاع^(٢٤٣) .

وفى عام ٧٦٠ م توجه المنجم الفارسى الشهير « نوبخت » NAUBAGHT المتوفى عام ٨٧٧ م تقريبا الى قصر الخليفة العربى المنصور يحمل معه تراث الأجيال المتعلقة بالتنجيم والتنبؤات ، وكان ميزان القوى قد مال لصالح العباسيين الذين قضوا على سلالة بنى أمية ونقلوا العاصمة من دمشق الى الشرق حيث الوفرة والغنى . وهناك على ضفاف دجلة نهضت عاصمة الامبراطورية وقلبها النابض لمدة من الزمن « بغداد » ولكن قبل أن يشرع الخليفة فى بناء المدينة طلب ائيه نوبخت أن يأذن له فى درس موضع النجوم ، حتى يحول دون التأثيرات الشريرة ، ويحسب الوقت ليعرف أنسب ساعة للشروع فى البناء ، وانصرف نوبخت للاشتراك مع يهودى فارسى كان قد دخل الاسلام وحمل اسم ما شاء الله^(٢٤٤) . الى استنطاق النجوم أسرارها وسؤالها عن موعد الولادة المناسبة ، ومعرفة الوقت الصحيح للقيام بالقياسات ومسح الأراضي وتخطيطها . فكان أن أخرجت الى الوجود مدينة المدن ، آنذاك ، فسميت « بغداد » أى مدينة السلام . وقد أصبح نوبخت الفارسى المنجم للقصر وغدا ذا نفوذ قوى وتأثير كبير ، وتراأس جماعة من زملائه عرفوا كيف يحافظون على أهميتهم ومراكزهم كمستشارين لا غنى للخلفاء عنهم . ونشط

(٢٤٢) زغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٦٧ :

(٢٤٣) المرجع نفسه ص ١٦٧ .

(٢٤٤) المرجع نفسه ص ١٦٨ .

الفرس في جميع المصادر المختلفة المتعلقة بعلم التنجيم القديم ، من هندية وبابلية للعالم تيوكروس TEUKROS وبثان BETHAN أو كلدانية ونقلوها الى القصور العربية . الا أن ما شاء الله كان أكثر هؤلاء زعامة ، وقد وجدت آراؤه في بلاد الغرب فيما بعد آذانا صاغية كما كان له أيضا تلامذة بررة ومريدون كثيرون (٢٤٥) *

لا جرم — ان علم التنجيم قد وصل — بفضل التفات العرب اليه الى عصره الذهبي في وقت كان فيه علم الفلك يحبو كالطفل على الأرض او يخطو خطواته الأولى . كما كانت الحال في علم الفلك ، كذلك كانت الحال أيضا في علم التنجيم . فالفرس واليهود انصرفوا كلياً الى رعاية هذا العلم والدعوة له في أوروبا فنالوا ثناءها وتقديرها (٢٤٦) ومن هؤلاء العاملين : « أبو بكر بن الخصيب AL - CHASIB وعبد العزيز القابسي AL - KABIS) المعروفان في أوروبا باسم (AL - CABITIUS -- ABU BAHER) ومن هؤلاء أيضا سهل بن بشر اليهودي المعروف في الغرب باسم (ZAHEL) وتلميذ العلامة « ما شاء الله » أبو هالة AL BOHALY (وغيره من السابقين ، ومن هؤلاء كذلك اليهودي الفارسي أبو معشر ABU MASCHER والذي عرفه الغربيون باسم (AL BUMASSER) كأعظم علماء العرب في التنجيم لم يقم أحد من هؤلاء باتباع أية طريقة منظمة في البحث أو بصوغ أية معلومات بشكل ترتيبي نظامي (SYSTEMALISCH) الى أن جاء أبو معشر فحذف في وعاء واحد بكل ما وصلت اليه يده من معلومات وجعل منها كتلة من المزيج العجيب (٢٤٧) *

وكان سند بن علي منجها للمؤمن ودخل في الاسلام وهو في جملة الراصدين ثم أهلكه كنفاته الى أن أصبح على الأرصاد كلها (٢٤٨) . وقد حفزهم الى ذلك اهتمام الناس عامة والخليفة خاصة بالتنجيم ، فضلا عن انتشار الدين الاسلامي في مناطق متزامية الأطراف ، وحاجة الناس في كل مكان الى تحديد اتجاه مكة ، وكذلك الحاجة الى حساب النتيجة القمرية لتحديد المواسم والأعياد ، وتعيين مواقيت الصلاة ، ولعل القاريء يلمس مدى ذلك الاهتمام من قول أبي الدرداء : « ان شئتم لأقسمن لكم أن أحب عباد الله الى الله الذين يرعون الشمس والقمر

(٢٤٥) المرجع نفسه ص ١٦٩ .

(٢٤٦) المرجع السابق ص ١٧٠ .

(٢٤٧) المرجع السابق ص ١٧٠ .

(٢٤٨) ابن النديم : الفهرست ص ١٨٥ .

والنجوم والأظلة لذكر الله . . . ويقصد بذلك الذين يستخدمونها لتحديد أوقات الصلاة والعبادة (٢٤٩) .

وكانت رغبة العرب وتصميمهم على بدء دراسات علمية واسعة النطاق ، فجاء وفد الى بغداد سنة ٧٦٧ م ومن بين أعضائه عالم فلكى يدعى (كازكاه) يحمل معه مرجعا هاما فى علم الفلك اسمه (الدهانت) حرفة العرب فيها بعدد (الى السند هند) الذى أصبح بعد أن تمت ترجمته نبراسا على هداية علماء الفلك العرب مدى نصف قرن او أكثر (٢٥٠) .

ومن أوائل من قام بترجمة السند هند الى العربية يعقوب بن طارق المتوفى سنة ٧٩٦ م وابراهيم الفزارى المتوفى سنة ٧٧٧ م ، ومن مؤلفات يعقوب بن طارق الأخرى جداول وضعها على أساس السند هند وكتاب يبحث فى تعيين الوقت — وتمتاز كتاباته عن كتابات زميله باحتوائها على مزيد من الآراء الهندية مما يشير الى تأليفها بعد أن ازداد معرفة واطلاعا على مختلف المراجع الهندية فى علم الفلك (٢٥١) .

(٢٤٩) د . امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٠ .

(٢٥٠) المرجع نفسه ص ٢١ .

(٢٥١) المرجع نفسه ص ٢٢ .

سابعا - علم الكيمياء :

ظهر جابر بن حيان (٨٣ هـ / ١٤٨ م - ٧٠٢ م / ٨٦٥ م) ، واشتهر (٢٥٢) باشتغاله بالعلوم ولا سيما الكيمياء ، وله مصنفات ذكرها ابن النديم بالفهرست (٢٥٣) . وقد اعتبر أبا الكيمياء (٢٥٤) الحديثة وقيل عنه أنه بلغ في الكيمياء ما بلغه أرسطوطاليس في علم المنطق . ومن خلال ادخال الأساطير والخرافات التي نشأت حول شخصيته وعلمه ، نستطيع أن نقبين عقلا علميا رأى أهمية التجارب العلمية بصورة أوضح مما رآها أى من قدماء الكيميائيين ، ودون آراء جد صائبة في أساليب البحث الكيميائي وتأثير جابر واضح في ذلك سباق في تاريخ الكيمياء في أوروبا (٢٥٥) .

نجابر بن حيان الكوفي كان متقدما في العلوم الطبيعية بارعا في صناعة الكيمياء وله فيها تأليف كثيرة ومصنفات مشهورة . وكان مع هذا مشرفا على كثير من علوم الفلسفة ومقلدا للعلم المعروف بعلم الباطن ، وهو مذهب التصوفين من أهل الاسلام كالخارث بن أسد المحاسبي وسهل بن عبد الله التستري ونظرائهم ، وذكر محمد بن سعيد السرقسطي المعروف بابن المشاط والأسطرلابي الأندلسي أنه رأى لجابر بن حيان بمدينة مصر تأليفا في علم الأسطرلاب يتضمن ألف مسألة لا تظهر له . ولجابر بن حيان تأليف عديدة منها « كتاب السبعين » ، « كتاب الخواص » ، « كتاب السموم » وكتب أخرى كثيرة (٢٥٦) .

وانى لنا ان نعلم الناس ونحن في حاجة لمن يعلمنا « ان فاقد الشيء لا يعطيه » . ولعل من أهم عوامل انتصارات العرب هو ما فوجئت به الشعوب من سباحتهم حتى أن الملك الفارسي كيوس بنفسه قال : « ان هؤلاء المفتصرين لا يأتون كخبريين » (٢٥٧) .

كان جابر تلميذا لجعفر الصادق امام الشيعة على ما رواه بعض الثقات وقيل

-
- (٢٥٢) نهدى حافظ طوقان : (العلوم عند العرب) * (سلسلة الألف كتاب - رقم ٤ - مكتبة مصر - شارع كامل صفتى بالعجالة ، سنة ١٩٥٦ م) ص ٩٨ .
- (٢٥٣) ابن النديم : الفهرست ص ٥١٢ ، ٥١٧ .
- (٢٥٤) د. التيجاني الماحي : (تاريخ الطب عند العرب) * (الخرطوم ١٩٦٠) ص ٣٠ .
- (٢٥٥) نجلاء عز الدين : (المعالم العربية) ترجمة محمد عوض إبراهيم (القاهرة - بدون) ص ١٢ .
- (٢٥٦) زغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٤٩ .
- (٢٥٧) المرجع نفسه ص ٣٥٣ ، ٥٥٤ .

انه كان تلميذا لخالد بن يزيد بن معاوية الذي عرف بأنه اول من تكلم في الكيمياء وشرح صنعة الأكسير ، ونقل عنه جابر هذه الصنعة التي اشتهر بها ، وألف فيها نحو خمسمائة كتاب وكان بعض الناس في زمانه يعدون هذه الصناعة أمرا مرهوبا ، اذ كيف يتسنى للعقل استخراج الذهب من طبخ مواد نباتية ومعنوية ، وقد جرب بعضهم ما ذكر جابر مدة طويلة ، فذهب تعبهم سدى وكتب على مصنفاته :

هذا الذي بمقاله غر الأوائل والأواخر
ما أنت الا سـاحـر كذب الذي سـمـاك جابر^(٢٥٨)

لكن جابر على الرغم من ذلك كشف باختراعاته العلمية أمورا مهمة في فن الكيمياء وترجمت كتبه الى اللغات الأوروبية ، واشتغل الأوروبيون وقتا طويلا بكيمياء جابر وانتفعوا بها . فيذكر حاجي خليفة جابرا مصحوبا بعبارة « تلميذ جعفر الصادق »^(٢٥٩) ويقول كاردي فو وهو يتحدث عن جابر : « ومعلماه هما : خالد بن يزيد بن معاوية وجعفر الصادق »^(٢٦٠) .

أما أولهما : فهو أول من تكلم في علم الكيمياء ، ووضع فيها الكتب ونظر في كتب الفلاسفة من أهل الاسلام^(٢٦١) ، وقد أخذ جابر عن خالد بن يزيد بن معاوية العلم^(٢٦٢) . وأما جعفر الصادق : الذي كثيرا ما يرى اسمه في كتابات جابر مشارا اليه بقوله « سيدي » فهناك من يزعم أنه جعفر بن يحيى البرمكي ، لكن الشيعة^(٢٦٣) تقول : وهو القول الراجح الصدق — أنه إنما عني به جعفر

(٢٥٨) حاجي خليفة : كشف الظنون ص ٣٤٣ .

(٢٥٩) المصدر نفسه ص ٣٤٣ .

(٢٦٠) د. زكي نجيب محمود : (جابر بن حيان) • (اعلام العرب ع ٣ - وزارة الثقافة

- مكتبة مصر - القاهرة ١٩٦١ م) ص ١٨ .

(٢٦١) حاجي خليفة : كشف الظنون ص ٢٤٤ .

(٢٦٢) بمقارنة التواريخ التي ذكرناها نرى أن جابرا أخذ العلم عن خالد في كتبه لا باللقاء

المباشر لأن وفاة خالد سبقت ولادة جابر .

(٢٦٣) كانت مسألة الخلافة قد قسمت المسلمين فرقتين : أهل السنة والشيعة وكان لأهل البيت فريق يعترف سرا بحقوقهم ، حتى في عهد الخلفاء الثلاثة الأولين ، ولكن هذا الفريق لم يجازم بالخصام ، وبعد عصر الخلفاء صار يعارض كل فن حكم من غير أبناء علي ، وكانت هذه المعارضة موجهة أول الأمر الى الأمويين ، ثم الى من بعدهم معن لم تتوافر فيهم الشروط التي يوجبها الشيعة في الإمام .

المصدق ونقول انه مرجح الصدق لان جابرا شيعي ، فلا غرابة ان يعترف بانسيادة لامام شيعي^(٢٦٤) . وهذا الى وفرة المصادر التي لا تتعدد في أن جعفرنا اشار اليه في حياة جابر ونشأته وهو جعفر المصدق .

وبدون شك فان أعظم كيميائى^(٢٦٥) عربى كان ابو يوسف جعفر السكونى (جابر بن حيان) الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى وتعد مؤلفاته دائرة معارف علمية وتعطينا ملخصا لعلم الكيمياء فى عصره وقد ترجم الكثير من مؤلفاته الى اللاتينية ، وأهمها هو « مجموع الكحل » الذى ترجم الى الفرنسية سنة ١٦٧٢ م . كذلك نشط أهل بغداد فى دراسة علم الكيمياء وأخرجوا فيه أبحاثا قيمة ومن أشهر علماء الكيمياء جابر بن حيان الذى درس الكيمياء على يد أستاذه جعفر المصدق ، وأقام فى بغداد واتصل بالبرامكة ، ونال حظوة عندهم وغادر بغداد بعد نكبة البرامكة ، ويعتبر جابر بحق واضع علم الكيمياء اعتمد على التجربة فى وضع نظرياته وتحقيق ما كتب وألف كتباً فى الرياضة والفلك والفلسفة بالإضافة الى ذلك^(٢٦٦) .

==

والامام - عند الشيعة - هو رئيس المسلمين ومعلمهم بفضل ما وهبه الله من الصفات . ويحكم وراثته للنبي عليه السلام ، وهو يحكم ويعلم متلقيا ذلك عن الله ... ويزعم الشيعة ان وراثة الامامة تنقلت من آدم حتى انتهت الى عبد المطلب جد النبي عليه السلام . وجد على رضى الله عنه ، ومن عبد المطلب انقسم النور الى قسمين : أحدهما انتقل الى عبد الله والد النبي ، والآخر الى أخيه ابو طالب والد على ، ثم سار النور من على الى نريته ، وهذا النور الذى فى روح الامام يجعله امام عصره ويجعل له قوى روحانية تجاوز حدود القدرة الانسانية . (عن جواد زيهى فى كتابه الذى ترجم الى الانكليزية بعنوان : « محمد والاسلام ») ص ٣٣٣ .

(٢٦٤) جعفر بن محمد ، ويؤلف أيضا بالمصدق . سادس الأئمة الاثنا عشرية ، ولد عام ٨٠ هـ او ٨٣ هـ / ٦٩٩ م - ٧٠٠ م او ٧٠٢ م - ٧٠٣ م ، وظف فى الامامة أباه محمد الباقر ، ولم يكون له شأن فى عالم السياسة . ولكنه عرف بحرايته الواسعة بالحديث ، ويقال أيضا انه اشتغل بالتنجيم والكيمياء وغيرهما من العلوم الخفية ، أما المؤلفات التى تحمل اسمه فقد دسست عليه فيما بعد ، توفى بالمدينة عام ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م . والامامية متفقون على تسلسل الأئمة حتى جعفر ولكنهم مختلفون فى تعيين الامام الشرعى الذى خلفه ، لأن جعفرنا أعقب أبنا عدة ادعى الامامة منهم مالا يقل عن أربعة هم : محمد وعبد الله وموسى واسماعيل ، على أن غالب الامامية يعترفون بان موسى لا يكافئ هو الامام السابع (دائرة المعارف الاسلامية) .

(٢٦٥) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٨ .

(٢٦٦) د . عبد الحليم منتصر : تاريخ الطلم عند العرب ص ١٦٢ .

لقد توصل من خلال أبحاثه الى تكوين الزئبق والكبريت وله أبحاث في التفاعلات الكيميائية والمعادلات فمثلا حدد العناصر التي تكون الذهب وكان جابر ينصح تلاميذه دائماً بالتجربة وعدم الاعتماد في الأبحاث العلمية الا عليها مع التدقيق في الملاحظة والاحتياط والتأنى في الاستنتاج ، لأن التجربة طريق المعرفة ولقد عرف جابر الكثير من النظريات الكيميائية كالتبخير والتقطير والترشيح والتبلور والتصفيد والاذابة ، وحضر كثيرا من المواد الكيميائية . وعرف خواصها مثل نترات الفضة وحامض الأزوتيك وهو اول من لاحظ أن محلول نترات الفضة يكون مع محلول ملح الطعام راسبا ابيض وأن الفحاحس يكسب اللهب لونا أخضر ولقد ميز بين التقطير والترشيح^(٣٦٨) ويقول هوليارد : أنه بواسطة جابر نقلت كتب عديدة من الاسقانة الى بغداد بقصد الترجمة كما حدث ذلك من قبل في عهد خالد بن يزيد قبل ثلاثة ارباع القرن^(٣٦٩) : وهكذا استقبل جابر في بلاط هارون الرشيد بحفاوة زائدة ، وكانت صلته مع البرامكة قوية أيضا وخاصة مع يحيى بن خالد البرمكى الذي تجدد ذكره في رسائله .

ومنذ حكم العباسيين^(٣٦٦) بدأ تطور شامل في نهضة العرب العلمية . . وكانت قفزات سريعة حملتهم الى القمة في سرعة مذهلة وظل العرب متريعين على عرش العلوم حتى أواخر القرن الحادى عشر . قال الشاعر :

يأنفس خوضي بحار العلم أو غوصي فالتناس من بين مفهوم ومخصوص
لا شيء في هذه الدنيا يحاط به الا احاطة منقوص بمنقوص^(٣٧٠)

والحق أن جابرا كيميائى العرب الأول — فهو أول من بحث في علم الكيمياء ولقد أصاب من ارتفاع المكانة وفخامة الثراء ، وبعد الصيت ما جعله موضع التقدير . وقال عنه القنطلى^(٣٧١) : « كان متقدما في العلوم الطبيعية بارعا منها في صناعة الكيمياء وله فيها تأليف كثيرة ومصنفات مشهورة — وكان لا يقبل تعليم أحد الكيمياء الا اذا أطمأن اليه اطمئنانا كاملا على مقدرته العلمية وحسن استعدادده » .

HITTI : History of the Arabs, pp. 380-301.

(٣٦٧)

(٣٦٨) هوليارد : (الكيمياء حتى عصر دالتون) • (طبعة باريس ١٩٢٨ م) ص ١٥ .

(٣٦٩) د • امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ١٩ .

(٣٧٠) د • محمد يحيى الهاشمى : (الكيمياء في التفكير الاسلامى) • (دار الفكر العربى —

القاهرة ١٩٥٨ م) ص ٣٠ .

(٣٧١) ابن القنطلى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٢٠ .

كان ابن حيان يرى أن العالم في استطاعته أن يجاوز الطبيعة الى ما وراءها بالبحث العلمي المجرد ، وهذا ييسر له استخراج كوامن الطبيعة ، ففى وسع الباحث العلمي أن يلتبس طريقه الى تحقيق غايته في الوصول الى الحقيقة العلمية^(٢٧٩) .

والواقع أن جابر بن حيان ينفرد أو يسبق غيره في المنهج العلمي ، فهو حريص على أن يقصر نفسه على مشاهداته المستندة الى التجربة التي تثبت صحتها وكان لا يعتمد على اقوال الغير ما لم تؤيدها التجربة التي يجريها هو ، ولا يعتمد على ما توصل اليه غيره من نتائج الا اذا كانوا ثقات مشهودا لهم بامانتهم العلمية^(٢٨٠) .

أما مذهب ابن حيان العلمي فيسير في ثلاث خطوات ، الاولى : ان يفترض العالم فرضا ليفسر الظاهرة المراد تفسيرها ، والثانية : أن يستنبط من هذا الفرض نتائج تترتب عليه ، والثالثة : أن يطابق هذه النتائج على الواقع فان صدقت تحول الفرض الى قانون علمي^(٢٨١) . يرى ابن حيان أن العالم يجب أن يكون مثابرا في جهوده العلمية التي تهدف الى الكشف عن الحقيقة مهما كلفه هذا البحث من عناء وجهد . ويؤكد ابن حيان أنه لا نجاح في عمل علمي الا اذا كان مسبوqa بعلم يتبعه التجربة ثم التطبيق^(٢٨٢) .

يقول الرواة أن يحيى البرمكى كانت له جارية فائقة ، وقد أصابها مرض عضال أعيا الأطباء شفاؤه فعرض يحيى أمرها على جابر . ويقال أنه فحص عن حالها فوصف لها دواء لما تناولته كتب الله لها الشفاء . وحينما علم يحيى بذلك تعجب غاية العجب ، وببالغ في اكرام جابر . وبذلك توافرت له الأسباب التي عاونته على التعمق في دراسة الكيمياء والطب^(٢٨٣) .

غير أنه لما وقعت الكارثة الكبرى التي المت بالبرامكة ونكبهم الرشيد نكبة يختلف المؤرخون في تصويرها وشرح أسبابها ، فر جابر من بغداد خوفا على

(٢٧٢) د. زكي نجيب محمود : جابر بن حيان ص ٢٥ وما بعدها .

(٢٧٣) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٩٨ .

(٢٧٤) زكي نجيب محمود : جابر بن حيان : ص ٦٤ .

(٢٧٥) ابن القفطي : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٢٣ .

(٢٧٦) محمد عطية الأبراشي والتوانسي : (اعلام الثقافة العربية ونوايغ الفكر الاسلامي) .

(مكتبة نهضة مصر ، القاهرة - بدون) ص ٢٨ .

نفسه من ان يفتك به الرشيد لقوة صلته بالبرامكة ثم اقام في الكوفة وظل بها زمنا حتى ادرك عصر المأمون وفي هذه الفترة من حياته سطع نجمه ، وملأت شهرته الخافقين ، فقد كان عصر المأمون عصرا مخصبا تم فيه نقل جميع الثقافات الأجنبية الى اللغة العربية فأقبل جابر على كتب الكيمياء الاغريقية والهندية يستوعب ما فيها وسرعان ما انتقل من دور التحصيل والاستيعاب الى دور التأليف والاضافة والابتكارات ، حتى أطلق عليه بحق أبو الكيمياء وتوفي جابر على ما رواه خير الدين الزركلى فى الاعلام فى سنة ١٦١ هـ (٢٧٧) .

يقول د. فيليب حتى (٢٧٨) : « تتلو مآثر العرب العلمية فى الطب والفلسك والرياضيات مآثرهم فى الكيمياء ، ففى دراسة الكيمياء وسواها من العلوم الطبيعية أدخل العرب فكرة التجربة العلمية ، غير أنه ينسب كل ما فى هذا العلم من الابتكارات فى العصر العربى « لجابر بن حيان » حتى قال فيه : « لجابر بن حيان فى علم الكيمياء ما لأرسطوطاليس من قبله فى علم المنطق » (٢٧٩) .

يقول كرد على « كان جابر أشهر من الف فى العربية فى علم الكيمياء واسمه يقترب من حيث الشهرة ومن حيث الأثر النافع بأسماء العظماء ورواد الحضارة والعمران » (٢٨٠) .

كان لنقل كتب جابر بن حيان والرازى وغيرهم الى اللغات الأوروبية أن تلقى الأوروبيون عن العرب تقسيم المواد الكيميائية الى نباتية وحيوانية ومعدينية (٢٨١) .

وقد أسدى العرب للحضارة خدمة جليلة فى علم الكيمياء بالتوصل الى تركيب المواد المعروفة ، والمواد المفرقة لم تغير مجرى الحرب فحسب بل استخدمت أيضا فى السلم ، فقد عاونت على القيام بالكثير من الأعمال والمشاريع العمرانية العظيمة كشق الطرق بين الجبال والفكرة القديمة التى كانت سائدة هى أن اليونان

(٢٧٧) المرجع نفسه ص ٢٩ .

(٢٧٨) د. فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ج ٢ ص ٤٦٤ .

(٢٧٩) كرد على : (الاسلام والحضارة العربية) * (مطبعة لجنة للتأليف والنشر - القاهرة -

ط ٢ . ١٩٥٠ م) ٢١٦ .

(٢٨٠) المرجع نفسه ص ٢١٦ .

(٢٨١) عباس العقاد : (أثر العرب فى الحضارة الأوروبية) * (دار المعارف بمصر - القاهرة

١٩٦٣ م) ص ٤٣ ، ٤٤ .

والرومان هم الذين توصلوا الى اختراع هذا المسحوق وهذه فكرة خاطئة اذ الواقع ان سائر المواد الملتهبة التي استُخدمت في الحروب قديما ومن بينها النار الاغريقية لا علاقة لها البتة بالمواد المفرقة وما هي الا مواد متصلة بالنفط .

يقول في هذا المستشرق الألماني جورج يعقوب : « أما سبب الاضطراب الذي وقع فيه الكثيرون من العلماء حول المواد المفرقة ومخترعها فهذه الوثيقة التي تشتمل على مسحوق ملح البارود^(٢٨٢) والكبريت والفحم ، والتي يقال ان صاحبها هو « مرقس جوبكرس » الذي يظن انه عاش في القرن التاسع الميلادي ولكن اثبت العلماء ان مرقس هذا كان من أبناء القرن الثالث عشر ، وانه اهتدى الى هذا المركب حوالي ١٢٥٠ م وتحت التأثير العربي » .

ولعل اكبر دليل على تحقيقات العرب العظيمة في علم الكيمياء ما نراه اليوم من كلمات عربية ما تزال على لسان كل عالم كيميائي بل ولسان كل ربة بيت منها : بنزين ، عطار ، الأكسير ، قطرون ، الصودا الكاوية ، الحنظل ، الكحول ، انيسلين ، عرق ، وغير ذلك . وكلها لم يتغير معناها في القواميس الأجنبية . ويدين الطب لعلم الكيمياء العربي بسلسلة من أشكال العقاقير كالشراب الطو المستخرج من الكرنب مع السكر الذي فعل دورا هاما في تاريخ الطب^(٢٨٣) .

كما نبغ الرازي في علم الكيمياء والطب وأدخل حقل تجاربها الكثير من الأدوات وقد بلغ ما ألفه في الكيمياء تسعة عشر كتابا . وكان اهم ما وضعه في الكيمياء « كتاب الأسرار » الذي نقله الى اللاتينية جيرارد الكرموني فأصبح مصدرا رئيسيا للكيمياء الى أن خلفته تأليف جابر بن حيان^(٢٨٤) .

حاول الرازي كشف الأكسير الذي يهب الحياة ويعيد الشباب^(٢٨٥) كما كان ابو بكر الرازي في كتابه « الحاوي » أول من وصف تحضير حمض الكبريتيك والكحول الذي كان يحضر من تقطير النشويات والسكريات المخمرة^(٢٨٦) .

لقد سلك أبو بكر الرازي في تجاربه كما يتجلى في كتبه مسلكا عمليا خالصا ،

(٢٨٢) جورج يعقوب : أنز الشرق في الغرب ص ٢١ .

(٢٨٣) زغريد مونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٢٦ ، ٣٢٨ .

(٢٨٤) د. فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ج ٢ ص ٤٤٧ .

(٢٨٥) كرد على : الاسلام والحضارة العربية ص ٢١٦ .

(٢٨٦) حيدر بلومات : اسهام المسلمين في الحضارة الانسانية ص ١٠٨ .

وهذا ما جعل لبحوثه في الكيمياء قيمة دفعت بعض الباحثين الى القول : ان الرازي مؤسس الكيمياء الحديثة في الشرق والغرب معا . كما مجد العقل ومدحه وقد اورد مصلا خاصا بذلك في كتابه « الطب الروحي » فهو يعتبر العقل أعظم نعم الله وانفع الأشياء واجداها ، وبه ادراكنا ما حولنا ، واستطاع الانسان بالعقل ان يسخر الطبيعة لمصلحته ومنافعه ، والعقل هو الذى ميز الانسان على الحيوان . وقد رفع الرازي شأن العقل وأدرك محله وخطره وجلاله فطالب : « بأن لا يجعله وهو الحاكم محكوما عليه ولا هو الزمام مزموما ولا هو المتبوع تابعنا ، بل يرجع في الأمور اليه ويعتبرها به ، ويعتمد فيها عليه فتمحصها على مضائه ، وتوقفها على ايقانه ولا يسلط عليه الهوى الذى هو آفته ومكدره ، والحادد به عن سننه ومحجته وقصده واستقامته . بل نرفضه ونزله ، ونحبله ونجبره على الوقوف عند أمره ونهيه » (٢٨٧) .

ويتجلى فضل الرازي على الكيمياء بصورة واضحة في تقسيمه المواد الكيماوية المعروفة في زمانه الى أربعة اقسام رئيسية وهى المواد المعدنية والمواد النباتية والمواد الحيوانية والمواد المشتقة ، ثم قسم المعدنية لكثرتها واختلاف خواصها الى ست طوائف ولا يخفى ما في هذا التقسيم من بحث وتجربة وهو ما يدل على الملم تام بخواص هذه المواد وتفاعلاتها بعضها مع بعض (٢٨٨) .

والرازي يعظم صناعة الطب وما يتصل بها من دراسات ولعل هذا من عوامل اهتمامه بالكيمياء . ومن مؤلفات الرازي في الكيمياء : كتاب الأسرار في الكيمياء ترجمه كريمونا في اواخر القرن الثانى عشر للميلاد وكان المعتمد في مدارس أوروبا مدة طويلة ، وقد رجع اليه « باكون » واستشهد بمحتوياته (٢٨٩) . ولا تزال الطرق التى اتبعها في ذلك مستعملة حتى الآن . والرازي أول من أتى على ذكر حامض الكبريتيك وقد سماه « زيت الزاج والزاج الأخضر » ونقله عن كتبه « البير الكبير » وسماه « كبريت الفلاسفة » . واستخرج الكحول باستقطار مواد نشوية وسكرية مختمرة ، وكان يستعمله في الصيدليات لاستخراج الأدوية والعلاجات حينما كان يدرس ويطلب في مدارس « بغداد » و « الري » (٢٩٠) .

وهكذا كان جابر بن حيان وأبو بكر الرازي من أعظم العلماء العرب وأشهرهم في المشرق والمغرب في الكيمياء .

(٢٨٧) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى في الرياضيات والفلك ص ٢١٧ .

(٢٨٨) المرجع نفسه ص ٢١٨ .

(٢٨٩) المرجع نفسه ص ٢٢٠ .

(٢٩٠) المرجع نفسه ص ٢١٩ .

(تابع) جدول المتخصصين في العلوم الإسلامية في بيت الحكمة

علم الفلك والتقويم	علم الطب	علم الرياضيات
<p>أبو عبد الله محمد بن جابر البتاني موسى بن شاكر وأولاده الثلاثة أبو سهل لأفعل بن نوحيت محمد بن إبراهيم الرازي يحيى بن أبي منصور محمد بن موسى الخوارزمي سند بن علي علي بن عيسى الأسطرلابي هاشم الله أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الفياس بن سعيد الجوهري أحمد بن محمد الدهاويدي يحيى بن البطريق أبو هارود بن محمد المسافاتي سهل بن بشرار عبد العزيز القاسبي أبو إعلم الشريف البغدادي أبو القاسم حبة الله بن الحسن بن يوسف الأسطرلابي المعروف (بالبيع الأسطرلابي) أبو إسحاق إبراهيم بن سنان بن قبرة محمد بن عيسى أبو عبد الله الهلاني أبو الحسن علي بن إسماعيل الجوهري أبو جعفر بن أحمد الكورني علي بن زياد التميمي</p>	<p>آل بختيشوع ، جبرائيل (توفسنا بن هاسويه حنين بن اسحاق الطبيب الهندي (منكه) يعقوب الكندي قسما بن نويسا البعلبي أبو بكر الرازي علي بن عباس الجوسي أبو بطلان الحكيم أبو جزيئة البغدادي علي بن عيسى الكحال أبو التميمية البغدادي هويك الدين عبد الملكيف البغدادي أبو البركات بن علي ملكا أبو هبل البغدادي ثابت بن إبراهيم</p>	<p>محمد بن موسى الخوارزمي أبو يوسف يعقوب الكندي أولاد موسى بن شاكر (أحمد ، محمد والحسن) ثابت بن قرة أبو بكر محمد بن حسن الكورني محمد بن جابر بن سنان أبو عبد الله البتاني الحسن بن الفيلهم البوزجاني لمحاسن « محمد بن محمد بن يحيى بن إسماعيل بن العباسي أبو الوفا البوزجاني » أبو القاسم علي بن أحمد إسماعيل الأرماني أبو الحسن الكوراني أبو الرشيد الرازي البرهاني أبو حنيفة بن داود الأديبوري أبو زهرون (أبو إسحاق إبراهيم بن مسلال الأحراني) كمال الدين بن يونس قسما بن نويسا البعلبي نسر الدين الطوسي</p>

الفصل الثاني ، الحياة العامة ونشاط الترجمة في بيت الحكمة



- ١ — المترجمون الذين يعملون في بيت الحكمة ، مثل : حنين بن اسحاق ، يوحنا ابن ماسويه ، الفضل بن نويخت ، الكندي +
- ٢ — حركة النقل والترجمة على أيدي الموالى ، مثل علان الشعوبى ، الفضل ابن سهل ، سهل بن هارون +
- ٣ — دور المترجمين في تنشيط حركة التأليف والترجمة ، مثل : أولاد شاعر : أحمد ومحمد وحسن ، ثابت بن قرة +
- ٤ — ترجمة التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية على يد حنين بن اسحاق ، وأولاد شاعر ، والكندي +

اولا - المترجمون الذين يعملون في بيت الحكمة :

(١) حنين بن اسحاق العبادى :

ولد سنة ١٩٤ هـ / ٢٦٠ هـ - ٨١٣ م / ٨٧٣ م وكان أبوه نصرانيا من العباديين بالحيرة وكان يشتغل بالصيدلة ، فلما نشأ حنين أحب العلم ودرس الطب في مدرسة جنديسابور وحضر مجالس يوحنا بن ماسويه في بغداد^(٢٩١) .

كان حنين بن اسحاق بحق شيخ المترجمين ، وكان من نساطرة العرب ، ويقال انه كان أعلم أهل عصره في الطب . اهتم بدراسة اللغة اليونانية وعمل مع جبريل ابن بختيشوع طبيب المأمون ثم عهد اليه ببيت الحكمة ، وأمره المأمون ان يترجم ما يمكنه من الكتب اليونانية ، وكان يعمل معه ابنه اسحاق وابن أخته حبش ابن الحسن . ومن الترجمات التى تنسب اليه شرح أرسطو وكتب لجالينوس وأبقراط وديقوريدس ومجموعها حوالى خمسين كتابا ، وكتاب السياسة لأفلاطون والمقولات والخلقيات والطبيعات لأرسطو . ويقال ان المأمون كان يعطى زنة ما يترجمه ذهباً ، وان بنى شاعر كانوا من المهتمين بالترجمة يدفعون له ولزملائه نحو خمسمائة دينار في الشهر ثمن ما يقومون بترجمته^(٢٩٢) .

كان حنين مترجماً موثقاً دقيق التمهيز ، يجول في العديد من البلدان ليجمع كل ما يقع تحت يديه من مخطوطات النص الواحد حتى اذا نجحت المحاولة قام بترجمة النص الموثوق في أمانة دون ان يوغل في الحرفية ، موصياً طلابه ومساعديه باتباع هذا النهج ، وهكذا استطاع حنين ومساعدوه في مدرسة الترجمة خلال العتود الخمسة من حياته ان ينقلوا الى العربية جميع ما توفر من البحوث اليونانية الهامة في العلوم الصحية من ذلك أشهر ما ضمنه مجموعة أبقراط ، وكتابات أرسطو وجالينوس ، وكذلك الشروح والتفحيحات التى تلت ذلك من بحوث أورينثانيوس الى كتابات بادلوس^(٢٩٣) .

لكن حنين بن اسحاق صمم على تعلم اللغة العربية لأنه رأى فيها خير مساعد له على ارواء غلته من الثقافة الطبية ، وقد اندفع بقوة في هذا الاتجاه

(٢٩١) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٣ .

(٢٩٢) د. حسن التسيال : دراسات في الحضارة الاسلامية ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٢٩٣) جون س. بادو وآخرون : عبقرية الحضارة العربية ينبوع النهضة ص ١٧٦ .

حتى أنه برىء من دين النصرانية أن رضى أن يتعلم الطب حتى يحكم اللسان اليونانى احكاما لا يكون فى دهره من يحكمه احكامه^(٢٩٤) . فسافر الى بلاد الروم^(٢٩٥) وهناك احكم اللغة اليونانية وتوصل فى تحصيل كتب الحكمة غاية امكانه^(٢٩٦) .

كما تعلم حنين اللغة اليونانية باحساس من الحاجة اليها ، وكذلك نجد انه وهو احد أبناء الحيرة اضطر الى تعلم العربية فى وقت متأخر من حياته ، كانت الطبقات الدنيا فى الحيرة تتكلم السريانية^(٢٩٧) فقصده البصرة وكانت فى ذلك العهد اكبر معهد للعلوم . اللغة العربية وملتقى اقطابها يقصدها الطلاب من كل بلد ليحذقوا ويفهموا^(٢٩٨) . وهنا لزم الخليل بن أحمد حتى برع فى اللسان العربى وبذلك أصبح حنين يجيد لغات أربع : هى^(٢٩٩) : الفارسية واليونانية والعربية والسريانية التى هى لغته الأصلية ، ولقد اعانه ذلك على أن ينقل الكتب الى السريانى والى الاوروبى .

ولقد بلغ من سرور جبريل بحنين واعجابه بروعته فى ترجماته ، أنه قدمه لأبناء موسى الثلاثة ، وقد كانوا من رعاية انعلم الأثرياء ، يقول القفطى فيهم : « ومن عنى باخراج الكتب من بلاد الروم ، محمد وأحمد والحسن بنو موسى بن شاكرا المنجم ، وقد بذلوا فى سبيل ذلك من الرغائب ، وأحضروا الغرائب منها فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والارثماطيقى والطب وغيرها »^(٣٠٠) . فاحتضنه هؤلاء وكانوا اصحاب الفضل فى اظهار مواهبه كما كانوا يجزلون له العطاء وقدموه^(٣٠١) بدورهم الى الخليفة المأمون ، فعينه عميدا لبيت الحكمة^(٣٠٢) .

يذكر ابن أبى أصيبعة : « ان المأمون تحضره وكان فتى وأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين الى العربى واصلاح ما ينقله غيره فامتثل أمره . وقام بمسا اسند اليه خير قيام وظل يوالى النقل بهمة واقتدار حتى أيام المتوكل »^(٣٠٣) .

(٢٩٤) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٥ .

(٢٩٥) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٩ .

(٢٩٦) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٠ .

(٢٩٧) أولبرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٩٩ .

(٢٩٨) حنين بن اسحاق : مقدمة العشر مقالات فى العين ص ١٥ .

(٢٩٩) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٤٠ .

(٣٠٠) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤ .

(٣٠١) أولبرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٩ .

(٣٠٢) حنين بن اسحاق : مقدمة العشر مقالات فى العين ص ١٥ .

(٣٠٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٩ .

ويقول ابن العبري : « ولم يزل أمره (حنين) يقوى وعلمه يتزايد وعجائبه تظهر في النقل والتفاسير حتى صار ينبوعا للعلم ، ومعدنا للفضائل واتصل خبره بالخليفة المتوكل فأمر باحضاره » (٣٠٤) واختاره للترجمة واثمنه عليها وجعل لسه كتابا تحارير عالين بالترجمة كانوا يترجمون ويتصفح ما ترجموا (٣٠٥) .

كذلك ذكر انه كان يؤلف الكتب بالسريانية أو يترجمها الى العلماء النصارى وأطبائهم . بينما كان يؤلف الكتب العربية ويترجمها الى العلماء المسلمين (٣٠٦) . ويذكر سويتمان (٣٠٧) : « ان حنينا كان يترجم الى السريانية ، ثم ينقل ابنه اسحاق ما يترجمه الى اللغة العربية » . ويقرر أوليري (٣٠٨) : « ان بعض ترجمات حنين قد نقيها فيما بعد كتاب متأخرون » .

والواقع ان هذا المسلك قد يثير الشك في معرفة حنين باللغة العربية « يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي » : « كان يغلب عليه أن يترجم من اليونانية الى السريانية ثم يدع لتلاميذه مهمة الترجمة من السريانية الى العربية ، وهذا أمر غريب حقا لأن حنين بن اسحاق كان يتقن العربية اتقاناً مدهشاً ، فماذا يدعوهُ إذن الى اتخاذ هذا الطريق اللتوي الغريب » (٣٠٩) . الموقف يتضح اذا ما عدنا الى قول أوليري : « ان حنينا اضطر الى تعلم العربية في وقت متأخر من حياته » (٣١٠) . فكان أن قصد البصرة ولازم الخليل بن أحمد حتى برع في اللسان العربي .

فلا غرابة إذن ان يدع حنين مهمة الترجمة من السريانية الى العربية لتلاميذه ، وأن يتناول الكتاب المتأخرون بعض ترجماته بالتنقيح والتهذيب ذلك لأنه ظل شطرا من حياته يحس بحاجته الى اتقان العربية هذا فضلا عن أنه هو نفسه قد أعاد

(٣٠٤) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥١ .

(٣٠٥) ابن القنطري : أخبار الأطباء بأخبار الحكماء ص ١١٨ .

(٣٠٦) حنين بن اسحاق : مقدمة العشر مقالات في العين ص ٣٧ .

(٣٠٧) SWEETMAN : Islam and Christion Theology V. L., p. 88.

(٣٠٨) أوليري : (علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب) تحقيق د. وهيب كامل (مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٢ م) ص ٢٢٨ .

(٣٠٩) د. عبد الرحمن بدوي : (فن الشعر لأوسطوطاليس) (مطبعة مصر - بدون) للتصدير ص ٥٣ .

(٣١٠) أوليري : مسالك للثقافة الاغريقية الى العرب ص ٩٩ .

ترجمة الكتب التي كان قد ترجمها في صدر حياته الى العربية عندما أحس تفوقه فيها^(٣١١) .

لم يشأ حنين ان يقف عند حد النقل والتعريب فقد أحس قدرته على التأليف في هذه الموضوعات التي طالما اشتغل بالترجمة فيها . فقد أورد القفطي قائمة^(٣١٢) كاملة لمؤلفاته وقد كانت باللغتين السريانية والعربية وكانت كتبها الطبية صورة منعكسة لكتب أطباء اليونان التي استنفذ في ترجمتها أهم قسط من نشاطه في حياته العلمية . وقد ذكر ماكس مايرهوف أن أهم كتبه^(٣١٣) « تفسير كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس » وقد ترجم الى اللغة اللاتينية ، و « المسائل في الطب » وهو مقدمة للطب العام على هيئة أسئلة وأجوبة ، ثم كتاب العشر مقالات في العين وكتاب المسائل في العين . ثم نجد ابن أبي أصيبعة قد عقد في كتابه عيون الأنباء بابا للنقطة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني الى اللسان العربي وعند تحليلنا لقائمة الأسماء التي أوردها في هذا الباب ، وجدنا أنه صنف المترجمين الى درجات ومستويات متباينة بحسب اتقانهم للترجمة فقد اعتبر حنينا بن اسحاق من الجودين في النقل وقال عنه : « كان عالما باللغات الأربع عربيها ومستعملها : العربية والسريانية واليونانية والفارسية ونقله في غاية الجودة »^(٣١٤) .

كما كان ابنه اسحاق ابن حنين عالما باللغات التي يعرفها أبوه ، وهو يلحق به في النقل ومثلها كان حبيش الأعسم ناقلا مجودا^(٣١٥) كما كان هناك عيسى بن يحيى بن ابراهيم نلميذ حنين ابن اسحاق وقد أثنى عليه حنين ورضى نقله وقلده فيه وكان اصطف بن يسيل يقارب حنينا في النقل الا أن عبارة حنين انصح واجلى^(٣١٦) .

ومن بين المترجمين الآخرين من كثر متوسط الحال في الترجمة فمثلا كان ايوب المعروف بالأبرش قليل النقل متوسطه وما نقله في آخر عمره يضاهي نقل حنين ،

(٣١١) د . الشحات السيد زغلول : المريان والحضارة الاسلامية ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٣١٢) ابن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(٣١٣) حنين بن اسحاق : مقدمة العشر مقالات في العين ص ٢٣ ، ٣٩ .

(٣١٤) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٧٩ .

(٣١٥) المصدر نفسه ص ٢٧٩ .

(٣١٦) المصدر نفسه ص ٢٧٩ .

ومثله كان ابن شهدي الكرخي الذي نقل من السرياني الى العربي^(٣١٧) . والحجاج ابن يوسف بن مطر الذي نقل للمأمون كتاب أفلديس وكذلك سرجس الراس (من اهل مدينة رأس العين)^(٣١٨) الذي كان متوسطا في النقل .

والى جانب هؤلاء المترجمين المذكورين كان هناك ترجمة آخرون لم يتقنوا في رأى ابن أبي أصيبعة نذكر منهم على سبيل المثال : فثيون الترجمان الذي كان « كثير اللحن ولم يكن يعرف علم العربية اصلا »^(٣١٩) وأبو ساري بن أيوب الذي لم يكن يعتقد بنقله وحيرون بن رابطة الذي ليس له شهرة بجودة النقل^(٣٢٠) .

اذ نستنتج من قائمة ابن أبي أصيبعة أيضا أن بعض النقلة تتلمذوا على بعض الترجمة المشهورين ، فقد تلمذ حبيش وعيسى بن يحيى على حنين بن اسحاق ، والى جانب ذلك نجد أن بعض النقلة المشهورين اتخذوا لهم أعوانا ممن عرفوا بجودة النقل لمساعدتهم في الترجمة مثالي ذلك أن حنين بن اسحاق استعان بقسطا الزهاوي ، عندهما كثر عليه الكتب وضاق عليه الوقت ثم يصلحها^(٣٢١) .

بعد ذلك الوقت بثلاثين سنة أسس حنين بن اسحاق الذي عرف لدى الغرب باسم (يوحنا نيوس) مدرسة للمترجمين في العراق^(٣٢٢) ، ظلت تواصل عملها على يد كل من ابنه اسحاق بن حنين وابن أخته حبيش بن الحسن ، وكان السريان والنساطرة هم الذين استخدموا الترجمات السريانية القديمة لفلاسفة اليونان ، بمثابة نصوص يونانية للمؤلفات الفلسفية التي كان عليهم أن ينقلوها الى اللغة العربية .

(ب) يوحنا بن ماسويه^(٣٢٣) :

توفي « ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م » وكان ممن قدموا من جنديسابور من هذا الوقت

(٣١٧) المصدر نفسه ص ٢٨٠ .

(٣١٨) ياقوت الحموي : معجم الأبناء ج ٣ ص ١٤ .

(٣١٩) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٨٠ .

(٣٢٠) المصدر نفسه ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(٣٢١) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٨٢ .

(٣٢٢) سليم طه التكريتي : (شيخ المترجمين حنين بن اسحاق) مجلة العربي - الكويت

(١٩٦٨ م) ع ١٠٧ ص ١٠٢ ، ١٠٨ .

(٣٢٣) راجع ترجمة ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ .

تقريباً بدأت مدرسة الطب فيها تفقد أهميتها لأن كبار الأطباء والأساتذة قد ذهبوا إلى قصور الخلفاء ببغداد^(٣٢٤) . كان يوحنا سريانيا نسطوريا ، وقد ولاه هارون الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة التي وجدت بأنقره وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون وسبوا ما فيها ، ووضعه أميناً على الترجمة ورتب له كتاباً حذاقاً يكتبون بين يديه^(٣٢٥) . وقد أقام يوحنا مستشفى في بغداد ، كذلك جعله الخليفة المأمون في سنة ٢١٥ هـ / ٣٨٠ م رئيساً لبيت الحكمة وقد ألف يوحنا كتباً كثيرة بلغت ثمانية وعشرين كتاباً^(٣٢٦) منها كتاب البرهان ، وكتاب دغل العين ، وعربية هذا الكتاب ركيكة مع استعمال اصطلاحات اغريقية وسريانية وفارسية^(٣٢٧) وكان يوحنا يعتقد مجلساً للنظر ويجرى فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة ، وكان يدرس ويجتمع إليه تلاميذ كثيرون وقد تلمذ عليه حنين بن اسحاق فترة من الزمن^(٣٢٨) .

على أن الترجمة لم تلبث أن اخضت في العصر العباسي وصفاً رسمياً يدخل في سياسة الدولة ، وتعتمد على رصيد سخى من الخزانة العامة ، وقد استوعبت الحركة في عصر الرشيد وولده نخائر التراث الفكري والعلمي في الفلسفة والرياضيات والطبيعة لليونان والفرس والهند ومصر . ثم ما لبثت العقلية الإسلامية أن هضمت ذلك التراث وتمثلته فأعطته روحاً جديدة على نحو ما فعلت مدرسة الاسكندرية بالفكر اليوناني حين هاجر^(٣٢٩) إليها . وترجمتها إلى اللغة العربية وشقان بين غزو من أجل استعباد الشعوب وسلب الناس حرياتهم وحقوقهم الطبيعية في الحياة والهندار آدميتهم ، والخط من كرامتهم ، وفي عصر الرشيد اشتهر يوحنا بن ماسويه باعتباره شيخ المترجمين ، وقد كان للرشيد ثقة كبيرة فيه ، فنقرأ في تاريخ عصر هارون الرشيد أنه ألف هيئة علمية بإشراف « ابن ماسويه » مهمتها تقدير التعويضات التي تدفعها الدول المهزومة من نخائر كتبها^(٣٣٠) . وهو الذي نصح هارون الرشيد بإنشاء دار كبيرة للكتب ، تلك الدار التي اتسعت واشتهرت فيما بعد وأصبحت .

(٣٢٤) ملكس ماير هوف : من الاسكندرية إلى بغداد ص ٥٦ .

(٣٢٥) ابن القفطي : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤٩ .

(٣٢٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٣ .

(٣٢٧) أوليري : مسالك للتقافة الاغريقية إلى العرب ص ٢٤٦ .

(٣٢٨) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٧ .

(٣٢٩) د. عائشة عبد الرحمن : (لغتنا والحياة) (دار المعارف بمصر - القاهرة

١٩٧١ م) ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٣٣٠) المرجع نفسه ص ٧٤ .

تدعى « دار الحكمة » في عصر المأمون . وقد تميز هذا العصر بأنه كان عصر تهذيب للترجمات السابقة ذلك التهذيب الذى ترتب عليه التحصيل الواعى والهضم الدقيق لجميع الثقافات الأجنبية ثم عصر الابتكار وبناء الثقافة العربية الإسلامية ووضع أصولها ومناهجها (٣٣١) .

(ج) أبوسهل الفضل بن نوبخت :

وهو من أئمة المتكلمين ومشاهير المترجمين ، كان متضلعا باللغتين الفارسية والعربية وكان يشتغل فى بيت الحكمة فيترجم من الفارسية الى العربية ، ومعوله فى عمله على كتب الفرس ، وله عدة مؤلفات بعلوم مختلفة ، ولذا فان هارون الرشيد عهد اليه بترجمة كتب الحكمة الفارسية الى العربية (٣٣٢) . يقول ابن النديم عنه (٣٣٣) : « أنه كان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد وله نقل من الفارسي الى العربى » .

ومن الممكن أن نقرر دون تردد أن هذا الصنف من العلماء الباحثين عاشوا فى بحبوحة من العيش ونعموا بمستوى مالى مرموق اذ أضفى عليهم الخلفاء والعظماء كثيرا من عنايتهم وأمدوهم بهبات متجددة وأفضال لا تنقطع . فقد حكى عن المأمون أن منحلحين بن اسحاق كانت متصلة وهباته اليه لا تتوقف (٣٣٤) .

فكانت النهضة العلمية التى احتضنها المسلمون ورعوها تعتمد جيل الاهتمام على الدراسات التى قام بها غير العرب من الشعوب الأخرى ، ومن أجل هذا كان المترجمون حلقة الاتصال بين العرب وهذه العلوم وبمساعدة هؤلاء المترجمين وعن طريقهم نقلت علوم اليونان والسرمان والقيط والفرس والهنود الى اللغة العربية . ولكننا نتحدث قصيرا عن نماذج لطائفة واسعة من المترجمين تشمل هؤلاء الذين كانوا يقومون بعملهم فى بيت الحكمة (٣٣٥) .

ومنهم النساطرة واليعاقبة والصابئة والمجوس والبيزنطيون والبراهمة ، وترجموا من اليونانية والفارسية والسريانية والهندية والقبطية الى اللغة السريية ،

(٣٣١) أبى الفتوح التوانسى : من أعلام الطب العربى ص ٢٢ .

(٣٣٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٦ .

(٣٣٣) المصدر نفسه ص ٣٨٢ .

(٣٣٤) KHUDA BUKHSH : Islamic Civilization, p. 277.

(٣٣٥) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٧٥ .

وأقبل الناس على هذه الكتب والبحث فيها، أيما إقبال . وترتب على حركة الترجمة وذيوع الكتب المنقولة الى اللغة العربية أن أتيح للمسلمين تصحيح أغلاط القدماء في كثير من المواضع ، كما أضافوا من عندهم إضافات وابتكارات قيمة ولا سيما في الطب والفلك والكيمياء والرياضيات (٣٣٦) .

(د) أبو يعقوب بن اسحاق الكندي :

من قبيلة كندة ، عربي النسب ، عاش ما بين سنة ١٨٥ هـ / ٢٥٢ هـ - ٨٠١ م / ٨٦٧ م وولد في الكوفة ودرس في البصرة على أشهر علمائها حتى برز في علم الفلسفة ولذلك لقب بفيلسوف العرب ، تميزا له عن أقرانه من المتوافرين على دراسة الحكمة العقلية من غير العرب ، كما كان أبوه أميرا على الكوفة في القرن الثاني الهجري . وحصل الكندي بعض علومه في البصرة ثم في بغداد وأولع بدراسة ثقافة الفرس وحكمة اليونان ، وكان يخدم في قصور الخلافة ويشغل بترجمة كتب اليونان وتهذيب ما يترجمه غير ممنها كما كان واسع الاطلاع على جميع العلوم ، وقد تمثل منها كل ما كان في عصره وله آراء خاصة في الجغرافيا وتاريخ التمدن والطب والفلسفة والكيمياء وآراؤه الكلامية فيها نزعة المعتزلة قاوم نظرية شائعة في عصره قيل أنها تنسب للبراهمة وهي أن العقل وحده مصدر المعارف ، وكان يدافع عن النبوة ، ولكنه كان يميل الى التوفيق بينها وبين العقل كما أخذ بمذهب أرسطو (٣٣٧) .

عاش الكندي في الزمن الذي يعرف بعصر الترجمة ، ونبغ في خلافة المأمون صاحب بيت الحكمة ، وعاصر كبار النقلة المشهورين مثل حنين بن اسحاق وابنه اسحاق ، وخاض غمار هذه الحركة ، وشارك فيها حتى قال صاعد الأندلسي نقلا عن أبي معشر في كتاب المنكرات « ان حذاق الترجمة في الاسلام اربعة : حنين بن اسحاق ويعقوب الكندي وثابت بن قرة الحراني ، وعمر بن الفرخان الطبري (٣٣٨) » .

وكان الكندي في الأغلب لا يترجم بنفسه ، بل يترجم له ترجمة حرفية ناقل آخر ، ثم يتناول هو هذه الترجمة بالصقل والتهذيب ، ويضعها في قالب عربي رشيق

(٣٣٦) د محمد مصطفى زيادة وآخرون : (تاريخ العالم العربي وحضارته) (مكتبة نهضة

مصر بالقاهرة - القاهرة - بچون) ص ٣٦١ .

(٣٣٧) د على عبد الله الدفوع : موجز في التراث العلمي العربي الاسلامي ص ٩٦ .

(٣٣٨) د أحمد فؤاد الأهواني : الكندي فيلسوف العرب ص ٥٩ .

بمقدار ما نسمح به الموضوعات الفلسفية العميقة . ومن المعروف أن الذى كان ينقل له هو « اسطاث » . وقد روى هذا الخبر صاحب الفهرست عند كلامه عن كتب أرسطو فقال عنه فى ترجمة كتاب الميتافيزيقيا : « انه يسمى كتاب الحروف ويعرف بالالهيات ، نقلها اسحاق ، ونقل حرف الميم ابو زكريا يحيى بن عدى . وهذه الحروف نقلها اسطاث للكندى (٣٣٩) وكان اسطاث من النقلة المتوسطين كما ذكر ابن ابي اصيبعة صفوة القول : لم يكن الكندى يعرف فى الاغلب اليونانية (٣٤٠) .

نستطيع أن نجزم أنه كان ينقلها ولكنه أيضا لم يكن يترجم عنها بنفسه ، بل كان يعالج ترجمة النقلة ويصلحها . ولا يتسنى هذا الاصلاح بغير رجوع الى الأصل مع معرفة وثيقة للسان الذى ينقل عنه (٣٤١) .

كما كان يمارس نشاطه العلمى فى عهد الخليفة المأمون فيما بين سنتى (١٩٨ هـ / ٢١٨ هـ — ٨١٣ م / ٨٣٣ م) واهتم الخليفة بالكندى ومؤلفاته وشجعه فى انتاجه العلمى وخاصة فى الفلسفة ويقول العالم الأوروبى « بيكون » : « ان الكندى والحكم ابن الهيثم هما فى الصف الاول مع بطليموس » . و اضاف البروفيسر برنارد لويس فى كتابه تاريخ العرب : « ان المسلمين فى عهد المأمون اهتموا بالترجمة ، فترجم الكندى فلسفة أرسطو طاليس » .

كما ان الخليفة المأمون انتخبه « الكندى » ليكون احدا الذين يعهد اليه فى ترجمة مؤلفات أرسطو وغيره من حكماء اليونان (٣٤٢) . وجدير بالذكر ان الكندى هو المؤسس الاول للمدرسة التى تخصصت فى تعليم الفلسفة وخاصة فلسفة أرسطو وشارك الكندى فى شرح المجستى والتعليق عليه باللغة العربية . كما كان واسع الأفق فى علم المنطق وعلم الفلسفة .

يقول جيرارد قرمونه : « ان الكندى خصب القريحة وأنه كان واحد عصره فى الاسام بالعلوم بأسرها ، وان احاطته بكل انواع المعارف تدل على سعة مداركه

(٣٣٩) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٧ ، ٣٦٥ .

(٣٤٠) يثير الدكتور ماكس مايرهوف : ان الكندى كان يعرف باللغة اليونانية وينقل عنها .

انظر التراث اليونانى والحضارة الاسلامية ص ٥٩ ترجمة عبد الرحمن بدوى .

(٣٤١) د . أحمد مؤاد الأهواى : الكندى فيلسوف العرب ص ٦٣ .

(٣٤٢) تحدى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٦٧ .

وقوة عقله وعظم جهوده « . كما نال إعجاب ابن نباته الذى قال عنه : « وانتقل الكندى الى بغداد فاشتغل بعلم الأدب ، ثم بعلوم الفلسفة جميعها فأتقنها ، وحل مشكلات كتب الأوائل وصنف الكتب الجديدة ، وكانت دولة المعتصم تتجمل بالكندى ومصنفاته وهى كثيرة جدا واقتخر العرب فى الماضى والحاضر بالكندى وانتاجه الفكرى (٣٤٣) .

ويصف هـ. ج. ويلز هذه الحركة العلمية بقوله : « كان مثلها كمثل نور فى مصباح يحجب النور دون العالم كافة ، وقد يكون شعلة وهاجرة تخطف الأبصار ، ولكنها مع ذلك مستورة لا تراها الأنظار » (٣٤٤) ومدح أبو العلاء المعرى ببغداد بكثرة ما فيها من علم اذ يقول فى إحدى رسائله : « وجدت العلم ببغداد أكثر من الحصى عند جمره العقبة » (٣٤٥) .

(٣٤٣) د. على عبد الله الدفائع : الموجز فى التراث العلمى ص ١٠١ .
(٣٤٤) هـ. ج. ويلز : (موجز تاريخ العالم) ترجمة عبد العزيز جاويد (مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٧ م) ص ١١٩ .
(٣٤٥) د. شوقي ضيف : (الفن ومذاهبه فى النثر العربى) (دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م) ص ٢٦٦ .

ثانياً - حركة النقل والترجمة على أيدي الموالي :

شكل أهل الزمة في بغداد في العصر العباسي الأول عنصراً هاماً من عناصر المجتمع ، والواقع كانت معاملة الخلفاء ورجال الدولة لهم تنم عن عدل وتسامح وكرم ، واطلق الخلفاء لرؤسائهم الروحيين مباشرة أمور وشئون أبناء ملتهم ، وكان رئيس النصارى في بغداد يسمى « الجاثليق » ويعينه الخليفة بعد استشارة كبار الأساقفة ويتم تعيينه بعد اصدار منشور يتضمن الحقوق والامتيازات التي تمنحها الدولة له - أى الجاثليق - وتمنحه الحق في مراجعة حكومة بغداد في الأمور التي تتعلق بالمسيحيين الرعايا^(٣٤٦) .

كان الجاثليق الجديد اذا تم تعيينه ، يسير بحفاوة الى قصر الخلافة ، وهناك يمنحه الخليفة عهد توليته ، ويتضمن حقوقه في مباشرة سلطانه ثم تلقى عليه الخلع الثمين - وبعد ذلك يتوجه الى المدائن وتصبه فرقة من الجنود وجماعة من المطارنة والأساقفة وكبار رجال الدولة حيث يزور ضريح ماري في ديرها وفقاً للتقاليد المتبعة في ذلك ثم يعود الى بغداد ويقيم في كنيسة دار الروم - مقره الرسمي -^(٣٤٧) .

يقول د. حتى : « ساهم أهل الزمة في بغداد في ازدهار الحركة العلمية في العصر العباسي الأول ونشر المعرفة فأسسوا المدارس وقاموا بالتدريس لأبناء كبار رجال بغداد ، وترجموا الكتب من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية ، ذلك ان الخلفاء العباسيين الأول عونا بترجمة الكتب العلمية واستعانوا بأهل الزمة في حركة الترجمة هذه ، وقدر الخلفاء جهودهم ومنحهم الرواتب الجزيلة ، وكان الخلفاء يرسلون العلماء الموثوق بهم من أهل الزمة الى الدولة البيزنطية لابتغاء طرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب ويعهدون الى الترجمة من أهل الزمة بنقل هذه الكتب الى العربية »^(٣٤٨) .

أما مراحل الترجمة فيقول د. أحمد فريد رفاعي^(٣٤٩) : اتفقت كلمة الباحثين على

(٣٤٦) آدم مزر : الحضارة الإسلامية ج ١ ص ٤٧ .

(٣٤٧) رفاييل بابو اسحاق : (تاريخ نصارى العراق) . (مطبعة المنصور - بغداد - العراق

١٩٤٨ م) ص ٦٧ .

HITTI : History of the Arabs, p. 327.

(٣٤٨)

(٣٤٩) د. أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون : ج ١ ص ٣٧٩ ، ٣٨١ .

ان الترجمة في هذا العصر مرت بثلاث مراحل متميزة ، تختلف كل منها عن الأخرى في لغتها ومدى الاهتمام بها والقبال عليها .

المرحلة الأولى — وتبدأ من عصر المنصور سنة ١٣٦ هـ الى نهاية حكم الرشيد سنة ١٩٣ هـ :

والترجمة في هذه الفترة كانت تكون حرفية لا تتجاوز العبارة الأممية وان بدت في ثوب عربى . ولهذا أعيد ترجمة بعضها فيما بعد بلغة أفصح وتعبير أحكم وأوضح . . وأشهر النقطة في هذه المرحلة يوحنا بن البطريق الذى ترجم للمنصور كتاب المجستى لبطليموس . ومحمد الفزارى الذى ترجم عن الهندية كتاب « السند هند » فى الفلك والتنجيم ، وعبد الله بن المقفع الذى ترجم عن الفهلوية — كليله ودمنة — كما ذكر ابن حيان عن صاعد الأندلسى فى كتابه طبقات الأمم — أنه ترجم كتب أرسطوطاليس المنطقية الثلاثة وهى : كتاب قاصاغوريوس ومعناه المقولات ويبحث فى الأجناس العالية ، وكتاب أنالوطيقيا ومعناه تحليل القياس ويبحث فى أشكال القياس المنطقى^(٣٥٠) . وكتاب بارى أرميناس وهو كتاب العبارة الذى يبحث فى القضايا التصديقية^(٣٥١) ، كما ترجم كتاب المدخل المعروف بإيساغوجى لفرقوريوس الصورى الذى ألفه ليكون مدخلا لكتب أرسطو فى المنطق . ومن أشهرهم أيضا جورجيس بن جبرائيل ، ويوحنا بن ماسويه الطبيبان النصرانيان وصالح بن بهلة صاحب الرشيد ، ومنكه طبيبه الهندى وابن دهنه مدير بيمارستان البرامكة ، وسلامة الأبرش وباسيل المطران . كما كان البرامكة — فضلا عن الخلفاء — يشجعون هذه الحركة ويخلون فى سبيلها المال الوفير وكانوا كلما وقعت فى أيديهم مدينة رومية يأمرؤن بترجمة ما يعثرون عليه فيها من الكتب^(٣٥٢) .

المرحلة الثانية — وتبدأ من عهد المأمون سنة ١٩٨ هـ الى نهاية القرن الثالث الهجرى :

وفىها بلغت الترجمة أسمى درجات النمو والازدهار وأنها لمدينة من غير شك

(٣٥٠) د. محمد نبيه حجاب : (مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى) (نبضة مصر بالفضالة - القاهرة ط ١ ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م) ص ٥١٧ .

(٣٥١) د. محمد الببى : (الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى) (بيروت لبنان ط ٥ ، ١٣٨١ هـ / ١٩٧٢ م) ج ١ ص ٢٧٦ .

(٣٥٢) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى (ص ٥١٨ .

للمأمون الذى نفخ فيها من روحه ووجه اليها عناية ليست بعدها عناية حتى أصبح عصره بحق العصر الذهبى (٣٥٣) .

المرحلة الثالثة — وهى التى كانت بعد القرن الثالث الهجرى :

واشهر المترجمين فيها أبو بشر متى بن يونس ، وسنان بن ثابت ، ويجبى بن عدى وأبو زرعة وهلال الحمصى وعيسى بن صهرنجت . وكانت عنايته متجهة الى الكتب المنطقية الطبيعية لأرسطو ، وكذلك التفسير التى نشأت حولها (٣٥٤) .

هذه هى المرحل الثالث التى مرت بها الترجمة فى العصر العباسى والتى كان من نتائجها هذا التراث الضخم المنقول عن اليونانية والفارسية والهندية وغيرها . واستمرت حركة الترجمة فى العصر العباسى حيث ازدهرت ازدهارا كبيرا ، ولا سيما فى عهد المأمون واستمرت فى تقدم واطراد حتى أواسط القرن الثالث الهجرى ، وكان من مظاهر العناية بالترجمة تشجيع المترجمين واجزال العطاء لهم ، والبحث عن المخطوطات القديمة وبذل الكثير من المال فى سبيل الحصول عليها ، وإرسال الوفود والسفارات لجلبها من البلاد التى يعتقد وجودها فيها مثل بيزنطة . بل كان أحيانا ما يشترط الولادة فى معاهداتهم مع بلاد أجنبية أن يقدموا لهم كتباً معينة من المخطوطات (٣٥٥) . المحفوظة لديهم .

هكذا أخذ العالم الاسلامى يترجم الى العربية كتباً فارسية وسريانية وعبرية ويونانية ، وكانت السيادة للثقافة اليونانية فى مجال الترجمة فى الفلسفة والطب والرياضيات فى حين كان للثقافة الاسلامية والشرقية بعامة دور واضح فى مجال الآداب (٣٥٦) . ومن أشهر من ساهم فى حركة النقل والترجمة بنصيب موفور من الموالى هم :

(١) علان الشعوبى :

هو علان أو غيلان — بن الحسن الوراق (٣٥٧) المعروف بالشعوبى لعصبية الشديدة على العرب وبغضه لهم كل البغض — وتفضيل قومه الفرس عليهم .

(٣٥٣) د . محمد البهى : الجانب الالهى من للتفكير الاسلامى ج ١ ص ٢٧٦ .

(٣٥٤) د . محمد نبيه حجاب : مظاهر للشعوبية فى الأدب العربى ص ٥٢٠ .

(٣٥٥) د . حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٨٧ .

(٣٥٦) المرجع نفسه ص ٨٨ .

(٣٥٧) الجاحظ : البيان والتبيين ج ٣ ص ٤٦٦ .

اتصل بالبرامكة^(٣٥٨) أيام هارون الرشيد وهم أصحاب النفوذ في البلاط اذ
ذاك ، فأنسحوا له المجال والحقوه « بيت الحكمة » ومن ذلك الحين أخذ ينسخ
للرشيد ثم للمأمون^(٣٥٩) .

ذكر ياقوت : انه كان علامة بالانساب والمثالب^(٣٦٠) والمنافرات « المفخرات » .
ولا شك انه كان لحرفة الوراقة التي كان يزاولها منذ حداثة اثر كبير في نضج
عقله وتفتق ذهنه ، وسعة معرفته وانطلاق لسانه ، ويبدو من أقوال الرواة
انه كان معتزا بعلمه تياها بصناعته كما يبدو أيضا انه كان شرس الأخلاق نابي
الألفاظ مما جعله فاجرا في خصومته للعرب . مجاهرا بعداوتة لهم حتى قرن
اسمه بالشعوبية كما أسلفنا ، يتجلى ذلك في موقفه من أحمد^(٣٦١) بن أبي خالد وزير
المأمون الذي سمع بعلمه وفصاحته فاستقدمه ليكتب له . وذات يوم دخل عليه
الوزير فقام اليه جميع الحاضرين سواه فقال : ما أسوأ أدب هذا الوراق ،
وسمعه علان فقال : كيف أنسب أنا الى سوء الأدب ، ومتى تتعلم الآداب وأنا معدنها ؟
ولماذا أردت مني القيام لك ولم آتكم مستسما لك ولا راغبا ولا طالبا منك ، وإنما
رغبت الى أن آتيك فأكتب عندك فجئتك لحاجتي الى ما آخذه من الأجر ، وقد كنت
بغير هذا منك أولى^(٣٦٢) .

يقول الألويسي : « ثم نشأ غيلان الشعوبى وكان زنديقا ثنويا فعمل لطاهر
ابن الحسين كتابا خارجا عن الاسلام ، بدأ فيه بمثالب بنى هاشم وذكر منالكهم
وأهانتهم . ثم بطون قريش ثم سائر العرب ونسب اليهم كل زور ووضع عليهم
كل افك وبهتان »^(٣٦٣) هكذا كان الموالي في هذا العصر ، عصر التاليف والتدوين
يضعون على العرب ما يشاعون من القصص والسير والأخبار ، وينسبون اليهم

(٣٥٨) د . بديع شريف (محمد) : (الصراع بين الصوب والموالي) (طبعة القاهرة
١٩٥٤ م) ص ٤٤ .

(٣٥٩) ابن النديم : الفهرست ص ١٠٥ .

(٣٦٠) ياقوت الحموي : معجم الأدياء ج ٢ ص ١٩١ .

(٣٦١) ياقوت الحموي : معجم الأدياء ج ١٢ ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٣٦٢) د . محمد نبيه حجاب : مظاهر للشعوبية في الأدب العربي ص ٥٦٣ ، ٥٦٤ .

(٣٦٣) الألويسي ، محمود شكرى البغدادي : (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب) شرح
ونصحيح محمد بهجت الأثرى . (المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٤ م) ج ١ ص ١٦١ .

ما ينسبون من المثالب والمعائب وقد ساعدتهم على ذلك ان الدولة دولتهم وانهم أصحاب النفوذ فيها بيدهم مقاليد الأمور ، وييدهم زمام العلم والأدب^(٣٦٥) .

ونعود فنقول : أين ذهبت هذه الكتب ، كتب المثالب والمعائب التي افردتها الشعبية للنيل من العرب ؟ لقد اندثرت وبلدت ولم يبق منها سوى أسمائها في كتب الطبقات كمعجم الأدياء والفهرست ووفيات الأعيان . كما لم يبق منها الاثنتي قليلة مفرقة في كتب الأدب كالبيان والتبيين ، والبخلاء ، والعقد الفريد ، وكتاب العرب لابن قتيبة .

(ب) الفضل بن سهل :

فيما يروى الجهشيارى عن الفضل بن سهل ما يدل على أنهم — الى حد ما — كانوا أكاسرة في قلب الدولة العباسية استمع اليه يقول : « كان الفضل بن سهل ابن زاد انفروح — ذو الرياستين — يجلس على كرسى مجنح ، ويحمل فيه اذا اراد الدخول على المأمون ، فلا يزال يحمل حتى تقع عين المأمون عليه . فاذا وقعت وضع الكرسى ونزل عنه فمشى وحمل الكرسى حتى يوضع بين يدي المأمون . ثم يسلم ذو الرياستين ويعود فيقعده عليه . وانما ذهب ذو الرياستين في ذلك مذهب الأكاسرة »^(٣٦٥) . وما سمى الفضل بن سهل بذى الرياستين الا لجمعه بين رئاستى السيف والقلم^(٣٦٦) . هكذا نال الفضل بن سهل منزلة عالية لدى المأمون وكان من المقربين لدى الخلفاء .

وكان من الذين قاموا بالترجمة من الفارسية الى العربية الفضل بن سهل صبغة البرامكة . وقد ترجم ليحيى كتابا من الفارسية لم يعرف عنه شيء غير أن يحيى أعجب بترجمته وجودة عبارته ، وأهل هذا الكتاب الفضل أن يكون من رجالهم المقربين ، وظل ملازما للفضل بن جعفر حتى نكبتهم ، ثم لزم المأمون فكان البرامكة يعلقون عليه آمالا كبيرة^(٣٦٧) .

(٣٦٤) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعبية في الأدب العربي ص ٥٦٩ .

(٣٦٥) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٣١٦ .

(٣٦٦) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعبية في الأدب العربي ص ٣٦٨ .

(٣٦٧) د. محمد محمود الدش : (أبو الغتاهية) (دار المعارف بمصر — القاهرة ١٣٨٨ هـ /

١٩٦٨ م) ص ٧١ .

ومن هؤلاء الترجمة - صنائع البرامكة ابان بن عبد الحميد اللاحقى وقد وثق به البرامكة الى درجة أنهم وكلوا اليه امتحان الشعراء وقصائدهم التى كانوا يقصدون عنايتهم بها وقد ترجم ابان جملة ممتازة من كتب الفرس مثل تاريخ مزدك اردشير وكتابا عن بوذا وغير ذلك ، كما ترجم كتابا قليلة ودمنة ونظمه شعرا ليسهل حفظه على جعفر بن يحيى البرمكى . وعرف ابان بأنه كان ماجنا زنديقا ماثويا^(٣٦٨) . ويروى أنه أشير عليه بأن يؤلف كتابا فى العبادات ، وقد فعل ووضع نظمها .

ويرتبط أول آثار الترجمة لعبد الله بن المقفع ، أحد الموالى الفرس وكان زرادشتيا فى الأصل غير أنه أعلن اسلامه امام أحد أخوة محمد بن على والد السفاح ، وأصبح كتابا له ، ولقد تجرأ عبد الله ، أثناء حماية مولاه له - على التفسود بملاحظات هائذة وقحة على الموظفين العرب الكبار خصوصا على سفيان ابن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبى صفرة والى البصرة .

ويبدو أن الرجال خوى الأصول العربية كانوا يحتلون مراكز سياسية فى أوائل حكم العباسيين كما كانوا يتقبلون الاهانات التى تصدر من الموظفين السابقين^(٣٦٩) .

وفى خلافة المنصور وبنساء على أوامره ، ترجمت كثير من الكتب اليونانية والسريانية والفارسية الى العربية ، وكانت الكتب السريانية والفارسية مترجمة بدورها عن اليونانية والسنسكريتية . وأشهر أثر لابن المقفع هو ترجمة قليلة ودمنة أو خرافات بيدبا من الفارسية القديمة التى كانت مترجمة بدورها من السنسكريتية وترجمة ابن المقفع الى العربية تعتبر بشكل عام مثالا يحتذى فى النقل العربى . أما الأصل الفارسى المفقود . غير أن ترجمة سريانية عنها للمبشر النسطورى بودح يعود تاريخها حوالى سنة ٥٧٠ م ، لا تزال موجودة وقد نشرها BICKELAND BENFEY سنة ١٨٧٦ م . ثم عاش ابن المقفع فى عهد المنصور ، ويذكر أنه فى تلك الفترة^(٣٧٠) تمت كثير من الترجمات العديدة من كتب أرسطو

(٣٦٨) د . بديع شريف : الصراع بين العرب والموالى ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣٦٩) أوليرى : (الفكر العربى ومكانه فى التاريخ) ترجمة د . تمام حسان (دار الفكر العربى

- القاهرة ١٩٦١ م) ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٣٧٠) السعوى . ملوج الذهب ج ٨ ص ١٩١ ، ١٩٢ .

ولكتاب المجستى لبطليموس وكتاب اقليدس ومؤلفات أخرى عن اليونانية لجورجيس .

نقد ارسل ليرافق جعفر البرمكى سنة ١٧٥ م وكان اثرا لدى هارون الرشيد وقد كتب مقدمة في المنطق ورسالة للمأمون في الأغذية والأشربة وكتابا في الطب استند فيه على ديقورس وجالينوس وبولس الأجنبى ثم خلاصات طبية أخرى ، ورسالة في العطور وكتب أخرى (٣٧١) .

(ج) سهل بن هارون :

أبو عمرو سهل بن هارون بن رهبون فارسي الأصل (٣٧٢) شعوبى المذهب شديد العصبية على العرب . فهو الدستيساني (٣٧٣) مولدا ، انتقل الى البصرة في منتصف القرن الثانى للهجرة وهى اذ ذاك كعبة العلم والعلماء ، ومنتدى الأدب والأدباء تزخر بالثقافة كما تزخر بثقافة الفرس والهند والروم . . . استقر به المقام أخيرا في بغداد بعد أن طوف في أفانق العراق والشام في رحلاته العديدة انتهى عاد منها كامل العقل تام النضج واذ قد نشأ في أزهى عصور الدولة وأخصب بقاع الأدب والثقافة ، فقد كان ثمرة ناضجة من ثمار هذه البيئة العلمية التى أحاطت به . . فضلا عما ورثه عن آبائه الفرس من حكمة وسياسة .

كان البرامكة يعتمدون على الفرس في سياستهم أمور الدولة ، وقد جرهم ذلك الى احتضان الكتاب اللامعين منهم ، وكان من أبرزهم « أبو عمر سهل بن هارون » ومن هنا كان وثيق الصلة بهم شديد الميل اليهم فلما حلت بهم المأساة خشي على نفسه أن تضمه القافية — كما يقول الأستاذ كرد على — (٣٧٤) . الا أن الرشيد لحاجته اليه قد آمنه على نفسه وجعله على دواوين الخلافة بدل يحيى (٣٧٥) .

(٣٧١) أولرى : الفكر العربى ومكانه في التاريخ ص ٩٧ .

(٣٧٢) ابن زبائنه : سرح العيون ص ١٦٥ .

(٣٧٣) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٦٦ .

(٣٧٤) محمد كرد على : (أمراء البيان) . (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة

١٩٥٠ م) ج ١ ص ١٦٩ .

(٣٧٥) ابن عبد ربه : (العقد الفريد) تحقيق أحمد أمين وآخرون ، (لجنة التأليف والترجمة

والنشر ط ٢ القاهرة ١٩٤٨ م) ص ١٧٠ .

وإذا كان من صنائع البرامكة فطبيعي ألا ترى له ذكرا في أيام الأمين وطبيعي
أيضا أن نراه نابه الذكر ساطع النجم في عهد المأمون فكان من المختصين بخدمته
نجعله أمينا على كتب الحكمة (٣٧٦) .

ولما كان مثل هذا العمل في حاجة إلى جهابذة العلماء والأدباء والمترجمين
فقد حشد له القوى وجعل عليه سهل بن هارون (٣٧٧) ومن ثم فقد عاش هذا
الكاتب في هذا الجو العلمي الخالص الذي جعل منه عالما ضليعا وكاتبا بليغا .
ومؤلفا بارعا ، أطراه الجاحظ وأشاد بعقيدته العلمية ومواهبه الأدبية . جمع سهل
بين الخطابة والكتابة والشعر ألا أن بلاغة العلم عنده كانت أسقى من بلاغة اللسان
وان أفصح كل منهما عن حصافة عقله ، وسداد رأيه وسلامة منطقته (٣٧٨) .

يقول الجاحظ (٣٧٩) : « ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب
والرسائل الطوال والقصار والكتب الكبار المجلدة والسير الحسان المولدة والأخبار
المدونة ، سهل بن هارون بن رهبون الكاتب صاحب كتاب « ثعلة وغراء » في معارضة
كليلة ودينة وكتاب الأخوان وكتاب الرسائل وغير ذلك من الكتب » . كما كان
سهل بن هارون علوى المذهب ميالا إلى الاعتزال كغيره من شيعة العراق في عصره ،
وكان أيضا فارسي النزعة متعصبا (٣٨٠) على العرب ، على الرغم من محاولة الأستاذ
کرد على على تبرئته من هذه النزعة الشعوبية .

فابن النديم يقول عنه : « كان حكيما فارسي الأصل شعوبى المذهب شديد
العصبية على العرب » (٣٨١) .

ويقول ياقوت الحموي في معجمه عنه : « كان حكيما شعوبيا يتعصب للمجم
على العرب شديدا في ذلك » (٣٨٢) .

-
- (٣٧٦) ابن النديم : الفهرست ص ٤١٧ .
(٣٧٧) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٦٦ .
(٣٧٨) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية في الأدب العربي ص ٤١٧ .
(٣٧٩) الجاحظ : البيان والتبيين ج ١ ص ٥٢ .
(٣٨٠) محمد فريد وجدى : (دائرة معارف القرن العشرين) (بغداد مكتبة دار البيسان
ط ١٠٤ ، ١٩٦٧ م) ج ١ ص ٥٥٥ .
(٣٨١) ابن النديم : الفهرست ص ١٢٠ .
(٣٨٢) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٦٦ .

أما صاحب فوات الوفيات فيقول : « سهل بن هارون فارسي الأصل شعوبي المذهب شديد التعصب على العرب » (٣٨٣) .

على أن هذه العصبية قد تجلت في أدبه شعرا ونثرا . فمن شعره في الفخر بقومه والتطاول بهم على العرب :

يا أهل « ميسان » السلام عليـ	كم طيبون الفرع والجذم
أما الوجوه ففضة مزجت	ذهباً أيد سحبه هضم
أتريد (كلب) أن أناسبها	قد قل من كليب الملم
أجهلت بيتاً فوق رابية	فرع النجوم كأنه نجم
كم بيت شعر وسط جهلة	بغلته أجمالان والبهم (٣٨٤)

لكن دلائل كثيرة تدل على أنه كان مثقفا ثقافة ممتازة يجمع معارف عصره وأنه كان أحد النقلة من لسانه الفارسي الى العربية (٣٨٥) . فأهميته لا ترجع الى ما ترجم بل ترجع الى ما صنف وألف . ومن أهل ذلك كان يختلف عن ابن المقفع ، فابن المقفع أهميته الأولى في تاريخ الفكر العربي ، أما ترجع الى أنه كان مترجما وأنه مرن أساليب اللغة العربية على حمل الثقافات الأجنبية ، أما سهل فكان أديبا تبدو شخصيته فيما يؤلف ويدبج ويحبر ، ومن بديع تشبيهه قوله : « القلم لسان الضمير اذا رعف أعلن أسرارهِ وأبان آثارهِ » وقوله : « العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل والبيان ترجمان العلم » (٣٨٦) .

وهكذا فإن من أسباب تقدم الحياة الثقافية في بغداد جعل حركة النقل والترجمة على أيدي الموالى الذين حظوا برعاية الخلفاء العباسيين وقدروا ذوى المواهب منهم ، وبذلك أتاحت لهم الفرص لابرار مقدرتهم العلمية ، وكان لمعرفة اللغات الأجنبية خصوصا اليونانية والسريانية سببا في اعتماد الخلفاء العباسيين عليهم في حركة الترجمة الى اللغة العربية (٣٨٧) .

(٣٨٣) ابن شاذان الكتبي : فوات الوفيات ج ١ ص ٣٦٨ .

(٣٨٤) الحصري : (زهر الآداب ونهر الألباب) تحقيق د. زكي مبارك (المتنبة للتجارة -

القاهرة ١٩٢٥ م) ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٣٨٥) الجاحظ : البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٩ .

(٣٨٦) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٨ .

(٣٨٧) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الإسلامية الكبرى ص ٤٠ .

ثالثا - دور المترجمين في تنشيط حركة التكليف والترجمة :

لم يكن الخلفاء وحدهم يباشرون حركة الترجمة والتأليف ، وينفقون عليها بل جاراهاهم في ذلك كبار رجال الدولة مثل البرامكة وبنو سهل ومن ابرز من عنى بالترجمة في بغداد :

(١) اولاد شاكرا « أحمد ومحمد والحسن » :

كانت لهم هم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الاوائل ، وافنوا انفسهم في شأنها وانفذوا الى بلاد الروم من اشتراها لهم واحضروا النقلة من الأصقاع الشاسعة والأماكن البعيدة بالبذل السنى فأظهروا عجائب الحكمة واهم العلوم التى عنوا بترجمتها الهندسة والموسيقى والنجوم والفلسفة (٣٨٨) .

وكان فرع الطب اهم العلوم التى عنى المترجمون بترجمته ، واكثر ما عنوا به بعد الطب الحكمة ، اى القصص الجيلة ذات المغزى الخلقى والنوادر او الأقوال الحكيمة ، وكان يترجم هؤلاء العلماء ما يعجبنا نحن ، اذ كانوا يعجبون بهذه الأقوال ويجمعونها لما تحويه من حكمة أو لجمال أسلوبها وحسن غرضها (٣٨٩) .

كما كان بنو موسى بن شاكرا من أنشط العناصر التى كانت في بيت الحكمة فلازموا التعلم بها ، فشبوا مولعين بعلوم الحكمة والهندسة والفلك ، والحيل والحركات الفلسفية ، ولما علا شأنهم أثبتوا في بيت الحكمة مع العلماء والمترجمين ، نكانوا يتولون دائرة العلوم الرياضية والهيئة والهندسة والنجوم والحيل والموسيقى ، واشتهر اكبرهم أبو جعفر محمد بن موسى المتوفى سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م فكان يشرف على ما يترجم من كتب الجبر والمقابلة لبيت الحكمة ، وله كتاب يعملون بين يديه وترجمة يترجمون الكتب التى يختارها ، ومن يساعده في عمله هذا يحيى بن أبى منصور الموصلى المنجم ، وكان أحد خزنة بيت الحكمة وأحد الرصايد (٣٩٠) وجدير بالفكر أن أبناء موسى

• (٣٨٨) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٤ ص ٢٤٧ .

• (٣٨٩) ديبور : تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٣١ .

• (٣٩٠) لهن للنديم : الفهرست ص ٢٨٣ .

ابن شاطر الثلاثة كانوا يرزقون جماعة من النقطة منهم حنين بن اسحاق وحبش بن الحسن وثابت بن قرّة خمسمائة دينار للنقل والملازمة^(٣٩١) .

ذكر ياقوت الحموي في معجمه : « أنه كان لحنين بن اسحاق الطبيب المسيحي نسخ ذكر منهم محمد بن الحسن بن دينار مثالا أنه كان وراقا يورق لحنين المتطبب في منقولاته لعلوم الأوائل »^(٣٩٢) ويذكر ابن أبي أصيبعة^(٣٩٣) : أنه كان لحنين كاتب يعرف بالأزرق ، وأضاف ابن أبي أصيبعة قوله : وقد رأيت أشياء كثيرة من كتب جالينوس وغيره بخطه .

واشتهرت بعض المكتبات الخاصة بالحرص على النقل والترجمة ، ومن هذه مكتبة بنى شاطر وأولاده كان لهم مترجمون لا يفتأون ينقلون لهم ويلزمون العمل في مكتبتهم ومنهم حبش بن الحسن وثابت بن قرّة^(٣٩٤) .

وقد أولع أهل ذلك العصر بما أولع به الخلفاء ، فعمل ذلك على تنشيط حركة النقل والترجمة والتأليف ، ومن عني بإخراج الكتب محمد وأحمد والحسن بنو موسى بن شاطر ، وهؤلاء القوم ممن تناهى في طلب العلوم القديمة ، وبذل فيها الرغائب وأتعبوا فيها نفوسهم ، وأنفذوا إلى بلاد الروم من أخرجها اليهم ، فأحضروا المخطوطات الفلسفية والفلكية والرياضية والطبية القديمة . ولم يتوانوا عن دفع المبالغ الطائلة لشراء الآثار اليونانية وحملها إلى بيوتهم قرب باب التاج . وفي الدار التي قدمها لهم المتوكل على مقرية من قصره في سامراء كان يعمل دون وسطاء فريق كبير من المترجمين من أنحاء البلاد تماما . كما كان يفعل المأمون بالذات الذي كان يوفد الرسل أيضا بحثا عن المخطوطات القديمة للمترجمين والنقلة من كبار العلماء الذين ساهموا عند بنى موسى في دفع عجلة الحكمة إلى الأمام^(٣٩٥) .

كذلك انقطع محمد بن موسى الخوارزمي إلى خزانة الحكمة للمأمون وهو

(٣٩١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٧ .

(٣٩٢) ياقوت الحموي : معجم الأدياء ج ٧ ص ٤٨٢ .

(٣٩٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٧ .

(٣٩٤) ابن القطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٠ ، ٣١ .

(٣٩٥) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٦٤ .

من أصحاب علوم الهيئة^(٢٩٦) . ووجه الوثائق عناية كبيره للمترجمين الدين نقلوا
الذخائر الأجنبية للسان العربى وكان ابن ماسويه يده اليمنى فى ذلك ، فأغدق عليه
الوثائق نعماء متوالية وخيرا وفيرا ، وفى احدى المرات اعطاه دراهم تساوى^(٢٩٧)
٣٠٠٠ روية . وكان عطاء محمد بن عبد الملك الزياد للنقلة^(٢٩٨) ، والنساج فى كل
شهر ٢٠٠٠ دينار .

توقف نشاط الترجمة بعد الوثائق ولم يعد من السهل أن يجد الباحث ذكرا
للمترجمين فى المكتبات العامة أو الخاصة ، ولعل السبب فى ذلك أن النشاط الكبير
الذى حظيت به الترجمة من قبل قد نقل الى اللغة العربية امهات الكتب فى
الفنون الجميلة أو أن المسلمين بعد أن اطلعوا على ما ترجم فى بيت الحكمة وما
عاصرها من مكتبات استطاعوا أن ينتجوا بلغتهم ثقافة وعلماء وفلسفة كانت مجالا
لنشاطهم العلمى فى العهود التالية^(٢٩٩) .

ويبدو أن البعثة التى كانت تتكون من طوائف ثلاث بعثت الكتب الفلسفية
يرأسها يوحنا بن البطريق ، وكان فيلسوفا أكثر منه طبيبا^(٣٠٠) وقد تولى ترجمة كتب
أرسطو خاصة . فأخرج ترجمة قصة طيماوس لأفلاطون وأنه ترجم أيضا كتاب
الحيوان وأجزاء مأخوذة من كتاب النفس وترجم كتابه فى العالم^(٣٠١) .

وهناك طائفة الكتب الفلكية والرياضية ويرأسها الحجاج بن مطر وكان مختصا
فى هذا الفرع وهو الذى نقل المجستى وأقليدس ، وطائفة من الكتب الطبية برئاسة
يوحنا بن ماسويه^(٣٠٢) وبهذا عادت هذه البعثة محملة بكتب تشمل علوما مختلفة .

أما قنسطا بن لوقا البعلبكي توفى حوالى ٣٠٠هـ/٩١٢ م ، مسيحى النحلة ، من
أصل يونانى . ولذا يعد^(٣٠٣) من فلاسفة اليونانيين المتأخرين ، وكان له ولع

(٢٩٦) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٧ .

Khuda Bukhsh : Islamic Civilization, p. 269.

(٢٩٧)

(٢٩٨) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٠٨ .

(٢٩٩) د . أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٦٣ .

(٣٠٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٧٩ .

(٣٠١) د . عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٣٧٦ .

(٣٠٢) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٨٠ .

(٣٠٣) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٣٠ .

بالعدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعية ، كما كان ماهرا في الطب .
وقد ذكر ابن العبري أنه « دخل الى بلاد الروم ، وحصل من تصانيفهم الكثير
وعاد الى الشام » (٤٠٥) .

كما ذكر ابن القفطي أنه : « استدعى الى العراق ليترجم كتبها ويستخرجها من
لسان يوناني الى لسان العرب » (٤٠٦) . كما أسند اليه الاشراف على ترجمة المراجع
الاغريقية في بغداد (٤٠٧) كان قسطا جيد النقل لأنه كان فصيحاً باللغة اليونانية
جيد العبارة العربية (٤٠٨) ويشير ماكس مايرهوف الى ما نقله فيقول : « انه ترجم
كثيراً من المؤلفات الطبية والرياضية والفلكية ، كما ترجم الى جانبها مؤلفات فلسفية
صحيحة او منقولة » (٤٠٩) .

وقد أصلح قسطا نقولا كثيرة (٤١٠) كما ألف « رسالة قصيرة في الفرق بين
النفوس والروح ترجمت الى اليونانية ، وبقيت الى أيامنا وقد ذكرها الباحثون
وانتفعوا بها » (٤١١) ولم تؤثر الثقافة اليونانية في العرب الا عن طريق الرياضيات
والطبيعات والفلسفة وقد عرفوا شيئاً عن أطوار الفلسفة اليونانية ، ولكن
هذه المعرفة كانت مشوبة بأساطير كثيرة .

وكان لاقدام المأمون كخليفة على ترجمة كتب الفلسفة أثر في نفوس الأثرياء
من رعيته ، فاحتذى بعضهم حذوه في طلب كتبها والاغداق على مترجميها ، ومن
هذا البعض بنو موسى بن شاكر في القرن الثالث الهجري ويروي : « أن عيسى
ابن يحيى قد ترجم لأحمد بن شاكر كتاب الأخلاق لأبو قراط » (٤١٢) .

وهناك أيضاً عمر بن الفرخان الطبري (٤١٣) أحد رؤساء الترجمة والمحققين

(٤٠٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٩ .

(٤٠٥) ابن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٧٣ .

(٤٠٦) د. إبراهيم المدوي : (الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم) (القاهرة ١٩٥٨ م)

ص ١٧٠ .

(٤٠٧) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٤ .

(٤٠٨) ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد ص ٥٩ .

(٤٠٩) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٤٤ .

(٤١٠) ديبور : تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٢٤ ، ٣١ .

(٤١١) قسدي حافظ طوقان : تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ص ١٩٧ .

بملم حركات النجوم واحكامها استدعاه الفضل بن سهل — وزير السأمون — ووصله بالخليفة السأمون ، فترجم له كتباً كثيرة والى كتباً كثيرة فى النجوم وغيرها من فنون الفلسفة . ومن ذلك انه فسر كتب الأربعة لبطليموس ونقلها له البطريق أبو يحيى ابن البطريق وله من الكتب : كتاب المحاسن وكتاب اتفاق الفلاسفة واختلافهم خطوط الكواكب . فكان بيت الحكمة يحوى كل نادر وغريب ، يقصده المؤلفون ويجدون فيه خير معين لما يرغبون به من العلوم المختلفة .

كان حنين بن اسحاق العبادى من الذين خدموا فى بيت الحكمة فقد كان يعمل بين يديه عدة ترجمة ، تولاه فى زمن المتوكل فسعى فى توسيعه وترجم هو ومن يشغل بين يديه كتباً عديدة فى الطب والفلسفة والمنطق ، وكانت دائرته التى يرأسها فى بيت الحكمة لا تقل أهمية عن دائرة بنى موسى بن شاكر السالف ذكرهم^(٤١٣) والى جانب هؤلاء المترجمين تفتحت فى بيت بنى موسى عبقرية خلاقة احتلت فيما بعد مركزاً مرموقاً بين العلماء العرب ونعنى به الفتى ثابت بن قررة احد أتباع الصابئة وهو ممن اكتشفهم محمد وكان ذلك فى سفرة قام بها الى بلاد اليونان وآسيا الصغرى ، بحثاً عن المخطوطات القديمة وفى أيامه مر « بحران » والتقى صدفة « كفرتوما » صبياً بارعاً ذكياً ، وكان هذا الصبى بارعاً فى علم الحساب متضلعا فى الترجمة ، فاصطحبه محمد معه الى بغداد وأدخله داره ليطلب العلم ، ثم تعرف الخليفة المعتضد على النابغة الصابئى فقربه منه وفضله على غيره من العلماء^(٤١٤) .

وترجم ثابت بن قررة لبنى موسى عدداً كبيراً من الأعمال الفلكية والرياضية لأبولونيوس (APOLLONIUS) وأرخميدس (ARCHIMEDES) وأقليدس (EUKLIDS) وتيودوسيوس (HTEODOSIUS) وأرسطوطاليس (ARISTOTELAS) وأفلاطون (PLATON) وجالينوس (GALENO) وأبو قراط (HIPOKRATES) وبطليموس (POTALEMOUS) ، كما انه صحح ترجمات حنين بن اسحاق وولده ثم شرع فى وضع مؤلفات ضخمة فوضع مائة وخمسين مؤلفاً مريباً وعشرة مؤلفات باللغة السنسكريتية فى الفلك والرياضيات والطب فتبوا المحل الأول بين العلماء المسلمين ليس فى زمانه بل فى مختلف الأزمان^(٤١٥) .

(٤١٢) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٧٨ .

(٤١٣) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٤٧ ، ٥٧ ، ١١٢ ، ١١٧ .

(٤١٤) زغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٢٥ .

(٤١٥) المرجع نفسه ص ١٢٦ .

وقام ثابت بن قرة بترجمة المجستى لبطليموس الذى طور الجبر وكان اول من ادرك انطباقه على الهندسة وكان حساب المثلثات هو فرع من الرياضيات التى اهتم بها العرب أشد الاهتمام^(٢١٦) .

ومن هؤلاء ثابت بن قرة ولد سنة ٢٢١ هـ بحران^(٢١٧) وتوفى سنة ٢٨٨ هـ ، كان من الصابئين^(٢١٨) من اهل حران ، وقد تناهت اليه زعامتهم ويقول كوير يونج أنه كان « زعيم طائفة عبدة النجوم التى ازدهرت فى حران »^(٢١٩) . وقد عمل فى مبدأ امره صرافا يسوق حران ثم انتقل الى بغداد للخلاف بينه وبين ابنه فى دينه^(٢٢٠) . ثم اشتغل بعلوم الأوائل فمهر فيها وبرع^(٢٢١) ، وفى كفتروما التقى بمحمد ابن موسى الخوارزمى لذى رجوعه من بلاد الروم فأعجب هذا بفصاحته ونكاته ، فاصطحبه معه الى بغداد ووصله بالخليفة المعتضد فأدخله فى جملة المنجمين^(٢٢٢) .

وقد اشتغل ثابت بن قرة بعلوم الأوائل فمهر فيها ، وأعانتته على ذلك خبرته بلغات ثلاث هى الاغريقية والسريانية والعربية ، وغلب عليه الاتجاد الفلسفى والرياضى ، ولعل ذلك يرجع الى ما اشتهر به الصابئة عامة فى هذه العلوم .

يقول صاعد الأندلسى^(٢٢٣) عنه : « أنه فيلسوف متوسع فى العلم متفنن فى ضروب الحكم ، متقلد لجوامع الفلسفة له تأليف حسنة فى المنطق والعدد والهندسة والنجوم وغير ذلك » .

(٢١٦) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٢١٧) حران : بلده بالجزيرة بين حلة والفرات .

(٢١٨) البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ص ١٩ رقم ٢٦٦ تاريخ .

ومطبوع بعنوان تنمة صوان الحكمة ، تحقيق الأستاذ محمد شفيق ، طبعة لاهور ١٣٥٠ هـ .

(٢١٩) د. محمد خلف الله : (أثر الاسلام الثقافى فى المسيحية) ، القاهرة من كتاب « الثقافة

الاسلامية والحياة المعاصرة » ص ٢٥٢ .

(٢٢٠) ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد ص ٧٢ اقرا ذلك يقول القفطى :

اصطحبه محمد بن موسى بن شاكر لما انصرف من بلاد الروم لانه رآه فصيحاً . بأخبار العلماء

بأخبار الحكماء ص ٨١ .

(٢٢١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٠٠ .

(٢٢٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٦٥ .

(٢٢٣) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٤١ .

وقد بلغت تأليفه مقدار عشرين^(٤٢٤) تأليفاً ومن الكتب التى ألفها بالسريانية كتابه فى السكون بين حركتى الشريان^(٤٢٥) . وقد نقله الى العربية عيسى بن اسيد واصلىح ثابت العربى .

كان المعتضد يقول : أنه كان يحترم العلماء وأصحاب المواهب والكفاءات ويجلهم ويفدى عليهم العطايا . فقد روى أنه لما تقلد الخلافة اقطع ثابتاً وغيره الضياع الجليلة ، ومما يدل على تقديره مواهب ثابت وفضله أنه كان يجلس بحضرته فى كل وقت ويصادته ويضاحكه^(٤٢٦) ، وكان الغالب عليه الرياضيات والفلسفة وهو الذى أدخل رياسة الصابئة فى العراق .

كان ثابت من ألع علماء عصره ، ومن الذين تركوا مآثر ترجمة فى بعض العلوم وكان يحسن السريانية واليونانية والعربية ، جيد النقل للعربية^(٤٢٧) ، كما كان من أعظم المترجمين وأعظم من عرف فى مدرسة حران فى العالم العربى ، وقد ترجم كتباً كثيرة من علوم الاقدمين فى الرياضيات والمنطق والطب^(٤٢٨) .

ويعد البيهقى من تصانيفه كتاب الذخيرة^(٤٢٩) . وهو كتاب نادر فى الطب وهو عربى جيد . ويستدل مما أورده القفطى^(٤٣٠) من كتب ثابت أنه كان على قدر كبير من النشاط إذ أنه لم يترك ناحية من نواحي معارف عصره الا وألف فيها كتباً أو أصلىح فيها ترجمة أو نقل فيها شيئاً رآه جديراً بالنقل .

لقد ذكر ماكس مايرهوف^(٤٣١) أن ثابت بن قرة قد أصلىح عدداً كبيراً من ترجبات اسحاق بن حنين الفلسفية والرياضية ويوجد حتى اليوم عدد من المخطوطات العربية وعليها التعليقات الخاصة بها تصحيحاً لها . ومن الترجمات التى أصلىحها النسخة التى نقلها اسحاق بن حنين من المجستى بطليموس الى العربى

(٤٢٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٥ .

(٤٢٥) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٢١٨ .

(٤٢٦) د . أحمد فؤاد الأهوانى : فيلسوف العرب للكندى ص ٦١ .

(٤٢٧) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٦٧ .

(٤٢٨) المرجع نفسه ص ١٩٧ .

(٤٢٩) البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ص ٣١ .

(٤٣٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٨١ ، ٨٤ .

(٤٣١) ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد ص ٥٩ .

ثم انه نقل هذا الكتاب نقلا جيدا . واصلحه وأوضحه . كما انه اختصر جزءا كبيرا منه .

وثمة ثلاثة كتب علمية لأبو لوقوس (APPOLONIUS) أنفذها ثابت بن قرة الطبيب وعالم الرياضيات الكبير الذى عمل مع ولد حنين بن اسحاق وابنه وابنة أخيه المبرز النبيه في مدارس الأستانيين تلاميذه ولم يميت حنين الا وقد اتم ترجمة أغلب اعمال الكلاسيكيين^(٤٣١) وبهذا حمل المترجمون العرب آثار القدماء من الضياع والزوال ، فكثر من المخطوطات لولا العرب ما عرفنا اليوم عنها شيئا ككتاب جالينوس في التشريح ومخطوطات HERON وفيلون PHILO وميثلاس في الميكانيكا والرياضيات وبطليموس (POTALEMOS) في البصريات ومخطوطة لأقليدس في علم التوازن ، ومخطوطة في « ساعة الماء » وقانون العوم لأرخميدس^(٤٣٢) .

ودفعت ثمننا للكتب — كل علم — ملايين وملايين فلقد خصصت مكتبة النظامية وهى المدرسة العليا الشهيرة ببغداد سنويا ما يعادل مليوناً ونصف مليون من الفرنكات لشراء الكتب والمخطوطات . وفتحت اللهفة على اقتناء الكتب الباب أمام مئات الألوف من البشر لكسب عيشهم ، فأصبح النساخ والخطاطون فنانيين مهرة في فنهم ، ووظفت كل مكتبة أو متجر للكتب عددا من هؤلاء فكان أغلبهم من الصلبة ، وانصاف المتعلمين أرادوا عن هذا الطريق كسب رزقهم . فالعلوم والآداب كانت هواياتهم ، كما يعيش الناس اليوم لعب الكرة ، وكان ينظر لمن يساهم في تلك النهضة نظرة فيها الكثير من الإزدراء^(٤٣٤) .

ان انتشار المعارف العلمية على نطاق واسع قد أدى الى وضع تعليقات ومؤلفات مهمة لكبار العلماء والنقلة فأصلح ثابت عددا كبيرا من ترجمات حنين بن اسحاق في الفلسفة والرياضيات كما يوجد عدد من المخطوطات العربية عليها تعليقاته وتصحيحاته^(٤٣٩) .

ومع هذا فان معظم من ذكرنا أسماءهم نقلة ، كما كان لهم في الوقت نفسه

(٤٣٢) زغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٨٤ .

(٤٣٣) المرجع نفسه ص ٣٨٤ .

(٤٣٤) زغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٨٩ ، ٣٩٢ .

(٤٣٥) د عبد الرحمن بحدوي : التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ص ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

تفكيرهم المستقل ورايهم الخاص ، فلم يكن حنين أو ابنه اسحاق أو ثابت بن قرة^(٤٣٦) أو قسطنطين لوقا مجرد مترجمين ، بل كانوا يلخصون أو يضيفون من عندهم تفسيراً جديداً ، أو يخطون خطوة جديدة تضاف الى العلم ، وكذلك كان الكندي فهو ان عد في جملة المترجمين ، فقد كان يحصل الترجحات ويلخصها ويبرزها في ثوب جديد . فيصبح لها بعد أن يتمثلها طابع كندى متميز^(٤٣٧) .

نستطيع أن نقول ان عصر الترجمة هو تنشيط لحركة التأليف بل هو عصر انتاج وابتكار أثبت العرب فيه أنهم لم يكتفوا باقتباس تراث فارس القديم وتراث اليونان المدرسي وهضمه ، بل حولوا التراثين لحاجتهم الخاصة وطرق تفكيرهم ، وضافوا اليهما ما استطاعوا أن يستنبطوه . وقد ظهرت آثارهم في الطب والفلسفة لكنها تجلت بنوع خاص في الكيمياء والفلك والرياضيات والجغرافيا . بل لقد تفردوا عرباً ومسلمين بمذهب في البحث والابتكار في ميادين الشريعة وعلوم الدين وفقه اللغة وعلومها . فان حركة النقل في تاريخ الثقافة لا تقل أهمية عن حركة الابتكار نفسها . فلو أن أبحاث أرسطو وجالينوس وبطليموس فقدت لكان العالم في افتقاره اليها بالوضع نفسه كما لو كانت غير موجودة^(٤٣٨) .

(٤٣٦) أنه الف بالمربية حوالي ١٥٠ بحثاً في المنطق والرياضيات والفلك والطب . وكتب بالمريمية ١٥ بحثاً آخر : أولرى ، مسالك الثقافة الاغريقية ص ٣٦٠ .
(٤٣٧) د . أحمد فؤاد الأهواني : الكندي فيلسوف العرب ص ٦٢ .
(٤٣٨) حسنى أحمد حماد : الحضارة العربية نشأتها وتطورها وآثارها ص ٤٦ .

رابعاً - ترجمة التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية :

فى وسعنا بعد هذا التتبع لأولئك الذين اضطلعوا بالنصيب الوافر على حركة الترجمة ان نتبين ان النقل كان يحدث اما من السريانية الى العربية مباشرة ، واما من اليونانية الى السريانية ومنها الى العربية^(٤٣٩) .

ومما يستحق الملاحظة ان ترجمات سريانية أحسن وأحدث كانت تعد فى الوقت الذى كانت تبدأ فيه الترجمات العربية . وقد دامت الترجمة الى السريانية طالما بقيت مدرسة جنديسابور^(٤٤٠) . أى أن عمل الترجمة كان من شقين ، فقد كانت توضع الترجمات فى العربية وفى السريانية على السواء ، وهذه الترجمات السريانية كان الغرض من وضعها أن تغنى عن الترجمات السريانية المعيبة المتداولة بين الناس . ويذهب ماكس مايرهوف الى أن « الترجمة فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) كانت غالبا الى السريانية وفى النصف الثانى ازدادت حركة الترجمة الى العربية شيئا فشيئا ، وقام المترجمون أيضا باصلاح التراجم القديمة^(٤٤١) » .

وقد كان معظم النقلة كما رأينا سريانا ، يقول ديبور^(٤٤٢) : « والذين اشتغلوا بنقل كتب اليونان الى العربية فيما بين القرنين الثامن والعاشر الميلادى يكادون يكونون جميعا من السريان » .

يقول ماكس مايرهوف^(٤٤٣) : « وكان هؤلاء جميعا من النصارى الذين يتكلمون باللغة السريانية » . ويقول فيليب حتى^(٤٤٤) « كان معظم المترجمين ممن يتكلمون الآرامية » .

هكذا كان السريان هم حلقة الاتصال بين الفلسفة الاغريقية والعلوم الاغريقية والاسلام ، وبذلك تحتم على الثقافة اليونانية أن تعبر عقولهم ، وتمر بأقلامهم قبل

(٤٣٩) د . أحمد عيسى : (التذهيب فى أصول التعريب) * (مطبعة مصر - القاهرة ١٩٢٣ م)

ص ٧٢ .

(٤٤٠) أولبرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤١ .

(٤٤١) ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد ص ٥٨ .

(٤٤٢) ديبور : تاريخ للفلسفة فى الاسلام ص ٢٨ .

(٤٤٣) ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد ص ٥٧ .

(٤٤٤) د . فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ج ٢ ص ٨٦ .

ان تصل الى العقل العربى ، وقد نقلت الكتب الطبية أولا عن طريق الترجمات السريانية ، وكذلك كان الأمر فى بعض الكتب الرياضية والفلكية على الأقل ، ولكن الرجوع الى الأصول اليونانية رأسا كان أسبق فى هذين النوعين ، والسبب فى ذلك غير بعيد ، وهو أن الدقة الشديدة فى المصطلحات الرياضية على غساية من الأهمية^(٤٤٥) .

وكان للتراجمة فى النقل طريقان أحدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصى وغيرهما ، وهو أن ينظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى ، فيأتى بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها فى الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينقل الى الأخرى كذلك حتى يأتى ما يريد تعريبه . وهذه الطريقة رديئة لوجهين أحدهما أنه لا يوجد فى الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية ، ولهذا وقع فى خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها . والثانى أن خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائما . وايضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهى كثيرة فى جميع اللغات . الطريق الثانى فى التعريب طريق حنين بن اسحاق والجوهري^(٤٤٦) وغيرهما وهو أن يأتى الى الجملة فيحصل معناها فى ذهنه ، ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها ، سواء ساوت الألفاظ أم خالفها وهذه الطريق أجسود^(٤٤٧) .

يقول فيليب حتى « لما كانت تعترض المترجمين قطع صعبة فى الأصل فانهم كانوا يعمدون الى الترجمة الحرفية ، فاذا لم يجدوا مرادفا عربيا كانوا يعمدون الى نقل اللفظ اليونانى بحروفه مع ادخال شيء من التحوير »^(٤٤٨) . ومن ثم نجد كلمات مثل قاطيغورياس أى المقولات ، بارى لارمانياس أى العبارة ، أنالوطيقي أى تحليل القياس ، ريطوريقا أى الخطابة ، بوطيقي أى الشعر ، أرثماتيقي أى الحساب^(٤٤٩) .

وكانت الترجمة الحرفية تغلب فى المصطلحات ذلك لأن اللغة العربية كانت

(٤٤٥) أوليرى : علوم اليونان وسبل نقلها الى العرب ص ٢٢٠ .

(٤٤٦) توفى حوالى سنة ٨٣٣ م - أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٢٨ .

(٤٤٧) د . احمد عيسى : التهذيب فى أصول التعريب ص ١١٣ .

(٤٤٨) د . فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ج ٢ ص ٣٨٦ .

(٤٤٩) ابن النديم : الفهرست ص ٣٦١ ، ٣٨٠ .

تفتقر الى المصطلحات الفنية التي يصطنعها علماء اليونان ، فكانت المصطلحات اليونانية تكتب أحيانا كما هي بحروف عربية ، ولكن هذه المصطلحات تدل في احيان كثيرة على انها مرت في وسط آراى « سريانى » في طريقها الى العرب ، وهذه الظاهرة أكثر وضوحا في الكتب الطبية منها في الكتب الرياضية الفلكية^(٤٥٠) .

يقول براجستراسر « ان حنيناً وحبشياً أفضل تلاميذه تجشها عناء كبيراً في التعبير عن معنى أصول الكتب اليونانية بقدر ما يستطيع من الوسـوسح ، وكنا يترجمان ترجمة حرفية حتى ولو ضحيا في ذلك بجمال اللغة وتنسيق ديـباجتها . لكن تراجع حنين أفضل ودقتها اعظم ، ومع ذلك فان الانسان يخيـل اليه انها ليست نتيجة مجهود صادق ، ولكن نتيجة تمكن وثيق من اللغة — وحسن تصرف في مـذاهبها — ويتجلى هذا في سلاسة التوفيق بين اليونانية والعربية والدقة المتناهية في التعبير مع الإيجاز ، تلك هي مميزات فصاحة حنين التي اشتهر بها »^(٤٥١) .

لقد بذل السريان أقصى جهدهم في الاحاطة بالتراث اليونانى ، فكانوا يجوبون الأقطار سعيا وراء استعمال الكتب التي وقعت تحت أيديهم . يقول حنين بن اسحاق عن كتاب « في البرهان لجالينوس » الذى كان نادر الوجود في القرن الثالث الهجرى . « اننى بحثت عنه بحثا دقيقا ، وجبت في طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر الى أن وصلت الى الاسكندرية لكنى لم أظـ الا بما يقرب من نصفه في دمشق »^(٤٥٢) .

ولكن على الرغم من ذلك فلم يكن عمل السريان للثقافة اليونانية صحيحا كله ، كذلك لم يحل اتقان النقلة اليونانية والسريانية والعربية دون ظهور بعض المـآخذ على ما ترجموه ، ولا يخفى علينا أنه الى جانب اولئك المترجمين الذين اشرنا اليهم ، كان هناك فئات أخرى ممن ليست لديهم درجة من الكفاية تعينهم على القيام بالترجمة الصحيحة المؤدية لحقائق الأصل ومراميه .

يقول القفطى^(٤٥٣) وهو يتحدث عن كتاب « الكون والفساد » لأرسطو :

(٤٥٠) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٢٠ .

(٤٥١) حنين بن اسحاق : العشر مقالات في العين « المحضة » ص ٣٠ ترجمة ماكس مايرهوف .

(٤٥٢) المصدر نفسه ص ٢٩ .

(٤٥٣) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٠ ، ولبحى النحرى في الكون والفساد

سرح تام والعربى دون السريانى في الجودة ، الفهرست ص ٣٦٥ .

وقال أهل العلم بالسرياني أنه فوق العربى فى الجوده ، ولا شك فى أن ناقله الى العربى قصر فى الترجمة .

وعندما تقدمت حركة الترجمة احس المترجمون بما كانوا قد وقعوا فيه من اخطاء ، فأخذوا يعيدون النظر فيما نقل ، ويتناولونه بالترجمة من جديد او يصلحون ما لمسه فيه من اخطاء .

يقول أوليرى : « وقد أدى الحرص على معلومات علمية دقيقة الى وضع ترجمات أكثر دقة اوالى تنقيح الترجمات الموجودة فعلا »^(٤٥٥) لعل ذلك يتضح فى قول حنين بن اسحاق فى رسالة له الى على بن يحيى عن كتاب فى الفرق لجالينوس « ترجمته وأنا شاب من نسخة خطية يونانية مشوهة ، ثم لما بلغت الاربعين من عمري طلب الى تلميذى حبيش أن أصلحها بعد اذ كنت قد جمعت قدرا من المخطوطات اليونانية ، عند ذلك رتبته هذه بحيث نسقت منها نسخة صحيحة قارنتها بالنص السريانى ثم صححتها ، وتلك عادتي التى اتبعتها فى كل ما ترجمته »^(٤٥٦) .

كذلك يقول اسحاق « نقلت هذا الكتاب » كتاب النفس لأرسطو « الى العربى من نسخة رديئة ، فلما كان بعد ثلاثين سنة وجدت نسخة فى نهاية الجودة مقابلت بها النقل الأول وهو شرح ثالمسطيوس »^(٤٥٦) .

وبديهى أن يكون هناك تفاوت بين النقلة مرده الى تفاوتهم فى المعرفة باللغات المترجم منها واليها ، والى تمكنهم من المادة العلمية التى تعالجها من موضوعات الكتب التى يترجمونها .

يقول ابن أبى أصيبعة : « وجدت بعض الكتب الست عشرة لجالينوس ، وقد نقلها من الرومية الى السريانية سرجس المتطبب ، ونقلها من السريانية الى العربية موسى بن خالد الترجمان ، فلما طابقتها وتأملت الفاظها ، تبين لى بين نقلها وبين الستة عشرة التى هى نقل حنين تباين كثير ، وتفاوت بين ، وأين الا لكن من البليغ والثرى من الثريا ؟ »^(٤٥٧) .

(٤٥٤) أوليرى : علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ص ٢٢٠ .

(٤٥٥) حنين بن اسحاق : العشر مقالات فى العين ، المقدمة ص ٢٩ .

(٤٥٦) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٦ .

(٤٥٧) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الاطباء ج ١ ص ١٨٩ .

لقد ترتب على تبادل الكتاب الواحد في أيدي أكثر من مترجم أن ثارت
الريبة حول الكتب المنقولة ، ولم يعد الناس يرتاحون لها . ويطمئنون إليها ،
يقول الجاحظ : « ولا يزال الكتاب تداوله الأيدي الجانية والأغراض المفسدة ، حتى
يصير غلطاً صرفاً ، وكذباً مصمتاً فما ظنكم بكتاب تتعاقبه المترجمون بالافساد وتتعالوه
الخطاب بشر من ذلك أو بمثله » (٤٥٨) .

يقول براجستراسير : « ان لغة كتاب العشر مقالات في العين تشيع فيها بعض
خواص امتاز بها أسلوب حنين وحبش ولكن مكتوب بأسلوب عربي — وبربري
أحياناً — رديء بحيث لا يرجع انحطاطه وسوقيته الى عبث الناسخين فحسب ،
كذلك يظن أن الكتاب في صورته التي هو عليها الآن ليس من تأليف حنين ولكن يرجع
أن حبشاً وسواه من تلاميذ حنين غيروا فأخرجوه عن أصله » (٤٥٩) .

ولا غرابة في أن يشك الجاحظ في ما تضمنته الكتب المترجمة ، ويثور القلق في
نفسه فلا يدعه يصدق ما يقوم المترجمون بنقله ، أو دافعه الى ذلك أن « الترجمان
لا يؤدى ما قال الحكيم على خصائص معانيه ، وحقائق اختصاراته وخفيات حدوده ،
ولا يقدر أن يوفيها حقوقها ، ويؤدى الأمانة فيها ، ويقوم بما يلزم » (٤٦٠) . هكذا
أوجد الجاحظ ما يبرر وجهة نظره في المترجمين ، فهم في رأيه عاجزون عن التعبير
عن المعانى الأصلية ، ولهذا فهو يسلكهم غيماً لا يسلم بقولهم ، ولا يأخذ بكلامهم
« فكيف أسكن بعد هذا الى أخبار البحرين ، وأحاديث السماكين ، وإلى ما في
كتاب رجل لعله أن لو وجد هذا المترجم أن يقيمه على المصطبة ، ويبرا الى
الناس من كذبه عليه ، ومن افساد معانيه لسوء ترجمته » (٤٦١) .

ولم يكن هناك بعد وقد عاب الجاحظ على التراجمة عجزهم عن نقل
المعاني بدقة في ترجماتهم بسبب قصور معرفتهم ، وما يطرأ على الكتب بأخذ
نفسه بهذا العمل .

وقد رأى أن شرائط الترجمة الصحيحة (٤٦٢) « تتلخص في معرفة دقيقة أصيلة

(٤٥٨) الجاحظ : الحيوان ج ١ ص ٧٩ .

(٤٥٩) حنين بن اسحاق : العشر مقالات في العين . المقدمة ص ٦٣ .

(٤٦٠) الجاحظ : الحيوان ج ١ ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٤٦١) المصدر نفسه ج ٦ ص ١٩ .

(٤٦٢) د. طه الحاجري : (تخريج نصوص ارسطوطالية في كتاب الحيوان) بحث في مجلة كلية

الآداب — جامعة الاسكندرية ، مجلد ٦ (١٩٥٢ م) .

محيطه بالموضوع ، وعلم تام باللغة المنقولة والمنقول اليها وهو يقول ان من الواجب على من يعمل بالترجمة أن يكون في العلم بمعانيها واستعمال تصارييف الفساظها ، وتأويلات مخارجها ، مثل مؤلف الكتاب وواضعه .

لقد استجابت اللغة العربية بسرعة لرغبات المترجمين ، واصبحت طيعة في أيديهم ، فكانت الفاظها الكثيرة من الوسائل التي أعانت على أداء المعانى وإبرازها بكل دقة . يقول ابن سنان الخفاجي : « كانت اللغة العربية مع السعة والكثرة اخصر اللغات في إيصال المعانى وفي النقل اليها يبين ذلك ، فليس كلام ينقل الى لغة العرب الا ويجبىء الثانى أقصر من الأول ، مع سلامة المعانى ، وبقائها على حالها ، وهذه بلا شك فضيلة مشهورة ، وميزة كبيرة ، لأن الغرض في الكلام ووضع اللغات بيان المعارف وكشفها . . وقد أخبرنى أبو داود المطران — وهو عارف باللغتين العربية والسريانية — أنه اذا نقل الألفاظ الحسنة الى السريانى قبحت وخصت واذا نقلت الكلام المختار من السريانى الى العربى ازداد طلاوة وحسنا ، وهذا الذى نكره صحيح » (٤٦٣) .

يرى ديبور أنه : « ينبغى الا نعد هؤلاء النقلة من حملة الفلاسفة ذوى الشأن اذ كان يندر أن يقبل أحدهم على الترجمة من تلقاء نفسه بل كان في كل الأحوال تقريبا يعمل طاعة ل خليفة أو وزير أو رجل عظيم » (٤٦٤) . سهل العباسيون على الناس أن يقفوا على الكتب العلمية البارزة التي ترجمت من اللغات المختلفة الى اللغة العربية ، وصرف في سبيل الحصول عليها وعلى ترجمتها وتجليدها المبالغ الكبيرة فنزل الخلفاء للناس سبيل المطالعة والدرس في بيت الحكمة الذى أنشئ لنشر العلوم والمعارف المنقولة عن الأمم الأخرى والتي رغب الخلفاء بنشرها بين الناس ليقفوا على حقائق الأمور ، وتراث الأمم التي تقدمتهم في شتى النواحي الفكرية والعلمية (٤٦٥) .

ان المسلمين في عصرهم الذهبى نقلوا الى لسانهم معظم ما كان شائعا من العلم في الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والآداب ، واتخذوا من كل أمة أحسن ما لديها ، ولكنهم اختاروا من اليونان فلسفتهم وتركوا آدابهم ، ولقد كانت تلك المؤلفات

(٤٦٣) ابن سنان الخفاجي : (سر الفصاحة) . (مطبعة محمد على صبيح - القاهرة

١٩٥٣ م) ص ٤٨ .

(٤٦٤) ديبور : تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٣١ .

(٤٦٥) د. رمزيه الأطرقي : (أهم المترجمين في بيت الحكمة) . مجلة المؤرخ العربى - بغداد -

العراق عد ١٤ (١٩٨٠ م) ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

التي نقلت الى اللغة العربية هي النواة التي نبتت ونمت ثم ازدهرت وأثمرت وآتت اطيب الفوائد للمسلمين وغيرهم ممن اندمجوا في مدنيتهما^(٤٦٦) .

بدأ العرب يمارسون الترجمة الضخمة للكتب اليونانية ، وحتى ذلك الوقت كانت الترجمات تتم بجهود فردية كيفما تيسر . وجمع المأمون المخطوطات للترجمة ، وشكل مجموعة من المترجمين في (بيت الحكمة) ووضعها تحت قيادة حنين بن اسحاق وهو طبيب مسيحي وعالم متبحر في العلوم . وقد ترجم حنين هنا مائة كتاب تقريبا لجالينوس ولخرسته الى اللغة السريانية وتسعة وثلاثين مخطوطا آخر الى اللغة العربية ، منها مؤلفات لأبو قراط وأفلاطون ، كذلك المقولات ، والطبيعة ، وكتاب الأخلاق لأرسطو ، وكانت هذه المخطوطات نقطة الانطلاق لكثوف فكرية . ولما كان « المترجمون » علماء مجريين ومزودين بوثائق غالية في القوة فقد أسهموا في اضافة معرفتهم الخاصة وعلمهم الشامل الى مؤلفاتهم . وقد بلغوا من نجاحهم ما جعلهم يدفعون ثمن المؤلفات الجديدة لهؤلاء العلماء ما يساوي وزنها ذهبيا^(٤٦٧) .

أما اسحاق بن حنين فقد كان يسير على نهج أبيه في صحة النقل من اليونانية والسريانية الى العربية ، وقد خلفه^(٤٦٨) على الترجمة بارعا ومقدما في العلوم الرياضية ، كما تميز في صناعة الطب^(٤٦٩) وقد نقل اسحاق من الكتب اليونانية الى اللغة العربية كتباً كثيرة الا أن جل عنايته^(٤٧٠) كانت مصروغة الى نقل الكتب الحكيمية . ويشير ابن خلكان الى ذلك بقوله : « ان الذي يوجد من تعريبه في كتب الحكمة من كلام أرسطوطاليس وغيره أكثر مما يوجد من تعريبه لكتب الطب^(٤٧١) » . ويعلل ابن العبري^(٤٧٢) ذلك بقوله ان نفس اسحاق كانت الى الفلسفة أميل .

ومن المؤلفات التي نقلها الى العربية أصول الهندسة لبطليموس وأصلحه فيها سعد ثابت بن قرّة ، وكتاب المعطيات لأقليدس أيضا ثم كتاب المجسّتي لبطليموس .

(٤٦٦) محمد لطفى جمعة : تاريخ فلاسفة الاسلام ، المتبعة .

(٤٦٧) جاك س . ريسلر : الحضارة العربية ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(٤٦٨) صاعد الاندلسي : طبقات الأمم ص ٥١ .

(٤٦٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٨٢ .

(٤٧٠) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٨ .

(٤٧١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٨٢ .

(٤٧٢) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٢ .

يقول البيهقي^(٤٧٣) : « ان اسحاق بن حنين قد اسلم وكان من جلة المسلمين . وقد حسن اسلامه واشركه المكتنى في بيعة ابنه مع وزيره العباس » .

وهناك حبش بن الحسن الدمشقي وهو ابن اخت حنين بن اسحاق ، واحد تلاميذه ومنه تعلم صناعة الطب — يقول البيهقي^(٤٧٤) « وحبش كان من الاطباء المتقسين والمهندسين وله تصانيف كثيرة في الطب وكان مصيبا في المعالجات » . وقته استطاع حبش بفضل حبيب حنين عليه ان يصبح أحد مشاهير المترجمين^(٤٧٥) ، فاشتغل بالنقل من اليوناني الى العربي ، وكان يسلك مسلك حنين في نقله الا انه كان يقصر عنه^(٤٧٦) .

وبالرغم من ذلك فقد كان حنين يقدمه^(٤٧٧) ويعظمه ويرضى نقله وقد نسب أكثر مما نقله حبش الى حنين . يقول القفطي : « كثيرا ما يرى جهاله شيئا من الكتب القديمة مترجما بنقل حبش فيظن الغر منهم ان الناسخ أخطأ في الاسم ويغلب على ظنه انه حنين وقد صحف فيكشطه ويجعله لحنين^(٤٧٨) » .

ويرى مايرهوف ان هذا الخلط مرده الى « تشابه اسم حنين وحبش في الكتابة أيام ان كانت الحروف لا تنقط ، فكانا يرسمان هكذا « حسن ، وحبش »^(٤٧٩) . يقول ديبور : « نظرا لأنهم كانوا يشتغلون معا ، فان كتب كثيرة تنسب للواحد منهم تارة وللآخر تارة أخرى ، ولا بد أن كثيرا من الكتب كان يترجمه تلاميذهم ومساعدوهم بارشاد^(٤٨٠) منهم » .

أما سعيد بن أبي يعقوب بن عثمان الدمشقي فانه كان من النقلة الجيدين ، نقل الى العربية بعض أقسام من كتاب الأصول لأقليدس كان منقطعاً الى (على بن عيسى) وجاء في كتاب طبقات الأطباء : « .. ونقل كتباً كثيرة الى العربية من كتب الطب ،

(٤٧٣) البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام ص ١٩ .

(٤٧٤) المصدر نفسه .

(٤٧٥) حنين بن اسحاق : العشر مقالات في العين ، المقدمة ص ١٧ .

(٤٧٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٠٢ .

(٤٧٧) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٨ .

(٤٧٨) ابن القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٢٢ .

(٤٧٩) حنين بن اسحاق : كتاب العشر مقالات في العين ص ٣٢ .

(٤٨٠) ديبور : تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٣٠ .

ومن كلامه : الصبر قوة من قوى العقل ، وبحسب قوة الصبر تكون قوه العقل ، (٤٨١) .

ومن الذين نشأوا في خلافة الراضى في بغداد متى بن يونس الذى كان حكيما نصرانيا (٤٨٢) . قام يشرح كتب أرسطو ، وكان أكثر اهتمامه بالمنطق ولعل من أهم الكتب التى ترجمها كتاب سونسطيقا لأرسطو (٤٨٣) ومعناه الحكمة الموهبة ، وقد نقله الى السريانى كما ترجم أيضا كتاب الشعر لأرسطو ، ويفكر ابن النديم في حديثه عن كتب أرسطو فيقول : « الكلام على ابو طيقيا معناه الشعر نقله ابو بشر ابن متى بن يونس من السريانى الى العربى » (٤٨٤) . وقد نشر د. عبد الرحمن بدوى هذه الترجمة كاملة في كتابه فن الشعر لأرسطوطاليس وهو يرى أنها ترجمة رديئة (٤٨٥) .

كما كان سنان بن ثابت د ت ٣٣١ هـ ، طبيبا مقدما كائيه ، وقد وكل اليه المقتدر امتحان الأطباء في بغداد سنة ٣١٩ هـ ، عالما بالعدد والهندسة (٤٨٦) ، وقد نقل الى العربى نواميس هرمس والورد والصلوات التى يصلى بها الصابئون (٤٨٧) ، وأصلح سنان كثيرا من الترجمات التى كانت تترجم من السريان الى العربى (٤٨٨) . ومن ذلك اصلاحه كتاب أفلاطون فى الأصول الهندسية وقد زاد فى هذا الكتاب (٤٨٩) شيئا كثيرا . وقد توفى سنان بن ثابت مسلما ببغداد (٤٩٠) .

ونرى أبا على عيسى بن زرعة (٤٩١) : ولد فى سنة ٣٣١ هـ وتوفى ٣٩٨ هـ كان

(٤٨١) ابن جطل : طبقات الأطباء ص ٦٩ .

(٤٨٢) البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ص ٢٨ .

(٤٨٣) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٨ .

(٤٨٤) ابن النديم : الفهرست ص ٣٦٣ .

(٤٨٥) يقول د. عبد الرحمن بدوى : يخلب على ظننا فى تلخيصه وعرضه لكتاب الشعر انما

استعان بترجمة يحيى بن عدى على الافتراض أنها كانت أصلح لأنه لم يكن فى وسعه الاعتماد على ترجمة أبى بشر فى تصوراتها التى وصلت إلينا - فن الشعر لأرسطوطاليس : التصدير ص ٥٠ .

(٤٨٦) ابن النديم : الفهرست ص ٣٦٤ .

(٤٨٧) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٤١ .

(٤٨٨) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٣٣ .

(٤٨٩) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ج ١ ص ٢٢٤ .

(٤٩٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٣٣ .

(٤٩١) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٣١٥ .

نصرانيا يعقوبيا اشتغل بالمنطق في بغداد ، وكان مقتدما فيه ، كما برع في الفلسفة ، ذكره ابن النديم فقال : « كان ينقل من السرياني الى العربي وأكثر ما نقله يدخل في دائرة الفلسفيات »^(٤٩٢) ، وكان جيد النقل ومما نقله كتاب الحيوان لأرسطوطاليس ، والقنطلى يشير الى ذلك بقوله : « ونقله كتاب الحيوان — أبو على بن زرعة الى العربي وصححه ، وملكته منه نسخة »^(٤٩٣) .

لم يكن الخلفاء وحدهم هم الذين عنوا بتزويد اللغة العربية بهذا الزاد العقلى الرفيع ، بل ان من أفراد الشعب من أولى الترجمة عناية كبيرة ، وبذل من أجلها مالا كثيرا ومن هؤلاء بنو شاعر محمد وأحمد والحسن ، وقد كان لهم مترجمون لا يفتأون ينقلون لهم ويلازمون العمل في مكتبته ومن هؤلاء المترجمين حبش ابن الحسن وثابت بن قررة^(٤٩٤) . وكان أبناء موسى بن شاعر يعدون لأهل المعرفة باللغات ان يترجموا لهم ما يطلبون من كتب الرياضيات والطبيعية والفلسفة وغيرها . وهم الذين قاسوا محيط الأرض قياسا دقيقا لا يختلف عن قياس المعاصرين الا قليلا مع دقة الآلات في هذا العصر^(٤٩٥) .

كما برع أيضا يعقوب بن اسحاق الكندي في مختلف العلوم كالطب والفلسفة والرياضيات والمنطق وله تأليف كثيرة في هذه العلوم تربو على الثلاثمائة وترجم كثيرا من كتب الاقدمين ولا سيما كتب الفلسفة وأوضح فيها المشكل ولخص المستصعب وبسط العويص^(٤٩٦) .

واشتغل بترجمة الكتب اليونانية الى العربية وتهذيب ما ترجمه غيره وكان له تلاميذ يترجمون تحت اشرافه واشتغل في قصر الخلافة منجما^(٤٩٧) . كما عاش الكندي في صميم عصر الترجمة في الاسلام فشهد الكتب تنقل برمتها عن اليونانية او السريانية نقلا اول ، ونقلا ثانيا ، واطلع على الترجمة الحرفية والترجمة

(٤٩٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٣ .

(٤٩٣) ابن القنطلى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣١ .

(٤٩٤) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٧ .

(٤٩٥) عبد الله بن العباس الجزارى : تقدم العرب في العلوم والصناعات وأستأفئتهم لأوروبا ص ١٧ .

(٤٩٦) المرجع نفسه ص ١٨ .

(٤٩٧) د . عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

بالمعنى . وشارك الى حد ما في هذه الحركة اما باصطناع المترجمين بالاجر أو بتصحيح الترجمات وتهذيبها .

وكان من نتائج الترجمة المهمة نشوء الوراقّة والوراقين ببغداد وانتاج الكتب المترجمة المزايّا التي اتصفت بها الترجمة العباسية . ويقول ابن خلكان : « لولا ذلك التعريب لما انتفع أحد بتلك الكتب لعدم المعرفة بلسان اليونان . . . لا جرم كل كتاب لم يعرّبوه ، باق على حاله ولا ينتفع به الا من عرف تلك (٤٩٩) اللغة » .

يقول جوستاف لوبون (٥٠٠) : « وقد وجد العرب في بلاد فارس وسوريا حينما استولوا عليها ، خزائن من العلوم اليونانية ، فأمرّوا بنقل ما في اللغة السريانية منها الى اللغة العربية ثم أمرّوا بأن ينقل اليها من اللغة اليونانية ما لم يكن قد نقل الى اللغة السريانية فأخذت لذلك دراسات العلوم والآداب تسير قدما نحو الرقي . ولم يكتف العرب بما نقل الى لغتهم فقد تعلم عدد غير قليل منهم اللغة اليونانية ليستقوا منها علوم اليونان ، وقد كانت معارف اليونان واللاتين القديمة أساسا لثقافة متعلمي العرب . ولكن العرب المفسّرين على قسوة الابداع لم يكتفوا بحال الطلب ، ولم يلبثوا أن تحرّروا ، بما عرف عنهم من النشاط ، حتى عاد الاغريق وهم ليسوا أساتذة العرب » .

يقول PHILIP HITTI : « أن العهد العباسي الأول ليزهو باليقظة الفكرية التي تمت فيه . وقد كانت هذه اليقظة ذات أثر بعيد في الحركات الفكرية والثقافية في العالم ، وكانت تعتمد الى حد بعيد على الثقافة الأجنبية ، وبخاصة الفارسية والهندية واليونانية . وكان المسلم العربي حائقا ذكيا مشغوبا بالاطلاع ، راغبا في الاستفادة والتزود من هذا الزاد الفكري الرفيع ، ومن أجل هذا كانت الاستفادة شاملة ، وانتفاعه واضحا ، وسرعان ما سيطر على ثقافة هؤلاء الأقوام ، وأصبح يضع يده على أهم المؤلفات الفلسفية لأرسطو ، وأحسن شروح الأفلاطونية الحديثة . وأكثر ما كتب جالينوس في الطب بالاضافة الى النتاج الهندي ، وينبغي الانبالغ في فضل اليونان على المسلمين ، إذ أن الثقافة اليونانية استمدت قبل عناصرها ومقوماتها من معارف مصر القديمة ، وبابل وفينيقيا ، ثم عادت هذه

(٤٩٨) ذ. أحمد نؤاد الأهواني : الكندي فيلسوف العرب ص ٦٧ .

(٤٩٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢١٧ .

(٥٠٠) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٤٦٠ .

المعارف الى العالم الاسلامي وهي في ثوب يوناني وعن طريق اسبانيا وصقلية وعبرت هذه المعلوم الى اوروبا مرة أخرى من الشرق الاسلامي في ابان العصور الوسطى»^(٥٠١) فكان من أهم نتائج الترجمة أيضا اشتغال كثير من المسلمين بدراسة الكتب التي ترجمت الى العربية ، اذ لم يكتف العرب بحال الطلب الذي اكتفت به اوروبا في القرون الوسطى^(٥٠٢) ، بل عملوا على تفسير تلك الكتب المترجمة والتعليق عليها واصلاح اخطائها كما فعل الكندي وغيره .

ومن أهم الدوافع التي ساعدت على ازدهار حركة الترجمة نمو العلاقات الدولية في العصر العباسي الأول والجهود التي بذلها العباسيون في فرض السلام . والمبادلات التي وصلت الذروة في عهدهم والتي حملت التجار الى كل سوق ، وتدفع السفن العربية الى كل بحر . وقد كانت الدولة العباسية تعقد صفقات شراء الكتب وتدفع في سبيلها أغلى الأثمان^(٥٠٣) .

ثم تتابعته جهود الخلفاء في طريق هذا التبادل الثقافي . ويشير أبو الفرج الأصبهاني الى قدوم امبراطور الدولة البيزنطية الى بلاط الرشيد فسأوا عن الشاعر ابي العتاهية وأنشدوا أشعارا له ، وكان الرسول يحسن العربية فلما نقل الرسول الى الامبراطور خبر ما رأى وما سمع كتب الى الرشيد يسأله أن يوفد اليه ابا العتاهية وأن يأخذ فيه من الرهائن من يريد واعتذر أبو العتاهية^(٥٠٤) .

وثمة عامل آخر كان من أهم حوافز حركة الترجمة وهو أنه مع مطلع العصر العباسي لم تعد الترجمة حركة فردية ، وانما أصبحت حركة تظهر بعناية الدولة وتشجيعها تساعد وتنفق عليها الأموال الطائلة ، فاستجاب كثيرون لذلك ودفعهم التشجيع الأدبي والمادي للاجادة^(٥٠٥) .

وثمة أمور أخرى كان لها أثرها في الاقبال على المعرفة القديمة وورود مواردها وتقبل ملايين المسلمين من غير العرب للثقافة العربية ، فنشأت العقلية

Philip Hitti, History of the Arabs, PP. 306-307.

(٥٠١)

(٥٠٢) جوستاف لوبيون : حضارة العرب ص ٤٣٤ .

(٥٠٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٠١ .

(٥٠٤) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ج ١٣ ص ١٧٩ .

(٥٠٥) د. حسن محمود : العالم الاسلامي في العصر العباسي ص ٢٧١ .

التي لا تنفع بالثقافة التقليدية الموروثة انما ترنو الى المزيد اراء لتعطشها الى المعرفة ، فكان المورد الاغريقى الذى عبوا منه عبا(٥٠٦) .

ويمكننا أن نضيف الى ذلك كله حقيقة أخرى هامة ، وهى أن أهل الذمة هم الذين تزعموا حركة الترجمة وبرعوا فيها وخلصوا لها كل الاخلاص ولم يكن من المعقول أن يأتى ذلك عفوا انما يأتى بعد أن ألف أهل الذمة الحياة العربية ، وشناركوها فى الحياة السياسية ، ولم يفقدوا حرياتهم الدينية ونعموا بحسن المعاملة وطيب المعاشرة ووجدوا أن الدين لم يحل بينهم وبين تطلعاتهم المتنوعة . كما أنه لا بد أن يضى وقت طويل ليستعرب أهل الذمة على نطاق واسع الا فى العصر العباسى(٥٠٧) .

ويتحدث ابن النديم(٥٠٨) عن أهل الذمة الذين أسهموا فى حركة الترجمة ونقل التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية وهم يوحنا بن ماسويه ، وحنين ابن اسحاق ، وابنه اسحاق وقسط ابن لوقا وابن البطريق وابن ناعمة وغيرهم كثير . تلك أهم الدوافع التى شجعت من أزر حركة الترجمة واتاحت للعرب هذه المناهل الغزيرة من العلم والمعرفة وانما لفتفت مطأطئى الرعوس أمام أولئك الخلفاء العباسيين الذين رعوا أولئك المترجمين .

(٥٠٦) المرجع نفسه ص ٢٧٢ .

(٥٠٧) المرجع نفسه ص ٢٧٣ .

(٥٠٨) ابن النديم : الفهرست ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .

أهم المترجمين في بيت الحكمة

- ١ — يوحنا بن ماسويه .
- ٢ — حنين بن اسحاق العبادي .
- ٣ — يعقوب بن اسحاق الكندي .
- ٤ — اسحاق بن حنين .
- ٥ — الفضل بن سهل .
- ٦ — سهل بن هارون .
- ٧ — حبش بن الأعسم .
- ٨ — قسطنطين لوقنا .
- ٩ — يوحنا بن البطريق .
- ١٠ — الحجاج بن يوسف بن مطر .
- ١١ — عيسى بن اسحاق بن زرعة .
- ١٢ — ابن ناعمة الحمصي .
- ١٣ — سعيد بن يعقوب الدمشقي .
- ١٤ — ثابت بن قسرة الحرائي .
- ١٥ — أبو بشر متى بن يونس .
- ١٦ — موسى بن خالد الترجيستان .
- ١٧ — عمر بن الفرخسان الطبري .
- ١٨ — يحيى بن عدي .

الفصل الثالث : العلاقة بين مؤسسة بيت الحكمة والحكومة والعلماء الذين عملوا فيها



- ١ - تشجيع الخلفاء والوزراء للذين عملوا في بيت الحكمة .
- ٢ - دور الخلفاء والوزراء في المحافظة على نشاط مؤسسة بيت الحكمة .
- ٣ - حرص الخلفاء والوزراء على تقوية أواصر المحبة والتعاون بين من عملوا داخل بيت الحكمة .

أولا - تشجيع الخلفاء والوزراء الذين عملوا في بيت الحكمة :

نفى بغداد عاصمة الخلفاء وتحت رعايتهم قامت حركة علمية مباركة للترجمة والتأليف والتوزيع لا نظير لها في تاريخ العصور الوسطى قاطبة ، فقد أضاعت هذه الشعلة ليس في أنحاء العراق وبلدان شرقي الخلافة فحسب بل في طول وعرض الامبراطورية العربية من بغداد ومرو وبخارى والرى وغزنه الى دمشق والقاهرة والقروان وفارس وقرطبة ، وفي دار السلام قامت حركة الترجمة حيث تقاطر العلماء والأدباء والحكماء عليها وعلى رأسهم الفيلسوف العربي يعقوب بن اسحاق الكندي العالم الكبير في شتى الفنون وكان من أساطين هذه النهضة خاصة في الترجمة وعلوم الطب^(٥٠٩) وان استتباب الأمر للدولة العباسية وبلوغها من الاستقرار مبلغا عظيما وتعميرها للإدارة وسائر مصالح الدولة ، واحراز الفتح اللغوي في النصر على سائر اللغات السائدة يومئذ أدرك الخلفاء العباسيون بشاقب بصرهم ان الثقافة من أهم العوامل التي تركز عليها النهضة الصحيحة فبالغ خلفاؤهم في تكريم هؤلاء المترجمين الذين عملوا في بيت الحكمة فقربوهم وأكلوهم وشاربوهم وجالسوهم واعتدوا في المشاكل على آرائهم ، وأغدقوا عليهم أموالا طائلة ، وقد أثبت المؤرخون أنهم كانوا يعطون لهم وزن ما يترجمون ذهباً ، ولذلك كان حنين بن اسحاق يكتب الترجمة بحروف غليظة وأسطر متفرقة على ورق غليظ جدا لتعظيم حجم الكتاب وتكبير^(٥١٠) وزنه .

ان القرن الثالث الهجري قد شهد رعاة حركة الترجمة^(٥١١) هذه على مختلف المستويات سواء كان ذلك من الخلفاء كالمأمون والمتوكل أو من بعض الشخصيات البارزة في الدولة ممن عضدوا هذه الحركة وأزروها بكل السبل ومن أشهرهم بنو موسى بن شاكر .

ومن جهة ثانية فان القرن الثالث الهجري قد شهد نشاطا غير محدود في حركة الترجمة التي أسفرت عن قيام حركة ثقافية في التدوين والتأليف ، كانت أقل اتساعا من حركة الترجمة ذاتها ، في حين نرى أن العكس من ذلك ، هو الذي حدث

(٥٠٩) د. صالح الحمارنة : (مراسلات البيروني وابن سينا) مجلة المؤرخ العربي - بغداد

العراق ع ٤ (١٩٧٧ م) ص ٤٤ .

(٥١٠) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٣٠٣ .

(٥١١) رشيد حميد حسن الجميلي : حركة الترجمة في المشرق الاسلامي في القرنين الثالث والرابع

للهجرة ص ١١٣ .

في القرن الرابع الهجري حيث انبثقت حركة واسعة في التدوين والتأليف على حساب حركة الترجمة المباشرة لها - وفي هذا المضمار يقول د. محمد جمال الدين سرور : شغل علماء بغداد وغيرها من الحواضر الاسلامية في القرنين الثاني والثالث للهجرة بنقل وترجمة العلوم الأجنبية الى العربية ، ولكنهم في القرن الرابع انصرفوا الى الانتاج الشخصي ، وكانوا يعنون بالعلوم الدينية واللغوية أكثر من عنايتهم بالعلوم الرياضية والفلسفية ، ويرجع السبب في ذلك الى ما كان للعامل الديني من أثر في حملهم على الاشتغال بالعلوم الدينية وحرصهم على دراسة العلوم اللغوية لأنها خير أداة لفهم الدين (٥١٢) .

وفي هذا المجال أيضا يذكر الأستاذ كمال اليازجي : فما استهل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) حتى أخذت الحركة العلمية في الفصح ، وغدت الترجمات مرانفة بالتعليقات والشروح ، وبدأت المؤلفات في هذه المواضيع تظهر أولا بصورة دراسات قصيرة في موضوعات محدودة ، ثم بشكل مؤلفات جامعة ، فيها اقتباسات واجتهاد وتحليل وتنظيم وتبويب واستنباط ووضع (٥١٣) .

فالتاريخ يحدثنا أن خلفاء الدولة العباسية شجعوا العلم على اختلاف ألوانه فأمروا بنقل الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية فضلا عن عنايتهم بالعلوم الاسلامية ، وقد اقتفى أثرهم وسار على منوالهم أمراء الدويلات الناشئة في العصر الثاني ، وجعلوا من العلم ميدانا للمناقشة وجمعوا العلماء حولهم وقربوهم اليهم ، حتى ان الباحث ليلمس أن العلوم الكلامية والفلسفية كلها قد سارت جنبا الى جنب في طريق التقدم والنضوج (٥١٤) .

وبالإضافة الى ما المحنا اليه رغبة بعض الخلفاء الذاتية في العلوم ، وميلهم الى الاشتغال بالأعمال الفكرية كالمصور والرشيد والمأمون ، ولعل الجوانب الحضارية الذي تهيأ للعرب بقيام الدولة العباسية مستندة الى اكتاف الفرس ذوى الثقافات القديمة كان له أثره في دفعهم الى هذا الاتجاه مما جعلهم يقربون

(٥١٢) د. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية في المشرق ص ٢٠٣ .

(٥١٣) د. كمال اليازجي : (معالم الفكر العربي في العصر الوسيط) (دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ١٩٦٦ م) ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٥١٤) د. فوقية حسين محمود : (الجويني امام الحرمين) (الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة ١٩٧٠ م) اعلام العرب ، ص ٤٨ .

العلماء ويتصلون بأصحاب الثقافة بعامة ، يرسلون البعثات لجمع الكتب ويصرفون المترجمين لنقلها ويحيطونهم بعوامل التشجيع كأعلاء المكاتب واغداق العطاء^(٥١٥) .

ويعد ابن النديم^(٥١٦) : عبد الله بن المقفع من أعلام المترجمين من اللغة الفهلوية الى اللغة العربية ، ويضعه في الصدارة بالنسبة لمترجمي العصر العباسي .

وكانت حركة النقل والترجمة والنسخ هي القناة الكبرى التي جرت جميع العلوم القديمة الى الدولة العباسية ، كما كانت المطبعة الحية هي التي نشرت تلك العلوم في جميع البلاد وجعلتها في متناول الجميع . وقد ساعد الخلفاء أولى الأمر تلك الحركة المباركة فانت باطبيب الثمار ، واذا بأرسطو وأفلاطون وجالينوس وغيرهم ينطقون بلغة العرب . واذا كتاباتهم في أيدي الكثير فوقد في العقول نار نهضة مثيرة . وقد اشتهر من النقلة آل بختيشوع وآل حنين وآل سرجويه ، وآل نوبخت وغيرهم ممن كان لهم فضل كبير على العلم وأهله^(٥١٧) .

ولم يقتصر الخلفاء على إجراء الحكم العادل البسيط بل أصبح كثير منهم نصيرا للعلوم والمعارف ، فاستدعوا العلماء البارزين الى قصورهم وعضدوهم في أبحاثهم . . . فترجمت الى اللغة العربية طائفة من أعمال الهند والافريق في العلوم ، وهي الأعمال التي أعاد الأوروبيون ترجمتها من مصادرها العربية الى اللاتينية فكانت بيت الحكمة في بغداد مركزا للعلوم والمعارف في ظل الخلافة الإسلامية^(٥١٨) .

فكان هارون الرشيد يشجع على ازدهار العلوم والمعارف . . ما ساعد على تقوية النهضة العلمية بكل ما في قواه من جهد وزينة فمقرب اليه العلماء . وكان يصطحب معه كلما سافر مائة عالم — واتخذ الاطباء تراجمة لسان من الديريانيين — كآل بختيشوع وآل ماسويه ، وبما جعل هارون الرشيد ينشئ في بغداد بيت الحكمة التي كانت تحوى نفائس الكتب من شتى اللغات والعلوم ، كما حظيت بتشجيع الخلفاء والوزراء ، ونوى البيوتات العلمية^(٥١٩) . . . فترجمت كتب الطب

(٥١٥) د. التحات السيد زغلول : الاتجاهات الفكرية في التفسير من ٢٢٦ .

(٥١٦) ابن النديم : الفهرست ص ٢٤٤ .

(٥١٧) حنا فاخوري : الجاحظ — نوابغ الفكر العربي ص ١٥ .

(٥١٨) د. علي عبد الله الدقاق : الموجز في التراث العلمي العربي ص ١٦ .

(٥١٩) د. محمد عبد التعم خفاجي : (عصور من الفكر العربي) : مكتبة النجاح — القاهرة

١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م) ص ١٠٧ . ١٠٨ .

والفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق على أيدي علماء من العرب والفرس والسريان والهنود^(٥٢٠) ومن الأسباب التي ساعدت على الترجمة ودعت العرب الى نقل علوم وآداب الأمم الأخرى :

١ - رغبة بعض الخلفاء العباسيين في العلوم كالمنصور والرشيد والمأمون ، فقد أظهر الأول عناية بالترجمة فنقلت له بعض كتب جالينوس وأبو قراط في الطب . ومن نقل له جورجيس الذي يعتبر أول من ابتدأ في نقل الكتب الطبية^(٥٢١) ، ولقد زادت ترجمة الكتب في عهد الرشيد بعد أن وقع في حوزته بعض المدن الرومية حيث أمر بترجمة ما عثر عليه المسلمون من كتب اليونان^(٥٢٢) . كذلك شجع على الاشتغال بالترجمة ميل أفراد الخلفاء في العصر العباسي الى العلوم الفلسفية . والخلفاء عادة أقدر على الترغيب فيما أحبوه ، والناس أسرع ما يكون الى تحقيق أغراضهم والولوع بما أولعوا به^(٥٢٣) . ولقد لعبت الترجمة دورا كبيرا في هذه النهضة العلمية العارمة في تلك العصور الاسلامية الزاهرة ، وقد كانت النهضة أول الأمر مقصورة على الدراسات الدينية واللغوية ثم كان المترجمون حلقة الاتصال بين العرب وهذه العلوم . فهم نقلة علوم اليونان والسريان والأقباط والفرس والهنود في اللغة العربية . وقد بلغ عهد الترجمة أوجه في بيت الحكمة ، ومن مشاهير المترجمين في عهد الرشيد أبو سهل الفضل بن نوبخت^(٥٢٤) رئيس مكتبة هارون الرشيد ، ويوحنا بن ماسويه وحنين بن اسحاق وابنه اسحاق وثابت بن قرة وابن البطريق وعمر بن الفرخان وكثير من أسرة بختيشوع^(٥٢٥) .

وللبرامكة فضل عظيم في انكاء الترجمة حينئذ فقد شجعوا بكل ما استطاعوا على نقل الذخائر النفيسة الى العربية من الرومية واليونانية والفارسية والهندية ، وكان ممنا عنوا به ترجمة بعض الكتب الى اليونانية بحيث تكون أكثر دقة وانتقانا على نحو ما صنع يحيى بن خالد بكتاب المجستى لبطليموس ، فقد ندب له أبا حسان وسهما صاحب بيت الحكمة فانتقاه ، واجتهد في تصحيحه بعد أن أحضر

(٥٢٠) د. نافع توفيق السبوع : (من تاريخ الترجمة عند العرب) مجلة المؤرخ العربي - بغداد ..

المراق ع - ١٠ (١٩٧٩ م) ص ١٤٨ .

(٥٢١) ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٧٩ ،

(٥٢٢) د. نافع توفيق السبوع : من تاريخ الترجمة عند العرب ص ١٤٩ .

(٥٢٣) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٦٦ .

(٥٢٤) أبو الريحان البيروني : استخراج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني منها ص ١٠ .

(٥٢٥) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء في تقدمه ص ٥٨ .

النقطة الجودين فاختبر نقلهم وأخذ بأفصح وأوضحه^(٥١٦) . وكان رئيس وزراء يحيى بن خالد البرمكى قد انتدب السفراء الى الهند لدعوته الأساتذة المرموقين ، ومشاهير الأطباء والفلاسفة واستقدمهم للعمل فى بلاط هارون الرشيد . وبذلك أصبحت مدينة بغداد منارا للعلم والمعرفة ، ومن الجدير بالذكر أن الخليفة لم يكن ليميز فى تعيين المترجمين من مختلف اصحاب العقائد وصفوف اللون والجنس والدين وكمثال على ذلك فان السلطة الحاكمة عينت « علان الشعوبى » موظفا فى مكتبته رغم معاداته للعرب والعروبة^(٥١٧) .

ونرى جيلا كبيرا ينهض فى عصرهم والعصر الذى تلاهم بهذه الترجمة نذكر من بينهم آل نوبخت وعلى رأسهم الفضل بن نوبخت الذى أكثر من ترجمة كتب الفلك^(٥١٨) . وآل سهل وعلى رأسهم الفضل وكان يترجم للمأمون فى حداثته بعض الكتب الفارسية ويعجب بترجمته^(٥١٩) . وجدير بالذكر أن حياة الرشيد والمأمون تمثل العهد الذهبى للنقل من سائر اللغات الى اللغة العربية ، ذلك أن النقل أصبح فى زمانها عملا رسميا تتولاه الدولة وتنفق عليه من موازنتها وتحشد له أعظم النقلة والعلماء والمفكرين . وهذا ما دعا هارون الرشيد الى تأسيس مؤسسة كبرى للقيام بهذا العمل الجليل وهى مؤسسة كان عملها أول الأمر مركزا للنقل والملازمة كما يقول صاحب الفهرست ثم تطورت زمن المأمون وأصبحت مؤسسة علمية من الطراز الممتاز مهما ترقية البحث والتجرد للدراسات العليا^(٥٢٠) .

ويمكننا أن نقول أن هذه المؤسسة العلمية المسماة بيت الحكمة قد أصبحت اكاديمية بالمعنى العلمى الدقيق للكلمة فى زمن المأمون تحوى أماكن للدرس وأماكن لخرن الكتب وأماكن للنقل ، وأماكن للتأليف الى جانب المرصد الفلكى والنشاط الفلكى الذى مارسه . فكان تشجيع المأمون للفنون والعلوم والآداب وفلسفة أكثر تنوعا منها فى عهد الرشيد . وكان لهذا التشجيع من الأثر أعظم مما كان فى عهد أبيه نظرا لأنه يجرى الأرزاق على طائفة كبيرة من المترجمين لنقل العلوم والمعارف باللغة العربية فى بيت الحكمة^(٥٢١) . وقد شجع المأمون علماء بيت الحكمة فى

(٥٢٦) ابن النديم : الفهرست ص ٢٧٤٠ .

(٥٢٧) ألفرد هسل : (تاريخ المكتبات) ترجمة سنجان عبد العزيز خليفة (دار الثقافة

القاهرة ١٩٧٣ م) ص ٣٠ .

(٥٢٨) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٤ .

(٥٢٩) الجهشيارى : كتاب الوزراء والكتاب ص ٢١١ .

(٥٣٠) د. محمد ماهر حماد : المكتبات فى الاسلام نشأتها وتطورها ومصانيرها ص ٥٣ .

(٥٣١) ول ديورانت : قصة الحضارة المجلد الرابع ص ٩٦ .

بفسداد على البحث ، ومن أهم النتائج التي توصل اليها علماء المسلمين في عهد المأمون قياس محيط الكرة (٥٣٢) الأرضية . فاضطلع علماء العرب والمسلمين بجهود جبارة في ميادين العلم وترجموا علوم اليونان الواسعة ، وعلوم الهند وغيرهم إلى اللغة العربية محافظوا بذلك على التراث الانساني مما أغنى الفكر الاسلامي وحفزته على العناية بالبحث والتعمق ، وقد يكون لاهتمام الخليفة نفسه وعنايته أهمية في توجيه الحياة الفكرية هذه الوجهة . وهي وجهة خدمت سياسة الخلافة كما هو معارم (٥٣٣) وظهر محمد بن موسى الخوارزمي في عصر المأمون ، وكان ذا مقام كبير عنده فأحاطه بضروب من الرعاية والعناية . وولاه منصب بيت الحكمة كما جعله على رأس بعثة علمية (إلى الأفغان) بقصد البحث والتنقيب . فكانت اقامته في بغداد قد منحتة شهرة بين الناس فبرز في الرياضيات والفلك وكان له أكبر الأثر في تقدمها وارتقائها (٥٣٤) .

فلم تضعف همة المترجمين بوفاة المأمون إذ سلك بعض الخلفاء الذين اتوا بعده مسلكه في تشجيع النهضة العلمية في بيت الحكمة واستمر ذلك إلى منتصف القرن الرابع الهجري تقريبا . ففي عصر المعتصم فترت حركة الترجمة إذ لم يكن للخليفة تحصيل في العلم أو رغبة في المشاركة فيه (٥٣٥) . وعلينا أن نترث حتى عهد الواثق بالله الذي كان ذكيا واسع الاطلاع كبير الثقافة يشجع العلم والعلماء فنشطت حركة الترجمة في عهده (٥٣٦) .

واستعادت بعض ما لها من نشاط وان كان أكثر ما يترجم في عصره هو الأسفار والخرافات . لكن عهد الواثق شهد استئناف النشاط الأدبي مرة أخرى فاهتم بترجمة الكتب الأجنبية وأصبح يوحنا بن ماسويه الذي سبق لنا الحديث عنه يد الواثق اليني وأغدق عليه الواثق صلاته أغداقاً لا حد له (٥٣٧) .

(٥٣٢) د. علي عبد الله الدفوع : الموجز في التراث العلمي ص ٧٦ .

(٥٣٣) د. وديعة طه نجم : (الشعر في الحاضرة في القرنين الثاني والثالث للهجرة) . (شركة كازمة للنشر والتوزيع - الكويت ١٩٧٧ م) ص ٣٦ .

(٥٣٤) تدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٠٤ .

(٥٣٥) د. محمد عبد الحمم خلفي : صور من الفكر العربي ص ١٠٩ .

(٥٣٦) خودابخش : حضارة الاسلام ص ١٣٣ .

(٥٣٧) خودابخش : حضارة الاسلام ص ١٣٣ .

أما المتوكل فكان آخر الخلفاء الذين آزرُوا حركة الترجمة وأعانوا على نقل علوم الأمم العربية إلى لغة القرآن الكريم^(٥٣٨) . وظهر أثر هذا الإختلاط الشديد في العقول والأفكار فانتسعت الثقافة ونضج التفكير . فكان الذى اذكى الترجمة والنقل حينئذ الأموال التى أغدقها المتوكل وغيره من الخلفاء على المترجمين . ويكنى أن نذكر ما أهده المتوكل إلى حنين بن اسحاق المتوفى سنة ٢٦٤ هـ فإنه أهده ثلاث دور من دوره وحمل إليها كل ما يحتاج إليه من الأثاث والفرش والآلات والكتب وأنواع الستائر الأنيقة وأقطع بعض الاقطاعات وحصل له راتباً شهرياً خمسة عشر ألف درهم غير ثلاثة خدم من الروم وغير ما أسبغه على أهله من الأموال والخلع والاقطاعات^(٥٣٩) .

وهكذا كان الخلفاء العباسيون يغدقون رواتب شهرية على جماعة من المترجمين بينهم حنين بن اسحاق وحبيش ابن أخيه وثابت بن قرة ، ويقال أنها كانت تبلغ في الشهر خمسمائة دينار^(٥٤٠) ، وكل هذا الاهتمام والتشجيع للترجمة والانتفاع عليها والتنافس فيها أحدث ازدهاراً عظيماً لها في العصر العباسي الثاني فقد أكب المترجمون على المأثورات الاغريقية في كل فروع العلم والفلسفة بترجمتها ، وبخيل إلى الانسان أنهم لم يتركوا حينئذ كتاباً يونانياً في أصله اليوناني أو في ترجمته السريانية الا ترجموه إلى العربية^(٥٤١) . ومن يرجع إلى ابن أبي أصيبعة والقنطري تهوله الكثرة الغامرة مما ترجموه ، اذ يبلغ أحياناً عند المترجم الواحد مئات الكتب والرسائل سوى ما ألفوه وصنفوه .

يقول الدوميللى : « ان النص العربي يصلح النص الاغريقي في مواضع مختلفة ، وترجم كتاب أرسطو في النبات تفسير نيقولاس ، وله كتاب قرسطون في نظرية الميزان واعتدال الأجسام الميكانيكية وكان له أثر كبير في لاتينية العصور الوسطى . ومن مصنفات ثابت بن قرة كتاب الخيرة في الطب ألفه لابنه سنان ،^(٥٤٢) .

ومن ابنه المترجمين حينئذ قسطا بن لوقا^(٥٤٣) البعلبي ومن ترجماته شرح

(٥٣٨) د. محمد عبد الحليم خلفي : صور من الفكر العربي ص ١١٩ .

(٥٣٩) د. سوقي ضيف : العصر العباسي الأول ص ٢٣١ .

(٥٤٠) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٤١٤ .

(٥٤١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٧٠ .

(٥٤٢) الدوميللى : (العلوم عند العرب ومكانتها في التطور العلمي العالمي) (ليسبس .

مولنده ١٩٦٦ م) ص ١٤٢ ، ١٥٥ .

(٥٤٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٣١٧ .

الاسكندر الأفروديسي وشرح جون فيلويون على السماع الطبيعى وكتاب اراء
 الفلاسفة المنسوب الى فلوطوخس وكتاب الحيل لهيروج المنشور في لينزيج سنة
 ١٩٠٠ م وكان قد ترجمه للخليفة المستعين . وله رسالة صغيرة في الفرق بين النفس
 والروح ترجمت الى اللاتينية . كما كان من هؤلاء المترجمين النابهين أبو بشر متى
 ابن يونس^(٥٤٤) من أصل يوناني وقد عني بترجمة جميع آثار أرسطو في المنطق
 وغيره ، وترجم له كتاب الشعر ترجمة مضطربة لأنه يدور كما هو معروف ، حول
 المسألة اليونانية . وبمضى بن يونس ينتهى عصر الترجمة العظيم .

وكان الوزراء بدورهم يفسدون على المترجمين اموالا كثيرة سواء اهدوا
 اليهم بعض ترجماتهم او بعض ما الفوه على هدى ما قرعوه في اللغتين اليونانية
 والسريانية . وفى أخبار قسطنطين لوقا أنه اهدى ابراهيم بن المدبر كما اهدى
 الحسن بن مخلد وزير المعتمد كتابا . وفى أخبار اسحاق بن حنين أنه كان منقطعاً
 الى القاسم بن عبد الله وزير المعتضد^(٥٤٥) .

وجدير بالذكر أن ثابت بن قرة كان لا ينقطع عن اسماعيل بن بلسل وزير
 المعتمد وله ألف مقالة في الهندسة^(٥٤٦) . وكان كثير من الأطباء يكلفون المترجمين
 نقل كتب طبية أو كتب تتصل بالطب . يقول ابن أبى أصيبعة : « كان مما نقلت
 اليه الكتب اليونانية وترجمت باسمه جماعة من أكابر الأطباء مثل يوحنا بن ماسويه
 وجبريل بن بختيشوع وابنه بختيشوع وداوود بن سراييون وسلمون بن بنان^(٥٤٧)
 واليسع واسرائيل بن زكريا بن الطيفورى وجبيش بن الحسن^(٥٤٨) . كما أن هناك
 أسرا وأفراد كثيرين يعدون أنفسهم حماة للترجمة والمترجمين ، وكانوا يتنافسون في
 هذه الحماية مع أنفسهم ومع الخلفاء ، فذكر منهم ابن أبى أصيبعة^(٥٤٩) طائفة منهم
 على بن المنجم^(٥٥٠) صاحب خزانة الحكمة التى سبق أن تحدثنا عنها واحمد بن المدبر
 ومن نوه بهم القدماء طويلا في هذا الجانب بنو موسى بن شاكر محمد وأحمد .

(٥٤٤) المصدر نفسه ص ٣٣٠ .

(٥٤٥) المصدر نفسه ص ٢٧٤ .

(٥٤٦) المصدر نفسه ص ٣٠٠ .

(٥٤٧) هو سلمون بن بنان كان فاضلا متقدما ، خدم المعتصم وخص به حتى أن المعتصم

مال لما مات سامويه : سألحق به لأنه كان يمسك حياته ويدير جسمه . للفهرست ص ١٤٢ .

(٥٤٨) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٨٤ .

(٥٤٩) المصدر نفسه ص ٢٨٣ .

(٥٥٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٣٢ .

والحسن وكان الأول والثاني يشغفان بالهندسة في حين شغف الثالث بالحِـيـل
(الميكانيكا) وكان لهم مرصدا أسسوه على دجلة .

ان هذه التصور هي امتداد لشجرة كبيرة هي شجرة الحضارة الاسلامية وكل
ما حدث فيها من تغيرات أو نكسات لم تجرف جدول هذه الحضارة عن السير
المرسوم لها ، وانما لونتها وأعطتها مظهرا مغايرا بعض المغايرة لها في عصور
سابقة ولاحقة ، هذا مع العلم أن التغيرات السياسية كانت واضحة كل الوضوح
وأثرت تأثيرا قويا في حياة الشعب وفي قوة الدولة وعظمتها أو ضعفها وانحطاطها
وتجزئتها^(٥٥١) .

فرغبة الخلفاء والوزراء في نقل المعرفة من العامة الى الخاصة وارساء
قواعد راسخة للتمدن الاسلامي توفر لدينا عددا من العوامل دفع في مجموعه الى
الافادة من التراث الانساني بعامة والتراث الفارسي بخاصة^(٥٥٢) ، وغيره أيضا .
والواقع أن المسلمين اكبوا على تراث الأمم المختلفة ، فأخذوا منه كل ما تطلبت
حياتهم المتطورة يدفعهم في ذلك حب العلم والمعرفة وكذلك تشجيع الخلفاء والوزراء
لهم .

(٥٥١) د. محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية والإدارية العائدة للمصور العباسية

المتتابعة ص ٨ .

(٥٥٢) د. السحات السيد زغلول : الاتجاهات الفكرية في التفسير ص ١٢٥ .

ثانيا - دور الخلفاء والوزراء في المحافظة على نشاط مؤسسة بيت الحكمة :

ان تشييد العباسيين لبيت الحكمة في بغداد وتعيينهم له جلة العلماء لترجمة والنسخ والاشراف واعطاءهم المرتبات والأجور السخية كل ذلك جعل للخلفاء كامل الحق في السيطرة على بيت الحكمة وتوجيه مسارها على وفق ما يريدون^(٥٥٣) ، ويؤكد خودابخش^(٥٥٤) ما كان من عناية الخلفاء بالعلماء فيقول : « ان هذا الصنف من العلماء والباحثين عاشوا في بحبوحة من العيش ونعموا بمستوى مالى مرموق ، اذ اضى عليهم الخلفاء والأمراء والعظماء كثيرا من عنايتهم وأمدوهم بهبات متجددة ، وافضل لا تنقطع ، فقد حكى عن المأمون أن منحه لحنين كانت متصلة وهباته اليه لا تتوقف » .

وارتفعت ثقافة بعض العلماء وتنوعت ، فسجلت أسماؤهم مع الفقهاء ومع العلماء ومع الندما ، وكان البعض يأخذ رزقا في هذه الطوائف كلها كالزجاج فقد كان له رزق في الندما وفي الفقهاء وفي العلماء ومبلغ ذلك ٣٠٠ دينار في الشهر^(٥٥٥) .

كما أجرى الخليفة المقتدر على ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ خمسين دينارا في كل شهر حينما قدم بغداد فقيرا^(٥٥٦) . وقد كان الخلفاء والأمراء يشجعون العلم والعلماء ويجمعونهم من الأقطار ويفدقون عليهم العطايا والهبات ، مما كان له الأثر المأمود في اقبال العلماء على الدرس والتحصيل وتشجيعهم على التأليف والابتكار . وكان حنين بن اسحاق النسطوري في بغداد ممن جعل في داره مكتبة عامة يفسد اليها طلاب العلوم العقلية والرياضية ، وكان يتبرع بمذاكرتهم فيما يريدون مذاكرته^(٥٥٧) . فكان هارون الرشيد يدعو الى بلاطه المتعلمين ومقتنى اللغات ويعهد اليهم تحت اشراف يوحنا بن ماسويه بترجمة كثير من الكتب العلمية المفيدة ، وقد تبعه في ذلك ابنه المأمون وغيره من الخلفاء في العصر العباسي^(٥٥٨) .

(٥٥٣) د. احمد شلبي : تاريخ التربية الاسلامية من ٢١٤ .
KHUDA BUKHSH : Islamic Civilization, p. 277. (٥٥٤)

(٥٥٥) ابن النديم : الفهرست ص ٩٠ .

(٥٥٦) آدم مقرر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٠٦ .

(٥٥٧) زكريا عاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم من ٢٧٢ .

(٥٥٨) زغريد مونيكة : شمس العرب تسطع على المغرب ص ٣٧٩ .

وآخر من اشتهر من رجال بيت الحكمة علمان هما : حنين بن اسحاق وأصله من العباد من نساطرة العرب ، أحب العلم في صباه فدخل بغداد ، وحضر مجلس يوحنا بن ماسويه ودخل في خدمة جبريل بن بختيشوع ، وما زال قدمه يرسخ في العلم حتى قلده المأمون رئاسة بيت الحكمة وكذلك ثابت بن قره^(٥٥٩) .

فهذا بيت الحكمة أول مؤسسة ثقافية عند المسلمين يدين للمأمون بها منحه من مناهة وما أضفى عليه من قوة وما أنفق من مال ، وعن طريق هذه المؤسسة كمسبت اللغة العربية كثيرا من الزاد بها أجرى فيها من ترجمة اللغات الأجنبية وبواسطة بيت الحكمة حفظ للإنسانية كثيرا من تراث الاغريق الذي ضاعت أصوله ، ولم يجد العالم غير الترجمات العربية وسيلة للوصول الى هذا التراث^(٥٦٠) .

فلم يكن نشاط مؤسسة بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والأمراء بل أراد المأمون ان يجعل نشاطه قويا متصلا سواء أكان الخليفة نزيها أم نحيبا ، نهيا نسلوا رزقا سخيا يتقاضونه من وقف ثابت يفيض ريمه عن التكاليف المطلوبة لهذه المؤسسة الثقافية^(٥٦١) . أما من الناحية العقلية فهو (المأمون) فيلسوف الخلفاء وراعى بيت الحكمة وصاحب حركة الترجمة لنقل الرياضيات والفلسفة عن اليونان^(٥٦٢) .

ففضل المأمون على النهضة الفكرية وأثره في شدد أثرها ، ورفع قواعدها ، نفى عهده ازدهرت العلوم ونشطت الترجمة وأقبل الناس على المعرفة ينتهسونها في آثار السريان واليونان وسواهم من الأوائل . ويبدو أن من أسباب ذلك الانتعاش الذي أصاب الحياة الفكرية أن المأمون نفسه كان يسهم فيه بحظ غير قليل وفي أخبار مجالسه ما يدل على أنه كان يمارس اكتساب المعرفة بطرق علمية تجريبية غير مكنت بها يقرأ أو ما يسمع وغير قانع بما يحصل عليه من تلك الطرق^(٥٦٣) .

واقتردى بالخلفاء غيرهم من الأمراء والوزراء وأهل اليسار من العقلاء

(٥٥٩) د. حسن أحمد محمود : العالم الاسلامي في العصر العباسي ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٥٦٠) KHUDA BUKHSH : Islamic Civilization, p. 276.

(٥٦١) SAYED AMEER ALI : A Short Hist. of the Saracens, P. 274.

(٥٦٢) ابن النديم : الفهرست ص ١٦٨ .

(٥٦٣) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

فأغدقوا على المترجمين العطاء لنقل ما يرغبون فيه من كتب الأوائل العربية فمنفتحت أسواق هذه العلوم وزخرت بهذا بغداد . ولكثرة ما كان يلقيه الحكماء في بغداد من الاكرام والاحترام في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء والفضلاء وأهل اليسار أقبلوا ينسلون اليها من كل حدب ويتخذونها دار إقامة لهم فقصدها من الشام وفارس والهند . وفيهم النساطرة والهنود والفرس . فتضافرت لهم على ترجمة كتب الأقدمين والتأليف في مختلف علوم الكون على اختلاف فروعها فأصبحت بغداد بذلك ينبوعا فياضا لهذه العلوم ، يفترق منه الناس في سائر الحواضر الاسلامية ومن أشهر الأسر التي جعلت بغداد موطنها آل بختيشوع ، وجرجيس ابن جبريل وجبرائيل بن بختيشوع وآل اسحاق^(٥٦٣) .

وطبيعى ان هذا النشاط والازدهار العظيم للمترجمين وجماع العلوم كانت تساعد وتشد من أزره حماية الخلفاء الرسمية ولكن كل أسرة كبيرة من أسر حماة الآداب والعلوم كانت تتنافس أيضا في هذا المضمار مع أسر المؤمنين ، وآخر من مثل هذا النشاط بنو موسى بن شاكر الذين كانوا حماة للعلوم والمترجمين الذين جعلوهم في خدمتهم وقد اشتهر من هؤلاء المترجمين اثنان هما أيضا من العلماء . ننين بن اسحاق وثابت بن قرة^(٥٦٤) .

وإذا كان خلفاء بنى العباس في عصورهم المختلفة كانوا يحثون وزراءهم من بين الكتاب والأدباء ويأبون اسناد منصب الوزارة الى العلماء وأصحاب الضيالى . وقد اشتهر مرة على الخليفة المقتدر بتميين محمد بن يوسف القاضي فقال : « لعمري انه عالم ثقة الا أنتى لو فعلت ذلك لافترضت عند ملوك الاسلام والكفر ، لأننى اكون بين امرين اما ان تتصور مملكتى بأنها خالية من كاتب يصلح للوزارة فيصغر الأمر في نفوسهم او أنى عدلت عن الوزارة الى أصحاب الطيالىس فأنسب الى سوء الاختيار »^(٥٦٥) .

وكان وزراء العصر العباسي الأول من ذوى الكفاية في الكتابة والادارة وتميزوا بثقافة واسعة^(٥٦٦) . وقد أسهم الوزراء والأمراء ورجال الخليفة الاسلامية

(٥٦٣) عبد الله بن العباس الحرارى : تقدم العرب في العلوم والصناعات واستغنائتهم

أوروبا ص ١٧ .

(٥٦٤) زغريد صوبكه : سمس العرب تسطع على الغرب ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٥٦٥) جاك س . رسلر : الحضارة العربية ص ٧٣ .

(٥٦٦) د . توفيق سلطان النزيكى : (الوزارة نشأتها وتطورها في العهد العباسي) (مطبعة

الارصاد - بغداد - العراق . ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م) ص ٥٠ .

في هذا القرن تشجيع حركة ترجمة الثقافة الاغريقية الى العربية ، ومن ابلى في ذلك بلاء حسنا امراء البيت العباسي وأسرة البرامكة ووزراء الخلافة وموسى بن شاكر وأبناؤه الثلاثة الذين احتضنوا حنين بن اسحاق شيخ المترجمين وابنه اسحاق وأوفسد حنيننا على نفقتهم الى آسيا..الصغرى ليجيد اللغة اليونانية وليحصل على نفائس من المخطوطات القديمة ، وكانوا يجزلون العطاء لحنين وربما بلغ مرتبه خمسة آلاف دينار في الشهر(٥٦٧) .

وكان البرامكة يشجعون الترجمة تشجيعا كبيرا ويسخون سخاء نادرا على كل مجهود يتصل بالعلم والثقافة فكان لتشجيعهم أبلغ الآثار في ازدهار العلوم وتقدم المعارف ونسج حركة الترجمة وتطورها . وفي هذا الدور الخطير ترجمت كتب كثيرة ومن أهمها كتاب كليله ودمنة من الفارسية ، وكتاب السند هند من الهندية ، وترجمت بعض كتب ارسطوطاليس في المنطق وغيره ، وترجم كتاب الجستى في الفلك وأخذ المعتزلة هذه الترجمات ، واتخذوا منها مادة للجدل والمناظرة(٥٦٨) .

كما نشطت الترجمة بفضل تشجيع البرامكة الذين اهتموا بعلوم الاغريق اهتماما كبيرا ، وبذلوا مسمى كبيرة لأن يدخلوا الى العرب المعارف المستقاة من المصادر الاغريقية التي كانوا على صلة وثيقة بها مذ كانوا سابقا في مرو ونيسابور(٥٦٩) .

فكان أبو سلمة خلال فصيحاً عالماً بالأخبار والأشعار والسير والجدل . كما اهتم البرامكة بالعلوم والآداب وقال الموريتاني : « ليس من شيء الا وقد نظرت فيه الا الفضة وقد نظرت في الكيمياء والطب والنجوم والحساب وحتى السحر »(٥٧٠) .

يقول الدكتور بديع شريف(٥٧١) : شغل البرامكة مراتب الدولة بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم واختاروهم عن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابه . يقال : انه كان بدار الرشيد من ولد يحيى خمسة وعشرون رئيسا بين صاحب قلم وصاحب سيف وكبح العرب عن التطاول للولايات فصارت الوزارة للعجم والصنائع من البرامكة : بنو سهل ، بنو نويخت ، وبنو طاهر .

(٥٦٧) د محمد عبد المنعم خلفي : صول من الفكر العربي وتاريخ الاسلام ص ٧٧ .

(٥٦٨) المرجع نفسه ص ١٠٨ .

(٥٦٩) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١ ص ٢٨١ .

(٥٧٠) توفيق سلطان النوبختي : الوزارة نشأتها وتطورها ص ٢٨٠ .

(٥٧١) د محمد بديع شريف : الصراع بين العرب والموالي ص ٤٠ .

ومن الممكن أن نقر بادیء ذی بدء أن دولة المأمون منحة قدمها له الفضل ابن سهل وأنه لولا الفضل لما كانت دولة المأمون ، ولغلب هذا على أمره وقد كان الفضل بن سهل منذ عهد الرشيد يكتب للمأمون ويتولى أمره كله . ومنذ ذلك الحين أخذ الفضل يرى ويدبر ليضمن للمأمون حقه وليحميه من أن يطغى عليه سلطان أن يستبد به مستبد . وأول لفنة وضعها الفضل لرشيد عليها دولة المأمون كانت في حياة الرشيد (٥٧٢) .

وكان الفضل بن جعفر مشهورا عند الخاصة والعامة ، بالفضل والعلم والكتابة ، وفي عهده شغب الجند انديلم عليه ، وهاجموا داره ورموها بالسهم . وبوسط أحمد بن خاقان . بين الوزير وبينهم مهدات الأمور (٥٧٣) . ويقول عنه ياقوت أيضا : « كان خبيرا بالعلوم الانهية العقلية كالهندسة والطب والتنجيم والموسيقى والمنطق » (٥٧٤) . وعباد أبوه كان وزيرا لركن الدولة ، وكان من أهل العلم يكرم العلماء ويحسن إليهم . فكان يبعث في كل سنة إلى بغداد بخمسة آلاف دينار لتصرف على أصل العلم » (٥٧٥) .

ويقول ابن الاثير عنه « كان واحد زمانه علما وفضلا وتديرا عالما بأنواع العلوم عارفا بالكتابة ورسائله مشهورة مدونة ، جمع من الكتب ما لم يجمعه غيره حتى انه كان يحتاج في نقلها الى اربعمائة بعير (٥٧٦) واستوزر المأمون من بعده القاضي يحيى بن اكثم . وكان من جملة العلماء والفقهاء ، فكان اليه تدبير الملكة والقضاء (٥٧٧) . ويرى براون : « ان حكم البرامكة أدى الى ازدهار حضارة بنى العباس وأن سبب نكبتهم لمل وحسد الحاشية » (٥٧٨) .

ويمتدح نيكلسون البرامكة لكرمهم واهتمامهم بالأدب والشعر بينما يذم الرشيد بتعديده عليهم (٥٧٩) . وقد كان الخلفاء والأمراء يشجعون العلم والعلماء ، ويجمعونهم

(٥٧٢) د . أحمد شلبي : التاريخ والحضارة الاسلامية ج ٣ ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٥٧٣) غريب بن سعد : (صلة تاريخ الطبري) . (لين ١٨٩٧ م) ج ١٢ ص ٨٩٠ .

(٥٧٤) مافوت الحموي : معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٧٦ ، ٣١٥ .

(٥٧٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٣١٤ .

(٥٧٦) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٣٨ .

(٥٧٧) د . توفيق سلطان البوزيكي : الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ص ٦٦ .

BROWN : History of Persia Litratue, p. 257. (٥٧٨)

NICHILSON : A Literary Hist. of the Arabs, p. 261. (٥٧٩)

من الأقطار ويفقدون عليهم العطايا والهبات ، مما كان له الأثر المحمود في اتقبال العلماء على الدرس والتحصيل وتشجيعهم على التأليف والابتكار^(٥٨٠) ، وبذلوا المال في سقاء اذ كانت دولتهم قد بلغت درجة عظيمة من الثراء والتقدم .

وكذلك اشتهر أحمد بن محمد المعروف بابن المدبر الكاتب الذي كان يصل اليه انقله من ماله وأفضاله شيء كثير جدا^(٥٨١) . وكان هناك أيضا ابراهيم بن محمد ابن موسى الكاتب حريصا على نقل كتب اليونانيين مشتملا على أهل المسلم والفضل وعلى النقلة خاصة^(٥٨٢) . وكان الأمير عضد الدولة يخرج بنفسه لاستقبال صاحب بن عباد اذا أقدم كما فعل سنة ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م حينما خرج على رأس كيار رجال دولته الى خارج مدينة بغداد لتلقى صاحب بن عباد واکرامه^(٥٨٣) . كذلك كان هذا الوزير على جانب عظيم من العلم والأدب والفضيلة ومكارم الأخلاق^(٥٨٤) . ويصفه الفارقي بقوله : كان الصابي^(٥٨٥) وابن عباد ثلاثا الدهر وفرائد العصر ، وكان الله سبحانه أدبهما وخصهما بالفضل والأدب والشعر والرسائل . استفاد صاحب بن عباد كثيرا من مخالطته العلماء ورجال الأدب وكان كثير الاحسان اليهم^(٥٨٦) . حتى أنه كان يصرف في كل عام ما يزيد على مائة ألف دينار في أعمال الخير والصدقات^(٥٨٧) . وكان يبعث في كل سنة الى بغداد خمسة آلاف دينار تفرق على الفقهاء والأدباء^(٥٨٨) ، ودأب هذا الوزير على عقد مجالس لأهل العلم والأدب ، وكان يحسن معاملة جلسائه ويتبسط معهم ، ويقول لهم : « نحن بالنهار سلطان وبالليل اخوان » فكان ذلك مما حبه الى قلوب الناس ، وبلغ من حب صاحب لرجال العلم أنه أنفق عليهم كل أمواله^(٥٨٩) . توفي صاحب بن عباد سنة

(٥٨٠) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٣٦٧ .

(٥٨١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٨٤ .

(٥٨٢) المصدر نفسه ص ٢٨٤ .

(٥٨٣) أبو شجاع ، محمد البروفراوى : (فيل تجارب الأهم) ، تحقيق أمديروز (شركة النعمان

الصناعية - القاهرة ١٩١٦ م) ص ١٠ .

(٥٨٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٠٠ .

(٥٨٥) أبو اسحاق ابراهيم بن هائل ، شاعر بليغ عالم بالهندسة : الفهرست ص ١٩٣ .

(٥٨٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٧٠ .

(٥٨٧) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ٦ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٥٨٨) ابن الجوزى : المنتظم ج ٧ ص ١٨٠ .

(٥٨٩) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ٦ ص ١٨٦ .

٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م بعد ان نولى النزاره لده عشرين عاما بفرعا معلقت بمسمة
الرى لموته (٥٩١) .

وهكذا فقد رعى صاحب النهضة العلمية والادبية رعاية مائة فكل برسل
الاموال جمة الى الكثير من المحتاجين من الفقهاء والزهاد والكتاب بمعداد والحرمن.
كر سنة مع ركب الحج على مغاورهم ومنازلهم (٥٩١) .

اما الشخصية الأخرى فى عصر المقندر فهو على بن عيسى بن الجراح وبسمه
الصابى بقوله : « كان رجلا عالما متدينا . عارفا بالاعمال حافظا للاموال خسر
الوقار والجبد بعيدا عن التبدل والهزل . شج غالب فى طماعه . ونجه طاهر فى
اخلاقه . وما كان يخل بصلاة الجماعة فى كل يوم جمعة . ولا بدع المنادى فى تلك
بين المساجد الجامعة (٥٩٢) .

وكان الوزير بن الجراح عالما بالسياسة وسع الخلفاء الى جتنب ندينه
واجادته بعض العلوم (٥٩٣) . ويقول فيه الصابى : « ورنب على بن عيسى الامور
والدواوين : على ما راي الصلاح والسداد متعفا عارفا بالأعمال ... » (٥٩٤) .
ويقول ابن كثير عنه أيضا : « وكان من خيار الوزراء : واقصدهم للمعدل والاحسان
واتباع الحق » (٥٩٥) . ويصفه الخطيب البغدادي انه : « كان صدوقا عفيفا
محمودا فى وزارته كثير البر : صاحب أهل العلم ورجالهم » (٥٩٦) .

وهناك الفتح بن خاقان الذى انفق أموالا كبيرة على الترجمة والتأليف واقتناء
الكتب : كما كان محمد بن عبد الملك الزيات لا يقل عنه فى هذا فانه كان يصرف
على الترجمة والكتبة ما يقارب ألفى دينار فى الشهر . وترجمت له عدة كتب باسمه

-
- (٥٩٠) د محمد مسفر الزهرانى : (نظام الوزارة فى الدولة العباسية فى العهد البويهي
والسلجوقي) (مطبعة للرسالة - بيروت - ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) ص ١١٠ .
(٥٩١) للعالبي : بتيمة الدهر : ج ٦ ص ٣٠٠ .
(٥٩٢) هلال الصابى : تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ص ٢٨٢ .
(٥٩٣) اسماعيل باتسا البغدادي : (هبة العارفين فى أسماء المؤلفين والثر المصنفين)
(طبع فى اسطنبول ١٩٥١ م) ج ١ ص ٦٧٨ .
(٥٩٤) هلال الصابى : تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ص ٣٠٦ .
(٥٩٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١٢٠ .
(٥٩٦) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٤ .

منها : كتاب الصوت الذى نقله حنين ، واحمد بن المدبر كان ينفق على النقلة والنساخين والمؤلفين من ماله الشيء الكثير ، فكان غيرهم ينقلون له الكتب وينفق عليهم من ماله . ويبيع شرح الاسكندر الأفردوسى للسماع الطبيعى وكتاب البرهان بثلاثة آلاف دينار(٥٩٧) .

وان مؤلفات : ابن النديم وابن القفطى وابن جليل وصاعد الأندلسى ، وابن أبى أصيبعة وحاجى خليفة ، تطلع المرء على الجهود الكثيرة التى بذلها الخلفاء والوزراء فى ترجمة الكتب المختلفة واقبالهم الشديد على دراستها وتدبرها ، والتأليف بها .

كان هذا بزمان لم تبلغه أمة غيرها فى عدة قرون . فاجتمع فى خزائهم ثقافة الشرق والغرب بأقل من قرنين ، فكانت بغداد مركز العلم والأدب والفن وكانت تزيناها جامعة بيت الحكمة الاسلامية العظيمة .

(٥٩٧) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٠٦ .

ثالثا - حرص الخلفاء والوزراء على تقوية أواصر المحبة والتعاون بين من عملوا داخل بيت الحكمة :

وصار في بيت الحكمة دوائر علمية متنوعة ، لكل منها علمائها وتراجمتها . ومشرفون يتولون أمورها المختلفة . وانتدب العلماء والتراجمة من بغداد لاختيار الكتب القيمة منها ، والتي يندر وجودها عند غيرهم من الأمم ، فاختاروا الكتب النفيسة في الطب والفلسفة والفلك ونقلوها الى بغداد حينما احتل الرشيد مدينتي عمورية وأنقرة بغزوه لهما . وولى هارون الرشيد أمر هذه الكتب يوحنا بن ماسويه أكبر أطباء عصره وجعل له من يساعده بترجمتها^(٥٩٨) ، كما جعله أمينا على الترجمة .

ومن كان يشتغل في بيت الحكمة للرشيد ، فيترجم من الفارسية الى العربية أبو سهل الفضل بن نويخت الفارسي الذي كان متضلعا باللغتين الفارسية والعربية وله عدة مؤلفات بعلوم مختلفة ، عهد اليه بترجمة كتب الحكمة من الفارسية الى العربية^(٥٩٩) .

وبلغ ولوع الرشيد بأهل العلم أنه كان يصطحبهم معه أين يذهب وقد توفي على بن حمزة الكسائي النحوي الكوفي وإمام القراء المشهور ومحمد بن الحسن الشيباني القاضي صاحب أبي حنيفة وهما في معية الرشيد بالرى سنة تسع وثمانمائة^(٦٠٠) . ومر الرشيد مرة بحلقة محمد بن الحسن فقام الناس كلهم الا محمد بن الحسن فخرج الآن ، ونادى محمد ، فذهب هذا لمقابلة الرشيد فلما عاد سأله أصحابه عما كان فقال : سألت الرشيد : مالك لم تقم مع الناس ؟ فقلت : كرهت أن أخرج عن طبقة العلماء الى طبقة العامة : فسر باجابتي^(٦٠١) .

ويحكى بالمر^(٦٠٢) : « ان أبا معاوية العالم الأعمى كان يتغذى مرة مع الرشيد فلما انتهى الغداء ، وأراد العالم أن يغسل يديه على عادة المسلمين ، قدم له شخص ما الطشت والأبريق وصب عليه ، ولما انتهى العالم الأعمى من غسل يديه شكر ذلك الذي أولاه هذه العناية وصب عليه الماء ، ولكنه اكتشف أن

(٥٩٨) حاجي خليفة : كشف الظنون ج ٢ ص ٦٨١ .

(٥٩٩) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨٢ .

(٦٠٠) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٣ .

(٦٠١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٦٠٢) PALMER : Harun Rashid, p. 33.

الذى فعل ذلك هو الرشيد على كثرة خدمه . فقال العالم : يا امير المؤمنين انى اعتقد أنك فعلت هذا تكريها للعلم فأجاب الرشيد هو كذلك .

وكان المأمون شغوفا بعلوم الحكمة ، وجه همه الى توسيع دوائرها المختلفة فارسل فى طلب كتبها من مختلف الأقطار واجتمع لديه عدد كبير منها واختار لها المترجمين من اللغات المختلفة : اليونانية والسريانية والفارسية والعربية والقبطية والهندية والحبشية ، فتوسع بيت الحكمة وازداد عدد كتبه بما يضاف اليه من الكتب المختلفة . وتنافس اولو النباهة فى العلوم لمسا يرون من احتضانه لمتحليها واختصاصه لمقلديها ، فكان يخلو بهم ويأنس بمناظرتهم ويلقذ بهذاراتهم فينالون عنده الميزة الرفيعة ، والمراتب السنية ، كذلك كانت سيرته مع سائر العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار حتى كانت الدولة العباسية تضاهى الدولة الرومية أيام اكتمالها ، وزمان اجتماع شملها (٦٠٣) .

فاجتمع فى بيت الحكمة نخبة مختارة من العلماء والأطباء والفلكيين وأصحاب الصناعات والحيل ، وترجموا مختلف الكتب التى تبحث فى شتى العلوم والفنون والمعارف والصناعات ، وبلغ بيت الحكمة منتهى التقدم على عهد المأمون ، وكان فى بيت الحكمة (٦٠٤) ما ألفه العلماء والأدباء فى اللغة والتاريخ والفقه وعلم الكلام والمثل والنحل . وبعض هذه الكتب ألفت بطلب من الخلفاء أنفسهم لكى توضع فى بيت الحكمة . فقد أمر المأمون الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب ، فأمر بأن تفرد له حجرة من حجر الدار . ووكل به جوارى وخدم للقيام بما يحتاج اليه ، حتى لا يتعلق قلبه ، ولا تتشوف نفسه الى شئ وصير له الوراقين ، وألزمه الأمناء والمنفقين ، فكان الوراقون يكتبون ، حتى صنف الحدود ، وأمر المأمون بكتبه فى الخزانة ، فبعد أن فرغ من ذلك خرج الى الناس (٦٠٥) .

ومما يجدر ذكره ان المأمون كان يحرص على الاحتفاظ بكل اثر نفيس يعثر عليه ، فيستدعى العلماء لفحصه وترجيته ودراسته . ومن ذلك : كان المأمون فى مصر - وعثر فى مدينة أخميم على رسالة السر فى الكيمياء لهرمس - كانت تحت لوح مرمر فى قبة قبة - فى قبة فيها - امرأة ميتة تامة الخلق ، ضفائرها ممدودة الى

(٦٠٣) صاعد الأنطلس : طبقات الأعم ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٦٠٤) ابن النديم : الفهرست ص ٣٤١ .

(٦٠٥) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٦٥ .

رجليها ، وعليها سبع حلل مذهبة ولها كلها زر واحد — اى قميس من ذهب — وحولها أسرة صغار ، عليها أموات فى هيئة الصبيان ، وهذه الرسائل تحت رأسها ، فى لوح من ذهب شبيهة بالكثف العظيمة بسواد بخط غريب ، ولما علم بها الخليفة المأمون ، استدعى العلماء لقراءتها وترجمتها فقرأها رجل من حمير ، كان عالما بالمسانيد ، وفسرت له مع المزامير التى فسرت (٦٠٦) .

ان العرب ترجموا الى لغتهم اكثر كتب العلوم التى سعوا بالحصول عليها من : طب وفلسفة ونجوم ورياضيات ومنطق وفلك (٦٠٧) ، وغيرها . فآخذوا من كل امة احسن ما عندها من علوم وفنون . فكان الترجمة من ملل ونحل مختلفة فى بيت الحكمة تجمع بينهم أواصر المحبة والتعاون . ففيهم المسلمون وفيهم النصارى من السريان والبيعاقة ، وفيهم الصابئة عبدة الكواكب ، وفيهم الأنباط والبراهمة والمجوس واليهود (٦٠٨) وغيرهم . فمجلس الخليفة المأمون كان يتكون من ممثلين لجميع الطوائف التى تدين بملكه .

فقد كانت حرية الفكر فى ذلك العصر اى عصر ازدهار الحضارة الاسلامية التى يروى فيها كيف أنه كان يحضر فى بغداد دروسا كثيرة فى الفلسفة ويشترك فيها يهود وزنادقة ومجوس ومسلمون ونصارى ، وكيف أن الحضور كانوا يستمعون الى كل منهم باحترام عظيم ، وانه لم يكن ينبغى لأى منهم أن يستند الا الى الدولة الصادرة عن العقل لا الى الدولة المستقاة من أى كتاب مقدس (٦٠٩) .

هذا التسامح الاسلامى كان ولا شك ذا أثر فعال هائل فى حركة الاحياء والبناء الحضارى التى تولاها العرب بعد الفتح . ذلك ان علماء النساطرة كانوا قد لجأوا الى فارس التى حمتهم من اضطهاد الروم ، وسرعان ما ازدهرت تعليمهم فى المدرسة الفارسية فى جنديسابور ، وكانوا يستعينون بشيء من الفلسفة اليونانية بسبب تعليمهم . وعندما وقعت جنديسابور فى قبضة العرب فى القرن الرابع

(٦٠٦) حاجى خليفة : كشف الظنون : ج ١ ص ٨٧١ ، ٨٧٢ .

(٦٠٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ٦٧٦ ، ٦٨٢ .

(٦٠٨) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٣٦ .

(٦٠٩) جلال مظهر : (علوم المسلمين أساس التقدم العلمى الحديث) (الهيئة المصرية العامة

— القاهرة ١٩٧٠ م) ص ١١ .

الهجرى ، لقى هؤلاء العلماء المسيحيون تسامحا كبيرا وتشجيعا عظيما من الحكام المسلمين الذين استعانوا بهم في تشييد صرح الدولة العظمى واثقافى فظهر منهم كثير من الأطباء والعلماء والتراجمة^(٦١٠) .

وكان الخلفاء ومحبو العلم يقبلون عليهم ويجزلون لهم العطاء ، ويرغبونهم بشتى الطرق لكى يستفيدوا منهم فى الترجمة ، وشرح الكتب العلمية التى يترجمونها ، ووضع الاصطلاحات لها . فكانوا يعقدون المجالس العلمية ويشاركون فيها يدور بها من العلوم والآداب والمعارف وخاصة الخليفة المأمون عالم بنى انعباس وحكيها ، فانه كان يشارك فى علوم كثيرة ، وله مجالس يعقدها فى قصره ويشارك فيها اجل العلماء ، ويحضرها الخليفة ويشارك فيها يدور بها من مباحث مختلفة ، يجلس مع الجالسين كأحدهم بغير تمييز او عناية ، فيتكلم العلماء بكل حرية وصراحة فيما يبدو لهم . روى طرمور عن يحيى بن اكنم قال : « لما دخل المأمون بفسداد وقر بذا قراره ، امر بأن يدخل عليه من الفقهاء والمتكلمين واهل العلم جماعة يختارهم لجالسته ومحادثته ، وكان يقعد فى صدر نهاره على لبود فى الشتاء وعلى حصير فى الصيف ، وليس معها شىء من سائر الفرش ، فكان يجلس مجلس الفقهاء الذين اختارهم يحيى بن اكنم للمناظرة فى حضرة المأمون يقعد كل يوم ثلاثاء من كل اسبوع »^(٦١١) .

هذا هو بيت الحكمة المؤسسة العظيمة التى سهل الخلفاء فيها سبل الدرس والمطالعة والتأليف والترجمة لمن يرغب بذلك ، فقد كان يتعذر على الناس أن يقفوا على الكتب العلمية النادرة ، والتى ترجمت من اللغات المختلفة الى اللغة العربية وصرف فى سبيل الحصول عليها ، وعلى ترجمتها وتنقيحها المبالغ الكبيرة ، ففتحوا أبواب الدار لكل قاصد وشوقوا الناس الى التعلم والاقبال عليه ايقفوا على حقائق الأمور وتراث الأمم التى تقدمتهم فى شتى النواحي الفكرية والعلمية . كما كان الناس يحضرون المناظرات العلمية التى تجرى بين العلماء فى هذه الدار ، فى مختلف العلوم والفنون وابداء الآراء^(٦١٢) وغير ذلك .

(٦١٠) المرجع نفسه ص ١٢ ، ١٣ .

(٦١١) طيفور ، أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر : (تاريخ بغداد) (طبعة كلر ، لايبسك ١٩٠٨ م) ج ٦ ص ٣٦ .

(٦١٢) سعيد البويه جى : بيت الحكمة ص ٣٧ ، ٣٨ .

كانت الحرية القائمة تسود بيت الحكمة فلا تجد فيه أثرا للتعصب الذميمة ؛ بل تجد فيه أصحاب العلم والفلسفة يتناظرون بكل حرية وصراحة ، ويتكلم أهل الملل والنحل بما يبدو لهم وبما يعتقدونه ويرونه أقرب الى العقل والمنطق .

ومما يؤيد هذا : انه كان بين الذين تولوا امر بيت الحكمة واشرفوا على حركة الترجمة فيه ، هم من السريان واليهود والمجوس وغيرهم ، ولهم منزلة رفيعة عند الخلفاء ، يعمل برايتهم ، ويأخذ عنهم علماء المسلمين ، ويرجعون الى اقوالهم وآرائهم .

كما كانوا يؤدون شعثائهم الدينية بهنئى الحرية ويدافعون عن معتقداتهم بكل صراحة ، وينظرون المسلمين في الأمور الدينية ، ولربما كان هذا امام الخليفة نفسه . كان ثيودورس أبو قرّة المتوفى سنة ٨٢٠ م تلميذ يوحنا النيشقى وأستقف حران ، يجادل علماء الذين المسلمين في الأمور الدينية بحضور الخليفة المأمون (٨١٣) . هذا التسامح كان يسود بيت الحكمة في عهد الخلفاء والوزراء أنفسهم ، حبا بنشر الروح العلمية الخالصة بين كافئنة الطبقات كما صارت الكتب التى تبحث في شتى النواحي الفكرية ميسرة في دكاكين الوراقين ، بعاصمة الرشيد والمأمون في الوقت الذى كانت فيه أوروبا تتخبط في دياجير الظلام .

ولعل ذلك راجع الى أن الخلفاء العباسيين لم يقيدوا الأفكار ولم يفرضوا مذهبهم على الناس بل لكل دينه ومذهبه ورأيه ، وكان الخلفاء يشاركون في المناظرات العلمية والدينية ويبدون آراءهم ، كأحد الحاضرين ، وتكون عرضة للنقد والرد عليها .

أما الفاطميون فاتهم كانوا بالضد من هذا فالحرية الفكرية مقيدة واهتمامهم بكتب الفقه ومجالس الدعوة أكثر من غيرها ، فكانت كتب فقه دار الحكمة في مصر مما يؤيد مذهبهم ، ويعزز خلافتهم ، والدار نفسها مركز دعوة واسعة للمذهب الاسماعيلى ، ولا نجد في الدار الكتب التى تعارض مذهبهم أو تطعن بدعوتهم . وان المجالس التى كانت تلقى فيها مقيدة غاية التقيد فكان ينظمها فقهاء الدولة مع فقهاء دار الحكمة ، ويكون هذا تحت اشراف الداعى . ثم الخليفة نفسه . ثم بعد هذا التحفظ كانت تذاغ على السامعين . فالدار دار دعوة منظمة للمذهب الاسماعيلى ، تحت ستار من العلم ومناهج الدار تتبع السياسة العليا للدولة ، فهى دار دعوة ثم هى دار علم أو حكمة . وعلى هذا فان الدار مرت بأدوار مختلفة تتبع بذلك سياسة

(٦١٣) فيليب دى طرازى : خزائن الكتب العربية في الخائفين ج ١ ص ٥٤ .

ال خليفة التى يرمى الى تحقيقها . وكذلك اشتد عسف الخليفة الحاكم بأمر الله (٦١٤) على اهل السنة واهل الذمة . من أمثال ابن باديس وأبو بكر الانطاكى .

وهكذا نجد ان الصبغة السياسية فى دار الحكمة (فى القاهرة) فوق كل اعتبار ، فهى مركز سياسى تدعو الى تثبيت دعائم المذهب الاسماعيلى — المستعلية منهم — ولكنها تسير تحت ستار من العلم والحكمة (٦١٥) .

هذه الصبغة السياسية لا نجد لها فى بيت الحكمة ببغداد ، فهى مؤسسة ثقافية عالية تهدف الى نشر الحكمة والعلم والأدب ، نجد فيها الشعوبى يجادل العربى ، ويؤلف الكتب فى ثلب العرب وتفضيل العجم عليهم ، والعرب هم الذين منهم الخليفة مؤسس الدار وحامى العلم والدين . ونجد فيه النصارى بجانب المسلمين يقولون أمور الدار ، ويقومون بالاشراف على الترجمة والتأليف فيه ، يشاركونهم بهذا الصابئة والمجوس واليهود وغيرهم ، ومنزلتهم العلمية الخالصة — الخالية من كل تعصب دينى أو مذهبى أو عنصرى — فأرواح العلمية هى السائدة فى الدار ، وحرية الكلام والمعتقدات مطلقة ، وتحكيم العقل والمنطق فوق كل اعتبار (٦١٦) .

وهكذا كان حرص الخلفاء والوزراء شديدا قويا على جعل أواصر المحبة والتعاون بين من عملوا داخل بيت الحكمة دون تمييز بين أحد منهم جميعا دون النظر الى اللون أو الجنس أو العقيدة .

(٦١٤) سعيد الديوء جى : بيت الحكمة ص ٥٠ ، ٥١ .

(٦١٥) سعيد الديوء جى : بيت الحكمة ص ٥٢ .

(٦١٦) المرجع نفسه ص ٥٣ .

الباب الخامس



- الفصل الأول : مكانة بيت الحكمة بين مدارس وجامعات العالم .
- الفصل الثاني : ازدهار العلوم الاسلامية في بيت الحكمة .
- الفصل الثالث : مميزات بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة .

الفصل الأول : مكانة بيت الحكمة بين مدارس وجامعات العالم



- ١ - أثر بيت الحكمة في المدارس الإسلامية والجامعات الإسلامية في العالم .
- ٢ - بعث روح اليقظة الإسلامية الكبرى لمثيلاتها في العصور الوسطى .
- ٣ - انقاذ التراث العالمي من الفناء بجلب كنوز المعرفة من أنحاء العالم .

أولا - أثر بيت الحكمة في المدارس الإسلامية والجامعات الإسلامية في العالم :

كان الجاحظ زعيماً للبيان العربي ، وهو كذلك أحد زعماء المكتبة العربية ، التي كانت المصدر المقدم من مكتبات الدنيا فيما اسدت للإنسانية والفكر العربي واللسان العربي من خير وما بسطته على ظلام المذنيات المتهافئة من نور . كان الجاحظ في العصر الذهبي للأمة العربية ، عصر هارون الرشيد ، والعلوم والآداب والفنون يومئذ تزخر بها معاهد البصرة والكوفة وبغداد وسائر عواصم الاسلام^(١) .

وكان المعين نياضاً مترعاً ، والعقول في نشاط وثورة ، والتأليف والترجمة نهما دوى النحل في كل صقع ، والدين الاسلامي يدعو الى العلم والنور ، والمال تلعب وجوهه في عيون أهل الفضل ، فينكي العزائم ، ويبرم العقد ، والعلم ولود ، وصاحبه كلما ارتوى منه عاد به في سبيل الظمأ ، وحيثما شبع منه رجع به في سبيل الجوع^(٢) .

كما شهد به العلامة جوستاف لوبون : « ولذلك نال العرب درجة رفيعة من الثقافة بعد أن أتموا فتوحهم بزمن قصر ، وكانت لهم مبتكرات فيها ورثوه من علوم الأولين . والواقع أن حب العرب للعلم كان عظيماً . وأن الخلفاء لم يتركوا طريقاً لاجتذاب العلماء ورجال الفن الا سلكوها ، وإن أحد خلفاء بني العباس شهر الحرب على قيصر الروم ليأذن لأحد الرياضيين المشهورين للتدريس في بغداد ، وإن كان العلماء ورجال الفن والأدباء من جميع المال والنحل أخذوا يتقاطرون الى بغداد التي كانت مركز الثقافة العالمية كما أخذوا يتقاطرون الى عاصمة الأندلس قرطبة التي كانت مركزاً للعلوم والفنون والصناعة »^(٣) .

وكانت بغداد أثناء هذه النهضة كعبة العلم ، ومقصد العلماء ، ولما اضطربت أحوال الخلافة بعد زمن المأمون ، ونشأت الدولة الجديدة في مصر والأندلس ، تفرق العلماء وأصبح للعلم مراكز جديدة ، وهكذا أثمرت بذور العلم التي ألقتها خلفاء النهضة العباسية في جميع العالم الاسلامي . خراسان والري وأصبهان وأذربيجان وما وراء النهر ومصر والشام والأندلس وغيرها^(٤) . واقتدى

(١) الجاحظ : الحيوان ج ١ ص ٣٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤ .

(٣) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ١٧ .

(٤) محمد عبد الجواد الأصمعي : أبو الفرج الأصبهاني ص ٥٧ .

حكام هذه البلاد بخلفاء النهضة العباسية في ترغيب أهل العلم واستقدامهم إلى عواصمهم كالقاهرة وغيرها^(٥) . فكانت بغداد يومئذ أجمل مدن الأرض وفيها كل شيء جديد سواء كان ذلك في خططها ومرافقها أم في عقول أبنائها ونبوغ علمائها يحمل إليها من الآفاق بدائع ما صنع البشر وانتجت عقول ونباهيك بعاصمة مملكة بنى العباس ، فكانت سيدة الممالك ، ودرة البلدان ، وبها عرش أعظم خلفاء العباسيين هارون الرشيد وعبد الله المأمون . وكانت أعظم مدينة إسلامية حافلة بالعلماء والأدباء والمؤرخين واللغويين ، وازدهرت فيها المعارف والعلوم والآداب . وانبعثت ثمراتها في عهده ، وها هي ذى بقايا آثارهم العلمية والأدبية تحدتنا بما بلغوه من المكانة العليا في تحصيل المعارف والاجادة في كل انواع العلوم والآداب^(٦) .

ولا يزال أهل البحث والتنقيب عن المخطوطات في مكتبات العالم يكشفون لنا في كل يوم بما ينقلونه بالتصوير الشمسي من خفايا مؤلفاتهم ما يقضى منه العجب العجائب ، ويشهد بالأسبقية والرجحان . ولا غرو فقد كانت بغداد هي مهد الحضارة الإسلامية ، تلك الحضارة التي لا يزال أهل كل الأمم الراقية يذكرونها مقرونة بالعجائب والاحترام^(٧) . ومنها انتشرت المعارف والعلوم والآداب التي كان لها الأثر في ترقية المدارك وإنارة البصائر وتشهد بما كان لعلمائها من مجد عظيم ومقام كريم . وكانت بغداد منبع انعلوم ومنتدى الأدب في ذلك العصر الذهبي الذي كان زاهيا بالعلوم والفنون ، زاهرا بالأدب والمعارف^(٨) .

كما نافس أمويو الأندلس العباسيين في بغداد والفاطميين في المغرب . ومصر نافست قرطبة وبغداد والقاهرة وبخارى وغزنة وأصبهان وغيرها من أمهات المدن الإسلامية . وقد أصبحت قرطبة مركزا هاما للثقافة الأوروبية ، حتى أن الطلبة كانوا يفسدون إليها من جميع أنحاء أوروبا ليتلقوا العلم على أساتذتها الاعلام ولم يكن تشجيع العلم والعلماء مقصورا على الخلفاء والأمراء ونوى اليسار ، بل كان للوزراء أثر كبير في ذلك . فقد كان ابن أبي عمير الذي تولى الحجابة في عهد هشام المؤيد بن الحكم المستنصر محبا للعلوم والآداب ، مكرما للمشتغلين بها ، وكان يعقد

(٥) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ج ٣ ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٦) خطاب عطية على : (التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول) ، (القسم : الجزء ١٩٤٧ م)

ص ١٠٥ .

(٧) محمد عبد الجواد الأصمعي : أبو الفرج الأصبهاني ص ١٠٦ .

(٨) المرجع نفسه .

في كل أسبوع مجلسا بقرطبة يجتمع فيه العلماء والادباء للمناظرة بحضرته^(٩) . فأصبحت حاضرة الأندلس سوقا نافقة للعلم وكعبة لرجال الادب حتى جذبت مساجدها الأوروبيين الذين وفدوا اليها لارتشاف العلم من مناهله والتزود من الثقافة الاسلامية ، ومن ثم ظهرت فيها طائفة من العلماء والشعراء والادباء والفلاسفة والمترجمين والفقهائ وغيرهم — كانت قرطبة — كما يقول المقرئ — الغاية ومركز الراية وأم القرى وقرارة (مستقر أو مركز) أولى الفضل والتقى ، ووطن أولى العلم والفهي . وقلب الاقليم ، وينبوع متفجر العلوم ، وقبة الاسلام وحضرة الامام ودار صوب العمول^(١٠) .

فالأندلس وبغداد مركزان مهمان من مراكز الحضارة الانسانية امتازا بالتطور والازدهار في جميع ميادين العلم والمعرفة والفن والعمران كما امتازا بالمعاصرة — وتبادلا معظم وسائل الثقافة فتلاحمت الأفكار والخبرات والمعارف ، كان حصيلة ذلك كله التراث العظيم لبغداد والأندلس الذي يتغنى به القريب والبعيد ، وينهل من معنياه السامية كل طلاب العلم والمعرفة^(١١) .

وقد سادت بين الأندلس وبغداد علاقات نابغة من أصالة الروابط الاجتماعية والدينية والسياسية ، وكانت لتلك العلاقات نتائج ذات أثر واضح في تطور مختلف مظاهر الحياة الاسلامية بوجه خاص والتقدم الانساني بوجه عام . ولعل أبرز تلك الصلات هي العلاقات الثقافية ، وفي عهد ازدهار بغداد والأندلس والتطور الكبير الذي رافق مسيرة كل منهما انتقلت الكثير من عسوامل الحضارة في ميادينها المختلفة ، وقام العديد من الرواد العلماء والادباء والفنانين بزيارة المشرق والمغرب والأندلس وتمت عملية الامتزاج وانتقال التأثيرات الحضارية والتي كان لها دورها الايجابي في ربط وتعميق العلاقات بين الاخوة في المشرق والمغرب والأندلس ، وكان لذلك فعله الواضح في تعريف التراث بشكله الشامل لجميع العرب والمسلمين والعمل على حفظه من الضياع . وانتقلت كتب بغداد الى الأندلس في شتى مواضع العلم والمعرفة وأقبل على تناولها روادها وانكبوا عليها درسا ونقدا وتعليقا وانتقلت تلك

(٩) المراكشي ، محي الدين : (المعجب في تلخيص أخبار المغرب) . (مطبعة السعادة — القاهرة ١٣٢٤ هـ) ص ١٩ ، ٢٤ .

(١٠) المقرئ ، محمد بن محمد المقرئ التلمساني : (نفع الطبيب في غصن الأندلس الرطيب) حققه د. احسان عباس (دار صادر — بيروت ، لبنان ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م) ج ١ ص ٢١٨ .

(١١) د. حسين أمين (العلاقات الثقافية بين الأندلس وبغداد في العصر العباسي) مجلة المؤرخ العربي — بغداد العراق ع ٢٤ (١٩٨٤ م) ص ١١ .

التأليف من الأندلس العربية الإسلامية الى الامارات المسيحية في الشمال ومنهسا الى اوروبا^(١٢) .

وهكذا أصبحت الأندلس معبر الحضارة الانسانية والطريق الصالح لنقل تراث العرب والمسلمين انى أوروبا . وتعرفت أوروبا عن طريق العلاقات الثقافية بين الأندلس وبغداد على الكثير من المعارف والتجارب والمكتشفات العلمية مما سهل على الأوروبيين الكثير من الجهد والوقت وصارت آراء جابر بن حيان والرازي في جلب معارف وأعمال رجال العلم في أوروبا كما أصبحت كتب العرب والمسلمين هي الاولى للتدريس في جامعاتها .

كما وصل علماء رواد من المشرق الى المغرب والأندلس فكان هناك نخبة من العلماء الاجلاء ، قاموا بزيارة بغداد فكثرت وقتذاك ، كعبة القصاد ومنازة العلم ومتعة الدنيا ، تستقطب الناس على مختلف ألوانهم وأحوالهم لما وصلت اليه من التقدم والازدهار في كافة ميادين الثقافة والحضارة . ومن أبرز من زار حضرة العباسيين الأديب الحافظ محمد بن الوليد بن محمد الأندلسي المعروف بأبي بكر الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م ، دخل بغداد والبصرة وتفقه على أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي مدرس المدرسة النظامية . والمدرسة النظامية هي أم المدارس العراقية شيدها نظام الملك لتدريس فقه الشافعي والتي تعتبر من أشهر المدارس الإسلامية في العصر العباسي . وممن زار بغداد من الأندلسيين سليمان بن خلف التجيبي الأندلسي البادي وهو من شرق الأندلس ورحل الى بغداد وأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه ويقرأ الحديث ، ولقى بها سادة العلماء كأبي الطيب الطبري الفقيه الشافعي والشيخ أبي اسحاق الشيرازي صاحب المذهب ، وأول مدرسي المدرسة النظامية . ومن الذين دخلوا بغداد من أهل الأندلس أبو محمد عبد العزيز ابن أحمد القيسي الأندلسي من أهل العلم باللغة العربية فاقصّل بعلماء بغداد^(١٣) فاستفاد وافاد ، وتوفى هذا العالم سنة ٤٢٧ هـ/ ١٠٣٦ م .

كما زار بغداد رجل له شهرته الواسعة وهو معروف عند جميع المثقفين العرب والمسلمين صاحب الرحلة المشهور محمد بن أحمد بن جبير الكثاني الأندلسي فأخذ بطريقة التدريس المسبقة في المدرسة النظامية ووقف على حسن النظام

(١٢) المرجع نفسه ص ١١ ، ١٣٠ .

(١٣) المرجع نفسه ص ١٤ .

والتقدم التدريسي في تلك المدرسة العظيمة التي أدت دورها الكبير في خدمة التراث والحضارة الانسانية^(١٤) .

كما انشأ الحاكم بأمر الله جمعية علمية (أكاديمية) على مثال (الأكاديميات) الموجودة ببغداد وغيرها من البلاد واطلق عليها دار الحكمة . فالتحق بها عدد من القراء والفقهاء والمنجمين والنحاة واللغويين والأطباء ، وألحق بدار الحكمة مكتبة أطلق عليها دار العلم ، حوت ما لم يجتمع مثله في مكتبة من المكاتب . وأجرى هذا الخليفة ومن جاء بعده من الخلفاء على خدامها ومن بها من الفقهاء الأرزاق السنينة وجعل فيها ما يحتاج اليه المطالعون والنساخ من الحبر والأقلام والمحابر والسورق^(١٥) .

ذلك لأن دار الحكمة كانت جامعة حققة تضم عدة حلقات وكليات دينية وعلمية وأدبية ، وأفرنت للجامعة الجديدة دار كبيرة ملاصقة للقصر الصغير بجوار باب التباين تعرف بدار مختار الصقلي ، وقسمت الى عدة أقسام ومجالس للمقرآن والعنوم الدينية والفلك والطب والنحو وعلم اللغة ، وعين لها أقطاب الأساتذة في كل علم وفن ، فكان التعليم فيها حرا على نفقة الدولة ، فهرع اليها الطلاب من كل صوب ، ويصف المسبحى وهو معاصر وشاهد عيان ، ما اتخذ لإنشاء دار الحكمة من عظيم الأبهة والعناية ، ما اجتمع في مكتباتها العظيمة من نفائس المراجع والكتب « مما لم يجتمع مثله لأحد قط من الملوك »^(١٦) .

كانت دار الحكمة في ظاهرها جامعة حرة علنية يلتحق بها من يشاء ويدرس ما شاء من مختلف العلوم والفنون ، ولكن هذا المظهر العلمى لم يكن فى الواقع الا ستارا للغاية الأصلية التى انشئت دار الحكمة لتحقيقها وهى بث الدعوة الفاطمية السرية بطريقة علمية منظمة^(١٧) .

هذه الصبغة السياسية والمذهبية لا نجدها في بيت الحكمة ببغداد فهى

(١٤) المرجع نفسه ص ١٤ .

(١٥) المقرئى : الخطوط ١ ص ٤٥٨ ، ج ٢ ص ٣٤٢ .

(١٦) المقرئى : انما الحنفا ، المخطوط لوحة ٥٩ ب ، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة ..

مكتبة سراى أحمد باشا ، أسطنبول تحت رقم ٣٠١٣ .

(١٧) محمد عبد الله غنان : (الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية) (مؤسسة الخانجى -

القاهرة ١٢٧٩ هـ / ١٩٥٩ م) ص ٢٦٤ .

مؤسسة ثقافية عالية بل أكاديمية من أعظم الأكاديميات في عصرها ، تهدف الى نشر الحكمة والعلم والأدب ، كما أن الروح العلمية هي السائدة في الدار ، وحرية الكلام والمعتقدات مطلقة ، وتحكيم العقل والمنطق فوق كل اعتبار . بل انها اول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ، ولجأ اليها طلاب العلم والمعرفة ليحققوا أكبر زاد علمي حتى يخرجوا بثقافة مختلفة الاتجاه تشكل علوم الطب والفلسفة والحكمة^(١٨) ، وغيرها .

فكانت بيت الحكمة حجر الأساس لمدرسة بغداد التي ظل تأثيرها حتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر . ويرجع الفضل الى هذه المدرسة الزاهرة في الحفاظ على استمرارية الحضارة واصلاح سلسلة المعارف الانسانية التي حطمتها بقسوة في القرن السادس ، واضمحلال روما وسقوطها . ولو اقتصرتم حضارة الاسلام على مجرد انقاذ الحضارة القديمة والحفاظ عليها بعناية ثم نقلها للأجيال التالية لكانت هذه خدمة تجل عن الوصف ، ولكن لم يكن الامر كذلك فان علماء وفلاسفة مدرسة بغداد أضافوا وأثروا الحضارة القديمة باضافات مبتكرة في كل فروع العلم ، باكتشافات بلا عدد في الفنون التطبيقية وفوق كل ذلك باكتشاف طرق جديدة للبحث والاستكشاف^(١٩) .

ويشهد التاريخ لأمتنا بأنها حرصت منذ قامت دولتها الاسلامية الكبرى ، على أن تكون المكتبات العامة حارسة للمخطوطات ، ومدارس مفتوحة الأبواب لطلاب العلم ، ورصد لها من الجهود والأموال ما جعلها مقصد العلماء والطلاب في زمن لم يكن يعرف سوى الكتاب وسيلة لنشر المعرفة . وكان انشاء دور الكتب العامة من أقوى الشواهد على تقدير الدولة للتراث العلمي والأدبي ، ووعيتها بقيمة الكتاب وخطر رسالته^(٢٠) .

وبدأت الدولة الاسلامية تأخذ دورها القيادي للبشرية في الحضارة المادية والمعنوية فكانت نهضتها الفكرية والعلمية من دعائم هذه الحضارة . فكانت عنايتها باحياء تراثها وتشجيع دور الكتب تساهل هذه النهضة مؤثرة فيها ومتأثرة بها^(٢١) .

(١٨) د. أحمد شلبي : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٨٤ .

(١٩) حيدر بامات : اسهام المسلمين في الحضارة الانسانية ص ٨٠ .

(٢٠) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ١٧ .

(٢١) المرجع نفسه ص ١٨ .

وظل بيت الحكمة ببغداد ، وكان يدعى أيضا دار العلم مزارا للعلماء من انحاء الدولة الاسلامية الكبرى ومقصدا لطلاب العلم والمعرفة ، لمضى قرون خمسة تقريبا ، وكان علماء العربية والاسلام خارج العراق ، يجعلون رحلتهم الى بغداد واجبا عليا فيحججون الى بيت الحكمة ويطلعون على ما فيه من نفائس المخطوطات والافادة منها حتى لقيت مصرها الفاجع مع سقوط بغداد^(٢٢) على يد التتار سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

وقد نهضت بغداد بهذا العبء على خير وجه فلم تترك لقرطبة مجالا فيه ، فكان الاتجاه لنشر الثقافة العربية التي بلغت عز نضجها وواج يهضمتها^(٢٣) .

فكانت النهضة العلمية تسير عصور القوة للدول الثلاث ، فكانت بيت الحكمة في بغداد ومكتبة العزيز في القاهرة ، ومكتبة الزهراء في قرطبة عنوان هذه النهضة ورمزا معبرا عنها وآية من آيات عزها . كما كانت دور الكتب العامرة في المشرق ، ومن أشهرها مكتبة المدرسة النظامية وخزائن كتب النجف الأشرف وخزانة سيف الدولة في حلب والمدرسة النورية ومكتبة أبي الفدا في حماة والظاهرية في دمشق وبنى عمار في طرابلس^(٢٤) .

وفي المغرب الجامع الأعظم في القيروان ، وجامع الزيتونة في تونس ، وجامع القرويين في فاس ، والحكمة في مراکش ، والجامع الأعظم في مكناس . وكانت هذه اندور الثقافية وأمثالها مما لا يتسع المجال لاستيعابه ، تعطى تفسيرا تاريخيا لهذه النهضة التي حملت أمنا لواءها في العصر الوسيط^(٢٥) فقد انتجت الضرورة أو الحاجة للاختصاص ، ومن ثم وجدنا جامعات تمتاز دون غيرها بدراسات تجيده وتختص بها فيقصدها الطلاب للاستفادة منها كمسجد الكوفة والبصرة ، حيث ازدهرت العلوم اللغوية ونها النحو العربي وتكونت المدرستان المشهورتان في النحو : نحاة الكوفة ، وكان يغلب عليهم القياس ، ونحاة البصرة ويغلب عليهم السماع . وأثمر الاختلاف والنافس بين المدرستين أطيب الثمرات في رقى الفحو وبسطه وتحديد أهدافه ومقاصده^(٢٦) .

(٢٢) المرجع نفسه ص ٢١ .

(٢٣) المرجع نفسه ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٢٤) المرجع نفسه ص ٢٨ .

(٢٥) فيليب دي طرازي : خزائن الكتب العربية في الخافقين ج ١ ص ١٥ .

(٢٦) د. عمر اللومي الشيباني : فلسفة التربية الاسلامية ص ٣٤٩ .

ان العالم لم يشهد قبل المسلمين امة مثلهم ، اخلصت في طلب العلم وجدت فيه وبذلت الجهد والوقت والمال - وبلغت فيه الغايات التي بلغوها ، وكشفت الحقائق التي كشفوها(٢٧) : وكان نتيجة المنهج الواسع والعلوم الكثيرة التي كان يمكن لطلاب العلم في الوطن الاسلامي ان يدرسها ويجد من يوجهه فيها من العلماء والمتخصصين فازدهرت الحركة العلمية ، واتسعت العلوم وكثر العلماء المبرزون في كل فرع من فروع المعرفة وفي جميع العلوم والفنون بل في جميع العلوم الأخرى بما في ذلك العلوم الرياضية والطبيعية(٢٨) .

وفي القرن الثالث الهجري اشتهرت مدينة بغداد بالدراسات الفلسفية نتيجة لتتبع الخلفاء لهذا النوع من الدراسات ورعايتهم للترجمة والمشتغلين بها كالرشيد والمأمون . بينما اشتهرت جامعة الفسطاط في ذلك العهد بالدراسات الفقهية الشافعية لانها الامام الشافعي بها ووجود تلاميذ فيها حتى اصبحت مقصدا لطلاب الراغبين في الفقه الشافعي(٢٩) . كما اشتهرت جامعات المغرب بالعناية بالحديث وانفقته وتقصيرها في العلوم النظرية من الفلسفة وفروعها(٣٠) .

وهكذا لو تتبعنا بقية الجامعات الاسلامية القديمة لوجدنا ان درجة تركيزها في مختلف العلوم تختلف من قطر الى قطر ، وأحيانا من جامعة الى أخرى حتى في القطر الواحد . ولكن الذي لا مريّة فيه أن جميع العلوم النافعة كان لها وجود في الجامعات الاسلامية اذا أخذت كل(٣١) .

ومما كان يساعد على الرحلات والأسفار العلمية وحدة الوطن الاسلامي ، وانفتاح أجزائها بعضها على بعض وعدم وجود الحدود المصطنعة بين أجزائها والرعاية الكريمة التي كان يلقيها طلاب العلم وسهولة الالتحاق بالجامعات الاسلامية وبساطة الطريقة التي يتلقى العلم بها ، فحسب الطالب في العصور الوسطى أن توجد لديه الرغبة الحافزة والأستاذ المطلوب فيقصد مجلسه ، وسرعان ما يصبح ضمن طلابه وأصحابه ثم يظل هكذا معه حتى اذا قضى وطره رحل عنه الى غيره ، سواء كان الأستاذ الجديد في بلده أم في البلاد الأخرى(٣٢) .

(٢٧) د. عبد الوهاب عزلم : الاسلام والعلم في الاسلام ، اليوم وغدا ص ١٢٩ ، ١٥٩ .

(٢٨) د. عمر التومي الشيباني : فلسفة التربية الاسلامية ص ٣٩٦ .

(٢٩) د. عمر التومي الشيباني : فلسفة التربية الاسلامية ص ٣٩٤ .

(٣٠) محمد عبد الرحيم غنيم : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ص ١٦١ ، ١٧٥ .

(٣١) المرجع نفسه ص ١٧٥ .

(٣٢) المرجع نفسه ص ٢٠٨ .

لقد تركت الرحلة في العالم الاسلامى آثارا طيبة كثيرة ، وكانت ينبعا غنيا بالخير والنشاط الدائم ، وسبيلنا ناهما الى تحقيق التبادل الثقافى والتعاون الفكرى بين جامعات الاسلام وبلدانه (٣٣) وقد بين العلامة ابن خلدون مزاياها وفضلها على العلم والتعليم بقوله : « ان الرحلة فى طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال فى التعليم . والسبب فى ذلك ان البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون من المذاهب والفضائل ، تارة علما وتعلما والقضاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة ، إلا ان حصول الملكات عن المباشرة والتلقين اشد استحكما وأقوى رسوخا . فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها . - (الى ان قال) : فالرحلة لابد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال ، والله يهتدى من يشاء الى صراط مستقيم » (٣٤) .

فبالغالب يرجع اليهم الفضل فى نمو مدرسة القيروان وازدهارها . والمؤرخون يذكرون كيف أنشأوا بمساجد القيروان حلقات التدريس كما أنشأوا مدارس جامعة أطلقوا عليها اسم « دور الحكمة » وجلبوا لها الأساتذة من الشرق ، فكانت هذه المدارس وما اقترن به أنشأؤها من انصراف القائلين عليها للدرس والبحث عاملا هاما فى رفع شأن لغة العرب وثقافتهم (٣٥) .

وتاريخ المساجد انجاعة يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ التفكير الاسلامى ، ولا يمكن لمؤرخ الفكر ان ينسى ذلك الدور العظيم الذى أدته المساجد الجامعة فى نشر العلوم والثقافة وفى المساهمة فى تكوين الحضارة الاسلامية (٣٦) .

ذلك ان المسجد الجامع كان فى نفس الوقت هو الجامعة الاسلامية . وقد بدأت المساجد الجامعة فى مختلف حواضر العالم الاسلامى فى تأدية هذه المهمة العلمية الجليلة فى عصر مبكر ، وكان اضطلاعها بها فى البداية من الأمور الطبيعية التى تتفق مع روح الثقافة الاسلامية الأولى ، وهى ثقافة كان يغلب عليها الطابع الدينى الاسلامى (٣٧) .

(٣٣) المرجع نفسه ص ٢١٧ .

(٣٤) ابن خلدون : المقدمة ج ٤ ص ١٣٦٥ .

(٣٥) د. حسن احمد محيود : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٣٦) د. عز الدين فراج : (فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية) (دار الفكر العربى

- القاهرة) ص ١٢٢ .

(٣٧) المرجع نفسه .

واستحوالت المساجد الجامعة في أنحاء العواصم الإسلامية الكبرى الى نوع من الجامعات الدينية والمدنية معا ، تدرس فيها الى جانب علوم القرآن والسنة ، علوم اللغة والأدب وما إليها . وهكذا رسخت صفة المساجد الجامعية بمضى الزمن ، ولم يكن مكانا للصلاة فقط ولكنه غدا في نفس الوقت مدرسة أو جامعة يجتمع فيها مختلف العلماء أو يقصدها الطلاب في غير أوقات الصلاة للدرس والقراءة على أيدي أولئك الأساتذة وقد كانوا على الأغلب أقطاب عصرهم في العلم والدين^(٣٨) .

وقد قام الجامع الأزهر بمهمته الجامعية منذ أواخر القرن الرابع الهجري ، وما زال الى يومنا ، بعد ألف عام ، قائما بها ، ينشر من العلوم الإسلامية ما هو كثير وعظيم ، والجامع الأزهر لبث مدى قرون طويلة كأعظم الجامعات الإسلامية ، فقد تخرجت فيه أجيال متعاقبة من أقطاب العلماء من سائر أنحاء العالم الإسلامي . وقد ترك في تاريخ الآداب العربية والعلوم الإسلامية أعظم الآثار فضلا عن أنه مسجد من أعظم المساجد الإسلامية^(٣٩) .

أما في الأندلس فقد كانت المساجد الجامعة ، منذ قيامها ، على ما كانت عليه في المشرق ، مراكز لدراسة العلوم الدينية واللغوية ، بيد أنها ما لبثت أن استحوالت بسرعة الى جامعات علمية حقة ، يغلب عليها الطابع المدني المتحرر ، ومنذ أوائل القرن الرابع الهجري نرى جوامع الأندلس تبدو في صفتها الجامعية الواضحة وتجذب اليها الطلاب ، ليس فقط في سائر أنحاء شبه الجزيرة الأيبانية والمغرب ، بل ومن سائر أنحاء الأمم الأوروبية ، ومنهم كثير من الطلاب المسيحيين الذين كانوا يرون مثلهم الأعلى في الدراسات الأندلسية^(٤٠) ، والتي كانت يومئذ تتفوق في مناهجها وموادها على دراسات الأديرة ، وهي يومئذ مركز العلوم والدراسات الأدبية . وقد كان من هؤلاء الطلاب أعلام مثل الراهب « جويبر » الذي درس في معاهد قرطبة وأشبيلية أيام المنصور بن أبي عامر وتولى البابوية فيما بعد باسم سلفستر الثاني^(٤١) .

وكان جامع قرطبة حاضرة الأندلس يومئذ تدرس فيه سائر العلوم الدينية والمدنية ، التي كانت معروفة وقتئذ ، ومنها طائفة من العلوم المحضة ، كالطب والرياضة

(٣٨) المرجع نفسه ص ١٢٣ .

(٣٩) المرجع نفسه ص ١٢٣ .

(٤٠) المرجع نفسه ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٤١) المرجع نفسه ص ١٢٤ .

والطبيعة والفلك ، وهى علوم بلغت يومئذ بالاندلس ذروة التقدم . وكانت تجذب
أنظار الهيئات العلمية الأوروبية بازدهارها وتفوقها^(٤٢) .

وبجانب جامع قرطبة طائفة أخرى من المساجد الجامعة فى أشبيلية وطليطلة
وبلنسية وسرقسطة وغيرها من قواعد الأندلس ، تؤدى نفس المهمة الجامعية
والثقافية الجنية ، وكلها تزحم بالطلاب من سائر أنحاء شبه الجزيرة وأنحاء
البلدان الأوروبية المختلفة^(٤٣) ولا أحسب التاريخ يعى تعاون الأمم على العلم
والتعليم ، والتمحيص والتحقيق كما تعاونت الأمم التى جمعتها أخوة الاسلام ؛
والفتت بينها عقائده وشرائعه وعدالته ومرحمته ودعوته الى العلم والعمل .

وهكذا ظلت بيت الحكمة قائمة تشيع الحكمة والمعرفة مشرقا يتلألا ومغربا
من معالم الحضارة الباقية تؤثر وتتأثر فى المدارس الاسلامية والجامعات الاسلامية
فى العالم^(٤٤) .

فالتاريخ هو رقيب الحياة يسجل الأحداث ، ويحفظها لمن يطلع عليها .
ليقرأ فى ضوئها الماضى ، ويستمد منها العظة للحاضر ويخطط فى هديها المستقبل .

(٤٢) المرجع نفسه ص ١٢٤ .

(٤٣) المرجع نفسه ص ١٢٤ .

(٤٤) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٢٧٤ .

ثانيا - بعث روح اليقظة الاسلامية الكبرى لمثلاتها في العصور الوسطى :

ازدانت بغداد ببيت الحكمة التي اكسبتها مجدا وعزا ، وجذبت اليها العلماء والطلاب من مختلف اقطار العالم الاسلامي الكبير ، وقد كان الأمراء والخلفاء يشجعون العلم والعلماء ، ويجمعونهم من الأقطار ويغدقون عليهم العطايا والهبات مما كان له الأثر في اقبال العلماء على الدرس والتحصيل وتشجيعهم على التأليف والابتكار^(٤٥) .

ويتحدث المؤرخون في اعجاب واكبار عن الخليفة المأمون الذي جمع حوله جبهة كبيرة من العلماء ارتفع بهم بلاطه وزين ملكه ، والذي بلغ بيت الحكمة في عهده الذروة . كما يتحدثون عن الحاكم بأمر الله الذي كان يحضر مجالس العلم والذي أنشأ دار الحكمة بالقاهرة ونقل اليها من قصره من الكتب ما لم ير مجتمع قط لأحد من الملوك والأمراء والذي أوقف أوقافا سخية على الأزهر ودار الحكمة ودور العلم^(٤٦) . وهكذا حرص الفاطميون على أن تزدان القاهرة بمكتبة تضارع بيت الحكمة عظمة وشهرة .

وظل المأمون ينهض بأمته ويعمل على رفعة شأنها ، وينشر العلم في انحاءها . حتى وصل بها الى أسى الغايات وأعطى أعلى مكان^(٤٧) كما كان مثالا في سائر اسباب النهضة العلمية ، فاقصى به بنو أمية في الأندلس وتشبه به الحكم بن الناصر انذى تولى الخلافة (٣٥٠ هـ وتوفي ٣٣٦ هـ) اذ كان معجبا بالعلوم مكرما لأهلها جماعا للكتب بأنواعها ، فأنشأ في قرطبة مكتبة جمع اليها الكتب من أنحاء العالم فكان يبعث في شرائها رجالا من التجار ومعهم الأموال ويحرصهم على البذل في سبيلها لينافس بنو العباس في اقتناء الكتب وتعريبها^(٤٨) .

فاجتمع له من الكتب ما لم يسبق له مثل في الاسلام فجعلوها في قاعات خاصة من قصر قرطبة ، واقاموا عليها مديرا ومشرفا ووضعوا لها الفهارس لكل موضوع على حدة واقتدى بالحكم بن الناصر رجال دولته وعظماء مملكته وأنشأ المكاتب في سائر بلاد الأندلس حتى قالوا ان غرناطة وحدها كان فيها سبعون

(٤٥) زكريا عاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٦٧ .

(٤٦) المرجع نفسه ص ٢٧٣ .

(٤٧) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٤٧ .

(٤٨) المنزى : نفح للطيب ج ١ ص ١٨٦ .

مكتبة من المكتبات العامة وأصبح صاحب الكتب في الأندلس صفة في أهلها ، وأصبح اقتناؤها من شارات الوجاهة والرقى عندهم^(٤٩) .

وفي عهد الحكم الثالث وهو ابن عبد الرحمن الثالث الذي كان مثل أبيه عظيم الشغف بجمع العلوم ونشرها ، وصل عدد الكتب الموجودة في مكتبة قرطبة نحو نصف مليون كتاب ووضع لها فهرسا مكونا من أربعة وأربعين كتابا بكل منها خمسون صفحة وأرسل مثل أبيه في طلب العلماء والكتب من جميع مراكز العلوم في اليونان وبيزنطة ومراكز الحضارات الثقافية في البلاد العربية بشراء أحدث المؤلفات^(٥٠) . وكان لا يبخل في دفع ثمنها مهما كان باهظا حتى قيل ان النسخ الأصلية من المؤلفات كانت تظهر في مكتبة قرطبة قبل أن تظهر النسخ الأخرى منها في بلاد الشرق العربي . وكانت هذه المكتبة تفوق في عظمتها مكتبات القاهرة وبغداد والإسكندرية لما كانت تحويه من الكتب النادرة وبلغ من حرص الحكم في اقتنائه للكتاب أنه كان يعمل جهده في أن يظهر الكتاب الحديث في مكتبة قرطبة قبل أن يظهر في موطن مؤلفه ، لقد تراسى إلى مسامعه أن أبا الفرج الأصفهاني — عالم العراق — ألف كتابا يسمى الأغاني فبعث لهذا الكتاب ، فيبهر المؤلف ، ويؤخذ لكرم الخليفة القرطبي وسخائه في عطيته ، ثم يسرع فيرسل إليه الكتاب مصحوبا بقصيدة يطرب فيها الخليفة الأموي والبيت الأموي^(٥١) وهكذا نافست قرطبة في عظمتها القيروان وبغداد والقاهرة وبخارى ودمشق وأصبحت قبلة الشعراء والكتاب والفنانين والعلماء حتى أن قرطبة لم تكن في عهد من عهودها أغنى وأكثر ازدهارا في أي وقت كانت عليه في عهد الناصر^(٥٢) .

واللافت للنظر حقا أن تأسيس مكتبة الزهراء بقرطبة ، يكاد يعاصر مكتبة العزيز بالله في القاهرة فقد ولي المنتصر بالله الخلافة الأموية بالأندلس من سنة ٣٥٠ هـ / ٣٦٦ هـ وهو العام التالي لخلافة العزيز الفاطمي بمصر . وكما عند المؤرخون عهد الرشيد وابنه المأمون عصر القوة في الدولة العباسية ، عدوا كذلك عهد المعز لدين الله وابنه العزيز بالله عصر الازدهار للدولة الفاطمية ، وعهد الناصر وولده المنتصر ، العصر الذهبي لدولة العرب والإسلام بالأندلس . وهاهنا وهناك كانت النهضة العلمية تسير عصر القوة للدول الثلاث : الدولة العباسية

(٤٩) المصدر نفسه ص ١٨٧ .

(٥٠) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٣١٨ .

(٥١) المصدر نفسه ج ١ ص ١٨٠ .

(٥٢) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الإسلامية العربية على العالم ٣٦٤ .

والفاطمية والأموية . فكان بيت الحكمة في بغداد ومكتبة العزيز في القاهرة ومكتبة الزهراء في قرطبة عنوان هذه النهضة ورمزا معبرا عنها وآية من آيات عزها (٥٢) .

وكانت جامعة قرطبة ومكتبتها مراكز للعلوم والترجمة من اليونانية والهندية وغيرهما من الكتب القديمة الى اللغة العربية ، ومن تلك الذخائر الثمينة مؤلفات ديستوريدس التي كان قد ترجمها من قبل حنين بن اسحاق في عصر بني العباس في بغداد وترجمها « نيلولا » اليوناني من اليونانية الى اللاتينية ، فكانت هذه الترجمة تقارن بترجمة جنين بن اسحاق وان جاءت شروح نيلولا اضبط لأنواع النباتات ، ووصفها ، والبلاد التي تزرع فيها وفوائدها الطبية (٥٤) .

ونشطت حركة الترجمة في عهد المنتصر بالله كما نشطت في عصر الرشيد والمأمون بالشرق ، مع فرق واضح قضت به طبيعة الظروف وتفاوت الأوضاع : ففي بغداد اتجهت الترجمة الى النقل عن اللغات القديمة غير العربية ، اما في قرطبة فكان النقل عن اللغة العربية الى اللغات الأجنبية وبخاصة اللغتين الأسبانية واللاتينية . وكما كان المتعربون في المشرق يجيدون لغاتهم الأولى وكثرتها شرقية ، كان كثير من أهل الأندلس يتقنون الأسبانية واللاتينية . ونضيف الى هذا الفارق بين البيئتين ، أن المكتبة العربية الأولى في بغداد ، اهتمت بالانتفاع بتراث الفكر القديم ، لتغذي الفكر الاسلامي ، بروافد سخية من ماضي المعرفة ، اما في الأندلس ، وقد نهضت بغداد بهذا العبء على خير وجه فلم تترك لقرطبة مجالا فيه ، فكان الاتجاه الى نشر الثقافة العربية التي بلغت عزم نضجها وأوج نهضتها (٥٥) .

والذي يعرف التاريخ يجد فيه فضل المأمون على النهضة الفكرية في شدة ازدهارها ورفع قواعدها ، ففي عهده ازدهرت العلوم ونشطت الترجمة ، وأقبل الناس على المعرفة يلتمسونها في آثار السريان واليونان وسسواهم من الأوائل ، ويبدو من أسباب ذلك الانتعاش الذي أصاب الحياة الفكرية أن المأمون نفسه كان يسهم فيه بحظ غير قليل فيمارس اكتساب المعرفة بطرق علمية تجريبية غير مكتف بما يقرأ وما يسمع وغير قانع بما يحصل عليه من تلك الطرق (٥٦) .

(٥٣) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٢٨ .

(٥٤) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٦٨ .

(٥٥) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٥٦) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٧٢ ، ٢٧٢ .

وعناش العلماء العرب عصرا ذهبيا انعكس على آلاف الكتب التى وضعوها فى مختلف العلوم وشتى الموضوعات ، تضمنت نظريات جديدة وآراء مبتكرة وإبحاشا قيمة ، وأفكارا فريدة ، ولقى العلماء كل تكريم من الخلفاء والحكام ففتحوا لهم الأبواب واغدقوا عليهم العطاء وزللو لهم الصعاب ، وكانوا يجلسون اليهم دائما ، وضرب المأمون العباسى مثلا أعلى فى ذلك فكان يخلو بالحكماء ويانسى بمنابرتهم ويلتذ بمذاكرتهم ويعتبرهم صفوة الله فى أرضه ونخبة عبادہ مما جعل للعلماء مركزهم ومنزلتهم الرفيعة فى الدولة الإسلامية فى أوج مجدها وعظمتها ، وبالتالى مما نجعهم على العمل والدرس والكتابة فتعدد انتاجهم وازدهرت الحضارة بفضلهم (٥٧) .

فالمأمون كما يصفه HUGHES (٥٨) أزهر فترة فى تاريخ النهضة بالعالم الإسلامى ، اذ كان الخليفة نفسه عالما من أساطين العلماء ، واختار أصحابه ورجال دولته من الصفوة الأفاضل فى الشرق والغرب ، هذا الى جانب الاساتذة والمستشارين والمترجمين والمفكرين الذين حلى بهم بلاطه وزين ملكه . ومن هنا تعددت مراكز البحث فى العواصم العربية حتى أصبحت بغداد والبصرة والكوفة ودمشق والقاهرة وقرطبة بمثابة مشاعل متوهجة ترسل أنوارها للعالم كله ومقصدا للعلماء والباحثين يجتنبهم نورها من كل سوب .

ولا شك أن انتشار المكتبات العامة فى أرجاء العالم الإسلامى فى العصور الوسطى قد بعث روح اليقظة الإسلامية الكبرى لمثيلاتها فى العصور الوسطى باتباعها هذه الأنظمة ، وفتح أبوابها لكل قارئ ، وتسخير كل هذه الإمكانيات لخدمته ، دليل ناطق على تقدم العرب الفكرى والعلمى ، ومدعاة للفخر ، ويسجل أجيالهم ولتاريخهم بمداد من نور (٥٩) .

(٥٧) محمد ابراهيم الصيحي : العلوم عند العرب ص ٨ .

(٥٨) HUGHES : Dictionary of Islam, p. 295, 196, London, 1885.

(٥٩) محمد ابراهيم الصيحي : العلوم عند العرب ص ٨١ .

ثالثا — انقاذ التراث المالى من الفناء بجلب كنوز المعرفة من انحاء العالم :

اما فى العصر العباسى فاصبحت الدبلوماسية وسيلة لتبادل العلاقات الودية بين الدول وغيرها ، وتقسم فن الدبلوماسية ، فأصبح التمثيل السياسى بين الخلفاء وابطاطرة الروم ذا طابع يجعل نطاق العلاقات الدولية متعددة الأغراض بين السفارات حتى تعدت السفارات بين الدول الاسلامية والقسطنطينية ودولة الفرنجة والهند والحسين^(٦٠) .

كان السفراء العرب يختارون على أسس غاية فى الدقة لا تختلف كثيرا عن النظم التى تتبع الآن . كان الخلفاء يقومون بأنفسهم باختيار المرشحين للسفارة بعد أن ينتهى رجال الدولة من بحوثهم ودراساتهم عن أولئك المرشحين . وكان رئيس ديوان الرسائل يتولى التمهيد لاختيارهم واعداد الكتب التى يحملونها . واهتمت مصر ولا سيما فى العهد الفاطمى بهذا الذى عرف باسم « ديوان الانشاء »^(٦١) وصار يقوم بالمهام التى تقوم بها وزارة الخارجية فى العصر الحديث . وحرص الخلفاء بالرغم من هذه الادارات الدقيقة على أن يتولوا هم أنفسهم اختيار السفراء ، فكان يتصف من يقع عليه الاختيار بالذكاء ونفاذ الرأى وحصافة العقل وسعة الثقافة ، تجعله يستنبط غوامض الأمور ، ويستشف سرائر القلوب ، ويجب أن يكون فصيحاً ليعجب السامع بحديثه ويسحره بحلاوة لسانه ، ثم ليكون كلامه ممتعاً أنيقاً يوصل الى الهدف المطلوب^(٦٢) .

وقد اختير كثير من القضاة والفقهاء والمتصوفين لأعمال السفارات كما انتخب من موظفى الدولة كالوزراء والكتاب والأطباء من يصلح لمهام الوفادة^(٦٣) . وقد امتد نشاط السفراء العرب الى غربى أوروبا حين ولى شارلمان شئون دولة الفرنجة وبعث بسفارة الى الخليفة هارون الرشيد لعقد تحالف معه^(٦٤) .

واستدعى هارون الرشيد احداً خاصته وعهد اليه . وقال له : اتانا من ملك

(٦٠) المفردى : نفع الخليب ج ١ ص ١٦٣ .

(٦١) المقرمى : الخط ج ٢ ص ١٠٧ .

(٦٢) د . عز الدين قراح : فصل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٤٩ .

(٦٣) المرجع نفسه ص ١٥٠ .

(٦٤) د . ابراهيم السحوى : (السفراء العرب الى أوروبا فى العصور الوسطى) (دار المعارف

مصر - القاهرة ١٩٥٧ م) ص ٧٥ .

الفرنجية . رسول يقرئنا منه السلام ، ويلتمس جميع رعايتنا بمن يحج الى بيت المقدس ، فرأينا أن نوجهك بهدايا تطلب اليه أن يتقبلها في سبيل المودة . وكان الخلفاء وابطارة الروم يتبادلون السفارات الخاصة لدراسة الكتب النادرة واستقدام كبار العلماء للاسهام في الحركة العلمية أو لتسهيل مهمة بعض الطلاب لتلقى العلم في الجامعات الكبرى في عواصم دول العرب والروم ، ولا سيما اذا كانت تتعلق بأمور تنفيذ الناحية الحربية^(٦٥) ولم تقصد السفارات الثقافية الى طلب الكتب النادرة وغيرها فحسب وإنما امتدت الى دراسة الأماكن التاريخية التي تتعلق بأحداث العرب أو بما ورد ذكره في القرآن الكريم — ومن أشباه هذه الاتصالات العلمية — تلك السفارة التي أرسلها الخليفة الواثق الى افسوس بأسيا الصغرى . وكانت تابعة لدولة الروم لتزور الكهف الذي آوى اليه من فروا بدينهم في عهد الامبراطور دقلديانوس ، ومنح امبراطور الروم ميخائيل الثالث تلك السفارة العربية ادنا بهذه الزيارة^(٦٦) .

وكان عندما يتم تجهيز بعثة السفير وتتهيأ لمغادرة البلاد الاسلامية يزود السفير وهو رئيس البعثة بخطاب اعتماد يحرره ديوان الرسائل باسم الدولة الاسلامية مخاطبا رئيس الدولة الموفد اليها السفير مبينا اسم السفير وأعضاء البعثة مع بيان القاصد^(٦٧) .

وقد أدرك الخلفاء العباسيون بثاقب بصيرتهم أن الثقافة من أهم العوامل التي ترتكز عليها النهضة الصحيحة ، ومن أمتن الأسس التي تشيد عليها صروح المجد والسؤدد ، ومن أقوى مقومات الشخصية الدولية أن الاسلام قد جعل العلم فريضة على كل مسلم وأوصاهم بطنبه من المهد الى اللحد وحثهم على السعى وراءه أينما كان ومن أى وعاء خرج^(٦٨) . لذلك فقد خرج الخلفاء من الاطار الدينى المحدود ، وراحوا يولون العلوم الدخيلة كل عنايتهم ، مستمدين اياها من أربعة مصادر رئيسية : الهندية ، الفارسية ، اليونانية ، السريانية ، وذلك عن طريق نقل ثقافات هذه الأقوام الى لسانهم^(٦٩) .

(٦٥) د. عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٥٠ .

(٦٦) المرجع نفسه ص ١٥٠ .

(٦٧) المرجع نفسه ص ١٥٠ .

(٦٨) زكريا: هاشم. زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٩٩ .

(٦٩) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٣٠٠ .

لكن تنظيم هذه الصفات الثقافية تم على أكمل وجه في عهد المأمون حكيم بنى العباس الذى سخر كل الامكانيات وطرق كل السبل ليعثر على الكنوز الفكرية الحبيسة في مكتبات القسطنطينية او قبرص . ولما احتل هارون الرشيد مدينتي عمورية وأنقرة امر بالمحافظة على مكاتبها وانتدب العلماء والتراجمه من بغداد لاختيار الكتب القيمة منها ، والتي يندر وجودها عند غيرهم من الأمم ، فاختاروا الكتب النفيسة النادرة في الطب والفلسفة والفلك ، ونقلوها الى بغداد ، وولى هارون الرشيد امر هذه الكتب الى يوحنا بن ماسويه اكبر اطباء عصره وجعل له من يساعده بترجمتها (٧٠) .

كما كان المأمون شغوفاً بعلوم الحكمة ، وجه همه الى توسيع دوائرها المختلفة ، فأرسل في طلب كتبها من مختلف الأقطار ، واجتمع لديه عدد كبير منها . واختار لها المترجمين من اللغات المختلفة : اليونانية ، السريانية ، النمرسية والهندية والحبشية ، فتوسيع بيت الحكمة وازداد عدد كتبه بما يضاف اليه من الكتب المختلفة التي يؤتى بها من آسيا الصغرى والقسطنطينية وجزيرة قبرص ، وما كان يجمعه السريان من كتائبهم وأديرتهم في الشام وبلاد الجزيرة فعهد بأمر هذه الكتب الى اجل العلماء وأصحهم (٧١) .

روى ابن النديم ان المأمون كان على اتصال بالامبراطور ليو الارمنى وقد استظهر عليه المأمون فكتب الى ملك الروم يسأله الاذن في انتفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم فأجاب الى ذلك ، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلم صاحب بيت الحكمة ، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه اليه أوصاهم بنقله فنقل . وقد قيل ان يوحنا بن ماسويه ممن نفذ الى بلد الروم . قال محمد بن اسحاق : ممن عنى باخراج الكتب من بلد الروم أبناء موسى بن شاكر المنجم الذين أرسلوا في طلب المخطوطات وأجزلوا العطاء لمن يقوم بترجمتها من أمثال حنين بن اسحاق وثابت بن قرة فجاءوا بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والطب ، وكان قسطا بن لوقا قد حمل معه شيئاً فنقله (٧٢) .

(٧٠) ابن القفطي . اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤٩ .

(٧١) المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ٤٨ .

(٧٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

ويبدو ان بعثات الكشف عن كنوز الكتب لم تترك مكانا اينعت فيه الثقافة الهيلينية الا وذهبت اليه . وكانت هذه الصفقات يذكيها شغف المأمون الغريب بالفكر الاغريقي هذا الشغف الذي كان يشغله حتى في نومه فأخذ يسمى بثنى الطرق للحصول على كتب الحكمة المختلفة ، فكان يرسل العلماء واهل الراى إلى بلاد الروم وغيرها لكي يفتشوا عن الكتب النادرة ، ويرغبوا اصحابها ببيعها ، فجمعوا منها كل نفيس ونادر (٧٣) . وممن دخل بلاد الروم لتحصيل الكتب في الفلك والنجوم للخليفة المأمون هو يحيى بن أبى منصور المنجم المأمونى ، وهذا أحد علماء بيت الحكمة ، فتوغل في بلاد الروم ، وجمع نفائس الكتب التى تبحث في ذلك (٧٤) .

وسافر قسطنطين لوقا البعلبكي الى بلاد الروم ، وحصل الكثير من تصانيفهم ، وعاد الى الشام ثم استدمى الى بغداد ، ليترجم الكتب من اليونانية الى العربية ، ويذكر ابن النديم : انه كان يقدم على حنين لفضله ونبله ، وتقدمه في صناعة الطب ، وكان بارعا في علوم كثيرة منها : الطب والفلسفة والاعداد والموسيقى فصيحاً باللغة اليونانية جيد العبارة بالعربية ، لذا عهد اليه بترجمة كتب عديدة ، فكان من التراجمة المعدودين الذين يعول عليهم (٧٥) .

ودخل بلاد الروم حنين بن اسحاق العبادى وجد في تحصيل كتب الحكمة ، وبذل غاية امكانه في ذلك ، كما انه اغتتم فرصة وجوده في بلادهم فتعلم اليونانية واحكمها ، وعاد الى بغداد ومعه تحف نادرة من كتب الحكمة ولازم بنى موسى بن شاكور ورغبوه في نقل الكتب الى العربية ، وكان حنين أحد أعظم العلماء الذين خدموا بيت الحكمة بما نقله اليها والفه فيها (٧٦) .

وصارت بغداد قبلة العالم الاسلامى في العلوم والمعارف اجتمع فيها علماء اعلام خدموا التراث الانسانى اجل خدمة بما ترجموه من الكتب النفيسة . وما الفوه من العلوم المختلفة ، وما أبدوه من آراء ونظريات .

ان حركة الترجمة التى قام بها العرب ، بعد اتصالهم بغيرهم من الأمم

(٧٣) صاعد الاندلسى : طبقات الأمم ص ٦٧ .

(٧٤) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٠ ، ٣٨٤ .

(٧٥) المصدر نفسه ص ٤١٠ ، ٤١١ .

(٧٦) ابن التقي : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٧٣ ، ٢٤٠ .

اطلعتهم على علوم ومعارف لم تكن معلومة عندهم ، ومما وجدوه من المؤسسات الثقافية في البلاد التي فتحوها أو التي اتصلوا بها هي « دور الحكمة » أو « دور انعلم » فوجدوا في الاسكندرية « دار علم » (٧٧) ، استعان العرب بعلمائها في ترجمة وشرح كتب الحكمة ، وكان في اخمين (٧٨) من بلاد مصر — دار حكمة — لا تقل أهمية عن علم الاسكندرية ، وفي الأندلس « بيت الحكمة » حوت نفسائس الكتب والمصورات ، وكان في بلاد الروم وقبرص دور حكمة (٧٩) .

فاجتمع في بيت الحكمة ببغداد نخبة ممتازة من العلماء والاطباء والفلكيين واصحاب الصناعات والحيل ، وترجموا مختلف الكتب التي تبحث في شتى العلوم والفنون والمعارف والصناعات ، وبلغ بيت الحكمة منتهى التقدم في عهد المأمون (٨٠) .

وهكذا كانت أهم وجوه النشاط العلمي في العالم تجرى في بيت الحكمة في بغداد من اجل انقاذ التراث العالمى من الفناء بجلب كنوز المعرفة من أنحاء العالم (٨١) . ومما ساعد على ذلك ان انتقل الى لغة العرب تراث الأمم القديمة المتحضرة من مصرية ويونانية وهندية وفارسية ، وانصببت هذه الروافد كلها في التراث العربى وتفاعلت معه في ضوء خبرات العرب الحسية ، وتأملاتهم العقلية ، وكان من هذا ذلك التراث العلمى الذى يحفل بمظاهر الاصالة والابتكار . وكان يقوم بالترجمة في العادة مجموعة من المترجمين يشرف على كل منها رئيس يراجع أعمالهم ويصحح أخطاءهم ويقف وراء حركتهم الخلفاء والأمراء من محبى العلم يمدونهم بالمال ، ويتعهدون أهلها بالتشجيع (٨٢) .

ويرجع هذا الى حرص الخلفاء والأمراء على اجتذاب العلماء من كل الملل الى بلاطهم وأجزلوا لهم العطاء وتولواهم بالرعاية والتقدير وتكريما للعلم وأهله احتل المسلمون وغير المسلمين منهم مكانا مرموقا في الدولة العربية الاسلامية (٨٣) .

(٧٧) ابن القفلى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٥٢ .

(٧٨) الجغرافيا ص ١٢٧ .

(٧٩) ابن خلكان وفصائل الاعيان ص ٢ ص ١٣٦ ، ١٣٨ .

(٨٠) ابن القفلى . أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٧ .

(٨١) د . م . عبد الله الزقاق عوخذ في انوار العربى الاسلامى ص ٦٣ .

(٨٢) د . ط . النجاشي : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٢١٢ .

(٨٣) الزقاق ص ٢١٥ .

وليس هذا غريبا على خلفاء الدولة العباسية حتى أن هدد أحد خلفاء بني العباس بالحرب قيصر الروم اذا لم يأذن لعالم رياضى معروف بالتدريس فى جامعته بيت الحكمة ببغداد .

ولم تفتر هذه الحركة انما بقيت على شدتها زمن المعتصم والواثق وأغلب الظن أن صفقات مماثلة عقدت مع الهنود والزرادشت وابطرة الصين . ويقول سيديو : « ان العباسيين شغفوا بالعلوم الأدبية ، فاحضروا من القسطنطينية الكتب اليونانية وترجموها الى العربية ، وفتحوا ببغداد مدرسة السن لتربية المترجمين ، ورقيوا خمسة عشر الف دينار لمدرسة يتعلم بها مجاناً ستة آلاف تلميذ من الفقراء والأغنياء وانشأوا كتبخانات رخصوا الدخول فيها لمن أراد فانتشرت اللغة العربية^(٨٤) فى سائر جهات آسيا حتى تكلموا بها بدلا من لغتهم » .

والحق أن الذى سهل على بعض العقليات العربية المبتكرة عملية الاضافة والابتكار واخلق هو فضيلة الصبر والدأب التى هى عون على البحث والوصول الى النتائج ذات الجدوى^(٨٥) .

وليس هذا غريبا أيضا على أمة العرب والمسلمين الذين حملوا هذه الحضارة وعملوا على اشاعتها لأن دينهم يدعوا الى الحضارة والتقدم . ويدعوا الى طلب العلم من المهد الى اللحد ، والتماسه من أى مكان مهما بعد — وقد أقبلوا على الثقافات المختلفة يغترفون منها ويحولونها الى ثقافة حية نامية تخدم الحياة ، وترفع مستوى المجتمع ، فهم لم يكتفوا بالنقل بل اتحفوا عناصر المدنية التى اقتبسوها من جيرانهم من الشعوب التى استولوا عليها بالشىء الكثير من ابداعهم وتشيد بفضلهم وتنويع بجهودهم^(٨٦) .

يقول ديبور : « اما أن تكون رقعة الأرض فى عهدهم حينئذ — كانت أقسل من مساحتها الحالية أو أن الأرض كانت تطوى من تحت أرجلهم » . وهو على يقين من أن شيئا من ذلك لم يكن ولكنهم بعلمهم وبصدق صلتهم بربهم ونصرتهم لدينهم وعقيدتهم ووحدة صفوفهم حققوا ما يشبه المعجزات^(٨٧) .

(٨٤) سيديو : خلاصة تاريخ العرب العام ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٨٥) زكريا ماشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٣٦٩ .

(٨٦) المرجع نفسه ص ٣٧٥ .

(٨٧) د. عبد العظيم محمود : (أسس الاسلام فى بناء المجتمع) محاضرات الموسم الثقافى -

أبو ظبى (١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) ص ١٠ .

الفصل الثاني : ازدهار العلوم الإسلامية في بيت الحكمة



- ١ — تأثير بيت الحكمة في العلوم الإسلامية *
- ٢ — نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين وحثهم على طلب العلم والمعرفة *
- ٣ — ادخال نظام جديد للمكتبات على العالم الاسلامي *

اولا - تأثير بيت الحكمة في العلوم الاسلامية :

علم الكلام :

ان الثقافة بلغت أوجها وانتهت الى غايتها ، وان مجالس الخلفاء انفسهم كانت مدارس علم - ومواطن معرفة وملتقى افكار - ومنارات اشعاع حيث تحتك العقول وتتصارع الآراء ، بين اقطاب الثقافة وغول العلم والمعرفة^(٨٨) .

لقد نصبت المعتزلة نفسها للدفاع عن الاسلام ومجادلة اعدائه من اليهود والنصارى والمجوس هؤلاء الذين تسلحوا - في اساليبهم - بالمنطق اليونانى ، وما كان يتسنى لهم ان يثبتوا امام خصومهم الا اذا تسلحوا بسلاحهم واطلعوا على آرائهم وما قام عليها من حجج وبراهين وكان من اثر ذلك أن صبغت مسائل الدين بصبغة علمية فلسفية كما تسرب اليها الكثير من هذه الآراء الأجنبية^(٨٩) .

فكان المأمون يرى رأى المعتزلة ولكنه لم يفرض مذهبه على الناس بل انه عزز مذهب المعتزلة - أهل الرأى - بترجمة كتب الفلسفة والمنطق وهى التى تؤيد مذهبهم ، وكان من هذه الحركة « علم الكلام » الذى ميّد المعتزلة قواعده ، وبرعوا فيه وصار خير مساعد لهم على نشر مذهبهم^(٩٠) .

وذلك لأنه كان على رأس الحكومة العباسية فى ذلك الوقت ، عبد الله بن المأمون ابن الرشيد ، وقد كان يعد نفسه من المعتزلة وعالما من علمائهم ، وكان يعقد المناظرات لتأييد مذهب الاعتزال ويثير المناقشات حول كون القرآن مخلوقا أم غير مخلوق . وفى آخر حياته وجدت فكرة اكراه العلماء من فقهاء ومحدثين على ذلك القول ، ومن هنا نزلت المحنة بالامام أحمد بن حنبل فى دار السلام^(٩١) . وحملوا الناس بالقوة على اعتناقه وأطلقوا لهم العنان فأصبحوا دولة داخل الدولة لهم الاشراف التام على تنفيذ تعاليم الدين طبقا ابدئهم التسويم الأمر بالمعروف والنهى عن

(٨٨) د° ابراهيم أبو خضب : تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٨٩) محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٤٩٨ ، ٤٩٩ .

(٩٠) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٥١ .

(٩١) الشيخ محمد أبو زهرة : (محاضرات فى المذاهب الفقهية) (مطبعة مخير - القاهرة

١٩٦٢ م) ص ٢٩٦ .

المنكر^(٩٢) . وفي هذه الفترة تزايد عددهم حتى بلغ الثلاثين ألفا ، وانتشر دعائهم في أقاصي البلاد حتى بلغوا الصين مشرقا وبلاد الغرب غربا ، أشار الى ذلك شاعرهم صفوان الأنصارى^(٩٣) في إحدى قصائده عن مؤسسها وأصل بن عطاء فيها يقول :

**له خلف شعب الصين في كل ثغرة الى سوسها الأقصى وخلف البرابر
رجال دعاة لا يفل عزيمهم تهكم جبار ولا يكيد مكر**

ومن هنا كانت مقدرتهم الكلامية (المعتزلة) حيث تصدوا للدفاع عن الاسلام ومحاربة أهل الديانات الأخرى ، وقد دفعهم ذلك الى الاطلاع على هذه الديانات المختلفة ، والالمام بدقائقها والاحاطة بكتبها الدينية ، وشروحها المختلفة ليدافعوا عن علم ويجادلوا عن بيعة ، كما دفعهم أيضا الى الاتصال بالثقافة اليونانية ، والتمرس بأساليبها المنطقية التي تعين أرباب الكلام على البحث والمناظرة^(٩٤) .

وبهذا تسلح المعتزلة — وخاضوا المعارك العلمية التي دلت على قدرتهم الخطابية ، ومقدرتهم الكلامية ، ولم يقف بهم الأمر عند حد الممارسة لهذه وتلك بل وضعوا للخطابة أصولا وللبلادة قواعد وللکلام شروطا — حتى قيل أنهم هم الذين خلقوا « علم الكلام »^(٩٥) ، وأن الكلام لهم دون سواهم لأنهم واضعو أسسه الأولى التي بنى عليها المتكلمون فيما بعد .

فالتقول بحرية المرء في خلق أفعاله من تلقاء نفسه ، وقدرته التامة على ذلك ، مأخوذ عن الكنيسة اليونانية ، كما يقول « فنون كريمر » : فقد ذكر ان يوحنا الدمشقي وتلميذه تيودور أبو قره كانا من كتاب هذه الكنيسة ، وكانا يعيشان قبل الفتح الاسلامي ، فلما فتحت الشام شاعت عنهما هذه الآراء بين المسلمين^(٩٦) .

ومما يدل على أن هذا القول منقول عن المسيحية ، ما ذكر عن أمثلي

(٩٢) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر التشويبية في الأدب العربي ص ٥٣٥ .

(٩٣) الجانظ : البيان التبیین ج ١ ص ٣٧ .

(٩٤) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر التشويبية في الأدب العربي ص ٥٣٦ .

(٩٥) ابن الخياط : (الانتصار) * (دار الكتب المصرية ١٩٢٥ م) ص ٧٢ .

(٩٦) فنون كريمر : الحضارة الاسلامية ص ٧٠ .

قيس^(٩٧) الشاعر المخضرم ، فقد قيل عنه : أنه كان قدريا قبل أن توجد القدرية كفرقة ، وأنه أخذ هذه النظرية عن العباد أو مسيحيي الحيرة .

وقد تطور مذهب المعتزلة في العصر العباسي الثاني فاتخذ شكلا جديدا وانتشر تحت تأثير فلسفة أرسطو كما انقسم الى أقسام تتفق جميعا في نقط معينة ، فقد أجمع المعتزلة على اختلاف فرقهم على نفس الصفات الالهية ، وعارضوا كل فكرة تتنافى مع وحدة الله وقرروا أن ادراك وسائل الخلاص وطرق النجاة ، انما يرجع الى سلطان العقل^(٩٨) .

وقد تأثر المعتزلة تأثرا شديدا بالفلسفة الاغريقية ، فاقتبسوا منها واجهدوا انفسهم في أن يضيفوا الى المعاني الاسلامية التي جاء بها القرآن الكريم ، جميع ما احتوته الثقافة اليونانية من أفكار علمية وفلسفية وأن يلائموا بينها . ويخرجوا منها مزيجا جديدا يتفق مع تعاليم الاسلام وأصوله^(٩٩) .

وقد نشأ الخلاف بين الاعتزال والفلسفة من ناحية ، وبين الدين من ناحية أخرى ، وأفنى المعتزلة قواهم في المناقشات المستمرة التي أثارها مدرستا البصرة وبغداد وظل المعتزلة أقوياء حتى ثار عليهم أبو الحسن الأشعري وصرعهم الغزالي^(١٠٠) الذي قال : « طلبنا العلم لغير الله ، فأبى الا أن يكون الله » .

وللمعتزلة احساس خاص بقيمة العلم وفضله وأثره في حياة الناس لأنهم قد بنوا كيانهم على أساس من العلم ، ودافعوا عن دينهم ومبادئهم بسلاحهم ، ولم يتح لهم في كفاحهم ما أتى من نصر وتفوق الا لأنهم كانوا علماء يؤيدون قضاياهم الدينية ومذاهبهم الكلامية بالدليل والمنطق .

فلعل الحرية التامة التي كانت تسود بيت الحكمة فوجد فيه أصحاب العلم والفلسفة يتناظرون بكل حرية وصراحة ويتكلم أهل المال والنحل بما يبدو لهم

(٩٧) المصدر نفسه ص ٧٢ .

(٩٨) د. عبد النعيم محمد حسنين : (سلاجقة ايران والعراق) (مكتبة النهضة المصرية -

القاهرة ١٩٧٠ م) ص ١٧٠ .

(٩٩) BROWN : A Literary Hist. of Persia, Vol. 1, P. 288.

(١٠٠) ابن خلكان : وفیات الأعيان ج ١ ص ١٥٢ .

وبما يعتقدونه ويرونه أقرب الى العقل والمنطق فلا نجد اثرا للتعصب الضميم فيه .
ومما يؤيد ذلك أنه كان بين الذين تولوا أمر بيت الحكمة واشرفوا على حركة الترجمة
فيه هم من السريان واليهود والمجوس وغيرهم ، فكانوا يجادلون علماء المسلمين في
الأمر الديني بحضور الخليفة نفسه (المأمون) (١٠١) .

هذا التسامح الذي كان يسود بيت الحكمة في ظل رعاية الخلفاء أنفسهم أدى
الى ازدهار العلوم الاسلامية فيها ، وكذلك نشر الروح العلمية الخاصة بين كافة
الطبقات ، كما صارت الكتب التي تبحث في شتى النواحي الفكرية متيسرة في حكاكين
الوراقين بعاصمة الرشيد والمأمون في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تتخبط في دياجير
الظلام (١٠٢) . وهكذا فان اعلام الاعتزال الذين أثروا الحركة العلمية في هذا العصر
كبشر بن المعتز ، وثامة بن الأثرس وأحمد بن أبى دؤاد وغيرهم .

علم الفلسفة :

ان العرب ابتداء من القرن الثالث الهجرى ، بعد تقلدهم في الحضارة ،
وتنوع ألوانها ، شرعوا يسمون كل فرد بالصناعة التي اشتهر بها ، ومهر فيها ،
والفن الذي يجيده ، ويعرف به ، كالفقيه أو المفسر أو المحدث أو الحاسب أو
المهندس أو المنجم أو الطبيب أو الفيلسوف ، وهذا يدل على أن الفلسفة ، أصبحت
لونا متميزا اذا اشتغل به صاحب فكر سموه فيلسوفا ، والفلسفة صناعة نظر ، وثمرة
تأمل وفكر ، وليس كل ناظر فيلسوفا ولا كل مفكر مؤثرا بالحكمة ، بل ذلك الذى يؤثر
الحق ويسعى الى طلبه ، ويجد في ادراكه ، ويتخذ له سيرة خاصة تلحق به
وتطبعه بطابعه (١٠٣) .

وقد وضع الكندي في رسالة « الحدود والرسوم » للفلسفة تعريفات ستة
بحسب اعتبارات مختلفة من النظر وهي :

- ١ — من جهة الاشتقاق ، اسمها : حب الحكمة .
- ٢ — من جهة فعلها : التشبه بأفعال الله تعالى بقدر طاقة الانسان ، أرادوا
أن يكون الانسان كامل الفضيلة .

(١٠١) فبليبي دى طرازي : خزائن الكتب العربية ج ١ ص ٥٤ .

(١٠٢) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٣٩ .

- ٣ — من جهة فعلها أيضا : العناية بالموت . . . يريدون لمائة الشهوات ، لأن
 امانة الشهوات هي السبيل الى الفضيلة .
- ٤ — من جهة العلة : صناعة الصناعات وحكمة الحكمة .
- ٥ — من جهة النفس : الفلسفة معرفة الانسان نفسه .
- ٦ — من جهة حقيقتها في ذاتها : ان الفلسفة علم الأشياء الابدية الكلية ، انباتها
 ومائيتها وعللها ، بقدر طاقة الانسان .

وهذه كلها تعريفات مشهورة ماثورة عن الفلاسفة اليونانيين عن فيثاغورس
 وسقراط وأفلاطون وأرسطو^(١٠٢) .

وفي القرن الثالث الهجرى تأسست المدرسة الفلسفية الاسلامية بزعمارة
 « الكندي » وهي شديدة الارتباط بالفلسفة الهيلينية ، كما تظهر فيها الاتجاهات
 الأفلاطونية الحديثة ، وشرع عدد من كتاب هذه المدرسة في محاولة التوفيق
 بين أفلاطون وأرسطو ، وبين الديانة الموحى بها ، وأشهر هؤلاء الفلاسفة الفارابى
 وابن سينا^(١٠٣) . فلم يكن العرب بمعزل عن الثقافات الأجنبية في هذا العصر ،
 وبين ظهرانيتهم المدارس السريانية التى كانت تقوم بدور الوسيط بين الشرق والغرب
 وعنها عرف العرب منطق أرسطو ، واستعانوا به في مجادلة اليهود والنصارى ، كما
 اصطنعوا « المتكلمون » في محاوراتهم المذهبية ليظهروا على خصومهم بلغة العقل ،
 ويفندوا آراءهم بالحجة والدليل ، ولكن ذلك كان فى أبسط صورته وأقل مراتبه من
 حيث انه كان فى أولى مراحلها . وثمة فرع آخر من فروع الفلسفة قد مست الحاجة
 اليه ، ونعنى به « علم الطب » وما يتبعه من كيمياء وصيدلة^(١٠٤) .

وقد تأخر نضج الفلسفة عند المسلمين بالقياس الى العلوم الأخرى لأن الفلسفة
 اليونانية التى استندوا اليها فى فلسفتهم لم تنقل كتبها الى اللغة العربية الا فى نصر
 المأمون على وجه العموم ، وحرص فلاسفة المسلمين على التوفيق عموما بين

(١٠٣) د. أحمد مؤاد الأهوالى : الكندي فيلسوف العرب ص ٢٧٣ .

(١٠٤) المرجع نفسه ص ٢٧٤ .

(١٠٥) حيدر بلات : اسهام المسلمون فى الحضارة الاسلامية ص ١١٦ .

(١٠٦) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشموبية فى الأدب العربى ص ٤٨١ .

الفلسفة والدين دون الانتصار لأحدهما على الآخر . وأشهر فلاسفة الاسلام في
المشرق الكندي والفارابي وابن سينا(١٠٧) .

ان ميل افراد من الخلفاء في العصر العباسي الى العلوم الفلسفية وخاصة
المأمون الذي شجع الفلسفة وأمر بارسال من يطلب كتب الحكمة من بلاد الروم كما
شجع على الترجمة في الحكمة الى اللسان العربي . والخلفاء عادة أقدر على الترغيب
واقناع الناس فيما أحبوا ، والناس أسرع ما يكون الى تحقيق أغراضهم والولوع بما
أولعوا به ، وأكثر الخلفاء العباسيين ميلا الى ذلك المنصور والرشيد والمأمون(١٠٨) .

فازدهرت بيت الحكمة في عهد الخليفة المأمون ليله الى الفلسفة والعلوم
المعتلية ، وانفق أموالا طائلة في نقل الكتب الى بيت الحكمة من الدولة البيزنطية
وغيرها ، وكان يعمل في بيت الحكمة علماء تنوعت ثقافتهم ومعارفهم مثل سهل بن
هارون صاحب خزائن بيت الحكمة للمأمون(١٠٩) . وازداد عدد الكتب في عهد
الخليفة المأمون ، ولم تكن الكتب اليونانية هي التي حرص المأمون على نقلها الى
بيت الحكمة ، بل نجد المأمون يطلب من يحيى بن البطريق احضار كتب لاتينية الى
بغداد فقد كان يحيى يعرف اللغة اللاتينية ، وضمت هذه الكتب الى بيت
الحكمة وبذلك ضم بيت الحكمة كتباً في مختلف اللغات ومختلف العلوم(١١٠) .

وقد عرف المأمون منذ حداثة بالجد والحرص على طلب العلم والتفقه
فيه حتى أصبح حجة في المسائل العلمية والفلسفية(١١١) . وعاش الكندي في الزمن
الذي يعرف بعصر الترجمة فنبغ في خلافة المأمون صاحب بيت الحكمة وعاصر كبار
النقلة المشهورين مثل : حنين بن اسحاق ، وخاض غمار هذه الحركة وشارك
فيها(١١٢) . على أن الكندي وان كان قد تعلم الكلام وحصل علوم الفلسفة فانما
كان يسلك في سبيل الملوك أنفسهم حتى يرتفع لجالستهم ويسمو الى مقاسمهم ،

(١٠٧) د. ابراهيم أحمد المدوي : (تاريخ العالم العربي وحضارته في العصر الاسلامي)
(القاهرة ١٩٧٥ م) ص ٣٤٧ .

(١٠٨) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٦٦ .

(١٠٩) ابن النديم : الفهرست ص ١٧٤ .

(١١٠) ابن القفطي : اختيار العلماء باخبار الحكماء ص ٢٨٠ .

(١١١) د. عصام الدين عتد الرموف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٠٥ .

(١١٢) د. أحمد مؤاد الأهوازي : الكندي فيلسوف العرب ص ٥٩ .

ويساير تيار العصر الذى كان يعيش فيه وكثير من الأمراء كانوا يفعلون ذلك .
ويحذون حذو الخلفاء باقتناء الكتب وتشجيع العلماء ، وقد مالت نفس الكندى
عن علم الكلام وآثر أن يتجه الى الفلسفة وعلومها فأحاط بجميع فروعها^(١١٣) على أن
الكندى قد نبغ في المرتبة الأولى في الرياضيات والفلسفة الطبيعية ، ويرى أن
الانسان لا يكون فيلسوفا الا اذا درس الرياضيات المركبة ، وللكندى نظريات فلسفية
تتعلق بالله والنفس والعقل والعلم ، ف يرى أن كل ما يقع يرتبط ببعضه ببعض ،
ارتباط علة بمعلول والى العقل مرد كل شيء والمادة تتخذ الصورة التى يشاء
العقل افاضتها^(١١٤) عليها .

واشتغل الكندى بالفلسفة ، وله فيها تصانيف ومؤلفات جلية جعلته من
المقدمين ، ويعتبرها المؤرخون نقطة تحول في تاريخ العرب العلمى والفلسفى اذ
كان في عهده وقفا على غير المسلمين العرب . فهو « الكندى » واسع الاطلاع
اشتهر بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية ، وهو لم يقف عند
الاطلاع والتبحر بل انتج وكان منتجا الى أبعد الحدود ، تدلنا على ذلك مصنفاته
التي وردت في الفهرست وقد جعلها ابن النديم على سبعة عشر نوعا في
مختلف العلوم^(١١٥) .

فالكندى امام أول مذهب فلسفى اسلامى في بغداد كما يقول « ماسينيون »
وقد أثرت الفلسفة في اتجاهات تفكيره فكان ينهج نهجا فلسفيا يقوم على العناية
بسلامة المعنى من الوجهة المنطقية واستقامته في نظر العقل . ومن هنا يتجلى خصب
فريقته ، وعلى أنه واحد عصره في معرفة العلوم بأسرها ، وهى تدل على احاطته
بكل أنواع المعارف التى كانت لعهدده على اختلافها احاطة تدل على سعة مداركه وقوة
عقله وعظم جهوده^(١١٦) .

أما الفارابى^(١١٧) فهو محمد بن محمد بن طرخان أبو نصر الفارابى من فاراب ،

(١١٣) المرجع نفسه ص ٣٢ .

(١١٤) ديبور : تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ١٤٣ .

(١١٥) قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١١٤ ، ١١٥ .

(١١٦) المرجع نفسه ص ١١٨ .

(١١٧) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨٢ .

احدى مدن الترك في ما وراء النهر ، وهو فيلسوف المسلمين غير مدافع ، دخل العراق واستوطن بغداد ، وقرأ بها علوم الحكمة على يوحنا بن جيلان^(١١٨) .

وقد افاد كل الانداة ، ففلق أقرانه وأربى عليهم في التحقيق وشرح الكتب المنطقية ، وتوضيح غامضها وكشف سرها . وفي دائرة المعارف البريطانية : ان ابا نصر أعظم فلاسفة الاسلام ، قبل ابن سينا . وهو تركى النسب ولد في (ديسج) وهي محلة صغيرة في إقليم خراسان فيما وراء النهر ، وتتفق دائرة المعارف الاسلامية مع القنطى في أن الفارابى أخذ علوم الحكمة عن الطبيب النصراني « يوحنا بن جيلان » . وتقول بعض المراجع أنه كان يختلف الى بغداد حيث أخذ المنطق عن بشر متى بن يونس الحكيم المشهور . ثم عاد الى بغداد وقرأ بها علوم الفلسفة واكثر المراجع العربية تعد الفارابى أكبر العلماء والفلاسفة بعد أرسطو^(١١٩) .

ويقول (ديتريش) في مقدمته لرسائل الفارابى (طليسن ١٨٩ ج ٣) : « ان الفارابى قدس الفلسفة العربية والذي يقرأ الفارابى يجد في تفكيره طرافة ونضوجا . وفيها عميقا يدل على طول تأمل في الفلسفة . وقد اعتبر الفارابى من جملة الأطباء ، ويظهر أنه لم يباشر مهنة الطب بالفعل^(١٢٠) . عرف الفارابى منذ أول اتصاله بالحياة الفكرية بأنه كان ميالا الى التأمل والنظر وأنه كان يؤثر العزلة والبعد عن الناس ، فكان في شبابه متأثرا بعلوم المنطق والفلسفة ، فهو في كهولته كان يميل الى الفن ، ثم ختم حياته بالتعلق بالتصوف . وقد ألف كتباً كثيرة ضاع أكثرها واشتهر بين العرب بشروحه الدقيقة لفلسفة أرسطو ، ولكنه لم يقف عند الشرح ، فقد ألف طائفة من الرسائل والمقالات والكتب التي تشرح فلسفته الخاصة وهي التي كان يحاول فيها الجمع بين آراء الحكيمين : أفلاطون وأرسطو وقد بلغت مؤلفاته ٢٨ كتابا^(١٢١) .

ويرى الفارابى ان العقل يستطيع أن يحكم على الشيء بأنه خير أو شر وهو بذلك يجارى المعتزلة فيما قرروه من قاعدة التحسين والتقبيح العقلين اذ يقولون : ان الانسان يجب عليه أن يفعل الخير ويعرفه بعقله ، قبل أن يجيء الوحي به ، ولا شك أنه يخالف أهل السنة الذين يقولون : ان الخير ما أمر الله به والشر هو

(١١٨) يوحنا بن جيلان : كان حكيما نصرانيا وأستاذا للفارابى .

(١٢٩) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٤٥٣ .

(١٢٠) ديسجور : تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ١٥٠ ، ١٥٣ .

(١٢١) محمد عطيه الأبراشي : نوابغ الفكر الاسلامي ص ٦٧ .

ما نهى عنه^(١٢٣) . وهكذا فإن الحركة الفكرية في بغداد في العصر العباسي الاول يمكن أن نعتبرها بحق خلاصة الثقافة العالمية في ذلك العصر ، فأضافت الى أصولها العربية ثقافات مختلفة المعارف والثقافات الأخرى^(١٢٤) .

علم المنطق :

حين جاء العصر العباسي كانت دعائم الاسلام قد ثبتت وأصبحت عقائد الناس لا يخشى عليها من أن تنال منها آراء غريبة على بيئتهم فتغيرت الملائكة التي كان يصنع فيها المسلمون الفلسفة ، بل علوم الأوائل كلها . لقد وجدوا انهم في حاجة الى البحث فيها ودراستها ، والتزود بما تتجه من وسائل في الجدل والمناقشة ليتمكنوا من رد الشبهات ، ومقارعة الخصوم والدفاع عن الاسلام^(١٢٥) .

يقول حمودة غرابية : « حين وجد المعتزلة النساطرة وغيرهم من الفرق المسيحية مسلحين بالثقافة الاغريقية التي عرفوا عنها كثيرا من المناقشات الشفوية عنوا هم أيضا في أن يقسحوا بها فاستعانوا بالنصير في ترجمة المنطق الارسطي » . وهكذا كان المنطق أول علم من علوم الفلسفة بمعناه الضيق ، حصل به اشتباك بعلم الكلام الاسلامي^(١٢٦) .

وقد تنبه القدماء الى هذا الاتجاه فيقول المقرئى : « احتلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم كتب الفلاسفة وأكثروا من النظر فيها والتصنيف لها^(١٢٧) » . ويقول صاعد الأنطلسي : « ان أول علم اعتنى به من علوم الفلسفة علم المنطق والتجسيم »^(١٢٨) . وينكر (هنريش بيكر) : « ان الاسلام تعرض في هذا العهد الى هجمات الفصوص ، وفي هذا النضال استعان الاسلام اليونانية ، وعنى بايجاد علم من العلوم الدينية والعقلية يشبه عالم العصر المدرسي في اوروىا في العصور الوسطى ، فكان الاسلام الرسمي قد تحالف اذن مع التفكير اليوناني

(١٢٢) المرجع نفسه ص ٧٥ .

(١٢٣) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٣٠٣ .

(١٢٤) د. الشحات السيد زغلول : السريان والحضارة الاسلامية ص ١٧٢ .

(١٢٥) حمودة غرابية : (ابن سينا بين الدين والفلسفة) (من مطبوعات مجمع البحوث

الاسلامية بالقاهرة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م) ص ٢٦ .

(١٢٦) المقرئى : الخط ج ٢ ص ٣٥٧ .

(١٢٧) صاعد الأنطلسي : طبقات الامم ص ٥٦ .

والفلسفة اليونانية ضد الغنوص الذى كان خليطا من المذاهب القائمة على النظر والمنطق وعلى مذاهب الخلاص» (١٢٨) .

ومن هذا يتبين ان الاشتغال بالفلسفة كان وسيلة استعانة بها المسلمون بعمامة والمعتزلة بخاصة فى نصره الاسلام ، ويزيد ذلك تأكيدا ما يذكره الخياط فى قوله : « ولقد اخبرنى عدد من اصحابنا ان ابراهيم النظام رحمه الله ، قال وهو وجود بنفسه : اللهم ان كنت تعلم انى لا اقصر فى نصره توحيدك ، ولم اعتقد مذهبا من المذاهب اللطيفة الا لا اشد به التوحيد ، فما كان منها مخالفا فانا منه برىء : اللهم ان كنت تعلم انى كما وصفت غافر لى ذنوبى ، وسهل على سكرة الموت » (١٢٩) . وان محاولة تطبيق المبادئ الفلسفية فى المجالات الدينية لم تكن وليدة العصر العباسى .

ولقد نجم عن اعتناق الأمم الأجنبية للإسلام وانضوائها تحت لوائه ان صارت تلك الأمم تدون علومها وآدابها باللغة العربية التى تعلمتها بسبب الدين أو تقربا من العرب للفانحين للاستفادة من الوظائف والمناصب» (١٣٠) .

أما الثقافة اليونانية فكان لها اثر كبير فى المسلمين ، ومما زاد فى اثرها ان اتصال المسلمين بها صاحب عمر تدوين العلوم العربية فنسريت الثقافة اليونانية اليها ، وصبغتها صبغة خاصة ، كان لها تأثير كبير فى الشك وفى الموضوع . أما الشكل فيرجع الى تأثير المنطق اليونانى ، وقد صبغ العلوم العربية صبغة جديدة صبغت فى قالبه ، ووضعت على منهاجه ، اذ كان المنطق كما قال ابن سينا « خدام العلوم » عنى به المسلمون من أول عهدهم بالفلسفة (١٣١) .

وقد رأينا ان ابن المقفع ترجم كتب المنطق لأرسطو ، وتتابع المترجمون بعده يترجمون الكتب المنطقية وكان المنطق الذى وصل الى العرب هو منطق أرسطو معدلا ومضافا اليه ومشروحا بمنطق الرواقيين والاسكندرانيين ولم يزد العرب عليه شيئا يذكر (١٣٢) . وظل المنطق الذى بين ايدينا هو منطق اليونان ، لم يزد عليه

(١٢٨) هنريش بيكر : (تراث الأوائل فى الشرق والغرب) ترجمة د. عبد الرحمن بدوى

(بدون) ص ١١ .

(١٢٩) ابن الخياط : الانتصار ص ٤١ .

(١٣٠) د. ناجى معروف : أصالة الحضارة العربية ص ٤٣١ .

(١٣١) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٧٤ .

(١٣٢) المرجع نفسه ج ١ ص ٢٧٥ .

الا بعض الشروح ، وقد نقل نقلا صحيحا ولم يدخله نقص أو تهوئش كالذى كان في الالهيات اليونانية .

على كل حال ، كان للمنطق سلطان كبير على العقول في العصر العباسي ، وكان من جراء ذلك أن اصطبغت طريقة الجدل والبحث والتعبير والتبديل صبغة غير التي كانت تعرف من قبل ، فاهتم الفارابي بالمنطق اهتماما عظيما ، وكان لذلك الاهتمام اثر في تفكير العرب ، فقد عدوه آلة الفلسفة ، والأداة التي يمكن الوصول بها الى التفكير الصحيح ، وقد تأثرت الثقافة العربية في كل لون من ألوانها بالتفكير المنطقي ، وقد ظهر ذلك بوضوح في علم الكلام ، وفي انطقه الاسلامي ، وفي النحو العربي (١٣٣) .

ثم يعرف الفارابي المنطق بأنه العلم الذي نعلم به الطرق التي توصلنا الى تصور الأشياء وإلى تصديق تصورها على حقيقتها وهو لا ينسى أن يوضح لنا صلة المنطق بالعقل الانساني فيقول : « ان المنطق قانون للتعبير بلفظة العقل وصناعة المنطق بالنسبة للعقل وجميع المعقولات كصناعة النحو بالنسبة للسان والألفاظ » ويفهم من قوله : أن المنطق ضروري للتفكير الصحيح ضرورة علم النحو للتعبير الصحيح الخالي من الخطأ (١٣٤) .

وكان الخليفة المأمون يميل الى المعتزلة لأن آراءهم تتفق مع العقل والمنطق ويرتبط بظهور الحركة العلمية ونشاطها في بغداد الحاجة الى المحافظة على المصنفات والكتب المؤلفة في مختلف العلوم الفلسفية والعقلية التي انفتحت في سبيلها أموال طائلة (١٣٥) . ومن هنا اقيم بيت الحكمة الذي يحتوي على كثير من المصنفات في مختلف مجالات الفكر والثقافة وبلغات مختلفة أيضا .

علم الرياضيات :

كانت الرياضيات مثلها مثل الفلك من أحب العلوم عند العرب فكثير من القواعد الأساسية للحساب والهندسة والجبر قد اكتشفها العلماء المسلمون . ففي الحساب لأننا نستخدم الاعداد وطريقة الحساب التي اخترعها العرب ، كما أن اختراع الجبر ، ينسب الفضل فيه الى العرب وهو حق على الأرجح .

(١٣٣) محمد عطية الأبراشي وللتوانسي : نوابغ الفكر العربي ص ٧٣ .

(١٣٤) المرجع نفسه ص ٧٣ .

(١٣٥) عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

فلما نهض العباسيون نهضتهم العلمية اقتبسوا من الهنود الأرقام الهندية . وقد قدروا النظام الترقيعى عند الهنود ، ففضلوه على حساب الجمل الذى كانوا يستعملونه من قبل ، ومن الغريب أن فى بلاد الهند أشكالاً متنوعة ومختلفة الأرقام . ولكن العرب بعد أن اطلعوا على أكثر هذه الأشكال كونوا منها سلسلتين عرفت أحدهما باسم الأرقام الهندية وعرفت الثانية : باسم « الأرقام الفبارية » ففى بغداد الجانب الشرقى من العالم الإسلامى عم استعمال الأرقام الهندية وهى لا تزال شائعة ومستعملة فى بلادنا (١٣٦) .

وأول من وضع من المسلمين كتاباً فى الحساب محمد بن موسى الخوارزمى كذلك كان أول من ألف فى الجبر وفتح أبواب عصر جديد فى الرياضيات على مصراعيه ، كتب فى الجبر والمقابلة تحقيقاً لرغبة الخليفة المأمون ، وكان الخوارزمى أول من استعمل علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب وبصورة منطقية ، وأول من استعمل كلمة جبر التى دخلت اللغات الأوروبية ينطقها الغربى AL GEBRA . ولقد عرف العرب حل المعادلات من الدرجة الثانية وهى نفس الطريقة المستعملة الآن فى كتب الجبر فى المدارس الثانوية (١٣٧) كما يقول الأستاذ قسدرى طوقان فى كتابه العلوم عند العرب .

ولم يجهلوا أن لهذه المعادلات جذرين واستخرجوها إذا كنا موجبين وهذا من الأعمال التى توصل إليها المسلمون ، وفاقوا بها غيرهم من الأمم التى سبقتهم ، وكذلك ابتكروا طرقاً هندسية لحل بعض المعادلات . وفى باب المساحة فى كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمى عمليات هندسية حلها بطرق جبرية ويقول د. على مصطفى مشرفه : أنه يجب ألا يعزب عن بالنا أنه رغم البحوث المستفيضة فى الرياضيات عند الإغريق والهنود ، فإننا لا نعثر على كتاب واحد عندهم يشبه كتاب الخوارزمى ، ولذلك عمل الدكتور مشرفة إلى القول بأنه لم يكن قبل الخوارزمى علم يسمى بعلم الجبر (١٣٨) . كانت النتيجة المباشرة إذن توفيق علماء المسلمين بين حساب الهنود وهندسة الإغريق ، أن نشأ علم الجبر الذى لولا الأرقام الهندية واستعمالها لما نما هذا النمو العظيم فى أيدي المسلمين . ذلك أنه عندما انتقلت الأرقام الهندية إلى المسلمين وامتزج الحساب الجديد عندهم بالهندسة الإغريقية أصبح

(١٣٦) حيدر جامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٤ .

(١٣٧) قسدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٠٩ .

(١٣٨) جلال مظهر : علوم المسلمين أساس للتقدم العلمى الحديث ص ٤٥ .

من الممكن لمبقرى من نوع الخوارزمى ان يضع علم الجبر الذى بناه على التجمع بين
الفكرة الهندسية والفكرة الفردية لكميات^(١٣٩) .

وكان ظهور الخوارزمى فى عصر المأمون الذى عينه رئيسا لبيت الحكمة ذا
مقام كبير عنده فأحاطه بضروب من الرعاية والعناية وأقام فى بغداد حيث اشتهر
وذاع صيته وانتشر اسمه بين الناس^(١٤٠) .

برز فى الرياضيات والفلك ، وكان له اكبر الأثر فى تقدميهما وارتقائهما فهو أول
من استعمل علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب وفى قالب منطقى علمى ، وكفاه
نخرا أنه أول من ألف كتابا فى الجبر فى علم يعد من أعظم أوضاع العقل البشرى
لما يتطلبه من دقة واحكام فى القياس . ولهذا الكتاب قيمة تاريخية فعليه
اعتمد علماء العرب فى دراساتهم عن الجبر ، ومنه عرف الغربيون هذا العلم^(١٤١) .
قال عنه فيليب حتى : « كان الخوارزمى من أفضل العقول العلمية من المسلمين وهو
بلا شك الرجل الذى أثر أبلىغ التأثير فى الفكر الرياضى طيلة العصور الوسطى »^(١٤٢) .

ويعتبر الخوارزمى أحد العلماء الرياضيين الذين خدموا بيت الحكمة
بمما ألفوه من الكتب فى الرياضيات والهيئة . فمن أشهر هذه الكتب : الجبر
والمقابلة ، وكتاب العمل الأسطرلابى^(١٤٣) . وتعتبر كتب الخوارزمى هى من خيرة
ما أنتجه الفكر وهو الذى مهد للجبر والحساب فى كثير من المسائل التى لا تزال تدرس
فى هذه الأيام ، وكان قد جمع هذا بكتاب ألفه للخليفة المأمون بناء على
طلبه^(١٤٤) .

وهو ككل علماء الرياضة عالم فلكى قبل كل شيء . وقد ألف فى الحساب .
وكان المظنون أن كتابه فيه قد فقد ، ولكن فى سنة ١٨٥٧ م ظهرت له ترجمة
لاتينية من عمل (Atheord of Bath) وقد وجدت هذه الترجمة فى
مكتبة جامعة كمبردج . ويبدأ كتابه هذا فى الحساب بهذه العبارة : « يقول

(١٣٩) المرجع نفسه ص ٤٦ .

(١٤٠) تدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٠٤ .

(١٤١) المرجع نفسه ص ١٠٤ .

(١٤٢) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٤٦٣ .

(١٤٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٣ .

(١٤٤) تدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٨٠ .

الخوارزمي بعد حمد لله هادينا وحامينا ، وقد قال أحد الكتاب المسلمين ان حساب الخوارزمي يفوق كل كتاب اليسار الى اليمين ، ولكن من المدهش انه في الطرح اخطأ في تفسير الحالة التي يكون فيها الرقم المطروح اكبر من الرقم المطروح منه أما في الضرب فقد أخذ عنه الهنود طريقته بعد تعديلهما لكي تكون ملائمة لاتباعها كتابه ، حيث كان يضع كل حاصل ضرب جزئي فوق الرقم المقابل في المضروب ولم يكن يطمس الأرقام كما يعمل الهنود بل كان يكتفي بشطبها . أما في القسمة فالعملية هي هي . فالقسوم عليه يوضع تحت المقسام ، ويكتب الخارج فوقه ، أما التفسيرات الحادثة في المقسام من طرح الحواصل الجزئية فتكتب^(١٤٥) فوق الخارج .

وقد شرح الخوارزمي طريقته هذه شرحا مستفيضا في كتابه ، واتبعها الأوروبيون الأوائل . الذين اقتنوا أثر العرب وأخذوا عنهم نماذج طرائقهم على ان العرب الذين جاءوا بعده أدخلوا تعديلا على طريقة الخوارزمي هذه فاقتربوا كثيرا من طرائق اليوم الشائعة^(١٤٦) .

وجاء بعد ذلك ثابت بن قرة ليقم ما بداه الخوارزمي وترجم الى العربية أهم الكتب الرياضية التي وضعها أقليدس وأرشميدس وبطليموس ، ووضع عدان ذلك كتباً مبتكرة ، ولم يعثر الباحثون الا على قسم من كتاب في الجبر ، يشتمل على فصل واحد من المعادلات التكعيبية ومعادلات الدرجة الثالثة . وقد استخدم في حلها علم الهندسة كما فعل الخوارزمي^(١٤٧) .

وقد أخذ العالم الرياضي الايطالي (GIROLAMA CARDAN) الذي عاش في القرن السادس عشر عن ثابت بن قرة طريقته الهندسية في حل معادلات الدرجة الثالثة وصار علم الجبر يتقدم بسرعة بعد زمن ثابت بن قرة . أما الأجزاء التي اقتص بها العرب فهي حل المعادلات والمسائل التي تتحول في حلها الى معادلات وخواص الأعداد^(١٤٨) .

ويمتاز ثابت بناحيتين ، الأولى : نقله كثيرا من التأليف الى العربية فقد نقل من علوم الأقدمين مؤلفات عديدة في الطب والمنطق والرياضيات والفلك ، وأصلح

(١٤٥) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٧٣ .

(١٤٦) المرجع نفسه ص ٧٣ .

(١٤٧) المرجع نفسه ص ٧٥ .

(١٤٨) المرجع نفسه ص ٧٥ .

الترجمة العربية للمجستى وجعل مثله سهل التناول ، واختصره اختصاراً لم يوفق الى غيره ، وقد قصد من هذا المختصر تعميم المجستى وتسهيل قراءته ، ولا يخفى ما أحدث تعميمه من أثر في نشر المعرفة ، وترغيب العلماء في الرياضيات والفلك^(١٤٩) . أما الناحية الثانية : فهي اضافاته الى الرياضيات واشتغل في الهندسة التحليلية وأجاد فيها اجادة عظيمة . وله ابتكارات سبق فيها ديكارت وقد وضع كتابين فيه : علاقة الجبر بالهندسة : والهندسة بالجبر ، وكيفية الجمع بينهما وطرق هندسية استعان بها بعض علماء الغرب في بحوثهم الرياضية^(١٥٠) .

ولثابت مقالة في الاعداد المتحابه . وهو استنباط عربى يدل على قوة الابتكار التى امتاز بها ثابت ، ونفهم من هذه المقالة أن ثابتاً كان مطلعاً على نظرية فيثاغوريس في الاعداد وأنه استطاع أن يجد قاعدة عامة لايجاد الاعداد المتحابه . وثابت اول شرقى بعد الصيرفيين بحث في المربعات^(١٥١) السحرية وخصائصها .

ومن المؤسف حقاً الا يصادف الباحث الا القليل من كتبه ورسائله وأن يكون القسم الأعظم قد ضاع أثناء الحروب والانقلابات . ومن هذه ما هو في غاية الخطورة من الوجهتين الرياضية والطبية . ولو عثرنا على بعض منها ، لانجلت بعض النقاط الغامضة في تاريخ الرياضيات فلقد كان من رسالته في النسبة المؤلفة أن استعمل « الجيب » والخاصة الموجودة في المثلثات والمسماة بدعوى الجيوب ، وكذلك لولا بعض القطع التى وصلت إلينا من كتاب له في الجبر : لما عرفنا أنه بحث في المعادلات التكعيبية^(١٥٢) .

هذا هو مجمل من مآثر ثابت بن قرة في الرياضيات تبين منه الأثر الكبير الذى خلفه في ميدان العلم ، كما تتجلى فيه العبقرية المنتجة التى تقدمت بالعلوم خطوات واسعة ، مهدت لايجاد فروع هامة من الرياضيات لولاها لما تقدم الاختراع والاكتشاف تقدمهما المشهور^(١٥٣) .

(١٤٩) تدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٢٧ .

(١٥٠) المرجع نفسه ص ١٢٨ .

(١٥١) المرجع نفسه ص ١٢٩ .

(١٥٢) المرجع نفسه ص ١٢٨ .

(١٥٣) المرجع نفسه ص ١٢٩ .

ثانياً — نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين وحثهم على طلب العلم والمعرفة :

ان مجالس الخلفاء العباسيين انفسهم كانت مدارس علم ، ومواطن معرفة وملتقى افكار ، ومنارات اشعاع ، حيث تحتك العقول ، وتتصارع الآراء بين أقطاب الثقافة وفحول العلم والمعرفة^(١٥٤) . فكان بيت الحكمة الذي وضع أساسه الرشيد وعمل المأمون من بعده على إمداده بمختلف الكتب في العلوم التي اشتغل بها العرب من أكبر خزائن الكتب في العصر العباسي ، فكانت تحوى كل الكتب في العلوم التي اشتغل بها العرب ، كما كان للعلماء والأدباء الذين يختلفون إليها أكبر الأثر في تقدم الحركة العلمية في عهد العباسيين ونشر الثقافة بين جمهور المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى . ولم يقتصر تشجيع العلم على الخلفاء بل تعداهم الى الوزراء وسائر كبار رجال الدولة^(١٥٥) .

فلقد ذكر المسعودي : « أن يحيى بن خالد البرمكي كان يميل الى البحث والمناظرة ، وكان له مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الاسلام وغيرهم من أهل النحل ، أما أصحاب كتاب « التوحيد الأبي » فأنهم يقولون : اتسعت رقعة المملكة الاسلامية ودخل كثير من الأمم المختلفة في الاسلام وعظمت الحضارة في الدولة العباسية ، واحتاجت هذه الحضارة العظيمة الى علم واسع عميق ترتكز عليه ، وتنتفع به فأخذت الدولة تشجع كل ذى ثقافة أن يعنوا بثقافتهم يهضمونها ويترجمونها ويؤلفون فيها باللغة العربية ، وظهرت في الدولة العباسية خلاصة ثقافات الأمم ، وتمازجت واثلتفت ، وعرضت على أنظار الناس يأخذون ما يشتهون ويستمدون منها ما يفقهون : كل على حسب ميله واستعداده وذوقه ووجهته ، وهذا يعنى بالفلسفة وفروعها ورابع بالتاريخ وسياسة الأمم^(١٥٦) وهكذا .

يقول الأستاذ نيكلسون^(١٥٧) : « وكان لانبساط رقعة الدولة العباسية ، ووفرة ثروتها ، ورواج تجارتها ، أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل ، حتى لقد بدا ان الناس جميعا من الخليفة الى أقل أفراد العامة شأننا غدوا فجأة طلابا للعلم ، أو على الأقل أنصارا للأدب . وفي عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعيا الى موارد العلم والعرفان ليعودوا الى بلادهم كالنحل يحملون الشهد الى جموع التلاميذ المتلهنين ، ثم يصنفون بفضل

(١٥٤) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٣٢٢ .

(١٥٥) د. ابراهيم أبو خشب : تاريخ الأدب العربى في العصر العباسى الأول ص ١٤١ .

(١٥٦) المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ٤٨ .

NICHOLSON : Literary History of the Arabs, p. 281.

(١٥٧)

ص: ٤٣١

ما بذلوه من جهد متصل هذه المصنفات التي هي أشبه بدوائر معارف ، والتي كان لها أكبر الفضل في إيصال العلوم الحديثة اليها بصورة لم تكن متوقعة من قبل .

هذا في الشرق الاسلامي في العصر العباسي الأول ، أما في الغرب فقد نافست قرطبة بغداد والبصرة والكوفة ودمشق والفسطاط فأصبحت حاضرة الأندلس سوقا نافقة للعلم وكعبة لرجال الأدب ، حتى جذبت مساجدها الأوروبيين الذين وفدوا اليها لارتشاف العلم من مناهله والتزود من الثقافة الاسلامية ومن ثم ظهرت فيها طائفة من العلماء والشعراء والأدباء والفلاسفة والمترجمين والفقههاء وغيرهم^(١٥٨) .

وفي هذا العصر (العصر العباسي الأول) ظهر نوعان من العلماء : الأول : هم الذين يغلب على ثقافتهم النقل والاستيعاب ويسمون أهل العلم . والثاني : هم الذين يغلب على ثقافتهم الابتداع والاستنباط ويسمون أهل عقل . وقد ذكر ابن خلكان^(١٥٩) . : « ان الخليل بن أحمد اجتمع ببن المقفع وتحدثا في شتى المسائل فلما افترق قيل لل خليل : كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال : رأيت رجلا علمه أكثر من عقله . وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : رأيت رجلا عقله أكثر من علمه .

كما كان للعلماء والأدباء الذين يختلفون اليها (بيت الحكمة) أكبر الأثر في تقدم الحركة العلمية في عهد العباسيين ونشر الثقافة بين جمهور المسلمين وغيرهم من اصحاب الديانات الأخرى^(١٦٠) والواقع أن هدف بيت الحكمة لم يقتصر على جمع الكتب وحفظها وانشاء قسم للترجمة فيها ، فقد أخذ المأمون يحث الناس على مطالعة الأسفار والاهتمام بصناعتى النسخة والتقييش^(١٦١) . فهذا بيت الحكمة أول مؤسسة ثقافية عند المسلمين يدين للخليفة المأمون بما منحه له من عناية وكما أضفى عليه من قوة ، وما أنفق من مال ، فكسبت اللغة العربية كثيرا من الزاد والمعرفة بما أجرى في بيت الحكمة من ترجمة اليها من اللغات الأجنبية وبواسطة بيت الحكمة حفظ للإنسانية كثير من تراث الاغريق الذى ضاعت أصوله ولم يجد العالم غير الترجمات العربية وسيلة للوصول الى هذا التراث^(١٦٢) .

(١٥٨) د. حسن إبراهيم حسن : التاريخ السياسى والاجتماعى والثقافى ج ٢ ص ٣٢٢ .

(١٥٩) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ١٧٣ .

(١٦٠) حسن إبراهيم حسن : التاريخ السياسى والاجتماعى والثقافى ج ٢ ص ٣٤٨ .

(١٦١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٤٨ .

(١٦٢) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ٣٥٣ ، ٣٥٦ .

ان بيت الحكمة الذى أسسه العباسيون يسر للناس سبل الدرس والمطالعة والتأليف والترجمة لمن يرغب ، كما شوق الخلفاء الناس الى التعليم والاقبال عليه فيحضرون معهم المناظرات العلمية التى تجرى بين العلماء فى هذه الدار فى مختلف العلوم والفنون وابداء الآراء وغير ذلك (١٦٣) .

فقد ساهمت مؤسسة بيت الحكمة فى نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين وغيرهم وحثهم على طلب العلم والمعرفة باعتبارها مؤسسة ثقافية عالية تهدف الى نشر الحكمة والعلم والأدب بين المسلمين وغيرهم ، وهم جميعا يتولون أمور الدار ويشرفون عليه ، ولذا نجد الروح العلمية هى السائدة فى الدار وحرية الكلام والمعتقدات مطلقة ، وتحكيم العقل والمنطق فوق كل اعتبار (١٦٤) .

(١٦٣) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٣٨ .

(١٦٤) المرجع نفسه ص ٥٣ .

ثالثا - ادخال نظام جديد للمكتبات على العالم الاسلامى :

ان المكتبات كانت طريقة للهدم في نشر العلم ، ولما كان يتعذر على غير الأغنياء اقتناء الكتب نظرا لأنها كانت مخطوطات غالية الثمن ، لجأ من أحب التعليم الناس الى انشاء مكتبة يجمع فيها الكتب ويفتح ابوابها للناس كما فعل العباسيون في بيت الحكمة (١٦٥) .

ثم كانت المكتبات نواة الجامعات الاسلامية الكبرى ، كبيت الحكمة في بغداد ودار الحكمة في القاهرة ، ثم أصبحت هذه نماذج لهذا النوع من المنشآت سواء شيدتها الدولة أو أسسها الأفراد ، وعلى هذا أصبحت المكتبات في العالم الاسلامى في تلك العصور تقوم مقام مهمة المعاهد العلمية في العصر الحديث بالإضافة الى ما تؤديه دور الكتب في الوقت الحاضر (١٦٦) .

ونعرض بعض نماذج قليلة لمكتبات انشأها الأفراد وكانت بدور العلم الحديثة اشبه . حدث ياقوت (١٦٧) قال : كان بكرمر من نواحي القفص (قرية قريبة من بغداد) ضيعة نفيسة لعل بن يحيى النجم وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة بسميها خزانة الحكمة يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ، ويتعلمون فيها صنوف العلم ، والكتب مبدولة في ذلك لهم ، والنفقة في ذلك من مال على بن يحيى فهذه مكتبة فيها مساكن لطلاب العلم وفيها طعام لهم ونفقة ، ليست اذن بالمدرسة اشبه ؟ انها لا ينقصها الا المعلم لتكون مدرسة بها مكتبة ، بل ان المعلم ايضا ، وجد في بعض المكتبات ، ولكنها ظلت تعد مكتبة لسبب من الأسباب كأن يكون المعلم لا ينظم جلوسه للطلاب لأنه لا يتخذ التدريس وظيفته الأولى أو تكون المؤسسة غنية بالكتب في موضوعات متعددة فتستهوى الكتب الناس أكثر مما يستهويهم الاستماع للدرس وهكذا .

فالمكتبات كانت مدارس للتعليم ومؤسسات ينفق عليها الأمراء والأثرياء والعلماء لتنتشر العلم بينهم وخصوصا في ذلك الزمن الذي لم تكن فيه الطباعة موجودة فكانت الكتب تنسخ على أيدي النساخ المتخصصين لهذا العمل فكان يبلغ بذلك ثمن الكتاب حدا قد يتعذر على طالب العلم أو العالم الفقير شراؤه ، فكيف اذا أراد أن تكون

(١٦٥) جرجى زيدان : التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٢١٠ .

(١٦٦) د. احمد شلبي : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٢٩ .

(١٦٧) ياقوت الحوى : معجم الأدباء ج ٥ ص ٤٦٧ .

له مجموعة من الكتب في الفن أو العلم الذي يتخصص فيه ؟ ومن هنا كان قيام المكتبات في مجتمعنا الماضي منبعثا من عاطفة انسانية وعن نزعة علمية في وقت واحد (١٦٨) .

بهذه الروح العلمية شغف علماؤنا واغنياؤنا وامراؤنا بالكتب وجمعها حتى كانوا يرون نكبتهم في أموالهم ويبيوونهم أيسر عليهم من نكبتهم في كتبهم (١٦٩) . وبهذه الروح العلمية كانوا يتنافسون في شراء المؤلفات العلمية من مؤلفيها بعد الانتهاء من تأليفها ، وقد نشأ عن هذه الروح العلمية انتشار المكتبات في شتى أنحاء العالم الاسلامي ، فقلما كانت مدرسة ليس بجانبها مكتبة ، وقل أن تجد قرية صغيرة ليس فيها مكتبة أما العواصم والمدن فقد كانت تغص بدور الكتب بشكل لا مثيل له في تاريخ العصور الوسطى (١٧٠) .

وساعدت صناعة الورق على انكاء حماس العرب حين تضخم انتاجهم العلمي بل لقد ساعدت هذه الصناعة على حدوث انقلاب فكري هائل اذ سهل تداول الكتب العديدة المترجمة اوالمؤلفة على السواء ، وكان من الطبيعي أن تظهر نواة مكتبات عربية .. ما لبثت أن نمت لتصبح بمرور الوقت مكتبات كبيرة .. ثم بدأت تتعدد وتنتشر في أرجاء العالم الاسلامي (١٧١) .

أما في قصور الخلفاء والأمراء فكانت كمكتبات عامة تفتح أبوابها لكل راغب في القراءة والاطلاع ولم يضمن الخلفاء عليها بمال أو جهد بل زودوها بمختلف المؤلفات الثمينة ، ويسروا أسباب الراحة لروادها (١٧٢) .

وقد كرس الخليفة المأمون شطرا كبيرا من وقته وماله لدعم المكتبات وظهر ذلك واضحا في اهتمامه بالدار التي بدأ الرشيد بإنشائها في بغداد والتي تبناها المأمون في حماس واخلاص منقطع النظر . ونعني بها « بيت الحكمة » أو دار العلم فقد أمر المأمون بتزويدها بكل ما وصل اليه من مخطوطات أجنبية مترجمة ،

(١٦٨) د الشيخ مصطفى حسني السباعي : من رواثع حضارتنا ص ١٥٣ .

(١٦٩) المرجع نفسه ص ١٥٤ .

(١٧٠) المرجع نفسه ص ١٥٥ .

(١٧١) محمد ابراهيم الصبيحي : العلوم عند العرب ص ٧٦ .

(١٧٢) المرجع نفسه ص ٧٧ .

وشجع الماهون طلاب العلم على التردد عليها للقراءة ودبر لهم سبل الإقامة
واسباب الراحة : فذهب الى حد اقامة جناح ملحق بالدار يضم عددا من
الحجرات الصغيرة ، خصصت لينال فيها من بشاء من رواد الدار قسطا من الراحة .
كما يقدم لهم الطعام والشراب دون مقابل^(١٧٣) .

ولم تال الدولة العباسية جهدا في تزويد قاعات المكتبات والخزائن والمقاعد :
كما ونرت للقراء : المحابر والأقلام والاوراق . ولا شك أن انتشار المكتبات العامة
في أرجاء العالم الاسلامي في العصور الوسطى واتباعها هذه الأنظمة وفتح ابوابها
لكل قارئ ونسخير كل هذه الامكانيات لخدمته دليل ناطق على تقدم العرب
الفكري والعلمي ومدعاة للفخر ويسجل لهم ولتاريخهم بمداد من نور^(١٧٤) .

كانت المكتبات نوعين رئيسيين : عامة وخاصة . اما العامة فقد ينشئها
الخلفاء والأمراء والأغنياء . كانت تشيد لها ابنية خاصة فينالك دار الحكمة التي
انشأها الفاطميون في مصر ودار الحكمة في قرطبة . كما عرف نظام المكتبات الملحقة
بالجامعات أو المدارس على غرار ما هو حادث اليوم .

وقد تبارى الأثرياء في اقامة المكتبات في قصورهم فكانوا يرون في ذلك مدعاة
للفخر دليلا على اعتزازهم بالعلم والثقافة وكانوا يفتحون ابوابها للعلماء والدراسين
وقد قدر عدد المكتبات العامة في أسبانيا وحدها بنحو سبعين مكتبة عامة
ادت واجبها على الوجه الأكمل بفضل النظام الدقيق الذي وضع لها^(١٧٥) .

وان المتتبع للوائح هذه المكتبات ونظام الاستعارة الداخلى والخارجى الذى
عرفه وطبقه العرب في مكتباتهم . ليدعش حقا لدى الدقة التى اتسمت بها
اعمالهم . فكانت الاستعارة الداخلية سهلة ميسورة ، اذ وضعت الكتب في متناول
القارئ على الأرفف دون أن يحجزها عن القراءة حاجز ، كما هو متبع الآن في
أحدث المكتبات العامة . اما نظام الاستعارة الخارجية فقد عرفه العرب ايضا ،
ولكنه كان قاصرا على طلاب العلم الموثوق بهم . وكان يطلب عادة بعد تقديم
ضمان مالى كاف كما كان نظام الاستعارة الخارجى يقضى بالتجديد فترة لا تتجاوز

(١٧٣) محمد ابراهيم الصيحي : العلوم عند العرب من ٧٧ .

(١٧٤) المرجع نفسه ص ٨١ .

(١٧٥) المرجع نفسه ص ٧٩ .

شهرين لاستعير الكتاب خلالها ، ومن الطريف انه وجد في مكتبة قرطبة نسخة خطية من كتاب : « العبر والابتدا والخبر » (١٧٦) . وقد كتب مؤلفه ابن خلدون على غلافه بخط يده هذه العبارة « لا يجوز اعادة هذا الكتاب اعادة خارجية الا اذا كان المستعير شخصاً موثقاً به وأميناً على ان يدفع ضماناً مالياً » . وكان يشرف على هذه المكتبة ويقوم على ادارتها وخدمة الرواد والقراء جهاز فنى وادارى مهمته تقديم كل عون ممكن للقارىء . ويقوم على رأس هذا الجهاز أمين المكتبة ويسمى « الخازن » ويعاونه عدد من النساخ وبعض المناولين ، فكان أمين المكتبة يقوم بعمل فنى خالص بسبب ما فى المكتبة من كتب وأسماء مؤلفيها ومحتويات كل منها . اما مهمة المناولين فى ارشاد القارئ الى وضع الكتاب الذى يريده أو احضاره اليه حينما يجلس ، فكانت بعض المكتبات تستعين بعدد من الجوارى لنقل الكتب النادرة الى طلاب القراءة ويروى ان لحدى مكتبات قرطبة كانت تستعين بمائة وسبعين جارية لهذا الغرض (١٧٧) .

وقد عرف العرب نظام تصنيف الكتب فقسموها الى اقسام حسب العلوم والفنون وسجلوا على غلاف كل كتاب اسمه واسم مؤلفه ليسهل على القارئ التقاط الكتاب الذى يريده دون عناء ، وهو نفس النظام المتبع فى ارقى مكتباتنا الآن .

وبعد ، فلئن كانت النهضة تملأ نفوسنا حين نتحدث عن انتشار المكتبات فى العالم الاسلامى فى عصور حضارتها الزاهرة ، فان الأسى ليملاً قلوبنا حين نتذكر مصائر هذه المكتبات ، وما تعرضت له من بوادر وحرائق لا يمكن أن تقدر خسارة العلم فيها أبداً . لقد أصيبت مكتباتنا بما قضى على ملايين الكتب منها بحيث فقدتها العالم الى الابد وهى من اثنى ما خلفه الفكر الانسانى فى التاريخ (١٧٨) .

(١٧٦) المرجع نفسه ص ٧٩ . ٨٠ .

(١٧٧) المرجع السابق نفسه ص ٨٠ .

(١٧٨) د. الشيخ مصطفى حسنى السباعى : من روائع حضارتنا ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

الفصل الثالث : مميزات بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة



- ١ - مكانة جامعة بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة وأثرها فيها .
- ٢ - بيت الحكمة كجامعة ذات أثر فكري وفلكي في الجامعات الحديثة .
- ٣ - تأثير جامعة بيت الحكمة في الجامعات الحديثة في شتى فروع العلم والمعرفة .

أولا - مكانة جامعة بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة وأثرها فيها :

ومن القرن الثاني الهجري بدأت الحضارة الإسلامية تأخذ دورها القيادي لتضيء للبشرية ظلمات عصورها الوسطى ، وتحدد مسراها الى فجر النهضة ، وعلم العصر الحديث . حضارة عربية لللسان والقلم اسلامية الجوهر والروح والفكر والمنهج . شاركت فيه شعوب الأمة من أقصى الشرق الآسيوى الى أقصى المغرب الأفريقى . وتلقى ضياء مناراتها من نيسابور والرها وأصبهان وخوارزم وبخارى وسمرقند وبغداد والبصرة والكوفة والاستقانة وبيروت ودمشق وحلب والقدس ومكة والمدينة الى القاهرة والاسكندرية ودمياط وطرابلس والقيروان وتلمسان وقسطنطينية ووهران وفاس ومراكش وطنجة وسبته وطليلة وقرطبة وأشبيلية ومرسيه (١٧٩) .

وكانت فترة نهوض الحضارة الإسلامية العظيمة من أهم فترات التاريخ فكانت أوروبا خلالها سائرة في عصورها المظلمة ، فمئذ القرن الأول حتى القرن السادس الهجري الموافق للقرن السابع وحتى القرن الثاني عشر الميلادى سيطرت الحضارة الإسلامية على المعارف الشرقية والغربية ، وبلغت هذه السيطرة أقصاها في القرن الرابع الهجري الموافق للحادى عشر الميلادى .

وهكذا فإن العرب بدافع من مبادئ الاسلام السامية تحولوا الى امة فتحت العالم فى أقصر مدة فكانت بغداد وقرطبة مركز الخلافة والبحث العلمى - ويمكن اعتبار القرنين الثالث والرابع الهجريين الموافقين للتاسع والعاشر الميلاديين القرنين الذهبيين لعلماء العرب والمسلمين الذين يدين لهم العالم بالكثير لحفظهم القسديم وتنمية لما ابتدعوه من فتوحات علمية جديدة (١٨٠) .

فقد صحح المسلمون علوم الأقدمين بالقدر الذى سمح به علم عصرهم وأضافوا علومها جديدة مثل الكيمياء والجبر فى صورته الجديدة - وعلم البصريات الهام - وحساب المثلثات المسطح ، والحساب الجديد الذى نقلوه عن الهنود وطوروه وجعلوه علما ، هذا فضلا عن كثير من الاضافات الأخرى . لذلك كون المسلمون تراثا علميا جديدا يميز الطابع نستطيع بحق أن نصفه بالتراث العلمى

(١٧٩) د. عائشة عبد الرحمن : (القرآن وتفسيره الانسان) (دار العلم للملايين - بيروت -

لبنان ط ٢ ١٩٧٥ م) ص ٣٦٥ .

(١٨٠) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العربى الإسلامى ص ١٧ ، ١٨ .

الإسلامي الذي أصبح قريبا بعدد الأساس الذي ارتكزت عليه الحضارة الحديثة^(١٨١) .
يقول حيدر بامات : « لم تسهم مدرسة بغداد أسهاما قويا في إيقاظ أوروبا فحسب ،
كما كتب دي سيغوندي بل أشرقت بالضياء على كل آسيا »^(١٨٢) .

ويقول جلال مظهر : لقد أسس هارون الرشيد بيت الحكمة ومدرسة الترجمة
التي أخذت في عصر الخليفة المأمون صورة أكاديمية فقامت المدرسة بأكثر
مجهود في ترجمة العلوم والفلسفة والمعارف القديمة حتى أصبح تحت يد العرب
مختلف علوم الأسبقين ومعارفهم^(١٨٣) .

لقد كان تأسيس بيت الحكمة في بغداد حدثا هاما من أحداث العصور
الوسطى وليس من المغالاة في شيء أن نقول أن هذه المؤسسة قد لعبت دورا
هاما وكانت تجمع بين الأكاديمية والمكتبة ومركز الترجمة في نقل تراث الحضارات
القديمة إلى العالم الغربي ، فقد قامت هذه المؤسسة الرائعة التي ضمت أسماء
من المسيحيين واليهود والعرب على الاهتمام بالمعارف الأجنبية ، من علوم وفلسفة
اليونان ومؤلفات جالينوس وأفلاطون وأرسطو والشارحين من أمثال الإسكندر
... الخ^(١٨٤) .

ويرجع الفضل لمدرسة بغداد الذي كان بيت الحكمة حجر الأساس لها
حيث كان تأثيرها حتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر ، في الحفاظ على
استمرارية الحضارة وإصلاح سلسلة المعارف الإنسانية التي حطمت بقسوة في القرن
السادس واضمحلال روما وسقوطها . ولو اقتصرنا حضارة الإسلام على مجرد
إنقاذ الحضارة القديمة بالحفاظ عليها بعناية ثم نقلها للأجيال التالية لكانت هذه
خدمة تجل عن الوصف^(١٨٥) .

يقول سيديو : « وهو حجة في هذا الموضوع » : ان ما يمتاز به مدرسة
بغداد هو الروح العلمية الصادقة التي وجهت كل أعمالها فكانت تتقدم من
المعلوم إلى المجهول ، تراقب الظواهر بكل دقة لتستنتج الأسباب من النتائج ،

(١٨١) جلال مظهر : عاوم المسلمين أساس التقدم العلمي الحديث ص ١٧ .

(١٨٢) حيدر بامات : اسهام المسلمين في الحضارة الإنسانية ص ٨١ .

(١٨٣) جلال مظهر . علوم المسلمين أساس التقدم العلمي الحديث ص ١٥ ، ١٦ .

(١٨٤) حيدر بامات : اسهام المسلمين في الحضارة الإنسانية ص ٧٨ ، ٧٩ .

(١٨٥) المرجع نفسه ص ٨٠ .

ولا تقبل حقيقة الا متى اثبتتها التجربة . كانت هذه هي توجيهات اساتذتها ، لقد امتلك العرب في القرن التاسع الوسائل العلمية انغنية ، التي استطاع العلماء في العصر الحديث ان يستلخدموها في اكتشافاتهم العظمى « (١٨٦) .

سارت الحياة الثقافية والعلمية في القرون الوسطى في رعاية الاسلام وكيف شجع الخلفاء العلماء في ظل الحرية للفكر والعقيدة ، في ظل التشجيع الأدبي والمادى ازدهرت العلوم والفنون الاسلامية ازدهارا كبيرا ، بينما كانت أوروبا في القرون الوسطى في ظلام دامس وصراع مستمر . فكان الجهل سائدا وكان العقل والفكر في نوم عميق (١٨٧) .

كان خلفاء المسلمين يشجعون العلم ويخدمون العلماء ويجزلون لهم العطاء لهذا انتعشت فروع العلم والمعرفة في الأرجاء الاسلامية وقامت حضارة كانت موضع تقدير جيرانها (١٨٨) . ولهذا عندما صحت أوروبا من نومها لم تجد غير علماء الحضارة الاسلامية فاسرعت نحوها تنهل من علمها وثقافتها وفنها . وكان الخلفاء وأباطرة الروم يتبادلون السفارات الخاصة لدراسة الكتب النادرة واستقدام كبار العلماء للاسهام في الحركة العلمية او لتسهيل مهمة بعض الطلاب لطلقى العلم في الجامعات الكبرى في عواصم العرب والروم ولا سيما اذا كانت تتعلق بأمور تقييد الناحية الحربية (١٨٩) .

قال سيديو : ان علماء المسلمين هم في الواقع اساتذة أوروبا في جميع فروع المعرفة ، وقد أيده رينان الفيلسوف الفرنسي عندما قال : « ان العلوم والحضارة مدينة بازدهارها وانتشارها للمسلمين وحدهم طوال ستة قرون ، وفي معرض آخر يقول جوستاف لويون : « لقد عاشت جامعات الغرب خمسمائة سنة تنقل عن العرب وتتعلم منهم » (١٩٠) .

وكما عد المؤرخون عهد هارون الرشيد وابنه المأمون عصر القسوة في الدولة العباسية عدوا كذلك عهد المعز وابنه العزيز عصر الازدهار للدولة الفاطمية ،

(١٨٦) سيديو : خاصة تاريخ العرب ص ٢٢١ ، ٢٢٣ .

(١٨٧) م ، عز الدين شراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٣١ .

(١٨٨) المرجع نفسه ص ١٥٣ .

(١٨٩) المرجع نفسه ص ١٥٠ .

(١٩٠) تبحرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى في الرياضيات والفلك ص ٢٥٠ .

وعهد الناصر وولده المستنصر العصر الذهبي لدولة العرب والاسلام بالأندلس .
وهنا وهناك كانت النهضة العلمية تسير عصر القوة للدول الثلاث فكانت جامعة
بيت الحكمة في بغداد وجامعة دار الحكمة في القاهرة وجامعة قرطبة في الأندلس
عنوان هذه النهضة رمزا معبرا عنها وآية من آيات عزها (١١) .

انقل تراثنا مع ثمار حضارتنا عبر الدردنيل والبحر الأسود وقزوين وصقلية
واسبانيا ، فأخذوا هناك في حركة الاحياء (الرينسانس) التي بدأ بها تاريخ النهضة
الحديثة في أوروبا . ويمكن تقدير مدى أثر جامعة بيت الحكمة في الجامعات
الحديثة اذا عرفنا ان جامعة بولونيا بايطاليا أسست ١١١٩ م وان جامعة أكسفورد
أسست ١٢٢٩ م وجامعة السوربون بعد ذلك ، فهي بذلك أقدم جامعة في
العالم كله (١٢) .

ولعل ظهور جامعات اسلامية دينية عريقة في الشرق الاسلامي من أهمها
الأزهر الذي قام في أول الأمر على أنه جامع لنشر الدعوة الفاطمية ولكن سرعان
ما تحول الى جامعة علمية تعليمية والى جانب الأزهر قامت جامعة بيت الحكمة في
بغداد وجامعة القرويين في المغرب وجامعة قرطبة في الأندلس (١٣) .

وكانت كلها تقوم على أساس المزج بين الدين والفكر الانساني . واذا كانت
الجامعات الاسلامية قد بدأت بالمسجد الجامع ، واستمرت عصورا مستقرة فيه
فانها مع ذلك لم تقف عند المنهج الديني انذى بدأت به ، بل تطورت مع العصور ،
حتى أضحت تجمع بين العلوم الدينية والدنيوية . ونستطيع أن نقول ان الجامعات
الأوروبية بدأت تسير على نفس النمط الذي كانت تسير عليه الجامعات الاسلامية .
فقد بدأت يغلب عليها الطابع الديني وان كانت تحررت منه بعد ذلك (١٤) .

وللعرب في الأندلس علاقة بتأسيس جامعة مونبلييه التاريخية فقد القى
البروفسور دالماس مبيد كلية الطب محاضرة في قاعة البلدية عن انشاء جامعة
مونبلييه عامة وكلية الطب خاصة قال فيها : م عندما أراد أهل مونبلييه في أوائل
القرن الثاني عشر ، انشاء جامعتهم ، وجدوا أنه ليس في مدينتهم الأساتذة والعلماء
والكفاءة اللازمة لانشاء الجامعة والقاء المحاضرات العلمية العالية ففكروا بالاستعانة

(١١) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٢٨ .

(١٢) أنور الجندي : (الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا) ، (الدار القومية للطباعة

والنشر - القاهرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) ص ١٣٨ .

(١٣) د. سبحة إبراهيم الجيار : دراسات في تاريخ الفكر التربوي ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(١٤) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٢٢ .

بجامعات أخرى لهذه الغاية فنظروا أولا الى باريس فأروا انها ليست احسن حالا منهم ثم فكروا في روما فوجدوا أنهم احسن حالا منهم ، اما انكثروا والمانييا فكانتا لا تزالان في الأشواط الأولى من التعلم والثقافة . وبعد بحث قرروا أن لا مناص لهم من طلب تلك المساعدة الفنية من البلد الوحيد الذي يستطيع أن يمددهم بالأساتذة والخبراء الأكفاء . هو الدولة العربية الاسلامية في الأندلس ، فاتصلوا بها وعرضوا عليها وضعهم فلبت الحكومة العربية طلبهم وأرسلت الى مونيبييه ثلاثة من كبار الأساتذة المشهورين بالطب والعلوم والفلسفة . وعكف هؤلاء على مهمتهم ، وأخذوا ينظمون الجامعة لا سيما كلية الطب مع الأساتذة الفرنسيين ، كما ألقوا المحاضرات العلمية فيها ، خلال ثلاث سنوات ، وبعد مدة كافية وجدوا أن في امكان الأساتذة الفرنسيين الاستمرار في عملهم دون الحاجة اليهم ، فاستأذنوا في العودة الى أعمالهم في جامعاتهم في أسبانيا العربية « (١٩٥) .

ويشهد مؤرخو الحضارة الغربية من أمثال دييـور وأوليري وتوينبي وكرايشكوفسكى . . بأن الفكر الاسلامى هو الذى قدم الى الغرب شعاع النور الذى أضاء مسراه الى عصر النهضة الحديثة (١٩٦) . فقد قام الأمير فردريك بتأسيس جامعة نابولى عام ١٢٢٤ م وجعلها مدرسة لنقل العلم العربى الى العالم الغربى ، وأن جامعة بولونيا وبادوقيا قامتا على الثقافة العربية ، وبخاصة فلسفة ابن رشد وطب ابن سينا . وفي صقلية اعتمدت جامعة باليرمو أقدم جامعة غربية على الثقافة العربية التى حرص الأمير « ريجار » و « روجيرو » على استعارتها منا ، واستقدم لها الاعلام من علماء العرب وكان منهم « الادريسى » الذى ألف لأمير صقلية كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الافاق » وصنع كرة أرضية من الفضة كتبت عليها بالذهب أسماء الأقاليم والمدن الكبرى (١٩٧) .

ليست أوروبا أرض حضارة ، ولا أرقى تقدما ولا أعلى ذوقا ، ولا أجمل مظهرا عما كانت عليه الحضارة الاسلامية في بغداد والأندلس يوم أن كننت أوروبا غارقة في جهلها وظلامها كانت شوارع المسلمين في أيام حضارتهم الزاهية مضاءة مبلطة بالأحجار ، كانت لهم جوامع كثيرة ومكتبات مرتبة ومستشفيات منظمة . . غير ما كانوا عليه من حرية وحب وأخاء وتراحم (١٩٨) . وهكذا ، ظلت جامعة بيت الحكمة منارة للجامعات الأوروبية الحديثة وذات تأثير قوى في جميع فروع العلم والمعرفة فيها .

(١٩٥) المرجع نفسه ص ١٢٥ .

(١٩٦) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٤٣ .

(١٩٧) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٤٣ ، ٤٤ .

(١٩٨) المرجع نفسه ص ٤ .

ثانياً - بيت الحكمة كجامعة ذات أثر فكري وفكري في الجامعات الحديثة :

كانت أهم وجوه النشاط العلمي في العالم تجرى في بيت الحكمة الذي رعاها المأمون في بغداد .. وفي بيت الحكمة هذا كان تأثير الخوارزمي على الفكر الرياضي أكبر من تأثير أي رياضي آخر في العصور الوسطى^(١٩) .

قامت مدرستا بغداد ودمشق الفلكيتان في عهد هارون الرشيد والمأمون بأعمال جليلة في علوم الهيئة والتنجيم (علم النجوم) وقد وضع حينذاك أسبق الاستواء بثلاث وعشرين درجة وثلاثة وثلاثين دقيقة وخمسين ثانية وهو نفس ما اهتدى إليه علماء الفلك على عهدنا بآلاتهم الكثيرة وأدواتهم الحديثة . فكانوا يعرفون جيداً مدار السنة برصد الاعتدالين وجعلوا عدتهم في ذلك قياس قوس خط الزوال وهو ما لم يقدّم بمثله غيرهم إلا بعد مضي ألف سنة من استنباطهم إياه وعملهم به ، فضلاً عن الكثير من المزاويل والساعات الرملية والمائية التي اخترعوها لتحديد ضبط الوقت^(٢٠) .

وقد صدر عن مدرسة بغداد في عهد هارون الرشيد والمأمون بعض المؤلفات الهامة ، فروجعت النظريات القديمة ، وصوب العديد من أخطاء بطليموس وصححت جداول اليونان ، وإلى مدرسة بغداد يرجع الفضل في اكتشاف حركة نقطة الأوج في مدار الشمس وتقدير انحراف المدار البيضواوي ونقصانه المتوالي والدراسة التفصيلية لتقدير مدة السنة ، وقد لاحظ علماء بغداد عدم انتظام أقصى ارتفاع للقمر واكتشفوا التباين القمري الثالث ويعرف باسم « التغيير » وراقبوا الكلف (البقع) الشمسية ودرسوا الكسوف والخسوف وظهور المذنبات وغيرها من الظواهر الفلكية وشكوا في ثبات الأرض ، فكانوا السابقين الأوائل لكوبرنيكوس وليبر^(٢١) .

وقد سجلت نتائج هذه المراقبات التي قامت بها مدرسة بغداد في الجداول المنحقة ويعتبر يحيى بن أبي منصور المؤلف الرئيسي لهذه الجداول ، ومن أشهر

(١٩٩) د. علي عبد الله الدفاع : الموجز في التراث العلمي العربي الإسلامي ص ٦٣ .

(٢٠٠) السعيد محمود أبو الفيض المتوفى : (أصالة العلم وانحراف العلماء) (دار نهضة مصر -

القاهرة - بدون) ص ٦ .

(٢٠١) حيدر بامات : اسهام المسلمين في الحضارة الانسانية ص ٩٩ .

علماء هذه المدرسة نذكر البتاني الذي يعتبره « لالاند » أشهر عشرين ملكياً في العالم ، وأبو الوفا الذي يرتبط اسمه بأحد أساسيات علم الفلك ، وهو التباين القمري الثالث ، وقد سبق هذا الفلكي المسلم الدنماركي نيكوبراهي الذي ينسب إليه خطأ هذا الاكتشاف سبقه بعشرة قرون (٢٠٢) .

ولعل اهتمام المأمون في بغداد بالأكاديمية العلمية الا وهى بيت الحكمة حيث الحق بها مكتبة ضخمة ومرصداً تم بناؤه تحت اشراف سند بن على رئيس الفلكيين في ذلك الوقت . وبالإضافة الى ذلك أقيم مرصد آخر في سهل تدمر وقد عززت هذه المراصد بأجهزة فلكية تشبه الآلات الأجنبية ولكنها تفوقها في الدقة ، وهذه الأجهزة من صنع نخبة من العلماء على رأسهم على بن عيسى الأسطرلابي الذي اشتهر بذلك الاسم ، لبراعته في صناعة هذا الجهاز الفلكي وشرح تفصيله وطرق استعماله في كتاب يعتبر الأول من نوعه ، وأبو على يحيى بن أبى منصور الذى زاد في دقة أجهزة الأرصاد بتقسيم درجاتها الى ستة أجزاء ، حتى تعطى القيمة المطلوبة اقرب ما يمكن الى الحقيقة ، وعلى أساس أرصاده وأرصاد زملائه ، ثم عمل الحسابات اللازمة لنشر الزيج المأموني وبعض الكتب الأخرى في علوم الفلك (٢٠٣) .

كما شجع المأمون علماء جامعة بيت الحكمة على البحث في هذا المضمار ومن اهم النتائج التى توصل اليها علماء المسلمين في عهده قياس محيط الكرة الارضية ، فقدروه بـ ١٢٤٨ كم ، وهو قريب من النتائج التى توصلنا اليها في هذا العصر بالحسابات الالكترونية كما قلبوا الشمس والقمر والنجوم بطرق هندسية دقيقة قريبة من الصواب (٢٠٤) .

وبإقامة مرصد بغداد ، بدأ سير العرب في الطريق الإيجابي نحو نهضة علم الفلك ، فاجتمع في ذلك المرصد حشد من كبار العلماء دأبوا على تسجيل أرصاد لمختلف الظواهر الفلكية بصفة مستمرة ، وذلك لأول مرة في تاريخ علم الفلك ، فكانت تلك الأرصاد تؤخذ بطريقة جماعية حتى أصبح من اشق الأمور المقارنة بين هذا وذاك الا بالمؤلفات الخاصة لكل منهم او بالمنصب الذى كان يتولاه (٢٠٥) .

(٢٠٢) المرجع نفسه ص ١٠٠ .

(٢٠٣) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٢٠٤) السيد محمود أبو الفيض الخنوف : أصالة اللطم وانحراف العلماء ص ١٧ .

(٢٠٥) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٨ .

ولا يغوتنا أن نشير الى انتقال عدوى حب العلم ورعايته من الخليفة المأمون الى الكثيرين من رعاياه ومن بينهم الثلاثي الشهير (بنو موسى وهم أحمد ومحمد والحسن) أبناء موسى بن شاكر الذين سبقت الإشارة اليهم فقد تفردوا في وقتهم بالوقوف على دقائق علم الفلك والاستكشافات الفلكية المهمة كتحديد حركة المبادرة السنوية أى تقهر نقطتي الاعتدالين ورسم مواقع النجوم على مدار السنة وقياس عرض مدينة بغداد بأنه ٢٣ درجة و ٢٠ دقيقة وهو العرض الصحيح الذي استخرجه العلماء في عصرنا (٢٠٦) .

ونهض المسلمون بعلم الفلك : وعرفوا الكواكب والمجموعات النجمية ، ولا تزال في اللغات الأجنبية الفاظ عربية لبعض النجوم مثل : السمك والرامي والواقع والطائرة والمرأة والسلسلة ذات الكرسي والذئب وفم الحوت . . ومن آلات الرصد التي استعملها علماء المسلمين آلات ذوات أوتار تسمى ذوات الشعبتين ، ذات الجيب وذات السميت والارتفاع والأسطرلاب والليونة ذات الحلقة والحلقة الاعتزالية . . كما اهتم علماء المسلمين بعلم الأرياح ، وهي جداول فلكية تستند الى قوانين رياضية . . ومن أشهر الأرياح التي أولاهها المسلمون عنايتهم الثامة ، زيج البتاني ، وزيج البلخي وزيج الفزارى وزيج العلائي ، وزيج الخوارزمي (٢٠٧) .

وجماع القول ان للعرب افضالا كبيرة على الفلك منها أولا : نقلوا العلوم الفلكية عند اليونان والفرس والكلدان والسريان وصححوا بعض اغلاطها وتوسعوا فيها ، وهذا عمل جليل جدا ، اذا عرفنا ان ادول تلك الكتب ضاعت ولم يبق منها غير ترجماتها في العربية ، وهذا طبعا ما جعل الأوروبيين يأخذون هذا العلم عن العرب فكأنوا — اى العرب — أساتذة العالم فيه . ثانيا : في اضافاتهم الهامة واكتشافاتهم الجليلة التي تقدمت بالفلك شوطا بعيدا . ثالثا : في جعلهم علم الفلك استقرائيا وفي عدم وقوفهم فيه عند حد النظريات كما فعل اليونان . رابعا : في تطهير علم الفلك من أدران التنجيم (٢٠٨) .

لا شك ان العرب لم يصلوا بعلم الفلك الى ما وصلوا اليه الا بفضل المراصد ، وقد كانت هذه نادرة جدا قبل النهضة العلمية العباسية ونذكر من علماء العرب

(٢٠٦) السيد محمود أبو الفيض المتوفى : اصالة العلم وانحراف العلماء ص ١٧ .

(٢٠٧) د. على عبد الله الأفياع : الموحز في التراث العربي العلمي الاسلامي ص ٧٦ .

(٢٠٨) تدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمي في الفلك والرياضيات ص ١٣٨ .

المبرزين في علم الهيئة أبو عبد الله بن محمد بن جابر بن سنان الحراني المعروف بالبتاني فقد كانت منزلته في قومه كمنزلة بطليموس في اليونان فكانت مصنفاته حاوية شتات الحقائق الفلكية التي لم يحصلها العقل البشري إلى عهده ، ومن آثاره القيمة الزيج المنسوب إليه وقد ضمنه مواقع الكواكب سنة ٢٩٩ هـ وفي مكتبة الفاتيكان نسخة خطية من هذا الزيج النفيس ، وقد طبعه منذ عهد غير بعيد العلامة (نالنيو) عن نسخة خطية أخرى موجودة في مكتبة (الأسكوريال) وترجمه إلى اللاتينية (٢٠٩) .

ولكن مهما كانت الظروف والاحوال فقد كانت بيت الحكمة جامعة واسعة تثرى الفكر العربي والإسلامي والإنساني بعلومها المختلفة ، فيدرس فيها أشهر العلماء والحكماء والفلاسفة والمنجمين والفلكيين وبقيت ذات أثر فكري وفلكي في الجامعات الحديثة .

(٢٠٩) السيد محمود أبو الفيض الخوفي : أصالة العلم وانحراف العلماء ص ١٦ .

ثالثاً — تأثير جامعة بيت الحكمة في الجامعات الحديثة في شتى فروع العلوم والمعرفة :

كانت بغداد مركزاً للعلوم والمعارف في ظل الخلافة الإسلامية فكانت جامعة بيت الحكمة تضم مكتبة ومجمعاً علمياً أدبياً وداراً للترجمة ، وقد أمر الخليفة المأمون بترجمة جميع مؤلفات الإغريق إلى العربية ، كما أن مؤلفات بطليموس وأقليدس وأرسطو وغيرهم انتقلت آخر الأمر من بغداد إلى الجامعات الإسلامية في البلاد النائية مثل صقلية والأندلس وانتقلت المعارف العلمية إلى أوروبا في العصور الوسطى من خلال الجامعات الأندلسية التي أسسها المسلمون^(٢١١) .

وفي العصر العباسي بدأت الحركة العلمية في جميع المجالات وازدهر الطب ضمن جميع فروع المعرفة ، فقد فتح خلفاء بني العباس مدارس وجامعات تدرس علم الطب في كل من بغداد والبصرة والكوفة ودمشق^(٢١٢) . فقد ظهر طبيب عربي إسلامي ، ونظريات علمية مبتكرة ولمع أبو بكر الرازي الذي وضع دائرة معارف طبية تقسّم في ٢٥ جزءاً وترجمت جميعها إلى اللاتينية ، وظلت تدرس في جامعات أوروبا حتى نهاية القرن الخامس عشر^(٢١٣) .

وللرازي من كتب الطب والفلسفة وغيرها شيء كثير ، وما زال الناس يعولون على كتابه حتى ظهر كتاب القانون لابن سينا وهو معروف حتى اليوم . وأبو بكر الرازي الذي نعتوه بجالينوس العرب كان مديراً لأطباء مستشفى الري ، ثم مدير البيمارستان في بغداد لبراعته في الطب وتنسب إليه خياطة الجروح الباطنية بأوتار العود ، وقد ألف كتباً عديدة كانت المعول في دراسة الطب بالمعاهد والجامعات الأوروبية فترة طويلة من الزمان وأهمها كتاب الحاوي^(٢١٤) . ويعتبر من أوسع دوائر المعارف في الطب والجراحة ويفوق في الحجم قانون ابن سينا ويشتمل على جميع ما يحتاج إليه طالب الطب من مداواة الأمراض والعلل .

تقول د. ثلوارترهت : وزير صحة جمهورية المانيا الاتحادية في افتتاح المؤتمر الدولي بالقاهرة حيث شهدت بذلك في قولها : « أن الغرب لن ينسى أبداً أنه مدين

(٢١٠) د. علي عبد الله الدففاع : الموجز في التراث العلمي العربي الإسلامي ص ١٩ .

(٢١١) المرجع نفسه ص ٢٧ .

(٢١٢) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٢٠٨ .

(٢١٣) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الإسلامية للعربية على العالم ص ٤١١ ، ٤١٢ .

للعرب بدراسة الطب ، وأن مؤلفات ابن سينا والرازي كانت هي الكتب الوحيدة التي تدرس في جامعة بالرمو التي تضم أشهر مدرسة للطب في العالم الغربي ، وكانت هذه الكتب قد ترجمت الى اللغة اللاتينية . ويشهد بذلك أيضا مدير جامعة برلين ورئيس فرع الطب بها حيث قال في حفل أقيم بالكلية : « أيها الطلاب العرب ، والآن اسمحوا بأن نعلمكم ونعيد على أسماكم ما أخذناه من أسلافكم وتعلمناه عن آبائكم » (٢١٤) .

وكان الرازي موضع تقدير الجامعات الحديثة ، فقد خصصت جامعة برستون الأمريكية أكبر جناح في أجمل بناء لها لعرض آثار هذا الطبيب المسلم الذي يعد أول واضع لعلم الطب التجريبي ، إذ كان يجري تجاربه على الحيوانات لاختبر تأثير الأدوية فيها ، ثم يسجل جميع ملاحظاته .. وهذا ما يفعله الأطباء الآن .

وفي باريس تعلق كلية الطب على جدرانها صورة « الرازي » ضمن صور أكبر الأطباء الذين خدموا الإنسانية ولهذه الأعمال الجليلة والانتاج العلمي الوافر سمي هذا العالم المسلم « أبو الطب العربي » و « جالينوس العرب » (٢١٥) .

وظلت كليات الطب في أوروبا تعتمد على كتب الرازي زمنا طويلا ، كما كان قانون ابن سينا في الطب موضع اهتمام الغرب ودراستهم منذ القرن الثالث عشر الى السادس عشر ، ولا يزال أهل فارس يتداولونه بما وصفه ابن سينا الى أيامنا هذه لذلك فان كتب الرازي وابن سينا كانت أساسا للتدريس في جامعة لوفان في القرن السابع عشر من الميلاد (٢١٦) .

وقد عد لذكرك في تاريخ الطب العربي ثلاثمائة كتاب نقلها الغرب من العربية الى اللاتينية وطبعت مرارا وخاصة في سنة ١٥٠٩ م في فينيسيا وفي سنة ١٥٢٨ م وفي سنة ١٥٧٨ م في باريس وآخر مرة أعيد فيها نشر مؤلفه عن الجسد (٢١٧) كان في سنة ١٧٤٥ م . وكان الطب العربي أساس علم الطب عند الفرنسيين ، أخذوه مع كثير من الألفاظ العربية . ودرس بعض الغربيين العلوم المختلفة على علماء

(٢١٤) المرجع نفسه ص ٤٤٤ .

(٢١٥) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٢٣٢ .

(٢١٦) جيستاف لوبون : حضارة العرب ص ٥١٧ .

(٢١٧) حيدر يامات : اسهام المسلمين في الحضارة الإنسانية ص ١١١ .

عرب (٢١٨) ، كما سبق العرب الأفرنج الى وصف الجذام وشرح مرض الجدري والحصبة وعلاج أمراض العين (٢١٩) .

والحقيقة ان الطب الأوروبى الحديث مستنبط من بدايته من الطب العربى الاسلامى ، اذ يقول « رام لاندو » فى كتابه « الاسلام والعرب » لم يوسع المسلمون فى دراستهم وبحوثهم الطبية آفاق الطب فحسب بل وسعوا المفاهيم الانسانية على وجه العموم ، واذا كان من واجبا أن نعتبر فلق الذرة والقنبلة الذرية رمزا لأروع المنجزات العلمية فى منتصف القرن العشرين ، فلن يبدو من مجرد المصادفة أيضا أن تكون جهود المسلمين الطبية المبتكرة قد قادتهم الى اكتشاف لا يقل من هذا الكشف الذرى ثورية ، وأن يكون فى أغاب الظن أكثر منه نفعا « (٢٢٠) .

وهكذا انتقل الطب العربى الى أوروبا فأنشئت مدارس الطب فى « مونبلييه وبولونيا وبادوا وأورليان ونابولى وأكسفورد وكمبردج وأنجيه » وكلها تستخدم الكتب العربية المترجمة الى اللاتينية أساسا لتدريس الطب فى جامعاتها (٢٢١) .

ولو احصينا عدد الأطباء المسلمين الذين نبغوا فى الطب بعد عصر ترجمة الكتب الدلبيه حتى انقضاء النهضة العباسية وابتداء عصر التقهقر لزاد عدد المؤلفين فيهم على بضع مئات : وأكثرهم اشتغلوا بسائر العلوم والفوا الكتب العديدة وترى ذلك مفصلا فى طبقات الأطباء لابن أصيبعة وتراجم الحكماء لابن القفطى . أما عدد الأطباء على الإطلاق فلا لا يمكن حصره لضياح ذلك مع الزمان وإنما يستدل من بعض القرائن أنه كثير جدا . ان كانت جامعة بيت الحكمة ذات تأثير عظيم فى الجامعات الحديثة فى مجال الطب .

أما فى مجال الكيمياء فقد اشتهر العرب شهرة واسعة ، يقول الفيلسوف الإنكليزى « باكون » ان جابر بن حيان الكوفى يعد معلم العالم فى الكيمياء . ولجابر ابن حيان قول ماثور : ان واجب المشتغل فى الطبيعيات والكيمياء ، هو العمل

(٢١٨) محمد كرد على : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٩٨ .

(٢١٩) عباس العقاد : أثر العرب فى الحضارة الأوروبية ص ٣٩ .

(٢٢٠) د. على عبد الدافع . الموجز فى التراث العلمى العربى ص ٢٦ .

(٢٢١) د. عبد الرحمن بدوى : (دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى) (دار العلم للملايين -

بيروت) - لندن ١٩٧٩ م (ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢٢٢) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٢٠٨ .

وأجراء التجارب ، فإن المعرفة الحقيقية لا تحصل إلا بها . وفي عهده عرف التقطير والتصعيد والترشيح ، وكلها عمليات فيزيائية ، كما عرف حمض الكبريت ، وحمض الأزوت ، والصودا الكاوية وكثير من المواد الكيماوية الأخرى^(٢٢٢) .

كما قام العرب باكتشافات هائلة من بينها الماء الملكي وحمض الكبريتيك وحمض الأمرونيك ، ونترات الفضة ، والعرب في العمليات الكيماوية التي قاموا بها استطاعوا تحضير حمض الزرنينج وأكسيد الزئبق وأكسيد الحديد وأكسيد النحاس وكبريتات النحاس وكبريتات الزئبق . وكلوورود الزئبق الذي حضره جابر بن حيان بغلى الزئبق مع الملح المعادى ونترات الألومن ، وأشهر الكيميائيين العرب الذين عرفتهم أوروبا في جامعاتها من غير شك جابر بن حيان^(٢٢٣) . الذي كان يعيش في سنة ٧٧٦ م . وفي خلال القرون الوسطى ترجمت عدة مقالات عن جابر بن حيان الى لاتينية وكان له أثر كبير في تكوين مدرسة كيماوية ذات أثر بالغ في بلاد انغرب^(٢٢٤) . وقد نقل كتابه المعروف بكتاب « الاستتمام » الى اللغة الفرنسية في سنة ١٦٧٢ م مما يدل على دوام نفوذه العلمى في أوروبا مدة طويلة^(٢٢٥) .

وكان لنقل كتب جابر بن حيان وأبى بكر الرازى وغيرهم الى اللغات الأوروبية ان تلقى الأوروبيون عن العرب تقسيم المواد الكيماوية الى نباتية وحيوانية ومعنوية^(٢٢٦) . ويدين الطب لعلم الكيمياء العربى بسلسلة من أشكال العقاقير كالشراب الحلو المستخرج من نبات الكرنب مع السكر الذى مثل دورا هاما في تاريخ الطب^(٢٢٧) . وهذا ما دفع العالم ليبرى الى أن يقول : « أحنفوا العرب من التاريخ ، يتأخر عصر النهضة في أوروبا عدة قرون » أهلا الكيمياء الحديثة فيقول العارفون من علماء أوروبا أن العرب هم الذين وضعوا أساسها بما كانوا يقومون به من تجارب ، وبما كانوا يهيئون من مستحضرات كيماوية استعملت في صناعات شتى كصناعة الورق والصابون والأصبغة والمفرقعات والأدوية ، وقد نقل الغربيون عنهم بعض الصناعات ولا سيما صناعة الورق ، كما نقلوا الى لغاتهم أكثر من خمسين اسما من الأسماء الكيماوية التى وضعها العرب حيث لم يتركوا بابا الا طرقوه^(٢٢٨) .

(٢٢٣) د . عبد الرحمن بدوى : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبى ص ٢١ .

(٢٢٤) اسماعيل مظهر : تاريخ الفكر العربى ص ٦٩ .

(٢٢٥) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٥٠٣ .

(٢٢٦) عباس المقاد : أثر العرب في الحضارة الأوروبية ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٢٢٧) زغريد هونكه : أثر الحضارة العربية في أوروبا ص ٣٣٦ ، ٣٢٨ .

(٢٢٨) د . عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٦٣ .

وأبرز دور للعرب في تكوين الفكر الأوروبي هو في العلم بمختلف فروع الطب والكيمياء والفلك والرياضيات . أما الرياضيات فقد كان للعرب الفضل الأكبر لأنهم هم الذين أدخلوا النظام العشري في العدد ، إذ كان اليونانيون إنما يستعملون في العدد حروف الأبجدية من (١) الى (٩٩٩) ثم يستعملون الشرطة والشوكة والنقطة للعدد فيما بعد ذلك حتى آلاف الآلاف . وكان الرومان يستعملون سبعة احرف من الأبجدية هي I, V, X, L, C, D, M وتدل على التوالي على ١ ، ٥ ، ١٠ ، ٥٠ ، ١٠٠ ، ٥٠٠ ، ١٠٠٠ ، ثم يضعون فوقها شرطة أفقية تدل على أن العدد مضروب في ١٠٠٠ ، وجاء الهنود باختراعوا نظام العد العشري وفيه تتوقف قيمة العدد على موضعه . فالعدد على يمين الواحد غيره على شماله ، وهكذا واستعملوا الصفر للدلالة على الخلو من الوحدة . وجاء العرب فاخترعوا طريقة لكتابة الأعداد هي طريقة « الفغار » وهي التي انتشرت في المغرب ومنه انتقلت الى أوروبا ولا تزال اليوم فيها نسميه نحن بالأرقام الهندوستانية وهي التي لا تزال تكتب بها الأرقام في المشرق العربي حتى اليوم ، وقد دخلت الرياضيات العربية أوروبا على يد Leonardo de pissa في القرن الثالث عشر (٢٢٩) .

أما جبر الخوارزمي فله في تاريخ العلوم الرياضية مكانة سامية لأن كل ما ألفه العرب فيما بعد عن الجبر وكل كتب الجبر التي ظهرت في القرون الوسطى مبنية كلها عليه ، ومنه انتقلت طريقة العدديّة العشرية أو الهندية الى الغرب ، وكتابه الجبر هو المعروف باسم « الجبر والمقابلة » (٢٣٠) . وجاء بعد ذلك ثابت بن قرة ليتم ما بذاه الخوارزمي وترجم الى العربية أهم الكتب الرياضية التي وضعها أقليدس وأرشميدس وبطليموس ووضع عدداً ذلك كتباً مبتكرة لم يعثر الباحثون الا على قسم من كتابه الجبر ، ويشمل على فصل واحد من المعادلات التكعيبة ، ومعادلات الدرجة الثالثة ، وقد استخدم في حلها علم الهندسة كما فعل الخوارزمي . ان مؤلفات العلماء المسلمين في الحساب والجبر وحساب المثلثات قد بلغت شأناً كبيراً . ولولاهم لما عرف ما وضعه الاغريق من مبادئ في هذا المجال ولولاهم لما جاءت هذه الاضافات الكثيرة والتصحيحات العديدة في هذه الميادين ولولاهم لتخبط أهل أوروبا في هذه المجالات ولعجزوا عن معرفة معالم الطريق . . وحتى لو بداوا من أول الطريق لاحتاجوا الى عشرات القرون ليصلوا الى نقطة النهاية التي تركها لهم علماء المسلمين

(٢٢٩) د. عبد الرحمن بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ص ١٧٠ .

(٢٣٠) د. عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على أوروبا ص ٧٣ ، ٧٤ .

ليستكملوا المسيرة (٣٣١) . وهذا الدور الاسلامى كان من ثلحيته أساسا لنهضة القرن الثامن الهجرى فى أوروبا .

فإذا انتقلنا من الرياضيات الى الفلك والتنجيم وجدنا العرب قد أثروا تأثيرا بالغاً فيما يتعلق بالأرصاد الفلكية ومن العرب الذين عرفتهم أوروبا فى هذا الباب محمد بن موسى الخوارزمى الذى ذكرناه آنفا ، فان الأبحاث الفلكية التى وضعها وفقها لأرصاد بعضها قام هو بها وبعضها تأثر فيها بالهنود ، فقد ترجمها الى اللاتينية سنة ١١٢٦ م كذلك ذكر أبو العباس أحمد بن محمد بن كثير الفرغانى ولسه فى الفلك كتاب كان ذا أهمية بالغة فترجمه الى اللاتينية خوان الأشبيلى وجيراردو الكرمونى كما ترجمه الى العبرية يعقوب الاناضولى ونشرت الترجمة اللاتينية مع النص العربى فى أمستردام سنة ١٦٦٩ م . وهو الذى قاس قطر الأرض بمقدار ٦٥٠٠ ميل . ولا يفوتنا ان نذكر أبا معشر جعفر البلخى وترجم له الى اللاتينية كتاب بعنوان : (Introductorium in Astronomiam Albumasoris) وترجمه له خوان الأشبيلى وطبع سنة ١٤٨٩ م ، وسيورج سنة ١٤٥٩ م فى فينيسيا وفيه وضع نظرية عن المد والجزر (٣٣٢) .

فالبقائى الذى عمل فى المرصد بدار الحكمة ببغداد اكتشف تغير أوج الشمس ، وحسب السنة بمقدار ٣٦٥ يوماً وخمس ساعات و ٤٦ دقيقة و ٢٤ ثانية ، والفلكيون اليوم يحسبونها بمقدار ٣٦٥ يوماً وخمس ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٧ ثانية ، كما تنبأ الفلكيون العرب بكسوف الشمس وكسوف القمر بدرجة من الدقة المتناهية أذهلت الناس ، وأولوا القمر اهتماماً خاصاً ، لأن السنة العربية قمرية (٣٣٣) .

ولا نعجب أن يحلق البقائى وكتابه « الزيج الصابى » وشهرتهما الى الانفاق حتى أن « الفونس العاشر » ملك قشتالة أمر بأن يترجم — الزيج الصابى — الى اللغة الأسبانية . . . حيث طبع مع شروح وهوامش مرفقة به عدة مرات اعتباراً من العام ١٩٤٦ م فما الذى أتى به البقائى ؟ وامتاز به عن بقية علماء الفلك وهم كثيرون ؟ لقد باشر البقائى أرصاده فى مرصد بناه لنفسه فى أنطاكية وهو

(٣٣١) المرجع نفسه ص ٧٦ .

(٣٣٢) د . عبد الرحمن بقرى : دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى ص ١٩٠ .

(٣٣٣) المرجع نفسه ص ١٩ ، ٢٠ .

المعروف بمرصد البتاني وذلك في تمام عام ٢٦٤ هـ ، واستطاع أن يصل إلى جملة حقائق (٣٣٤) :

(١) رصد الزاوية المحصورة ما بين المستوى المار بخط الاستواء الأرضي والمستوى المار بهمدار الأرض حول الشمس وهي ما تدعى (بزاوية الميل الأعظم) .

(ب) حسب البتاني طول السنة الشمسية وحسابه لا يختلف عما هو معروف اليوم الا بمقدار دقيقتين .

(ج) أثبت البتاني امكانية حدوث الكسوف الحلقى للشمس . . بينما نفى العلماء ممن أتى قبله امكانية حدوث مثل هذا الكسوف (٣٣٥) يقول المؤرخ سكوت لم يتعمد الحقيقة بقوله : من مآذن المساجد ببلرم كان الفلكي العربي يرقب حركات النجوم ، ويعين مواقيت الخسوف والكسوف ومواقع النجوم مستعينا على ذلك بآلات اخترعت في حوض الوادي الكبير ، وعند نهر دجلة ومستعينا أيضا بزيجات ثبتت في سهول بابل قبل المسيح بقرون .

والعرب كانوا اول من بنى مراصد فلكية في أوروبا ، وأول من عمم فكرة كروية الأرض وجعلها مفهوما عاما ، بينما كان الرأي السائد في أوروبا يؤكد أن الأرض مسطحة بكل ما يحمل هذا التأكيد من استحالة وكان العرب يدرسون الجغرافيا في مدارسهم على كرات جغرافية قبل أن تدرك أوروبا أن الأرض كروية بعد قرون طوال (٣٣٦) .

وهذا الإبداع والابتكار اذى قدمه المسلمون في شتى مجالات العلم دفع كبار العلماء والمفكرين في أوروبا أن يعترفوا بالحقيقة وأن ينسبوا الفضل الى أهله وذويه فقال جوستاف لويون : « كلما تعمق المرء في دراسة المدنية الاسلامية تجلت له أمور جديدة واتسعت أمامه الآفاق وثبت له أن القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة الا بواسطة علماء المسلمين . وأن جامعات الغرب عاشت خمسمائة

(٣٣٤) محمد رجب السامرائي : علم الفلك عند العرب ص ٩٣ .

(٣٣٥) المرجع نفسه ص ٩٤ .

(٣٣٦) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٤٧٩ .

سنة تكتب للعرب وخاصة ان المسلمين هم الذين قسدهوا أوروبا في المادة والعقل والخلق» (٢٣٧) . وقد اعترف العلامة سيديو وأوجز عندهما قال : « ان علماء المسلمين هم في الواقع اساتذة أوروبا في جميع فروع المعرفة » (٢٣٨) . وقد ايده الفيلسوف الفرنسى رينان عندهما قال : « ان العلوم والحضارة مدنية بازدهارها وانتشارها للمسلمين وحدهم طوال ستة قرون » . وفي معرض آخر يقول جوستاف لوبون : « لقد عاشت جامعات الغرب خمسمائة سنة تنقل عن العرب وتتعلم منهم » .

ويصف سارتون الحركة العلمية الاسلامية بأنها أعظم حركة علمية تتصف بالاصالة من مطالع العصور الوسطى حتى نهاية القرن الثالث عشر . . وقد أخذ سارتون يعدد نعم العرب وأفضائهم على العلم في ميادين علم الجبر وحساب المثلثات والهندسة والفنك والطب والكيمياء وعلم الظواهر الجوية . . . ثم يقول لنا : اننا اذا نظرنا الى تراثهم بمنظار بيئتهم ، وقارنا بين جهودهم وجهود غيرهم من معاصريهم بدا تفوقهم الكاسح واضحا جليا ، ومن منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادى عشر كانت الشعوب الناطقة بالعربية تتقدم موكب الحضارة في الدنيا كلها ، وفي الوقت الذى أوقد فيه العرب هذه النهضة الوضاعة المشرقة كانت أوروبا أثناءه بل قبله وبعده في حال مزرية من البداوة والتخلف . فحينما أرتدت الى تراث العرب وراحت تفهل من معينه ثم نهضت في صقلية منذ النصف الثانى من القرن الحادى عشر وفي أسبانيا منذ النصف الأول من القرن الثانى عشر ، نهضت أوروبا بحركة ترجمة واسعة النطاق ، ترجمت فيها كنوز الفكر العربى الى اللاتينية لغة المثقفين من أهل العالم الأوروبى (٢٣٩) .

أما في الفلسفة فان الفيلسوف الكندى العربى يعتبر نتاج هذا العصر وكتبه في الفلسفة والمنطق والهندسة والنجوم والموسيقى وغيرها رائعة حقاً (٢٤٠) .

وقد خلصت الفلسفة اليونانية في هذا العصر من شوائب الأوهام والأباطيل والخيالات بفضل عقول المسلمين المتفتحة الفاحصة التى درست القضايا والمشكلات الفلسفية في ضوء من فهمهم الواعى للإسلام وأصوله وينبغى الا نغفل فضل المعتزلة

(٢٣٧) جوستاف لوبون حضارة العرب ص ٥١٩ . ٤٨١ .

(٢٣٨) سيديو : خلاصة تاريخ العرب العام ص ٢٢١ ، ٢٢٣ .

(٢٣٩) د . عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢٤٠) ابن النديم : الفهرست ص ٣٧١ ، ٣٧٩ .

وجهودهم في هذا المقام في المحاماة عن الدين الاسلامى ضد أعدائه ودفع البدع والشوائب الدخيلة عن أن تعلق به حينما حاربوا الثنوية والمثبنة والجبرية^(٢٤١) . ولع من زعمائهم في هذا العصر أبو الهذيل العلاف .

وجدير بالذكر ان الكندى يعتبر اول مفكر مسلم يخرج عن نطاق تفكير ايونانيين التقليدى ، اذ وضع منهجا عاما وقسم العلوم الى أسسها الفكرية المنطقية ، فهناك أولا : العلوم الفلسفية وهى تشمل الرياضيات والمنطق والطبيعات والفيزياء والسياسة وعلم الاجتماع . . وهناك العلوم الدينية وتشمل أصول الدين والعقائد والتوحيد والرد على المبتدعة والمخالفين . . وبقي هذا المنهج متبعا خلال العصور كلها . ومن هنا يتعين القول بأن فلسفة الكندى تجمع بين فلسفة أفلاطون وفلسفة أرسطو ، وهى تعتمد بلا ريب على طريقة الاستنباط المنطقى انى عاناها كثير من الفلاسفة وعرفت فلسفة الكندى آنذاك بالفلسفة الحديثة^(٢٤٢) .

لقد كتب الفارابى أعظم فلاسفة المسلمين قبل ابن سينا ، كتابا ذا روحانية سامية ومشاعر وجدانية نبيلة أسماه « المدينة الفاضلة » وبدا من المبدأ الأفلاطونى القائل بأن الانسان خلق ليعيش فى مجتمع . وصل الفارابى الى النتيجة القائلة : ان الدولة جيدة التنظيم يجب ان تغطى كل المسكون وأن تضم كل البشرية . وفكرة الدولة العالمية تثير فى الفكر الأوروبى مفهوم الامبراطورية الرومانية والصراع بين البابوية والامبراطورية خلال العصور الوسطى ونظريات بعض أصحاب « اليوتوبيا » المدينة الفاضلة فى العصور الحديثة . لم تكن هذه الفكرة جديدة على الفكر السياسى بل انها مضمّنة فى المفهوم اثيوقراطى (حكم رجال الدين الاسلامى) . والمدنية الشاملة ولحكامها أهداف سامية^(٢٤٣) .

وكان الفارابى يؤمن بأن واجب هذه الدولة ان تضمن للمواطنين حكومة كاملة على الأرض والسعادة بعد الموت . والمدينة انفاضلة يجب ان يديرها حاكم واحد على أن تتوافر فيه الصفات الآتية : ذكاء عظيم^(٢٤٤) . وأثنى روجر باكون على

(٢٤١) ديبور : تاريخ للفلسفة الاسلاميه ص ٩١ .

(٢٤٢) د . على عبد الله الدفاع : الموجز فى اللغات العلمى العربى الاسلامى ص ٩٧ . ٩٨ .

(٢٤٣) حيدر بهامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٣٥ .

(٢٤٤) المرجع نفسه ص ١٥٣ .

الفارابى وعلى بعض مؤلفاته وذكره بين المقدمين فى تاريخ تقدم الفكر كإقليدس وبطليموس وسنات أوغسطين .

وقد كان للفارابى أكبر الأثر فى التفكير الأوروبى ولا يزال رجال الفلسفة والعلم فى أوروبا يهتمون به الى اليوم واشتهر بالمنطق واهتم بشرح آراء المعلم الأول أرسطو طالبا بيان فلسفته وتقريب فهمه الى معاصريه مما جعل له عند العرب مكانة لا تدانى حتى أنه لقبوه بالمعلم الثانى (٢٤٥) .

واطلع المستشرقون والمؤرخون فى أوروبا وأمريكا على فلسفة الفارابى ودرسوها وتأثروا بها وخرجوا بالقول : ان الفارابى مؤسس الفلسفة العربية الاسلامية ومنهم من يرى أنه زعيم أكبر فرقة فلسفية فى عصره والمقدم فيها وهو المرجع وعليه الاعتماد (٢٤٦) .

أما بريفولت Briffault فيقول : « العلم هو أجل خدمة أسدتها الحضارة العربية الى العلم الحديث ، فالأغريق قد نظموا وعمموا ووضعوا النظريات ، ولكن روح البحث وتركيب المعرفة التقنية وطرائق العلم الدقيقة والملاحظة الدائبة المتطاولة كانت غريبة عن المزاج الإغريقى وإنما كان العرب هم أصحاب الفضل فى تعريف أوروبا بهذا كله ، وبكلمة ، فإن العلم الأوروبى مدين بوجوده للعرب ، وهذه الروح وتلك المناهج العلمية أدخلها العرب الى العالم الأوروبى » (٢٤٧) .

ان وعى أوروبا المسيحية الذى بدأ يستيقظ خلال القرن العاشر الميلادى استمد قوته وأسس العلمية والفلسفية من التراث الإسلامى الذى كان فى أوجهه ، هذه القوة التى تكونت كما أوضحنا من خلال رد الفعل وهو الذى أعطى امكانية للفكر الأوروبى أن يؤسس قواعد المعرفة الفلسفية سواء عن طريق ما تم نقله من الفلسفة الاسلامية الى اللغة اللاتينية وعن طريق الصراع الدينى الذى تحول الى هجوم مكثف على الاسلام . وهذا الهجوم بدوره تحول الى مرآة من خلالها يريد الأوروبى أن ينظر الى ذاته ، وتحقيق الذات يفرض معرفة الآخر ، معرفة أدواته وأساليب تفكيره والهوية المكونة لذاته ، وهذا ما كان يدعو اليه ريمون لول

(٢٤٥) قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب من ١٤١ .

(٢٤٦) المرجع نفسه من ١٤٠ .

(٢٤٧)

Dr. Robert Briffault (The Making of Humanity). (England 1919). P.

190 — 651.

Ravmond Lull الذي قضى حياته بأكملها متجولا في الامارات والبلدان العربية عندما كان يدعو الى ضرورة واهمية التعمق في الدراسات الشرقية لا في مجال الدين محسب بل وفي ميدان العلوم الفلسفية العربية لأن ذلك كان بالنسبة له هو السلاح العلمي للرد على الاسلام ونشر الدعوة المسيحية (٢٤٨) .

وهذا لن يتأتى الا بتكوين مكتبة علمية عالمية تهتم بما يكتب عن العرب والاسلام وهذا ما ينبغي الاهتمام به والتركيز عليه فهل هناك آذان صاغية ؟ ! وفي الوقت الذي احرزت فيه الدولة العباسية هذا التقدم العلمي في مختلف فروع المعرفة كالطب والفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق . . كانت أوروبا تتخبط في ظلام الجهل ، كان أقصى ما يطمح اليه رجال الدولة فيها أن يتعلموا مجرد كلمات اسمائهم كما كان الحال في عهد شارلمان الذي يعتبر عبده من ازهى عصور أوروبا في العصور الوسطى (٢٤٩) . وحين تعرف الأوروبيون على هذا الانتاج العلمي العربي اقبلوا على اقتباسه وكان له الفضل الأول فيما بعد في انارة الطريق امامهم وانتشالهم من وهدة الجهل (٢٥٠) .

يقول جوستاف لوبون : « انه كان للحضارة الاسلامية تأثير عظيم في المعالم وان كان هذا التأثير خلاصا بالعرب وحدهم تشاركهم فيه الشعوب الكثيرة التي اعتنقت دينهم ، وان العرب هذبوا البرابرة الذين قضوا على دولة الرومان بتأثيرهم الخلقى وان العرب هم الذين فتحوا لأوروبا ، ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية بتأثيرهم الثقافى » (٢٥١) .

وكانت قرطبة في القرن العاشر نسيج وحدها في أوروبا ، اذ كانت المركز العلمى الوحيد ، وجامعاتها فريدة في أوروبا كلها ، تطل برأسها من نور أسبانيا الاسلامية على دياجى الجهل والعمية السائدة في أوروبا أرض الظلام في ذلك العصر . وهكذا يعيد التاريخ نفسه ويستمر التبادل الثقافى بين الشرق والغرب .

(٢٤٨) د . عبد الغنى أبو العزم : (مصادر الدراسات الاسلامية في أوروبا) مجلة المؤرخ العربى - بغداد - العراق ص ٣٣١ .

(٢٤٩) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا في العصور الوسطى ص ١٧٦ .

(٢٥٠) د . حسن الباشا : دراسات في الحضارة الاسلامية ص ٩٥ ، ٩١ .

(٢٥١) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٥٧٩ ، ترجمة أكرم زعير .

ملحق باسماء خلفاء العصر العباسى ومدة حكم كل منهم بالتاريخين الهجرى
والميلادى * (١٣٢ هـ / ٧٥٠ م — ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) *

(١) العصر العباسى الذهبى

(١٣٢ هـ / ٧٥٠ م — ٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م)

(١٣٢ هـ / ٧٥٠ م — ١٣٦ هـ / ٧٥٤ م)	أبو العباس عبد الله السفاح
(١٣٦ هـ / ٧٥٤ م — ١٥٨ هـ / ٧٧٥ م)	أبو جعفر المنصور
(١٥٨ هـ / ٧٧٥ م — ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م)	محمد المهدى بن المنصور
(١٦٩ هـ / ٧٨٥ م — ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)	الهادى بن المهدى
(١٧٠ هـ / ٧٨٦ م — ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م)	هارون الرشيد
(١٩٣ هـ / ٨٠٩ م — ١٩٨ هـ / ٨١٣ م)	محمد الأمين
(١٩٨ هـ / ٨١٣ م — ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م)	عبد الله المأمون
(٢١٨ هـ / ٨٣٣ م — ٢٢٧ هـ / ٨٤٢ م)	أبو اسحاق محمد المعتصم
(٢٢٧ هـ / ٨٤٢ م — ٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م)	الواثق بالله بن المعتصم

(ب) العصر العباسى الثانى (الاضمحلال)

(٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م — ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م)

(٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م — ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م)	المتوكل على الله بن المعتصم
(٢٤٧ هـ / ٨٦١ م — ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م)	المتنصر بن المتوكل
(٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م — ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م)	المستعين بالله بن المعتصم
(٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م — ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م)	المعتز بن المتوكل
(٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م — ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م)	المهتدى بالله بن الواثق
(٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م — ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)	المعتمد على الله بن المتوكل

محمد المعتضد بالله	(٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م — ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م)
المكفي بالله بن المعتضد	(٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م — ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م)
المقتدر بالله بن المعتضد	(٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م — ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م)
القاهر بن المعتضد	(٢٣٠ هـ / ٩٣٢ م — ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م)
الراضي بالله بن المقتدر	(٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م — ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م)
المقتي لله بن المقتدر	(٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م — ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م)
المستكفي بالله بن المكفي	(٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م — ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م)

(ج) العصر العباسي الثالث (السقوط)

(٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م — ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)

المطيع لله بن المقتدر	(٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م — ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م)
الطائع لله بن المطيع	(٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م — ٣٨١ هـ / ٩٩١ م)
القادر بالله بن اسحاق	(٣٨١ هـ / ٩٩١ م — ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م)
القائم بأمر الله بن القادر	(٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م — ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م)
المقتدر بأمر الله	(٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م — ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م)
المستظهر بالله بن المقتدر	(٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م — ٥١٢ هـ / ١١١٨ م)
المسترشد بالله	(٥١٢ هـ / ١١١٨ م — ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م)
الراشد بالله بن المسترشد	(٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م — ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م)
المقتفي لأمر الله	(٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م — ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م)
المستنجد بالله بن المقتفي	(٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م — ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م)
المستضيء بأمر الله	(٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م — ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م)
الناصر لدين الله	(٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م — ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م)

خاتمة البحث

واختم بحثى بالقول بأننى توخيت من دراسة بيت الحكمة فى عصر العباسيين منذ تأسيسها حتى أصبحت مؤسسة ثقافية فأكاديمية للبحث العلمى والدراسات العليا . فكانت بغداد فى عصر الازدهار العباسى كعبة العلماء والأطباء من كل الملل . فكان بيت الحكمة أول دار للدراسة العالية فى الاسلام فهو علاوة على كونه دار ترجمة كان معهدا للعلم ودار كتب عامة وله مرصد ملحق به . فبيت الحكمة من أقدم الكليات والجامعات التى أسست فى التاريخ فكان له السبق على الأزهر ، رغم أنه أسس قبل جامعات أوروبا .

وكان العصر العباسى الأول أهم العصور الإسلامية افتاجا فى العلم فقد انتشر فى زمن الرشيد مجموعة من الكتب المنقولة من اللغات العالية المعروفة ، فى ذلك العصر من علوم الطب ، والفلك ، والفلسفة ، والحكمة والآداب والقصص ، وغيرها . هذا فضلا عن المؤلفات العربية الجديدة التى أنتجها علماء العرب فى شتى أنواع العلوم القرآنية ، والنحو ، والتاريخ ، وسائر الفروع الأخرى .

واقترن الرشيد انرجده فى تشجيع الانتاج العلمى ، فقد كتب الى الأمراء والأجناد والى الولاة يشجعهم على الاهتمام بالعلم والعلماء فأغدق عليهم بالعطاء والمنح . وسار على نهجه المأمون فكان مثالا فى سائر أسباب النهضة العلمية فاقترن به بنو أمية فى الأندلس وتشبه به الحكم بن الناصر الذى تولى الخلافة سنة ٣٥٠ هـ . فأنشأ فى قرطبة مكتبة . واقتدى بخلفاء بغداد أيضا الخلفاء الفاطميون بمصر ١٠

فيمكن ان يوصف بيت الحكمة ببغداد بأنه بناية كبيرة فيها عدد من القاعات والحجرات موزعة فى أقسام الدار ، تضم مجموعة من خزائن الكتب فى كل خزانة

مجموعة من الأسفار العلمية الخاصة التى تنسب فى الغالب الى مؤسسها كخزانة الرشيد وخزانة المأمون . ووصفت أيضا بأنها دار كبيرة مقسمة الى عدة أقسام ، خصص البعض منها لحفظ الكتب والأقسام الأخرى للترجمة ، والنسخ والتأليف والتجليد والمطالعة ، وقدر لهذه الخزانة أن تصبح أعظم بيوت الحكمة شأننا عند المسلمين لما حوته من كتب نفيسة .

أما تسمية بيت الحكمة فأحيانا يستعمل العلماء اسم بيت الحكمة وأحيانا أخرى خزانة ، فحاجى خليفة يستعمل كلمة بيت الحكمة فى كتابه كشف الظنون ، وابن النديم فى كتابه الفهرست يستعمل بيت الحكمة (خزانة الحكمة) حيناً آخر .

وقد اختلف الباحثون فى شخصية مؤسس بيت الحكمة فزعم البعض أن مؤسس هذا البيت هو المأمون ، وأكد فريق آخر أن الرشيد هو الذى أنشأ بيت الحكمة ، فياقوت الحموى يؤكد فى كتابه معجم الأدباء أن بيت الحكمة كان فى حيز الرجود أيام الرشيد اذ يقول عن علان الوراق أنه كان ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة . وجاء فى الفهرست لابن النديم : أن أبا سهل الفضل بن نوبخت كان فى خزانة الرشيد فكان له نقول عن الفارسية .

والحقيقة أن الرشيد هو الذى أنشأ بيت الحكمة . أما لماذا أنشأها ؟ فقد تجمع لديه عدد كبير من الكتب ورأى إنشاء مكان ليحفظ فيه هذه الكتب التى جمعها فأنشأ بيت الحكمة مما ساعد على انتشار التعليم . ثم جاء المأمون ويعتبر عصره ازهى أيام هذه الدار ، فقد ارتقت بفضل من مجرد مكتبة الى دار للترجمة والانتاج الفكرى ، فتحوّلت من « خزانة » الى مجمع أو أكاديمية للبحث العلمى يعمل على خدمة العلم وترجمة ثمار الفكرين الاغريقى والفارسى . وان تاريخ بيت الحكمة من حيث الخدمات العلمية التى أداها للفكر العربى تخص المأمون وعصره .

أما موقع بيت الحكمة التى أنشأها الرشيد ببغداد فلا يعلم أن كان جزءا من قصر الخليفة أو بناية مستقلة ، غير أنه كان على الأرجح دارا خاصة بالكتب ضمن تصور الخلافة تتكون من عدد من الحجرات والخزائن .

وحسب ظنى أن بيت الحكمة كان مجموعة من الخزائن لكل مجموعة من الكتب خزانة ، كخزانة الرشيد وخزانة المأمون وخزانة البرامكة . ونرى أن بيت الحكمة يختلف عن دور العلم التى ظهرت فى القرن الثالث الهجرى ، فهى مؤسسات أدبية ، أكثر كتبها فى الفلسفة والأدب والفقه والأخبار والسيرة .

أما بيوت الحكمة الخاصة فهي المكتبات التي أنشأها العلماء والأغنياء والأدباء والأعيان في دورهم . وكان يستفيد منها الناس ، فكانت شبه عمومية ، وكانت تضم كتباً في مواضيع متنوعة كالمنطق والفلسفة والفلك . فقد كانت بغداد مراكز لتجمع الثقافات لما بذله الخلفاء العباسيون من جهود حبا لنشر العلم بين كافة الطبقات ولتتدى الناس بالخلفاء ، فأنشأ على بن يحيى المنجم مكتبة في قصره سماها خزانة الحكمة وفتحها للراغبين في الدرس يقصدها الناس فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم ، والكتب مبنولة والنفقة من ماله . . .

أما وظيفة بيت الحكمة والعاملين فيه ، فاقترن بيت الحكمة البغدادي بعدد من الأعلام المشهورين كالرشيد والمأمون والبرامكة والتوكل . كما ورد فيها ذكر عدد من العلماء والخزان والموظفين ، تمكن يدير بيت الحكمة مديرون أمناء على الترجمة ومعهم كتاب حذاق ويشغل فيه أيضا علماء ونساخون وخزان ومجلدون من مختلف الأديان والأجناس والمذاهب والثقافات ومنهم الوراقون . فكان بيت الحكمة عبارة عن مجلس للترجمة أو النسخ أو الدرس أو التأليف فيجلس النساخ في أماكن خاصة بهم ينسخون لأنفسهم أو بأجور معينة وكذلك المترجمون والمطالعون والمؤلفون .

أما مدير بيت الحكمة ، والقيم عليه فيدير شئونه ويسمى صاحب بيت الحكمة ، وعين المأمون قميما لبيت الحكمة يدعى خازنا لإدارة شئونه وصيانة كنوزه هو سهل بن هارون ، كما عين مشرفا على القسم الذي أحضرته بعثة القسطنطينية بالإضافة إلى إدارة بيت الحكمة عامة . كما كان يتولى تنظيم خزانة المأمون بصورة خاصة .

ونرى أن بيت الحكمة أول ما بدأ بوظيفة مكتبة عامة فأصبح لهذه المكتبة شأن في العالم الإسلامي ، ثم تطوّر وأصبح أول جامعة إسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ولجأ إليها الطلاب وكانت تجري فيها الأبحاث والدراسات العليا ، فأصبح مؤسسة علمية للثقافة العالية أكثر كتبه في الحكمة والفلسفة والمنطق والطب والنجوم والرياضيات وغيرها من الكتب العلمية المختلفة . ثم ارتقت دار الحكمة من مجرد مكتبة إلى دار للترجمة والانتاج الفكري وكثر المترجمون في هذه الدار في عصر المأمون فكانوا يقومون بواجبهم العلمي ويقابلون الرأي .

والحقيقة أن بيت الحكمة كان مدرسة عالية للبحث التجريبي المستند إلى الملاحظة

ومكتب ترجمة كانت تتم فيه عملية التعريب للمكتب الأجنبية بلغاتها المختلفة الى العربية . ولكن من دراسة النصوص التاريخية المتعلقة بهذه الحركة العلمية يتبين لنا ان هذا البيت لم يكن مقتصرا على الترجمة وانما كانت هناك أعمال أخرى . منها تجليد الكتب التي تتم عملية تعريبها أو عملية نسخها بأكثر من نسخة لتوزيعها على المكتبات المعروفة آنذاك . خارج بغداد كبيت الحكمة التونسي في القيروان أو دار الحكمة الفاطمية بالقاهرة . كما كانت الكتب المترجمة والمؤلفة يقتنيها الأغنياء ، والمؤسسات العلمية الأخرى مع الاحتفاظ بالنسخة الأصلية في بيت الحكمة .

والوصول الى دقة الكتب المترجمة كانت تراجع الترجمات التي كان يقوم بها النقلة في دار الحكمة من قبل خبراء ، وكان ثابت بن قرة الحراني في دولة المعتضد من الذين راجعوا أو صححوا الترجمات العربية في المؤلفات الرياضية والفلكية والمنطق . كذلك فعل حنين بن اسحاق فقد جعل له المتوكل كتابا عالمين بالترجمة كانوا يترجمون ويراجع ويتصفح ما ترجموا .

وقد أدت الحركة العلمية الذي يعتبر بيت الحكمة لولبها الى ازدياد طلب المعرفة من قبل مئات لا يستهان بها من الناس . الأمر الذي أدى بدوره الى الاقبال على شراء الورق . لذا أسست مصانع الورق في عهد الرشيد في بغداد ، ثم انتشرت صناعته في أنحاء البلاد العربية فكان ظهور الورق فاتحة لانتشار الثقافة العربية ومضى العلماء يقدون من صنعة الوراقة ، فاتخذوا لأنفسهم وراقين ينقلون عنهم كتبهم .

واذا نظرنا الى منهج التدريس في بيت الحكمة وجدناه راقيا جدا ، فكانت تدرس فيه العلوم الفلسفية والطبية والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية والتاريخ والجغرافيا والموسيقى فكان خريج بيت الحكمة اذا أنهى هذه العلوم يكون قد بلغ مرحلة عالية من العلم تساوى المرحلة العلمية التي يصل اليها اليوم طلابنا حينما يتخرجون من الجامعات الحديثة ، ومن هنا نستطيع ان نستنتج ونحكم على مستوى بيت الحكمة العلمي من قدره أساتذته وطلابه ومديره . واتخذ العلماء والمدرسون لهم زيا خاصا فكان أبو يوسف أول من غير لبس العلماء ، واقترح لتمييز هذه الطائفة عمامة سوداء وطيلسانا لعله الروب الجامعي ، ومنذ ذلك الحين أصبح هذا الزي ضروريا للمدرسين والفقهاء . وكانت رعاية المأمون لبيت الحكمة وما أنفق عليه من مال مضرب الأمثال ، فهو أول من نادى بالألوان ليكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والأمراء ، فهيا للعلماء أرزاقا سخية يتقاضونها في أوقات ثابتة ،

يفيض ريعها عن التكاليف المطلوبة لهذه المؤسسة العظيمة ، وكذلك جرى العمل من بعده على أن يكون لكل معهد أو مدرسة أو مؤسسة وقف ثابت يفي بنفقاتها .

وفي عهد الدولة العباسية كثر اختلاط العرب مع غيرهم من الأمم انثى دانت لحكمهم وزادت رغبتهم بالاطلاع على علوم القوم ومعارفهم فقتربوا العلماء والاطباء والحكماء وأهل الفنون والآداب ، وأجزلوا لهم العطاء . واجتمع فى خزائنهم ثقافة الشرق والغرب واهتم العباسيون بعلم صنعة الكيمياء وظلوا يزدادون عليها حتى ظهر فى العصر العباسى جابر بن حيان وهو ابن صيدلى ، وخلف كثيرا من النظريات فى هذا العلم ، وترجمت طائفة منها الى اللاتينية وأعاد منها الأوروبيون .

وحتى يتم مشروع ترجمة الكتب الاجنبية وحفظها فى بيت الحكمة ولى هارون الرشيد عدة علماء أمر ببيت الحكمة فعهد الى فضل بن نوبخت أمر العناية بالكتب الفارسية ، والى يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب الطبية القديمة التى كان يعثر عليها فى أسفاره وبين البلاد فى غزواته ، وجهاده . فقد حمل معه من أنقره الى عبورية وغيرها من بلاد الروم كتبا كثيرة ، ومنح العلماء الكثير من الحرية والتكريم فقد منح مرة لأحد العلماء مائة ألف درهم . ومعظم الكتب التى نقلت عن الهنود فى الطب والفلك والرياضيات . وقد تم الانتهاء من نقلها فى عصر الرشيد . وكان بعض علماء الهنود قد وفدوا الى بغداد منذ عهد المنصور سواء من تلقاء أنفسهم أو يدعسهم الخلفاء للحضور وقد وجهت العناية فى بداية أيام الرشيد الى الكتب الفارسية والهندية ثم جاءت الثروة الضخمة فى أخريات أيام الرشيد وخلال عهد المأمون عن طريق التراث اليونانى .

وقام المأمون بتوسيع وتدعيم بيت الحكمة فاهتم بأنواع عدة من الثقافة ولم يقتصر اهتمامه على الثقافة الفارسية لأنه كان مغرما بدراسة كتب الفرس القديمة فقط ، وإنما اهتم بجمع الكتب الاغريقية فأرسل الحجاج بن يوسف بن مطر وابن البطريق وسلمانا صاحب بيت الحكمة بجمع الكتب الاغريقية وغيرهم . فأخذوا ما وجدوا واحضر المأمون حنين بن اسحاق وأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين الى العرب واصلاح ما ينقله غيره . فكان يعطى المأمون من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربية مثلا بمثل . فجمع فى دار الحكمة كنوز العلم وآثاره من اسلامية وغير اسلامية .

وحقيقة أخرى هى أن بيت الحكمة فى عهد المأمون كانت مفتوحة الأبواب أمام

العلماء الذين يريدون الدراسة والتحقيق ولم يكن الخليفة بعيدا عن أمور البحث والدراسة والمناقشة فيها تضمنته هذه الكنوز العلمية .

كما أن ميل المأمون الى الفلسفة والمنطق واتساع دائرة معارفه العامة وتأثره بمذهب الاعتزال ما دفعه الى ايجاد حركة نقل وتاليف قوية عنيفة . كان من نتائج اقبال العرب وغيرهم على تلك المؤلفات وامثالها أن تولد عندهم علم الكلام والفلسفة الاغلاطونية الجديدة فظلت النهضة مستمرة بعد المأمون الى عدد من خلفائه حتى نقلت أهم الكتب الى العربية .

وبلغ من شغف المأمون بكتب الحكمة والفلسفة ، أنه اذا ما عقد معاهدة مع بعض ملوك الروم فأنه كان يشترط عليه أن يرسل اليه من نفائس كتب الحكمة في بلاده . كما فعل مع ميخائيل الثالث تقيصر الروم الذي ارسل اليه احدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينية كان بين ذخائرها الثمينة كتاب بطليموس في الفلك فامر المأمون بنقله الى العربية وسماه « المجسطى » وكان المأمون يجلس غمساء الليل الاخرى من نصارى وغيرهم ويحتفى بهم في مجلسه .

ولم يكن التسامح يسود بيت الحكمة في زمن المأمون فقط بل وفي معظم عهود الخلفاء العباسيين حبا بنشر الروح العلمية الخاصة بين كافة الطبقات . وكذلك من أشرفوا على حركة الترجمة فيه هم النصارى السريان ولهم منزلة رفيعة عند الخلفاء . فلا أثر للتعصب الذميمة . فنجد في بيت الحكمة اصحاب الفلسفة من الديانات الأخرى يناظرون المسلمين في الأمور الدينية بكل صراحة ويتكلم أهل الملل والنحل الأخرى بما يبدو لهم ، وبما يعتقدون ويرونه أقرب الى العقل والمنطق . وقد أخرج هؤلاء من أديرة سوريا وآسيا الصغرى وسواحل الشام وفلسطين . كتباً خطية في الفلسفة والتاريخ وعلم الهندسة لعلماء اليونان وفلاسفتهم ثم ترجموها الى العربية بدقة وعناية . فأقبل أهل المعرفة والأدباء من الأمصار وأجرى عليهم المأمون الأرزاق فرغب الناس في صنعة النظر ، وتعلموا البحث والجدل فكان سحابة منهلة على العلماء والمتكلمين .

وكان عصر المأمون المع عصور الحضارة العربية على الاطلاق فسمى بحق العصر الاسلامى الذهبى ، وأن العشرين سنة التى قضاه فى حكمه قد تركت كنوزا زاخرة من الثروة الفكرية . سهل العباسيون على الناس أن يقتفوا على الكتب العلمية النادرة التى ترجمت من اللغات المختلفة الى العربية ، وصرف فى سبيل الحصول عليها وعلى ترجمتها وتجليدها المبالغ الكبيرة ، فذلل الخلفاء للناس سبيل

المطالعة والدرس في بيت الحكمة الذي أنشئ لنشر العلوم والمعارف المنقولة عن الأمم الأخرى . والتي رغب الخلفاء بنشرها بين الناس ليقتفوا على حقائق الأمور ، و تراث الأمم التي تقدمتهم في شتى النواحي الفكرية والعلمية .

وكان من زعماء الترجمة الحسن بن سهل الذي أستوزره المأمون وأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، صاحب كتاب فتوح البلدان وأبو حفص عمر بن الفرخان الطبري أحد رؤساء الترجمة والمحققين بعلم النجوم والحجاء بن يوسف بن مطر الذي ولد في الكوفة وعاش في بغداد ، وكان مؤلفا في بيت الحكمة ، نقل أصول الهندسة لأقليدس نقلتين أحدهما تعرف بالهاروني والأخرى بالمأموني . ونقل أيضا حنين بن اسحاق الطبيب وهو من أشهر المترجمين إلى العربية توجه إلى بغداد فرعاه أبناء موسى بن شاكر وقدموه إلى الخليفة المأمون وجعله على رأس معهد الحكمة فكان يترجم بالعربية والسريانية . وتمكن حنين أن يأتي بأصدقائه الأطباء من مدرسة جنديسابور إلى بغداد وألم بالدراسة العربية ، وخدم بالطب المتوكل ، وكان قديرا في ترجمته وهو الذي أوضح معاني كتب أبو قراط وجالينوس ولخصها أحسن تلخيص وله كتاب في المنطق ، وقد ترجم عشرين كتابا لجالينوس ، وأربعة عشر مؤلفا إلى العربية . وكان له ولدان داوود واسحاق ، أما داوود فلم يبرع براعة أخيه اسحاق الذي كان أوحده عصره في علم الطب وكان يلحق بأبيه في النقل وفي معرفته باللغات .

أما فيلسوف العرب والاسلام الكندي ، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق العربي الأصل ينسب إلى كنده ، انتقل إلى بغداد واشتغل بعلم الأدب ثم بعلم الطب والنجوم والفلسفة والحساب والمنطق وله كتب كثيرة ، وأنزله المأمون منزلة عظيمة ، فكانت دولة المعتصم تتجمل به وبمصنفاته ، وحاول الكندي في مذهبه الفلسفي أن يجمع بين آراء أفلاطون وأرسطو واعتبر الرياضيات الفيثاغورية أساس العلم كله . وأما آل بختيشوع فكانوا في كل عهود الدولة العباسية واشتهر منهم جبريل بن بختيشوع الذي تبحر في جميع العلوم الداخلة في علم الطب وكتب في حياة الحيوان رسائل تدل على سعة اطلاعه فقربه الرشيد واتخذ في دور الخلافة وأخذ الناس يرجعون إليه فيما يشير به من العلم لحلهم على الأمراض عن الدجالين .

وإن النشاط والازدهار للمترجمين وجماع العلوم لم تقتصر مؤازرته على الخلفاء فقط بل جاراها في ذلك الوزراء والولاة وكبار القواد ولم يترك الخلفاء في بغداد

طريقا لاجتذاب اشهر العلماء في العسالم الاسلامى الا سلوكه واذا صحت رواية جوستاف لوبون « أن أحد الخلفاء شنن الحرب على قيصر الروم ليأذن لأحد الرياضيين المشهورين للتدريس في بغداد » ، وهكذا ضمت خزانة الحكمة الكتب اللسانية والشرعية بالاضافة الى ما ترجم عن الفارسية واليونانية والسنسكريتية والكلدانية والقبطية فالتفت الكتب بطلب من الخلفاء أنفسهم لكي توضع في بيت الحكمة ونرى أن العرب لم يكتفوا بما نقلوه عن غيرهم ، واستبقوه على حاله بل هم درسوه وزادوا عليه من نتائج قرائحهم وعقولهم .

أما ماذا كانت نهاية بيت الحكمة ، لقد سطع نور بيت الحكمة في أيام المأمون ثم خبا ذلك النور من بعده فصرنا نتلمس أخبارها في بطون الكتب ، فلم نجد فيها ما يشفى . وائرأجح أن انتقل الخلافة من بغداد الى سامراء وتعاقب الفتن على بغداد وما حل بها من البلايا بتوالى السنين كل ذلك تضافر على الحط من مكانة هذه الدار ، وايصالها الى حال فقدت معها سالف مجدها : وقد أهملت بعد المتوكل . كما أهمل المعتصم شأن هذا البيت العظيم كما كان للفتن والحروب بين المعتز والمستعين اثر في أهمال بيت الحكمة .

وظلت دار الحكمة تقاوم الى أن داهم المغول بغداد سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ، ولم يشفق المغول على خزائن كتبها العامة والخاصة فأحرقوا جانباً منها وطرحوا بعضها الآخر في نهر دجلة فسد مجراه وزعم بعض المؤرخين أن هولاكو ابتنى بتلك الكتب اسطبلات الخيول ، وطاولات المعالف عوضاً عن الطين ، وهكذا قضى هولاكو على جميع الكتب التي ترجمها والفاها العلماء والأدباء المسلمون بتشجيع الخلفاء والتي عملت على نشر الثقافة بين جمهور المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى .

ومن أهم الحقائق التي أبرزها البحث أنه عن طريق بيت الحكمة كسبت اللغة العربية كثيراً من الزاد والمعرفة بما جرى فيها من نشاط علمي ، وقد حفظ هذا البيت للإنسانية كثيراً من تراث العالم المتحضر الذي ضاعت أصوله ، ولم يجد الغرب غير العربية وسيلة للحصول على تراث الحضارة الأوروبية القديمة .

وقد قامت بيت الحكمة بجهد فريد من نوعه في تاريخ القرون الوسطى فكانت أداة لنقل الحضارة القديمة والحضارة العربية الى الغرب ومنطلق العلم الحديث ، كما كانت أساساً لتلك المدرسة العلمية الكبيرة التي عرفت باسم مدرسة بغداد ، وظل اثر هذه المدرسة قائماً في أوروبا حتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر .

ولهذه المدرسة يرجع الفضل في تحقيق استمرار الحضارة الانسانية بعد
انتهيار الحضارة الرومانية في القرن السادس الميلادي ، ومن هذه المدرسة ظهر
كثير العلماء العرب لأنها حوت كنوز التراث العربي الاسلامي الذي يجد فيه
الشباب مرصعة للاطلاع على منجزات اجدادهم الاولين في شتى غروع العلم والمعرفة
وليوجد فيه الكبار مرجعا لما احتوته بيت الحكمة من المخطوطات العلمية النادرة
التي لا يوجد الكثير منها في عالمنا اليوم .

المصادر والمراجع

أولا - المخطوطات :

- ١ - ابن الديبثى (جمال الدين الوايسطى) (ذيل على ذيل تاريخ بغداد)
مخطوط دار الكتب المصرية برقم ٣٩٥٠ تاريخ .
- ٢ - ابن حجر (معجم ابن حجر) مخطوط بدار الكتب برقم ٢٥ مجاميع م .
- ٣ - ابن حنزابه (مجالس ابى مسلم) مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٧٧
أدب .
- ٤ - البيهقى (تاريخ حكماء الاسلام) مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٣٦٦
تاريخ .
- ٥ - السببى (رسوم دار الخلافة) مخطوط بالمتحف العراقى رقم ١٥ .
- ٦ - العيني (بدر الدين محمود بن احمد) (عقد الجبان فى تاريخ اهل الزمان)
مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٥٨٤ تاريخ .
- ٧ - الكتبى (الوافى بالوفيات) من مخطوطة - لندن - ج ٢٤ ، الورقة ١٢ .
- ٨ - المقرئى (تقى الدين احمد بن على) (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين
الخلافة) مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة لوحة ٥٩ ب .
- ٩ - مجموعة رسائل بجامعة اسطنبول مخطوط ورقة ٣٧ ب .

ثانياً — المصادر العربية المطبوعة :

- ١٠ — القرآن الكريم .
- ١١ — الحديث الشريف .
- ١٢ — ابن أبى اصبيحة ، موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجى (٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م) .
(عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) . بيروت — دار الفكر — ١٩٥٦ م .
- ١٣ — ابن الأثير ، أبى الحسن على بن الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى الملقب بعز الدين (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) .
(الكامل فى التاريخ) . المطبعة المنيرية — مصر — ١٣٤٩ هـ ، طبع بيروت دار صادر — بيروت — ١٩٦٥ م .
- ١٤ — ابن جلدج ، أبى داود سليمان بن حسان الاندلسى المعروف بابن جلدج (توفى بعد سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م) .
٢ طبقات الأطباء والحكماء (ألفه سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م) تحقيق فؤاد السيد ، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية — القاهرة ١٩٥٥ م .
- ١٥ — ابن خردابه ، أبى القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) .
(المسالك والممالك) . طبع ليدن ١٨٨٩ م .
- ١٦ — ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون المغربى (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) .
(المقدمة) المكتبة التجارية الكبرى — مطبعة مصطفى محمد — القاهرة .
- ١٧ — ابن خلكان ، شمس الدين أبى العباس أحمد (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .
(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) . المطبعة الميمنية — القاهرة — ١٣١٠ هـ .
- ١٨ — ابن جماعة ، بدر الدين (ت ٨٤٣ هـ / ١٤٤٠ م) .
(تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم) . حيدر آباد ١٣٥٣ هـ .

- ١٩ — ابن شاکر الکتبی ، محمد بن شاکر بن أحمد الحلبي (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) .
(فوات الوفيات) تحقيق احسان عباس — دار صادر — بيروت —
لبنان — طبعة بولاق (١٢٩٩ هـ / القاهرة ١٩٥٥ م) .
- ٢٠ — ابن الجوزی ، ابو الفرج عبد الرحمن (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م) .
(المنتظم فی تاریخ الملوك والامم) . حيدر آباد — الدکن — دائرة المعارف
العثمانية ١٣٥٧ هـ .
- ٢١ — (مناقب بغداد) نشرة محمد بهجت الأثرى — بغداد — العراق ١٣٤٢ هـ .
- ٢٢ — (صيد الخاطر) تحقيق السيد عبد القادر أحمد عطا — مكتبة الكليات
الأزهرية — القاهرة ١٣٩٩ هـ .
- ١٣ — ابن السامی ، أبی طالب علی بن أنجب تاج الدين الملقب بابن السامی
(ت ٦٧٥ هـ / ١٢٧٥ م) .
(الجامع المختصر فی عیون التواريخ وعیون السير) ، تحقيق الدكتور
مصطفى جواد . المطبعة السريانية الكاثوليكية — بغداد ، ١٩٣٤ م .
- ٢٤ — ابن الطقطقى ، فخر الدين محمد بن علی بن طباطبسا (ت ٧٠٩ هـ /
١٣٠٩ م) .
(الفخرى فی الآداب السلطانية) مطبعة محمد علی صبيح وأولاده ،
القاهرة .
- ٢٥ — ابن العبری ، غريغوريوس بن هـارون بن توما الملقب بالمطی المعروف بابن
العبری . (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) .
(تاريخ مختصر الدول) المطبعة الكاثوليكية — بيروت — ١٩٥٨ م .
- ٢٦ — ابن رجب الفقيه ، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن شهاب .
(ذیل طبقات الحنابلة) مطبعة السنة المحمدية (١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م) .
- ٢٧ — ابن الجزرى .
(غاية النهاية فی طبقات القراء) مكتبة الخزانجى — مصر (١٣٥١ هـ /
١٩٣٢ م) .

- ٢٨ - ابن دحية ، عمر بن أبى على حسنين بن على (ت ٦٣٣ هـ) .
النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس (صححه ابراهيم انعمزاوى
١٩٤٧ م .
- ٢٩ - ابن الفوطى ، عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد الصابونى (ت
٧٣٢ هـ / ١٢٣٣ م) .
(الحوادث الجامعة والتجارب النافعة) تحقيق مصطفى جواد - بغداد -
المكتبة العربية ١٩٣٢ م .
- ٣٠ - (تلخيص مجمع الآداب فى معجم الالقاب) تحقيق مصطفى جواد - دمشق
- وزارة الثقافة والارشاد القومى ، ١٩٦٤ م .
- ٣١ - ابن القفطى ، جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ /
١٢٤٨ م) .
(أخبار العلماء بأخبار الحكماء) طبع ليبزج ، ١٣٢٠ هـ .
- ٣٢ - (انباء الرواة على انباء النحاة) مصر ، ١٣٦٩ هـ .
- ٣٣ - ابن الكازرونى : ظهر الدين على بن محمد (٣١١ هـ / ٩٦٧ هـ) .
(مختصر التاريخ من أول الزمان الى منتهى دولة بنى العباس) تحقيق
مصطفى جواد ، دار العلم للملايين ، مطبعة الحكومة - بغداد -
١٩٧٠ م .
- ٣٤ - ابن الديبى ، محمد بن سعيد (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) .
(المختصر المحتاج اليه) تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة دار الدهان -
بغداد (١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م) . جزءان فقط .
- ٣٥ - ابن كثير ، أبى الفداء الحافظ اسماعيل بن عمر الدمشقى (ت ٧٧٤ هـ /
١٣٧٢ م) .
(البداية والنهاية) . طبع مكتبة المعارف - بيروت ، ومكتبة النصر
الرياضى ١٩٦٦ م .
- ٣٦ - ابن النديم ، ابن النديم (ت ٢٨٣ هـ / ٣٨٥ هـ / ٩٩٣ م او ٩٩٥ م) .
(الفهرست) بيروت - لبنان ١٣٢٨ هـ .

- ٣٧ — ابن عبد-ربه ، أبو عامر أحمد بن محمد .
العقد الفريد .) تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري .
الطبعة الثانية — القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٨ م .
- ٣٨ — ابن قتيبة ، أبي عبد الله مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) .
(عيون الأخبار) مطبعة دار الكتب المصرية — القاهرة ١٩٢٥ م .
١٩٣٠ م .
- ٣٩ — (الإمامة والسياسة) جزآن — القاهرة ١٣٣٢ هـ .
- ٤٠ — (كتاب المعارف) تحقيق د. ثروت عكاشة — القاهرة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .
- ٤١ — أبو الفداء ، إسماعيل بن علي عماد الدين صاحب حياه (ت ٧٣٢ هـ /
١٣٣٢ م) .
- (المختصر في أخبار البشر) دار الكتاب — بيروت ، بدون .
- ٤٢ — أبو المحاسن ، جمال الدين بن يوسف بن تغري بردي (٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) .
(النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) طبعة دار الكتب المصرية
بالقاهرة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٢ م .
- ٤٣ — الأصفهاني ، الإمام أبي الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م) .
(الأغاني) طبعة دار الكتب المصرية ، والساسي ١٢٥٨ هـ .
- ٤٤ — البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) .
(فتوح البلدان) نشره ووضع ملاحقه ومهارسه صلاح الدين المنجد .
مطبعة لجنة البيان العربي — القاهرة ١٣١٨ هـ .
- ٤٥ — البيروني ، أبي الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) .
(الآثار الباقية من القرون الخالية) ليبزج ، ١٩٢٣ م .
- ٤٦ — البغدادى ، إسماعيل
(هداية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) طبع اسطنبول
١٩٥١ م .

- ٤٧ — الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) .
(لطائف المعارف) نشر دى يوانغ ، ليدن ١٨٦٧ م .
- ٤٨ — (يتيمة الدهر) القاهرة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .
- ٤٩ — الجاحظ ، أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) .
(التاج فى أخلاق الملوك) تحقيق أحمد زكى . المطبعة الأميرية — القاهرة
١٩١٤ م .
- ٥٠ — (البيان والتبيين) تحقيق عبد السلام هارون . نشر مكتبة المثنى —
بغداد والخانجى بصر ١٩٦٠ م .
- ٥١ — (الحيوان) . مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٧/٥ م .
- ٥٢ — (ثلاث رسائل) وتسمى (رسائل الجاحظ) باعتناء فنكل القاهرة ١٣٤٤ هـ .
- ٥٣ — الجهشيارى ، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م) .
(الوزراء والكتاب) . البابى الحلبي بمصر ١٩٣٨ م .
- ٥٤ — خليفة ، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة (ت ١٠٦٧ هـ /
١٦٥٦ م) .
- (كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون) . طبع دار المعارف التركية
١٩٤١ م .
- ٥٥ — أبو شجاع ، الروذراورى (الملقب بظهير الدين الروذراورى الهمدانى) .
(ذيل تجارب الأمم) . نشر امروز القاهرة ١٣٣٤ هـ / ١٩١٦ م .
- ٥٦ — الأربلى ، عبد الرحمن سنبط بن ابراهيم بن قنيتو (ت ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م) .
(خلاصة الذهب المسبوك) تحقيق مكى جاسم — بغداد — مكتبة المثنى
١٩٦٤ م . الأصفهائى ، الحسين .
- ٥٧ — (محاضرات الأتباء) القاهرة ١٢٨٧ هـ .

- ٥٨ - الأصفهاني ، عماد الدين محمد بن حامد الأصفهاني .
(تاريخ دولة سلجوق) القاهرة ١٣٧٢ هـ .
- ٥٩ - الأنباري ، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٥٧ هـ / ١١٨١ م) .
(نزهة الألباء في طبقات الأدباء) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار
نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة .
- ٦٠ - البيهقي .
(تاريخ حكماء الاسلام) مطبعة الترقى ، دمشق . ومطبوع تنمية صيوان
الحكمة ، تحقيق الأستاذ محمد شفيق . طبعة لاهور ١٣٥٠ هـ .
- ٦١ - البيهقي ، أبو علي الحسن بن علي بن أبي الفهم التنوخي ، (ت ٣٨٤ هـ /
٩٩٤ م) .
(نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) ، دمشق ١٣٤٨ هـ .
- ٦٢ - التوحيدى ، أبو حيان ، علي بن محمد بن العباس (ت ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م) .
(الامتاع والمؤانسة) تحقيق ونشر أحمد أمين وآخرين ، لجنة التأليف
والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٢ م .
- ٦٣ - (المقابسات) تحقيق السندوبى مع مقدمة - المكتبة التجارية -
القاهرة ١٩٢٩ م .
- ٦٤ - الحصرى ، أبو اسحاق إبراهيم بن علي القيرواني (٤١٣ هـ / ١٠٢٤ م) .
(زهر الآداب وثمر الألباب) ج ٢ مفصل ومشروح بقلم زكى مبارك ، دار
الجيل - بيروت ١٩٧٢ م .
- ٦٥ - الحنبلى ، ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحى الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ /
١٦٧٨ م) .
(شذرات الذهب في أخبار من ذهب) ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- ٦٦ - الذهبى ، الحافظ شمس الدين (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) .
(ميزان الاعتدال في نقد الرجال) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٥ هـ .
- ٦٧ - (تذكرة الحفاظ) دار إحياء التراث العربى - بيروت - ١٣٧٤ هـ .

- ٦٨ — الزرنوجى ، برهان الاسلام .
(تعلم المتعلم طريق التعلم) : القاهرة ١٩٤٢ م .
- ٦٩ — السبكى ، تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب .
(طبقات الشافعية الكبرى) مصر ١٣٢٤ هـ .
- ٧٠ — السيوطى . جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) .
(تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة) المطبعة الخيرية ، مصر .
- ٧١ — (الاشباه والنظائر) . حيدر آباد — الدكن ١٣١٦ هـ .
- ٧٢ — الشهرستانى ، أبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر بن أحمد (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) .
(الملل والنحل) تحقيق محمد سيد كيلانى ، نشر مصطفى البانى الحلبي ، مصر ١٩٦١ م .
- ٧٣ — الصابى ، أبى الحسن هلال بن المحسن الصابى (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) .
(تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء) ، مطبعة البسابى الحلبي — مصر — القاهرة .
- ٧٤ — صاعد بن أحمد الأندلسى (٤٢٠ هـ / ٤٦٢ هـ — ١٠٢٩ م / ١٠٧٠ م) .
(طبقات الأمم) مصر .
- ٧٥ — الصفدى ، صلاح الدين خليل بن أيبك (٧٦٤ هـ) .
(الوافى بالوفيات) اسطنبول ١٩٣١ م .
- ٧٦ — طائش كبرى زاده ، أحمد بن مصطفى الشهير .
(مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم) تحقيق كامل بكرى وزميله ، دار الكتب الحديثة ، مصر .
- ٧٧ — الطبرى ، أبى جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) .
(تاريخ الرسل والملوك) تحقيق أبى الفضل إبراهيم ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م ، ١٩٦٣ م .

- ٧٨ — طيفور ، أبى الفضل أحمد بن أبى طاهر (٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م — ٨٩٤ م) .
 (تاريخ بغداد) طبعة لبيزج ١٢٨٧ هـ / ١٩٠٨ م .
- ٧٩ — العمرانى ، محمد بن على بن محمد المعروف بالعمرانى (٥٨٠ هـ / ١١٨٥ م) .
 (لأبناء فى تاريخ الخلفاء) تحقيق د. قاسم السامرائى ط ليدن ١٩٧٣ م .
- ٨٠ — العبرى ، ابن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) .
 (مسالك الأبصار فى الممالك والأمصار) مطبعة دار الكتب المصرية
 ١٩٢٤ م .
- ٨١ — الغزالى ، الامام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) .
 (احياء علوم الدين) مطبعة مصطفى البابى الحلبي ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م .
 القاهرة .
- ٨٢ — (تهافت التهافت) تحقيق د. سليمان دنيا ، سلسلة ذخائر العرب ، دار
 المعارف بمصر ١٩٦٨ م .
- ٨٣ — الفسارابى ، أبو نصر .
 (احصاء العلوم) تحقيق د. عثمان أمين — القاهرة — ١٩٤٩ م .
- ٨٤ — القلقشندى ، أبى العباس أحمد بن على (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) .
 (صبح الأعشى فى صناعة الانثى) المطبعة الأميرية — القاهرة ١٩١٣ م .
- ٨٥ — المراكشى ، محبى الدين أبى محمد عبد الواحد بن على التميمى (٦٦٩ هـ /
 ١٢٧١ م) .
 (المعجب فى تلخيص أخبار المغرب) مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .
- ٨٦ — المرتضى المهدى لدين الله أحمد بن يحيى (٣٣٥ هـ / ٩٣٦ م) .
 (المنية والأمل فى شرح الملل والنحل) ط الهند ، حيدر آباد ، ١٣١٦ هـ .
- ٨٧ — المسعودى ، أبى الحسن على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) .
 (مروج الذهب ومعادن الجوهر) مطبعة دار الرجاء ، القاهرة ١٣٧٠ هـ /
 ١٩٣٨ م .

- ٨٨ — (التنبيه والاشراف) ، لندن ، مطبعة بريل ١٩٦٧ م .
- ٨٩ — مسكويه ، أبى على أحمد بن محمد بن يعقوب (٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) .
(تجارب الأمم) طبع مكتبة المثنى — بغداد ، العراق .
- ٩٠ — المصرى ، ابن نباته ، جمال الدين محمد بن محمد (٧٦٨ هـ) .
(سرح العيون) القاهرة ، ١٢٧٨ هـ .
- ٩١ — المقدسى ، شمس الدين أبى عبد الله بن أحمد المعروف بالبشـارى
(ت ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م) .
(أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) لندن ، مطبعة بريل ١٩٦٧ م .
- ٩٢ — المقرئ ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمسانى (١٠٤١ هـ / ١٦٢٣ م) .
(نفع الطيب فى غصن الأندلس الرطيب) تحقيق احسان عباس — بيروت
— دار صادر ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- ٩٣ — المقرئ ، تقى الدين أحمد بن على (٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) .
(اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) تحقيق جمال الدين الشيبلى ،
القاهرة ، لجنة احياء التراث الإسلامى ١٩٦٧ م .
- ٩٤ — (المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار) بولاق ١٢٧٠ هـ القاهرة .
- ٩٥ — القرطبى ، عريب بن سعد (٣٦٦ هـ / ٩٧٧ م) .
(صلة تاريخ الطبرى) طبعة لندن ١٨٩٧ .
- ٩٦ — ياقوت الحموى ، أبى عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومى ،
(٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) .
(معجم الأدباء) تحقيق أحمد فريد رفاعى ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابى
الحرلى ١٩٣٦ م .
- ٩٧ — (معجم البلدان) مطبعة السعادة القاهرة ١٣٣٢ هـ / ١٩٠٦ م .
- ٩٨ — اليعقوبى ، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر وهب بن واضح .
(كتاب البلدان) تحقيق دى غويه ، لندن ، بريل ١٨٩٢ م .

ثالثاً — المراجع العربية الحديثة :

- ٩٩ — الأبراشي ، محمد عطيه (أعلام الطب) ، من نوايخ الفكر العربي الاسلامي .
- ١٠٠ — الأصمى ، محمد عبد الجواد (أبو الفرج الأصفهاني) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٤٠ م .
- ١٠١ — الألويسي ، محمود شكرى البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ) (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب) شرح وتصحيح محمد بهجت الاثرى ، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٤ م .
- ١٠٢ — الأهواني ، أحمد مؤاد (التربية في الاسلام) دار المعارف بمصر . طبعة ١٩٧٥ م .
- ١٠٣ — (الفلسفة الاسلامية) دار القلم بمصر — القاهرة ١٩٦٥ م .
- ١٠٤ — (الكندي فيلسوف العرب) طبع وزارة الثقافة والارشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، عدد ٢٦ القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- ١٠٥ — أبو خشب ، إبراهيم (تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول) دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٤ م ، ١٩٧٥ م .
- ١٠٦ — (تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الثاني) دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٥ م .
- ١٠٧ — أبو زهرة ، محمد شاهين حبرة (محاضرات في المذاهب الفقهية) مطبعة مخير ، القاهرة ١٩٦١ م .
- ١٠٨ — أبو الفيض ، السيد محمود (أصالة العلم وانحراف العلماء) دار نهضة مصر بالجالة ، القاهرة . .
- ١٠٩ — أحمد ، امام إبراهيم (تاريخ الفلك عند العرب) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٥ م .

- ١١٠ — اسحاق ، روفائيل بابو (مدارس العراق قبل الاسلام) بغداد ، العراق
١٩٥٥ م .
- ١١١ — (تاريخ نصارى العراق) مطبعة المنصور . بغداد ١٩٤٨ م .
- ١١٢ — (احوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية) مطبعة شفيق .
بغداد ، العراق ١٩٦٠ م .
- ١١٣ — أسماء فهمى (مبادئ التربية الاسلامية) مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر ، القاهرة ١٩٤٧ م .
- ١١٤ — إمين ، أحمد (فجر الاسلام) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط ٣
١٩٣٥ م .
- ١١٥ — (ضحى الاسلام) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٣٠ م .
- ١١٦ — (ظهر الاسلام) ، دار المعارف بمصر ط ٣ ، ١٩٣٩ م .
- ١١٧ — أمين ، حسين (تاريخ العراق في العصر السلجوقي) مطبعة الارشصاد —
بغداد ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- ١١٨ — أمين ، مصطفى (تاريخ التربية) دار المعارف بمصر ، بدون .
- ١١٩ — الباشا ، حسن (دراسات في الحضارة الاسلامية) دار المعارف بالاسكندرية
١٩٦٨ م .
- ١٢٠ — بدوى ، عبد الرحمن (دور العرب في تكوين الفكر الأوروبى) بيروت ،
لبنان ط ٣ ، ١٩٧٩ م .
- ١٢١ — البرقوقي ، محمد عاطف — والتوانسى ، أبو الفتوح محمد (الخوازمى العالم
الفلكى الرياضى) الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤ م .
- ١٢٢ — بلبع ، عبد الحكيم (أدب المعتزلة) مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٦٥ م .

- ١٢٣ — البهي، محمد (الجانِب الالهى من التفكير الاسلامى) بيروت ، لبنان ط ٥
١٣٨١ هـ / ١٩٧٢ م .
- ١٢٤ — التوانسى . ابو الفتوح (من اعلام الطب العربى) دار الكاتب المصرى ،
القاهرة ، ١٩٧٣ م .
- ١٢٥ — الجزارى ، عبد الله بن عباس (تقدم العرب فى العلوم والصناعات
واستأذيتهم لأوروبا) دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- ١٢٦ — جمعه ، محمد لطفى (تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق) من المقدمة
ط ١ ، المكتبة العلمية ، ليون ، فرنسا ١٩٠٩ م .
- ١٢٧ — الجبلى ، رشيد حميد حسن (اثر الترجمة فى الحضارة الاسلامية فى القرن
الثانى الهجرى) اطروحة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة . .
- ١٢٨ — (حركة الترجمة فى المشرق الاسلامى فى القرنين الثالث والرابع الهجريين)
الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلام — طرابلس — ليبيا ط ١
١٣٩١ هـ / ١٩٨٢ م .
- ١٢٩ — الجندى . انور (الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال افريقيا) طبعة الدار
القومية بالقاهرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- ١٣٠ — الجوارى : احمد عبد الستار (الشعر فى بغداد حتى القرن الثالث
الهجرى) وزارة الاعلام والثقافة ، العراق ، بغداد ١٩٦٥ م .
- ١٣١ — الجومرد ، عبد الجبار (هارون الرشيد) مطبعة دار الكتاب ، بيروت ،
لبنان ، ١٩٥٦ م .
- ١٣٢ — الجيار : ابراهيم (تاريخ التعليم الحديث) دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧١ م .
- ١٣٣ — (دراسات الفكر التربوى) وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٤ م .
- ١٣٤ — الجيزاوى : سعد الدين (دراسات فى الأدب العربى) دار نهضة مصر
بالقاهرة ، القاهرة .

- ١٣٥ — الحاجرى ، طه (الجاحظ حياته وآثاره) دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م .
- ١٣٦ — حجاب ، محمد نبيه (مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى) د ١ ، مكتبة نهضة مصر بالجيزة ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .
- ١٣٧ — حسن ، حسن ابراهيم (تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب وسوريا ومصر وبلاد العرب) مكتبة النهضة المصرية د ٢ ، ١٩٥٨ م .
- ١٣٨ — (تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى) مكتبة النهضة المصرية ط ٣ ، ١٩٥٣ م .
- ١٣٩ — حسن ، زكى محمد (كنوز الفاطميين) ، القاهرة ١٩٣٧ م .
- ١٤٠ — حسن ، على ابراهيم (التاريخ الاسلامى العام) مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٩ م .
- ١٤١ — حسنين ، عيد النعيم (سلاجقة ايران والعراق) مكتبة النهضة المصرية ط ٢ — ١٣٨٠ هـ / ١٩٧٠ م .
- ١٤٢ — حسين ، طه (تجديد ذكرى أبى العلاء المعرى) دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٣٢ م .
- ١٤٣ — حماد ، حسنى احمد السيد (الحضارة العربية نشأتها وتطورها) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ م .
- ١٤٤ — حمادة ، محمد ماهر (المكتبات فى الاسلام) مطبعة الرسالة — بيروت ، لبنان ١٩٧٣ م .
- ١٤٥ — الحفنى ، محمود احمد (اسحاق الموصلى) الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، اعلام العرب ع ٢٤ ، ١٩٦٤ م .
- ١٤٦ — الحوفى ، احمد (تيارات ثقافية بين العرب والفرس) دار نهضة مصر ، بالجيزة ، القاهرة ١٩٦٨ م .

- ١٤٧ — الخربوطلى ، على حسنى (الحضارة العربية الاسلامية) طبعة الانجلىو المصرية ، القاهرة ١٩٦٢ م .
- ١٤٨ — (المسعودى) نوابغ الفكر العربى ، دار المعارف بمصر عـ ٢٨ ، ١٩٦٨ م .
- ١٤٩ — خراسانى ، محمد غفرانى (عبد الله بن المقفع) مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ، القاهرة ١٩٧٠ م .
- ١٥٠ — الخضرى ، الشيخ محمد (تاريخ الأمم الاسلامية — الدولة العباسية) المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٧٠ م .
- ١٥١ — خطاب ، عطيه على (التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول) القاهرة ١٩٤٧ م .
- ١٥٢ — الخطيب ، محمد عجاج (لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر) مؤسسة الرسالة بيروت ، لبنان ط ٦ ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
- ١٥٣ — خفاجه ، محمد عبد المنعم (صور من الفكر العربى وتاريخ الاسلام) مكتبة النجاش ، القاهرة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م .
- ١٥٤ — (الآداب العربية فى العصر العباسى الثانى) القاهرة ١٩٥٧ م .
- ١٥٥ — خليل ، شوقى (جرجى زيدان) دار الفكر — دمشق ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- ١٥٦ — الخوارزمى ، محمد بن موسى (الجبر والمقابلة) دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٨ م .
- ١٥٧ — الدايم ، عبد الله (التربة عبر التاريخ) بيروت ، لبنان ط ٢ ، ١٩٧٥ م .
- ١٥٨ — الدش ، محمود محمد (أبو العتاهية) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٨ م .
- ١٥٩ — الدفاع ، على عبد الله (موجز التراث العربى الاسلامى) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٧ م .
- ١٦٠ — الدورى ، عبد العزيز (العصر العباسى الأول) مطبعة التثقيف الأهلية ، بغداد ١٩٤٢ م .

- ١٦١ — الديوه جى ، سعيد (بيت الحكمة) مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ،
جامعة الموصل ، العراق ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- ١٦٢ — الرافعى ، مصطفى صادق (تاريخ أدب اللغة العربية) دار الكتاب
الغريبى ، بيروت ، لبنان ١٩٧٠ م .
- ١٦٣ — الراوى ، طه (بغداد مدينة السلام) سلسلة اقرأ (٧) دار المعارف
بيصر — القاهرة ١٩٤٤ م .
- ١٦٤ — الرافعى ، أحمد فريد (عصر المأمون) مطبعة دار الكتب المصرية ،
القاهرة ١٩٢٨ م .
- ١٦٥ — الرافعى ، انور (الاسلام فى نظمته وحضارته) دار الفكر ، بيروت ،
لبنان ١٩٧٣ م .
- ١٦٦ — زاهية قدورة (الشعبوية أثرها الاجتماعى والسياسى فى الحياة الاسلامية
فى العصر العباسى) دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٧٢ م .
- ١٦٧ — زغلول ، الشحات السيد (ائسريان والحضارة الاسلامية) دار الكتاب
المصرى ، الاسكندرية ١٩٧٣ م .
- ١٦٨ — (الاتجاهات الفكرية فى التفسير) دار الكتاب المصرى ، الاسكندرية
١٩٧٥ م .
- ١٦٩ — زكى ، صالح (آثار باقية) مجلد ٢ ط أسطنبول ١٣٢٩ هـ .
- ١٧٠ — الزهرانى ، محمد مسفر (نظام الوزارة فى الدولة العباسية فى العهدين
البويهى والسلجوقى) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٩٨٠ م .
- ١٧١ — الزيات ، أحمد حسن (تاريخ الأدب العربى للدارس الثانوية) مطبعة
الرسالة القاهرة ، بدون .
- ١٧٢ — زيادة ، نقولا ، (صور من التاريخ الاسلامى) دار العلم للملايين ، بيروت ،
لبنان ، بدون .

- ١٧٣ — زيدان ، جرجى (تاريخ التمتنن الاسلامى) مراجعة . وتعليق حسين مؤنس .
طبع دار الهلال ، القاهرة ١٩٣١ م .
- ١٧٤ — سالم ، عبد العزيز (دراسات فى تاريخ العرب ، العصر العباسى الاول)
مؤسسة الشباب الجامعى بالاسكندرية ، بدون .
- ١٧٥ — السامرائى ، محمد رجب (علم الفلك عند العرب) منشورات دائرة الشؤون
الثقافية والنشر بغداد ، العراق ١٩٨٤ م (الموسوعة الصغيرة) ١٣٨ .
- ١٧٦ — السباعى ، الشيخ مصطفى (من روائع حضارتنا) المكتب الاسلامى ،
بيروت ، لبنان ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- ١٧٧ — سرور ، محمد جمال الدين (تاريخ الحضارة الاسلامية فى المشرق) دار
الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٥ م .
- ١٧٨ — سليم ، محمود رزق (عصر سلاطين المماليك) طبعة مكتبة الاداب
بالجاميز ، القاهرة ١٩٤٩ م .
- ١٧٩ — سميرة مختار الليثى (جهاد الشيعة فى العصر العباسى الاول) دار الجيل ،
بيروت ، لبنان ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .
- ١٨٠ — السودانى ، عبد مظهر (الشعر العراقى فى القرن السادس الهجرى) ،
ط ٨ ، دار الرشيد ، بغداد — العراق ، بدون .
- ١٨١ — الشايب ، أحمد (العامل السياسى فى اقب العصر العباسى الاول) مكتبة
مصر بالجبال ، القاهرة ، بدون .
- ١٨٢ — شريف ، محمد بديع (الصراع بين العرب والموالى) طبعة القاهرة ١٩٥٤ م .
- ١٨٣ — شلبى ، أحمد (تاريخ التربية الاسلامية) ط ٥ مكتبة النهضة المصرية
القاهرة ١٩٧٧ م .
- ١٨٤ — (التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية) مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة
١٩٦٠ م .

- ١٨٥ — الشريقى ، ابراهيم (التاريخ الاسلامى) القاهرة ١٩٧١ م .
- ١٨٦ — الشيبانى ، عمر محمد التومى (فلسفة التربية الاسلامية) الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلام ، طرابلس ، ليبيا ط ١ ، ١٩٧٥ م .
- ١٨٧ — الصيحي ، محمد ابراهيم (العلوم عند العرب) مكتبة نهضة مصر بالجيزة ، القاهرة ، بدون .
- ١٨٨ — ضيف ، شوقى (العصر العباسى الاول) دار المعارف بمصر ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٦٣ م .
- ١٨٩ — الطباع ، عبد الله أنيس (علم المكتبات بالادارة والتنظيم) دار الكتاب اللبنانى بيروت ، لبنان ط ٢ ، ١٩٧٢ م .
- ١٩٠ — طلس ، محمد اسعد (عصر الازدهار ، تاريخ الدولة العباسية) الكتاب الاول ط ١ ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٤ م .
- ١٩١ — طوطح ، خليل (تاريخ التربية عند العرب) القدس ١٩٣٣ م .
- ١٩٢ — طوقان ، قندى حافظ (تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك) دار الشروق ، بيروت ، لبنان ١٩٦٣ م .
- ١٩٣ — (العلوم عند العرب) مكتبة مصر ، ٣ شارع كامل صدقى بالجيزة ، سلسلة الألف كتاب رقم ٤ ، ١٩٥٦ م .
- ١٩٤ — عاشور ، سعيد عبد الفتاح (فضل العرب على الحضارة الأوروبية) مكتبة الأجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ م .
- ١٩٥ — (المدنية الاسلامية واثرها فى الحضارة الأوروبية) مكتبة الأجلو المصرية ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٨٢ م .
- ١٩٦ — عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) (تراثنا بين ماض وحاضر) دار المعارف بمصر ١٩٧٠ م .
- ١٩٧ — (لغتنا والحياة) دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .

- ١٩٨ — (القرآن وقضايا الانسان) دار العلم للملايين ، بيروت ط ٢ ، ١٩٧٥ م .
- ١٩٩ — العبادى ، أحمد مختار (فى التاريخ العباسى والأندلسى) دار النهضة المصرية بيروت ، لبنان ط ٢ ، ١٩٧٢ م .
- ٢٠٠ — عبد الرؤوف ، عصام الدين (الحواضر الاسلامية الكبرى) دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧١ م .
- ٢٠١ — عبد العزيز ، محمد الحسينى (الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية) وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٣ م .
- ٢٠٢ — عبد الغنى ، مصطفى لبيب (الكيمياء عند العرب) دار الكاتب المصرى ، القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
- ٢٠٣ — العدوى ، أحمد ابراهيم (الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم) القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٢٠٤ — السفراء العرب الى أوروبا فى العصور الوسطى (دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٧ م .
- ٢٠٥ — عزام ، عبد الوهاب (الاسلام والعلم فى الاسلام اليوم وغدا) دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، بدون .
- ٢٠٦ — العشى ، يوسف (تاريخ عصر الخلافة العباسية) دار الكتاب ، دمشق ١٩٨٠ م .
- ٢٠٧ — العقاد ، عباس محمود (اثر العرب فى الحضارة الأوروبية) دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣ م .
- ٢٠٨ — العتيقى ، نجيب (المستشرقون) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٢٠٩ — على ، محمد كرد (الاسلام والحضارة العربية) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٥٠ م .
- ٢١٠ — (أمراء البيان) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٠ م .

- ٢١١ — عمر ، فاروق (العباسيون الأوائل) ج ٢ مطبعة الرسالة ، بغداد ، العراق ١٩٦٣ م .
- ٢١٢ — العمري ، احمد جمال (أبو بكر الصولى) الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، اعلام العرب ١٩٧٣ م .
- ٢١٣ — عون ، حسن (صور ملهمة من واقع المجتمع العربى) ط ٢ ، القاهرة ، بدون .
- ٢١٤ — عنان ، محمد عبد الله (الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ١٩٥٩ م .
- ٢١٥ — عيسى ، احمد (التهذيب فى أصول التعريب) القاهرة ، ١٩٢٣ م .
- ٢١٦ — غرابية ، حمودة (ابن سينا بين الدين والفلسفة) مطبعة مجمع البحوث الاسلامية ، القاهرة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- ٢١٧ — غنيمية ، محمد عبد الرحيم (تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى) دار الطباعة المغربية ، تطوان ، المغرب ١٩٥٣ م .
- ٢١٨ — فراج ، عز الدين (فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية) دار الهنا للطباعة ١٩٧٨ م .
- ٢١٩ — فروخ ، عمر (تاريخ الفكر العربى الى أيام ابن خلدون) ط ٢ ، المكتب التجارى ، بيروت ، لبنان ١٩٦٢ م .
- ٢٢٠ — (عبقرية العرب فى العلم والفلسفة) منشورات المكتبة العصرية بيروت ، لبنان ط ٣ ، ١٩٦٩ م .
- ٢٢١ — فوقية ، حسن محمود (الامام الجوينى امام الحرمين) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، اعلام العرب ع ٤٠ ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
- ٢٢٢ — الكبيسى ، حمدان عبد المجيد (أسواق بغداد فى بداية العصر البويهى) مطبعة وزارة الاعلام ، بغداد ، العراق ١٩٧٩ م .

- ٢٢٣ — كحالة ، عمر رضا (المرأة في عالمي العرب والاسلام) ط ٢ ، مطبعة الترقى ،
بمشق ١٩٧٢ م .
- ٢٢٤ — كوركيس ، عواد (خزائن الكتب القديمة في العراق) مطبعة المعارف ،
بغداد ، العراق ١٩٤٨ م .
- ٢٢٥ — الكيالي ، سامي (النفس الانسانية في ادب الجاحظ) دار المعارف
بمصر ، سلسلة اقرا ١٩٦١ م .
- ٢٢٦ — ماجد ، عبد المنعم (تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى)
مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- ٢٢٧ — (العصر العباسي الأول) مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٧ م .
- ٢٢٨ — الماحي ، التيجاني (تاريخ الطب عند العرب) الخرطوم ١٩٦٠ م .
- ٢٢٩ — المحاسني ، زكي (المتنبي ، نوابغ الفكر العربي) ط ٤ ، دار المعارف بمصر
١٩٧١ م .
- ٢٣٠ — محمد ، التوم الطالب (تاريخ الحضارة الاسلامية) ابو ظبي ، جامعة
الامارات ١٩٨٤ م .
- ٢٣١ — محمد ، زكي فاضل (الفكر السياسي والعربي الاسلامي بين ماضيه
وحاضره) ط ٢ دار الحرية للطباعة ، بغداد ، العراق ١٩٧٦ م .
- ٢٣٢ — محمود . حسن احمد ، والشريف (العالم الاسلامي في العصر العباسي)
دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- ٢٣٣ — محمود ، زكي فحبيب (جابر بن حيان) الهيئة المصرية العامة ، القاهرة
اعلام العرب ع ١٣ : ١٩٦١ م .
- ٢٣٤ — محمد . عبد الحلیم (التفكير الفلسفي في الاسلام) دار الكتاب العربي ،
بيروت . لبنان ١٩٧٤ م .
- ٢٣٥ — المدور . جميل نخلة (حضارة الاسلام في دار السلام) مطبعة الاعتماد ،
بغداد ١٩٣٢ م .

- ٢٣٦ — مصطفى ، شاكِر (فى التاريخ العباسى) ، دمشق ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م .
- ٢٣٧ — مظهر ، اسماعيل (تاريخ الفكر العربى) نشر مجلة العصور لنشر المعرفة والاداب ، القاهرة ١٩٢٨ م .
- ٢٣٨ — مظهر ، جلال (علوم المسلمين اساس التقدم العلمى) الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر — ٢٤٧ القاهرة ١٩٧٠ م .
- ٢٣٩ — (حضارة الاسلام واثرها فى الترقى العلمى) القاهرة ١٩٧٤ م .
- ٢٤٠ — معروف ، ناجى (اصالة الحضارة العربية) ط ٣ دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٥ م .
- ٢٤١ — (تاريخ علماء المستنصرية) ج ١ مطبعة جامعة بغداد ، العراق ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- ٢٤٢ — (المدارس الشراعية) مطبعة الارشاد ، بغداد ، العراق ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- ٢٤٣ — المعلوف ، عيسى اسكندر (تاريخ الطب عند العرب) بيروت ، لبنان ، ١٩٣٥ م .
- ٢٤٤ — منتصر ، عبد الحليم (تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه) ط ٤ دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧١ م .
- ٢٤٥ — مؤنس ، حسين (تاريخ الدولة العربية الاسلامية فى العصور الوسطى) الكويت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- ٢٤٦ — الميدانى ، عبد الرحمن حسن حنبله (اسس الحضارة الاسلامية ووسائلها) ط ٢ دار القلم ، دمشق ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- ٢٤٧ — النبهان ، محمد فاروق (مبادئ الثقافة الاسلامية) دار البحوث ، الكويت ١٩٧٣ م .
- ٢٤٨ — هاشم ، زكريا (فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم) مكتبة نهضة مصر بالجيزة ، القاهرة ، بدون .

٢٤٩ — الهاشمي ، محمد (الفكر العربي جذوره ، ثماره) مكتبة الفلاح ، الكويت ١٩٧٨ م .

٢٥٠ — الهاشمي ، محمد يحيى (الكيمياء في التفكير الاسلامي) دار الفكر العربي . القاهرة ١٩٥٨ م .

٢٥١ — هداره ، محمد مصطفى (اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري) دار المعارف بمصر ، الاسكندرية ١٩٧٠ م .

٢٥٢ — وديعة طه نجم (الشعر في الحاضرة في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، شركة كاظمة للنشر ، الكويت ١٩٧١ م .

٢٥٣ — اليازجي ، كمال (معالم الفكر العربي في العصر الوسيط) دار المعلم للملايين ، بيروت ١٩٦٦ م .

٢٥٤ — اليوزبكي ، توفيق سلطان (تاريخ اهل الذمة في العراق) دار العلوم للطباعة والنشر ، السعودية ، الرياض ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

رابعاً — المراجع الأجنبية المترجمة :

٢٥٥ — ارنولد ، توماس وآخرون (تراث الاسلام) ترجمة جرجيس فتح الله . المطبعة العصرية الموصل ، العراق ١٩٥٤ م .

٢٥٦ — الدوميللي (العلوم عند العرب ومكانتها في التطور العلمي العالمي) ، ليدن هولندا ، ١٩٦٦ م .

٢٥٧ — أوليري ، دي لاسي (مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب) ترجمة تمام حسان ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٢٥٨ — (الفكر العربي ومكانه في التاريخ) ترجمة تمام حسان ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٦١ م .

٢٥٩ — (علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب) ترجمة وهيب كامل ، القاهرة ١٩٦٢ م .

- ٢٦ — بادو ، جنون (عبقرية الحضارة العربية. ينبوع. النهضة) مركز الوثائق والدراسات بأبو ظبي ١٣٧٩ هـ / ١٩٧٧ م .
- ٢٦١ — بخش ، خويدا . (الحضارة الإسلامية) ترجمة وتعليق على حسنى الخربوطلى ، نشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٢٦٢ — بارثولد ، ف (الحضارة الإسلامية) ترجمة حمزة طاهر ط ٣ ، طبع دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٤٢ م .
- ٢٦٣ — براون ، ادوارد جورج (الطب العربى) ترجمة داوود سليمان على ، مطبعة العائى ، بغداد ١٩٦٤ م .
- ٢٦٤ — بروكلمان ، (كارل) (تاريخ الشعوب الإسلامية) ترجمة نبيه فارس وزميلة ، بيروت ١٩٥٣ م .
- ٢٦٥ — بيكر ، هنريش (تراث الأوائل فى الشرق والغرب) ترجمة عبد الرحمن بدوى ، بيروت ١٩٤٩ م .
- ٢٦٦ — جوستاف ، جرونيباوم فون (حضارة الاسلام) نقله للعربية عبد العزيز جاويد وعبد الحميد العبادى ، مكتبة مصر ، ٣ شارع كامل صدقى بالجيزة الألف كتاب (٢٠) ١٩٥٦ م .
- ٢٦٧ — حتى ، فيليب (تاريخ العرب المطول) ترجمة ادوارد جرجى وجيرائيل جيور ، دار الكشاف ، بيروت ، لبنان ١٩٦٥ م .
- ٢٦٨ — حيد بامات (اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية) ترجمة ماهر عبد القادر وآخرون ، دار المعرفة الجامعية ، الأزاريطة بالاسكندرية ، بدون .
- ٢٦٩ — دى بور (تاريخ الفلسفة فى الاسلام) ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨ م .
- ٢٧٠ — ديورانت ، ول (قصة الحضارة) ترجمة محمد بدران ، طبع الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

- ٢٧١ — روزنثال ، فرانتر (مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمى) ترجمة
أنيس فريخه ، بيروت ، لبنان ١٩٦١ م .
- ٢٧٢ — ريسلر ، جاك . س . (الحضارة العربية) ترجمة غنيم عبدون ، طبع
الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٢٧٣ — سيد أمير على (روح الاسلام) ترجمة محمود أمين الشريف ، مكتبة
الأداب ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- ٢٧٤ — (مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى) ترجمة رياض رافت ، مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٨ م .
- ٢٧٥ — سيدو ، ل . ا . (تاريخ العرب العام) ترجمة عادل زعيترو ، نشر البابى
الطبى ، مصر ١٩٤٨ م .
- ٢٧٦ — شيدر ، هانز هيزس (روح الحضارة العربية) ترجمة عبد الرحمن بدوى ،
بيروت ١٩٤٩ م .
- ٢٧٧ — لوبون ، جوستاف (حضارة العرب) ترجمة عادل زعيترو ، دار احياء
الكتب العربية ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٥٦ م .
- ٢٧٨ — ماير هوف ، ماكس (التراث اليونانى في الحضارة الاسلامية) ترجمة
عبد الرحمن بدوى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٠ م .
- ٢٧٩ — متر ، آدم (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى) ترجمة محمد
عبد الهادى أبو ريده ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٢ ،
القاهرة ١٩٤٧ م .
- ٢٨٠ — ناتنج ، انتونى (العرب انقصاراتهم وأمجاد الاسلام) ترجمة راشد
البراوى ١٩٧٤ م .
- ٢٨١ — نالينو ، كارمو (تاريخ الفلك عند العرب) طبع في روما ١٩١١ م .

٢٨٢ — نجلاء عز الدين (العالم العربى) ترجمة محمد عوض ابراهيم ، القاهرة ، بدون : .

٢٨٣ — هسل ، الفرد (تاريخ المكتبات) ترجمة شعبان عبد العزيز خليفة ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧٣ م .

٢٨٤ — هل ، يوسف (الحضارة العربية) ترجمة أحمد العدوى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

٢٨٥ — هوليارد ، ا. ج. (الكيمياء حتى عصر دالتون) باريس ١٩٢٨ م .

٢٨٦ — هونكه ، زغريد (شمس العرب تسطع على الغرب) ترجمة فاروق ييضمون وكمال دسوقي ، بيروت ١٩٦٤ م .

٢٨٧ — ويلز ، ه. ج. (موجز تاريخ العالم) ترجمة عبد العزيز جاويد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٧ م .

خامسا — المجلات الدورية :

٢٨٨ — (مجلة المؤرخ العربى) بغداد ، العراق .

٢٨٩ — (مجلة الفيصل) المملكة العربية السعودية .

٢٩٠ — (مجلة العربى) الكويت .

٢٩١ — (مجلة الباحث) بيروت ، لبنان .

٢٩٢ — (مجلة الاسلام والمصور الحديثة) دكا ، بنجلاديش .

٢٩٣ — (صحيفة جامعة بيشاور) الباكستان .

٢٩٤ — (مجلة المورد) بغداد ، العراق .

- ٢٩٥ — (مشالآت الشبلى) مجلد ٦ ، غرام كاره ، الهند .
- ١٩٦ — (مجلة درع الوطن) ابو ظبى ، الامارات العربية المتحدة .
- ٢٩٧ — (مجلة الأستاذ) بغداد ، العراق .
- ٢٩٨ — (مجلة النجم) بغداد ، العراق .
- ٢٩٩ — (مجلة ايزيس) بغداد ، العراق .
- ٣٠٠ — (مجلة المقتطف) مجلد ٣٩ ، بيروت ، لبنان .
- ٣٠١ — (مجلة المشرق) بغداد ، العراق .

سادسا — المراجع الأجنبية :

- 302 — A. M. A. SHUSHTERY
OUTLINES ISLAMIC CULTURE, Lahore, Pakistan, 1975.
- 303 — BARTHOLD, W.
TURKESTAN DOWN ON THE MONGOL INVASION, Luzac, 1938.
- 304 — BROWN, E.
A LITERARY HISTORY OF PERSIA, London, 1926.
- 305 — E. H. WILDS
THE FOUNDATIONS OF MODERN EDUCATION, London, 1959.
- 306 — ENCYCLOPEDIA OF ISLAM, ART MASJID.
- 307 — GIBB, H.
ARABIC LITERATURE, Oxford, 1928.
- 308 — ISLAMIC CULTURE, 1929.
- 309 — HITTI, P. K.
THE HISTORY OF THE ARABS, London, 1949.
- 310 KHUDA BUKHSH
CONTRIBUTION OF THE HISTORY OF ISLAMIC CIVILIZATION,
Calcutta, 1905.
ISLAMIC LIBRARIES, 1942.
- 311 — HUGHES, THOMAS PATRICK
DICTIONARY OF ISLAM, London, 1885.
- 312 — J. WINDROW SMEETMAN
ISLAMIC AND CHRISTIAN THEOLOGY, London, 1945, vol., I, II.
- 313 — MUHAMMAD MARMADUKE
PICKHALL, London.

- 314 — NICHOLSON, R. A.
A LITERARY HISTORY OF THE ARABS, Cambridge, 1930.
- 315 — PALMER, E.
HARUN RASHID, Marcus Ward, 1881.
- 316 — RICHARD COKE
BAGDAD THE CITY OF PEACE, Thornlon 1927.
- 317 — ROBERT BRIFFAULT
THE MAKING OF HUMANITY, England 1919.
- 318 — S. AMEER ALI
A SHORT HISTORY OF SARACENS, London, 1916.
- 319 — S. AMEER ALI
THE SPIRIT OF ISLAM, London, 1940.
- 320 — Sir. THOMAS ARNOLD
LEGACY OF ISLAM, Oxford University, 1931.
- 321— SAYED MUHAMMAD AL-NAGIB AL-ATTAS
AIMS & OBJECTIVES OF ISLAMIC EDUCATION,
King Abdul Aziz University, 1979.
- 322 — SAYED SAJJAD HUSSAIN
CRISTAIN MUSLIM EDUCATION, England, 1919.
- 323 — AMAN — ALLAH KHAN
AL MAMWN AND HIS BAYT AL-HIKMAT,
Pakistan, Lahore, 30 November 1962.

الفهرس

صفحة

[illegible]

الباب الأول

الفصل الأول : تأسيس بيت الحكمة وأهدافها

١ - المؤسسون لبیت الحكمة أهو الرشید أم المؤمن ؟ ٢٨

٢ - تاریخ تأسيس بیت الحكمة ٣٣

٣ - الأهداف المراد تحقيقها من تأسيس بیت الحكمة ٤٠

الفصل الثاني : انشاء بيت الحكمة

١ - من هم مفشئو بيت الحكمة ؟ ٤٨

٢ - الطرق والوسائل التى تم بها انشاء بيت الحكمة ٥٣

٣ - العوامل التى ساعدت على انشاء بيت الحكمة ٥٧

الفصل الثالث : النظام الإداري في بيت الحكمة

٦. ١ - القائمون على تنظيم بيت الحكمة

- ٢ — المشرفون على بيت الحكمة ٦٨
- ٣ — رواتب العاملين داخل بيت الحكمة ٧١

الفصل الرابع : اثر بيت الحكمة في حياة المجتمع العباسي

- ١ — تشجيع الحركة العلمية في بيت الحكمة ٧٦
- ٢ — التغيرات التي تحدث داخل بيت الحكمة في التصنيف والترجمة ٧٨
- ٣ — نشر روح اليقظة الاسلامية في المجتمع العباسي ٨٠
- ٤ — انتقاذ التراث بادخال نظام المكتبات على العالم الاسلامي لحفظ التراث من الضياع ٨٣

الباب الثاني

الفصل الأول : تاريخ المدارس الاسلامية واثار بيت الحكمة فيها

- ١ — نشأة المدارس الاسلامية قبل انشاء بيت الحكمة ٩١
- ٢ — المدارس الاسلامية حالتها بعد انشاء بيت الحكمة ٩٩
- ٣ — اثر بيت الحكمة في المدارس الاسلامية ١٢٠

١٢٠

الفصل الثاني : التدريس والمدرسون في بيت الحكمة

- ١ — عمل المدرسين في بيت الحكمة ١٢٨
- ٢ — رواتب المدرسين في بيت الحكمة ١٣٥
- ٣ — المواد الدراسية التي تدرس في بيت الحكمة ١٣٧

الفصل الثالث : حركة التأليف في بيت الحكمة

- ١ — نشأة حركة التأليف في بيت الحكمة ١٤٤
- ٢ — تشجيع حركة التأليف في بيت الحكمة على يد الخلفاء والوزراء ... ١٥٠
- ٣ — عمل المؤلفين في بيت الحكمة ورواتبهم ١٦٠

الفصل الرابع : المباحثة والمناظرة بين العلماء والخلفاء والوزراء في بيت الحكمة

- ١ — تشجيع الخلفاء للمباحثة والمناظرة في بيت الحكمة ١٦٦
- ٢ — رغبة الخلفاء والوزراء في المباحثة والمناظرة داخل بيت الحكمة ... ١٧٦
- ٣ — مشاركة العلماء والشعراء والأدباء في المناظرة والمباحثة في بيت الحكمة ١٨٢

الباب الثالث

الفصل الأول : بيت الحكمة في عهد المأمون

- ١ — حالة بيت الحكمة قبل عهد المأمون ١٩٠
- ٢ — عناية واهتمام المأمون ببيت الحكمة ١٩٥
- ٣ — صرف الأموال في سبيل ازدهار وارتقاء بيت الحكمة ... ٢٠٣

الفصل الثاني : بيت الحكمة بعد عهد المأمون

- ١ — بيت الحكمة تستمر في رحلتها العلمية والأدبية ٢١٠
- ٢ — عناية الخلفاء والوزراء ببيت الحكمة بعد عهد المأمون ... ٢١٤
- ٣ — الحركة العلمية ونشاطها في بيت الحكمة بعد عهد المأمون ... ٢٢٣

الفصل الثالث : تأثير بيت الحكمة كمؤسسة علمية وتعليمية على المدارس الإسلامية

- ١ — بيت الحكمة نموذج رائع للمدارس الإسلامية في النواحي العلمية والتعليمية ٢٣٠
- ٢ — المدارس الإسلامية تتأثر بالعلوم التي تدرس في بيت الحكمة ... ٢٣٣
- ٣ — موقف المدارس الإسلامية من بيت الحكمة ومدى تأثيرها بها ... ٢٣٨

الفصل الرابع : بيت الحكمة كجامعة إسلامية عظيمة

- ١ — هل كانت بيت الحكمة جامعة يدرس بها الطب أيضا ؟ ... ٢٤٢
- ٢ — هل كانت جامعة بيت الحكمة دار إقامة للطلاب والأساتذة ؟ ... ٢٤٦
- ٣ — هل كانت هناك علاقة بين الرصد المأمونى فى دمشق وفى بغداد ؟ ٢٤٨

الباب الرابع

الفصل الأول : بيت الحكمة كمؤسسة علمية وحركة الترجمة فيها

- ١ — العلوم الإسلامية فى بيت الحكمة :
— علم الكلام ... ٢٥٨
— علم المنطق ... ٢٦٤
— علم الفلسفة ... ٢٦٨
— علم الرياضيات ... ٢٧٤
— علم الطب ... ٢٨٦

— علم الفلك والتنجيم ٢٩٦

— علم الكيمياء ٣١٣

الفصل الثاني : الحياة العلمية ونشاط الترجمة في بيت الحكمة

١ — المترجمون الذين عملوا في بيت الحكمة ٣٢٤

٢ — حركة النقل والترجمة على أيدي الموالى ٣٣٤

٣ — دور المترجمين في تنشيط حركة التأليف والترجمة ٣٤٣

٤ — ترجمة التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية ٣٥٢

الفصل الثالث : العلاقة بين مؤسسة بيت الحكمة والحكومة

والعلماء الذين عملوا فيها

١ — تشجيع الخلفاء والوزراء للذين عملوا في بيت الحكمة ٣٦٨

٢ — دور الخلفاء والوزراء في المحافظة على نشاط مؤسسة بيت الحكمة ٣٧٧

٣ — حرص الخلفاء والوزراء على تقوية أواصر المحبة والتعاون بين من عملوا داخل بيت الحكمة ٣٨٥

الباب الخامس

الفصل الأول : مكانة بيت الحكمة بين مدارس وجامعات العالم

١ — أثر بيت الحكمة في المدارس الإسلامية والجامعات الإسلامية في العالم ٣٩٤

٢ — بعث روح اليقظة الإسلامية الكبرى لمثيلاتها في العصور الوسطى ... ٤٠٥

٣ — انقاذ التراث العالمى من الفناء بجلب كنوز المعرفة من أنحاء العالم ... ٤٠٩

الفصل الثاني : ازدهار العلوم الاسلامية في بيت الحكمة

- ١ — تأثير بيت الحكمة في العلوم الاسلامية ٤٢٦
- ٢ — نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين وحثهم على طلب العلم والمعرفة ... ٤٣١
- ٣ — ادخال نظام جديد للمكتبات على العالم الاسلامي ٣٣٤

الفصل الثالث : مميزات بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة

- ١ — مكانة جامعة بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة واثرها فيها ... ٤٤٠
 - ٢ — بيت الحكمة كجامعة ذات اثر فكري وفلكي في الجامعات الحديثة ... ٤٤٥
 - ٣ — تأثير جامعة بيت الحكمة في الجامعات الحديثة في شتى فروع العلم والمعرفة ٤٤٩
- خاتمة البحث ٤٦٣
- المصادر والمراجع ٤٧٣

رقم الايداع بدار الكتب القومية

٨٩/٤٦١٦

الترقيم الدولي × - ٠٣٥٠ - ١٠ - ١٧٧

شركة داء الإشعاع الطباعة

١٤ ش عبد الحميد — جنينة تاميش
السيدة زينب — القاهرة
ت : ٣٦٣.٤٦٩

Some Historians said that Howlaku (The leader of Al Maghole) built the Stables and the animal food containers from these books Instead of mud.

Thus, Howlako destroyed all the valuable books that were translated by the Muslims writers and scholars who were encouraged by Chaliphs who helped in spreading culture among Muslims and others.

Another point worth nothing is that **Bayt AL Hikmat** preserved and mastered a lot of the Culture of the old civilized world.

We should notice the importance of **Bayt EL Hikma** in the birth of the Islamic civilization. In fact it was the main reason behind the progress the Muslims achieved in all aspects of their new civilizations.

Bayt Al Hikma was the link between the Arabs on one hand and Greeks, the Indians and the Persians on the other. It played a great role in knowing the old cultures and civilizations, keeping their legacy and passing it to the following generation. Without this great role, all these civilizations would fall down through losing it's legacy.

Bayt Al Hikma without doubt, was the main reason behind that all.

He could bring his friends who were physicians from Gondjasabore to Baghdad and studies Arabic. He had a book in Logic.

Haneen ben Ishaq revised Batlaimous book which was translated by Ibrahim Ben selt.

He was very skillful in translation which made him very closed to Al Maamoun. He visited syria and little Asia in ordered to collect books. Dawoud and Ishak were his sons. Dawoud was very specialised in medicin.

Al kendy or Abu Yousuf Yaakaup Ben Ishak, who was an Arab, was the Arab and Islam Philosopher. He worked on, medicin, astronomy, philosophy and logic. In his joined between Aflatoun and Arresto opinions in Philosophy.

About all Bakhtishun who was during the Abbasside state - became very famous. Jebreel Ben was highly educated in all the subjects involved in medicin. He wrote many books in paleozoology.

Supporting the translator was not restict on the Caliphas but also on the ministers, rulers, and the cheif officer.

So, **Bayt Al Hikma** contained the books written in legislation and ureology. The Arabs were not only satisfied with translating the books but also they studied them carefully in order to benefit from them.

It was most probable that **Bayt -AL Hikmat** lost it's shining after Al Mutawakel due to the transforme of the successor from Baghdad to Samarra. **Bayt AL Hikmat** went on Resisiting until Al Maghole conquered Baghdad In 656 Hijri 1258.

Al Maghole or Al Tatar, did not care of it's book treasuries so they burnt some and threw the others in the Tigirus.

He was very interested in Philosophy and Logic by which he could build up his general knowledge and theology.

Al Maamoun used to ask the Roman Kings to provide him with the valuable wisdom books whenever he reached to an agreement with them. Consequently, Mekheel the third sent one of the famous library in kusteena.

Furthermore, he respected all the scientists from all the Christian creeds whom were invited to his palace.

Bayt AL Hikma was the pulpit of forgiveness during AL Maamoun and the Abbasiden successors age.

The Philosophers from the other religions used to debate with the Muslims in all religious affairs.

Books in philosophy, Engineering and History were written by the monasteries in Syria, Little Asia, Syrian Coast and Palestine.

Al Maamoun age is considered as the most prominent age in the Arab Culture. Consequently it was called the Golden Islamic age.

The Abbassides successors made it easy for people to get all the scientific books were available at that time. So, **Bayt AL Hikma** was created in order to propagate the other nations cultures and knowledges.

Al Hassan Ben Sahel was one of the prominent translator during the age of Al Maamoun and Ahmed Yehia Ben Jaber.

Abu Hafs Omar Ben Al Farkhan Al Jabari was a translator and specialised at astronomy.

Haneen Ben Ishaq who was introduced to Al Maamoun by Musa sons, was assigned as the head of Al Hikma Institution.

The rich people used to keep a copy of the translated books but the originals were kept in **Bayt AL Hikma**.

The translated material was revised by Thabet Al Harrani and Haneen Ben Ishak who were professional in translation.

Paper factories were established in Bagdad and all the Arab countries during Al Rasheed age. But before that, AL Barde papers, leathers and even bones were used for writing.

The paper manufacturing prosperity helped to propagate the Arabic Culture. Teaching syllabus was in high standard specially in philosophy, Physics, Maths, Astronomy, History, Geography and Music.

Abu Yousuf was the first one who applied the teacher's uniform which was a black turban and cloak.

Chemistry was one of the scientific subjects considered during the Abbassid's age. Jaber Ben Haiyan became one of the prominent chemists at that time. He invented many theories which were translated into Latin.

Al Rasheed assigned Al Fadel Ben Nubikht in order to translate and keep the Persian books. Ben Mousaweh was also in charge of the old Medical Books which were brought during his missions.

The movement of Arabizing the books in medicine, astronomy and maths from the Indian Language increased during Al Rasheed age.

Many Indian Scientists came Bagdad or were invited by Al Maamoun. A great emphasis was put on the Indian and Persian books during the first days of Al Rasheed.

Al Maamoun opened all the doors of **Bayt Al Hikma** treasures in front of all the scientists and he was aware of all the researches, studies and discussions raised at that time.

Such libraries contained books in all subjects like logic, philosophy, and astronomy were open for public people.

The Abbasid successors propogated the science among all the ranks of people.

Ali Ben Yehia — Died in 275 Hijra — established a Library in his palace cailed al Hikma treasury where people form different countries used to come to study and accomodated on his account.

Bayt Al Hikma was managed by the owner who was in charged of its affairs.

Sahl Ben Haroun was assigned by Al Maamoun who took care and maintained the treasuries. He organised Al Maamoun's private treasuries.

Ebn Abi Al Hareesh was a binder in Al Hikma treasury.

Yeuhanna Ben Mussaweeh was the translation trustee during the ages of Al Rasheed, Al Ameen, Al Maamoun and Al Mutawakel.

Maths, Engineering and Music were taken care by Banu Shaker.

Qusta Ben Luga supervised the translation section in **Bayt Al Hikma** because he was an expert in Greek.

Bayt AL Hikma started to be a Public Library then It was developed till it became an Islamic University in which the scientists and researchers used to meet.

It became a high scientific and Cultural establishment that contained books in Logic, medicin, Maths and Philosophy.

By studying the historic documents, It was found that **Bayt AL Hikma** did not restrict on translation but on some other duties such as bibliopegy and producing copies to be distributed to the well known libraries at that time like **Bayt AL Hikma** in Tunisia and Calro.

treasuries. In each one there were many Volumes. **Bayt AL Hikma** was divided into different sections which were used for keeping books, translation, dictating, writing, books binding and reading.

Some people used to call it **Bayt AL Hikma or AL Hikma treasury**.

Haji Khalifa — in *Kashf Al Thunoon* — called it **Bayt AL Hikma** and Ibn Al Nadeem — in *Al Fahrest* — called it **AL Hikma treasury**.

The researchers disagreed on the establisher of **Bayt AL Hikma**. Some of them said that it was established by Al Maamoun and more than one of them said that it was established by Al Rasheed. It was confirmed by Yaquot Al Hamawi that it was established during Al Rasheed age.

Abu Sahel translated materials from Persian to Arabic during Al Rasheed age.

Al Rasheed propagated the education by establishing a place where he collected and kept a great number of the valuable books. He also tried to increase the number of these books and took care of their titles. Al Maamoun made Dar Al Hikma not only a Library but also a translation centre which eventually was changed into an academy so, Al Maamoun age is considered as the most prosperous days of **Bayt AL Hikma**.

It is said that **Bayt AL Hikma** which contained rooms and treasuries on independent building of the successor's palaces.

I think Bayt means Al Rasheed, Al Baramaka and Al Maamoun treasuries. Each one is considered for a certain kind of books.

It is clear that **Bayt AL Hikma** differs from any other educational institution established on the third Hijra century.

The Al Hikma private houses were the libraries established by the scientists, rich people, literers and the well known people.

A SUMMARY OF THE RESEARCH

By now, it has been made clear my objective is to study **Bayt Al Hikma** in abbasside age since its establishment until it became an academic and educational establishment for the scientific and high studies.

During the prosperity of the Abbasside age, Baghdad was the Kaaba for the scientists and physicians from all the religions. It was the first Islamic Center for the high study and translation. There were a Public Library and an observatory in **Bayt Al Hikma**. It was established before **Al Azhar** and any other **European Universities**. Consequently, it was one of the oldest Colleges and Universities established at that time.

It can be said that the first Abbasside age was the most productive period in Islam.

A collection of translated books was known during **Al Rasheed age** in Medicine, Astronomy, Philosophy, Wisdom, Literature and Stories.

There were some other books which were written in Quraan, Grammer, and History. **Al Rasheed** followed his grandfather in encouraging the Scientific Production. He wrote to the Princes and to the Soldiers encouraging them to take care of the science and scientists.

Al Rasheed was an example to **Al Mamoun**, **Banou Aumhaiah** and **Al Hakam Ben AL Nasser** who was assigned in 350 Hijra. He established a Library in Kurtubah.

Bayt Al Hikma can be described by saying that it was a large building in which there were many rooms that contained collections of books

BAYT al HIKMA
(IN)
ABBASSIDE *Edge*

Dr. KHEDR AHMED ATTALLAH

DAR ALFIKR ALARABY

11, GAWAD HOSNI St.

Tel.3925523 _3920956 FAX3917723

P.O.Box 130,CAIRO _P.N.11511 _ EGYPT

